

بجاني اللؤلؤ
في
حدايق العرب

الطبعة السكائوليكية - بيروت

Cheikho, Louis, 1859-1927, ed.

بجاني اللدوب
في
حدائق العرب

للأب لويس شيخو اليسوعي

الجزء الرابع

•

المطبعة الكاثوليكية
بيروت



2260

.252

.11

V.4



مَكْتَبَةُ لِسَانِ الْعَرَبِ

www.lisanarb.com

كل الحقوق محفوظة

الباب الأول في الشيرين

عظمة الخالق وجبروته

١ سُجْنَانِ مَنْ تَقَدَّسَتْ سُجْحَاتُ جَمَالِهِ عَنْ سِمَةِ الْحُدُوثِ وَالزَّوَالِ .
وَتَنَزَّهَتْ سُرَادِقَاتُ جَلَالِهِ عَنْ وَصْمَةِ التَّغْيِيرِ وَالْإِنْتِقَالِ . تَأَلَّاتِ عَلَى
صَفْحَاتِ الْمَوْجُودَاتِ أَنْوَارُ جِبْرُوتِهِ وَسُلْطَانِيهِ . وَتَمَلَّكَتْ عَلَى وَجَنَاتِ
الْكَائِنَاتِ آثَارُ مَلَكُوتِهِ وَإِحْسَانِيهِ . تَحَيَّرَتِ الْعُقُولُ وَالْأَفْهَامُ فِي
كِبَرِيَاءِ ذَاتِهِ . وَتَوَلَّهَتْ الْأَذْهَانَ وَالْأَوْهَامُ فِي بَيْدَاءِ عَظْمَةِ صِفَاتِهِ .
دَلَّ عَلَى ذَاتِهِ بِذَاتِهِ . وَشَهِدَ بِوَحْدَانِيَّتِهِ نِظَامُ مَصْنُوعَاتِهِ

(شرح موافق الايجي للجرجاني)

٢ الْعَظْمَةُ لَكَ وَالْكَبَرِيَاءُ لَجَلَالِكَ يَا قَائِمَ الذَّاتِ . وَمُفِيضَ الْخَيْرَاتِ .
وَوَاجِبَ الوجودِ وَوَاهِبَ الْعُقُولِ وَقَاطِرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتِ . وَمُبْدِيَ
الْحُرَاكَةِ وَالزَّمَانِ . وَمُبْدِعَ الْحَيْنِ وَالْمَكَانِ . وَقَاعِلَ الْأَرْوَاحِ وَالْأَشْبَاحِ
وَجَاعِلَ النُّورِ وَالظُّلُمَاتِ . وَنَحْرَكَ الْأَفْلَاقِ الْمُدْبِرَاتِ . وَمَزِينَهُ بِالنُّجُومِ
الْقَوَائِمِ وَالسِّيَّارَاتِ . وَمَقَرَّرَ الْأَرْضِ وَمُمَهِّدَهَا لِأَنْوَاعِ الْحَيَوَانِ
وَأَصْنَافِ الْمَعَادِنِ وَالنَّبَاتِ . دَامَ حَمْدُكَ وَجَلَّ ثَنَاؤُكَ . وَتَعَالَى ذِكْرُكَ
وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُكَ . لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ وَسِعَتْ رَحْمَتُكَ . وَكَثُرَتْ
آلَاؤُكَ وَنِعْمَاؤُكَ . أَفْضَ عَلَيْنَا أَنْوَارَ مَعْرِفَتِكَ . وَطَهَّرَ نَفُوسَنَا عَنْ

كُدُورَاتٍ مَعْصِيَتِكَ . وَأَمْطِرْ عَلَيْنَا سَحَابَ فَضْلِكَ وَمَرَحْمَتِكَ وَأَضْرِبْ
عَلَيْنَا سُرَادِقَاتِ عَفْوِكَ وَمَغْفِرَتِكَ . وَأَدْخِلْنَا فِي حِفْظِ عِنَايَتِكَ وَمَكْرَمَتِكَ
(عجائب المخلوقات للقزويني)

متن الشيبانية في التوحيد

٣

سَاحِدُ رَبِّي طَاعَةً وَتَعَبُدًا وَأَنْظِمُ عَهْدًا فِي الْعَقِيدَةِ أَوْحَدًا
وَأَشْهَدُ أَنَّ اللَّهَ لَا رَبَّ غَيْرُهُ تَعَزَّرَ قَدَمًا بِالْبَقَا وَتَقَرَّدَا
هُوَ الْأَوَّلُ الْمُبْدِي بِغَيْرِ بَدَايَةٍ وَأَخِرُ مَنْ يَبْقَى مُقِيمًا مُوَبَّدًا
سَمِيعٌ بَصِيرٌ عَالِمٌ مُتَكَلِّمٌ قَدِيرٌ يُعِيدُ الْعَالَمِينَ كَمَا بَدَا
مُرِيدٌ أَرَادَ الْكَائِنَاتِ لَوْقَتِهَا قَدِيمٌ فَأَنْشَأَ مَا أَرَادَ وَأَوْجَدَا
إِلَاهٌ عَلَى عَرْشِ السَّمَاءِ قَدِ اسْتَوَى وَبَيْنَ مَخْلُوقَاتِهِ وَتَوَّحَّدَا
فَلَا جِهَةَ تُحْوِي الْإِلَاهَ وَلَا لَهُ مَكَانٌ تَعَالَى عَنْهُمَا وَتَعَبَّدَا
إِذِ الْكُونَ مَخْلُوقٌ وَرَبِّي خَالِقٌ لَقَدْ كَانَ قَبْلَ الْكُونَ رَبًّا وَسَيِّدًا
وَلَا حَلَ فِي شَيْءٍ تَعَالَى وَلَمْ يَزَلْ مَلِيًّا غَنِيًّا دَائِمٌ الْعَزَّ سَرْمَدًا
وَلَيْسَ كَمِثْلِ اللَّهِ شَيْءٌ وَلَا لَهُ شَيْءٌ تَعَالَى رَبُّنَا أَنْ يُحَدِّدَا
وَمَنْ قَالَ فِي الدُّنْيَا يَرَاهُ بَعِينَهُ فَذَلِكَ زِنْدِيقٌ طَعْمًا وَتَمَرَّدَا
وَلَكِنْ يَرَاهُ فِي الْجَنَانِ عِبَادُهُ كَمَا صَحَّ فِي الْأَخْبَارِ زَوِيهِ مُسْتَدَا
٤ رَوَى أَنَّ الرَّمَّانِيَّ سَأَلَ الْأَمَامَ الْغَزَالِيَّ عَنْ قَوْلِ الْقَائِلِ:

الرَّحْمَانُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى . فَأَجَابَ :

قُلْ لِمَنْ يَفْهَمُ عَنِّي مَا أَقُولُ أَنْزَلِكِ الْبَحْثَ فَمَا شَرَحَ يَطُولُ

ثُمَّ سِرٌّ غَامِضٌ مِنْ دُونِهِ ضُرِبَتْ بِالسَّيْفِ أَعْنَاقُ الْفُؤُولِ
 أَنْتَ لَا تَعْرِفُ إِيَّاكَ وَلَمْ تَدْرِ مَنْ أَنْتَ وَلَا كَيْفَ الْوُصُولِ
 لَا وَلَا تَدْرِي صِفَاتِ رُكْبَتِ فِيكَ حَارَتْ فِي خَفَايَاهَا الْعُقُولِ
 أَيْنَ مِنْكَ الرُّوحُ فِي جَوْهَرِهَا هَلْ تَرَاهَا أَوْ تَرَى كَيْفَ مَجْهُولِ
 أَنْتَ أَكْثَلُ الْخُبْرِ لَا تَعْرِفُهُ كَيْفَ يَجْرِي فِيكَ أَمْ كَيْفَ يُوْثِلِ
 فَإِذَا كَانَتْ طَوَايَاكَ الَّتِي بَيْنَ جَنِيَّتِكَ بِهَا أَنْتَ جَهُولِ
 كَيْفَ تَدْرِي مَنْ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى لَا تَقُلْ كَيْفَ اسْتَوَى كَيْفَ الرُّضُولِ
 فَهَوَ لَا كَيْفٌ وَلَا أَيْنُ لَهُ هُوَ رَبُّ الْكَيْفِ وَالْكَيفُ يُحْوِلِ
 وَهَوَ فَوْقَ الْفَوْقِ لَا فَوْقَ لَهُ وَهَوَ فِي كُلِّ النَّوَاحِي لَا يَزُولِ
 جَلٌّ ذَاتًا وَصِفَاتٍ وَعَلَا وَتَعَالَى رَبَّنَا عَمَّا نَقُولِ

قصيدة لاحمد البرعي في الاستدلال على الحق تعالى

كُلُّ شَيْءٍ مِنْكُمْ عَلَيْكُمْ دَلِيلٌ وَصَحَّ الْحَقُّ وَأَسْتَبَانَ السَّبِيلُ
 أَحَدَثَ الْخَلْقَ بَيْنَ كَافٍ وَنُونٍ مَنْ يَكُونُ الْمُرَادُ حِينَ يَقُولُ
 مَنْ أَقَامَ السَّمَاءَ سَقْفًا رَفِيعًا يَرْجِعُ الطَّرْفُ عَنْهُ وَهَوَ كَلِيلُ
 وَدَحَا الْأَرْضَ فَهِيَ بَحْرٌ وَرِيٌّ وَوَعُورٌ مُجْهَوْلَةٌ وَسَهُولُ
 وَجِبَالٌ مُنِيفَةٌ شَايِخَاتٌ وَعَيْونٌ مَعِيَةٌ وَسَيْوُولُ
 وَرِيَّاحٌ تَهْبُ فِي كُلِّ جَوٍّ وَتَحَابٌ يَسْقِي الْجِهَاتِ ثَقِيلُ
 وَدَرَارٌ بِكُمْ وَسَمْسٌ وَبَدْرٌ وَنُجُومٌ طَوَالِغٌ وَأَفُولُ
 حِكْمَةٌ تَاهَتْ الْبَصَائِرُ فِيهَا وَأَعْتَرَاهَا دُونَ الذُّهُولِ ذُهُولُ

قَالَسَّمَاوَاتُ السَّمْعِ وَالْعَرْشُ وَالْكَرْسِيُّ وَالْحَجْبُ ذِكْرُهَا التَّهْلِيلُ
 مُمَسِّكُ الطَّيْرِ فِي الْهَوَاءِ وَنَحْيِي السُّحُوتِ فِي الْمَاءِ فَهَوَ كَأَفِ كَفِيلُ
 سَرْمَدِيُّ الْبَقَا أَخِيرُ قَدِيمٌ قَصَرَتْ عَنْ مَدَى عُلَاهُ الْعُقُولُ
 حَيْثُ لَمْ يَشْتَمِلْ عَلَيْهِ مَكَانٌ يَحْتَوِيهِ أَوْ غُدُوَّةٌ وَأَصِيلُ
 مَنْ لَهُ الْمُلْكُ وَالْمُلُوكُ عَيْدٌ لَهُ الْعَزُّ وَالْعَزِيزُ ذَلِيلُ
 كُلُّ شَيْءٍ سِوَاهُ يَفْتَنِي وَيَبْلِي وَهُوَ حَيٌّ سُبْحَانَهُ لَا يَزُولُ
 أَلَقْتُ بِهِ الْبَرَآيَا فَهَمُّ فِي رَحْمَةٍ ظَلَمَهَا عَلَيْهِمْ ظَلِيلُ
 سَيِّدِي أَنْتَ مَقْصِدِي وَمُرَادِي أَنْتَ حَسْبِي وَأَنْتَ نِعْمَ الْوَكِيلُ
 أَحْيِ قَلْبِي بِمَوْتِ نَفْسِي وَصَلْبِي وَأَنْلِنِي إِنْ الْكَرِيمَ يُنِيلُ
 وَأَجْرَنِي مِنْ كُلِّ خَطْبٍ جَلِيلٍ قَبْلَ قَوْلِ الْوَشَاةِ صَبْرٌ جَمِيلُ
 وَأَفْتَقِدْنِي بِرَحْمَةٍ وَأَقْلِنِي مِنْ عِثَارِي فَإِنِّي مُسْتَقِيلُ
 كَيْفَ يَظْمَأُ قَلْبِي وَعَفْوُكَ بَحْرٌ زَاخِرٌ طَافِحٌ عَرِيضٌ طَوِيلُ
 رَبِّ صَفْحًا فَإِنَّ ذَنْبِي كَبِيرٌ وَأَصْطَبَارِي عَلَى الْعَذَابِ قَلِيلُ
 وَالرَّجَائِفِكِ وَالرِّضَامِنِكَ فَضْلٌ وَلَكَ الْمَنُّ وَالْعَطَاءُ الْجَزِيلُ

نخبة من متن بدء الامالي في التوحيد

يَقُولُ الْعَبْدُ فِي بَدْءِ الْأَمَالِي لِتَوْحِيدِ بِنَظْمِ كَاللَّالِي
 إِلَاهُ الْخَلْقِ مَوْلَانَا قَدِيمٌ وَمَوْصُوفٌ بِأَوْصَافِ الْكَمَالِ
 هُوَ الْحَيُّ الْمُدَبِّرُ كُلِّ أَمْرٍ هُوَ الْحَقُّ الْمُقَدِّرُ ذُو الْجَلَالِ
 صِفَاتُ اللَّهِ لَيْسَتْ عَيْنَ ذَاتٍ وَلَا غَيْرًا سِوَاهُ ذَا أَنْفِصَالِ

صَفَاتُ الذَّاتِ وَالْأَفْعَالِ طُرًّا
 نَسِي اللهُ شَيْئًا لَا كَالْأَشْيَاءِ
 وَلَيْسَ الْإِسْمُ غَيْرًا لِلْمَسْمِيِّ
 وَمَا إِنْ جَوْهَرُ رَبِّي وَجِسْمٌ
 وَرَبُّ الْعَرْشِ فَوْقَ الْعَرْشِ لَكِنْ
 وَمَا التَّشْبِيهُ لِلرَّحْمَانِ وَجْهًا
 وَلَا يَمِضِي عَلَى الدِّيَانِ وَقْتُ
 وَمُسْتَعْنِ الْإِلَهِيِّ عَنِ عِبَادِ
 يُمِيتُ الْخَلْقَ طُرًّا ثُمَّ يُحْيِي
 لِأَهْلِ الْخَيْرِ جَنَاتٍ وَنُعْمَى
 وَلَا يَفْتِي الْحُجَّيمُ وَلَا الْجِنَانُ
 يَرَاهُ الْمُؤْمِنُونَ بِغَيْرِ كَيْفٍ
 فَيَسُونَ النَّعِيمَ إِذَا رَأَوْهُ
 قَدِيمَاتُ مَصُونَاتُ الزَّوَالِ
 وَذَاتًا عَنْ جِهَاتِ أَلْسِنِ خَالِ
 لَدَى أَهْلِ الْبَصِيرَةِ خَيْرِ آلِ
 وَلَا كُلُّ وَبَعْضُ ذُو اشْتِمَالِ
 بِلا وَصْفِ التَّمَكُّنِ وَاتِّصَالِ
 فَضُنَّ عَنْ ذَلِكَ أَصْنَافَ الْأَهَالِي
 وَأَحْوَالِ وَأَزْمَانِ بِحَالِ
 تَقَرَّدَ ذُو الْجَلَالِ وَذُو الْمَعَالِي
 فَيَجْزِيهِمْ عَلَى وَفْقِ الْخِصَالِ
 وَلِلْكَفَّارِ إِذْرَاكُ النَّكَالِ
 وَلَا أَهْلُوهَا أَهْلُ انْتِقَالِ
 وَإِذْرَاكُ وَضْرِبِ مِنْ مِثَالِ
 فَيَا خُسْرَانَ أَهْلِ الْإِعْتِرَالِ

قصيدة للبرعي في الحق سبحانه

أَنْيَبُ وَذُو اللَّطَائِفِ لَا يَنْيَبُ
 وَأَسْأَلُهُ السَّلَامَةَ مِنْ زَمَانِ
 وَأَنْزِلْ حَاجَتِي فِي كُلِّ حَالِ
 وَلَا أَرْجُو سِوَاهُ إِذَا دَهَانِي
 فَكَمْ لِيهِ مِنْ تَدْبِيرِ أَمْرِي
 وَأَرْجُوهُ رَجَاءً لَا يَخِيبُ
 لَيْتَ بِهِ نَوَابِيهُ نُشَيْبُ
 إِلَى مَنْ تَطْمَئِنُّ بِهِ الْقُلُوبُ
 زَمَانُ الْجَوْرِ وَالْجَارِ الْمُرِيبُ
 طَوْنُهُ عَنِ الْمَشَاهِدَةِ الْغُيُوبُ

وَكَمْ فِي الْعَيْبِ مِنْ تَيْسِيرِ عُسْرِ
 وَمِنْ كَرَمٍ وَمِنْ لَطْفِ خَفِي
 وَمَا لِي غَيْرَ بَابِ اللَّهِ بَابُ
 كَرِيمٍ مُنْعِمٍ بَرٍّ لَطِيفٍ
 حَلِيمٍ لَا يُعَاجِلُ بِالْخَطَايَا
 فَمَا مَلَكَ الْمُلُوكِ أَقْلَ عِثَارِي
 وَأَمْرَضَنِي أَلْهَوَى لَهْوَانِ حَظِي
 وَعَانَدَنِي الزَّمَانُ وَقَلَّ صَبْرِي
 وَعَدَّ النَّائِبَاتِ إِلَى عَدُوِّي
 وَأَلْسِنِي بِأَوْلَادِي وَأَهْلِي
 وَلَكِنِّي نَبَذْتُ زِمَامَ أَمْرِي
 هُوَ الرَّحْمَانُ حَوْلِي وَاعْتَصَامِي
 إِلَهِهِ أَنْتَ تَعَلَّمْ كَيْفَ حَالِي
 وَكَمْ مُتَمَلِّقِي بَخْفِي عِنَادَا
 وَخَافِرِ خُفْرَةٍ لِي هَارَ فِيهَا
 وَتَمَتَّعِ الْفُرُوقَى مُسْتَضْعَفِي فِي
 وَذِي عَصِيَّةٍ بِالْمَكْرِ يَسْمَعِي
 فَيَأْدِيَانِ يَوْمَ الدِّينِ قَرَجِ
 وَصِلْ حَبْلِي بِحَبْلِ رِضَاكَ وَأَنْظُرْ
 وَمِنْ تَفْرِيحٍ نَائِبَةٍ تَوْبِ
 وَمِنْ فَرَجِ زَوَلٍ بِهِ الْكُرُوبِ
 وَلَا مَوْلَى سِوَاهُ وَلَا حَيْبُ
 جَمِيلُ السِّتْرِ لِلدَّاعِي مُجِيبُ
 رَجِيمٌ عَمِيمٌ رَحْمَتِهِ يَصُوبُ
 فَإِنِّي عَنْكَ أَنَاثِي الذُّنُوبِ
 وَلَكِن لَيْسَ غَيْرَكَ لِي طَيْبُ
 وَصَاقَ بَعْبِكَ الْبَلَدُ الرَّحِيبُ
 فَإِنَّ النَّائِبَاتِ لَهَا نُيُوبُ
 فَمَقَدٌ يَسْتَوْحِشُ الرَّجُلُ الْغَرِيبُ
 لِمَنْ تَدْبِيرُهُ فِيهِ عَجِيبُ
 بِهِ وَإِلَيْهِ مُبْتَلَا أُنَيْبُ
 فَهَلْ يَا سَيِّدِي فَرَجٌ قَرِيبُ
 وَأَنْتَ عَلَى سِرِّرَتِهِ رَقِيبُ
 وَسَهْمُ الْبَغْيِ يَدْرِي مَنْ يَصِيبُ
 قَصَمْتُ قَوَاهُ عَنِّي يَا حَسِيبُ
 إِلَى سَعْيٍ بِهِ يَوْمٌ عَصِيبُ
 هُمُومًا فِي الْفَوَادِ لَهَا دَيْبُ
 إِلَيَّ وَتُبَّ عَلَيَّ عَسَى أَوْبُ

وَرَاعَ حِمَائِي وَوَلَّ نَصْرِي وَشَدَّ عُرَايَ إِنْ عَرَتِ الْخُطُوبُ
وَأَفْنِ عِدَائِي وَأَقْرِنِ نَجْمَ حَظِّي بِسَعِيدِ مَا إِطَالِعُهُ غُرُوبُ
وَالْهَمْنِي لِدِكْرِكَ طُولَ عُمْرِي فَإِنَّ بِدِكْرِكَ الدُّنْيَا تَطِيبُ
فَقْظَنِي فِيكَ يَا سَنَدِي جَمِيلُ وَمَرَعَى ذَوْدِ آمَالِي خَصِيبُ

قصيدة له في الإتهال الى الله تعالى

٨

قِفْ بِالْخُضُوعِ وَنَادِ رَبَّكَ يَا هُوَ إِنَّ الْكَرِيمَ يُجِيبُ مَنْ نَادَاهُ
وَأَطْلُبْ بِطَاعَتِهِ رِضَاهُ فَلَمْ يَزَلْ بِالْجُودِ يُرْضِي طَالِبِينَ رِضَاهُ
وَأَسْأَلُهُ مَسْئَلَةً وَقَضَا إِنَّهُ مَسْئُوطَتَانِ لِسَائِلِيهِ يَدَاهُ
وَأَقْصِدُهُ مُنْقَطِعًا إِلَيْهِ فَكُلُّ مَنْ يَرْجُوهُ مُنْقَطِعًا إِلَيْهِ كَفَاهُ
سَمَلَتْ لَطَائِفُهُ الْخَلَائِقَ كُلَّهَا مَا لِلْخَلَائِقِ كَافِلٌ إِلَّا هُوَ
فَمَزِيذُهَا وَذَلِيلُهَا وَغَنِيهَا وَقَمِيرُهَا لَا يَرْتَجُونَ سِوَاهُ
مَلِكُ تَدِينٍ لَهُ الْمُلُوكُ وَيَلْتَجِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَهْرُهُمْ بِغِنَاهُ
هُوَ أَوَّلُ هُوَ آخِرُ هُوَ ظَاهِرٌ هُوَ بَاطِنٌ لَيْسَ الْعَيْونُ تَرَاهُ
حِجَّتُهُ أَسْرَارُ الْجَلَالِ فَدُونَهُ تَقِفُ الظُّنُونُ وَتُخْرَسُ الْأَفْوَاهُ
صَمَدٌ بِلَا كُفٍّ وَلَا كَيْفِيَّةِ أَبَدًا فَمَا النُّظْرَاءُ وَالْأَشْبَاهُ
شَهِدَتْ غَرَائِبُ صُنْعِهِ بِوُجُودِهِ لَوْلَاهُ مَا شَهِدَتْ بِهِ لَوْلَاهُ
وَإِلَيْهِ أَدْعَتِ الْعُقُولُ فَأَمَنْتُ بِالْغَيْبِ تَوَثَّرُ حُبَّهَا إِيَّاهُ
سُبْحَانَ مَنْ عَنَتِ الْوُجُوهُ لَوَجْهِهِ وَلَهُ سُجُودٌ أَوْجُهُ وَجِبَاهُ
طَوْعًا وَكَرْهًا خَاشِعِينَ لِعِزِّهِ وَلَهُ عَلَيْهَا الطَّوْعُ وَالْإِكْرَاهُ

سَلَّ عَنْهُ دَارَاتِ الْوُجُودِ فَإِنَّهَا تَدْعُوهُ مَعْبُودًا لَهَا رَبَّاهُ
 مَا كَانَ يُعْبَدُ مِنْ إِلَآهِ غَيْرِهِ وَالْكُلُّ تَحْتَ الْقَهْرِ وَهُوَ الْإِلَآهُ
 أَبَدِي يُحْكَمُ صُنْعِهِ مِنْ نُظْفَةٍ بَشَرًا سَوِيًّا جَلَّ مَنْ سِوَاهُ
 وَبَنَى السَّمَاوَاتِ الْعُلَى وَالْعَرْشَ وَالْكَرْسِيَّ ثُمَّ عَلَا الْجَمِيعَ عُلَاهُ
 وَدَحَا بَسِيطَ الْأَرْضِ فَرَشًا مُثَنَّتَا بِالرَّاسِيَاتِ وَبِالنَّبَاتِ حُلَاهُ
 تَجْرِي الرِّيَّاحُ عَلَى اخْتِلَافِ هُبُوبِهَا عَنْ إِذْنِهِ وَالْفَلَكَ وَالْأَمْوَاهُ
 رَبُّ رَحِيمٌ مُشْفِقٌ مُتَعَطِّفٌ لَا يَنْتَهِي بِالْحَضَرِ مَا أَعْطَاهُ
 كَمْ نِعْمَةٍ أَوْلَى وَكَمْ مِنْ كُرْبِيَّةٍ أَجْلَى وَكَمْ مِنْ مُبْتَلَى عَافَاهُ
 فَإِذَا بَلَّتِ بَغْرِيَّةٌ أَوْ كُرْبِيَّةٌ قَادَعُ الْإِلَآهِ وَقَلَّ سَرِيعًا يَاهُو
 لَا مُحْسِنَ الظَّنِّ الْجَمِيلِ بِهِ يَرَى سُوءًا وَلَا رَاجِيَةَ خَابَ رَجَاهُ
 وَظَلَمَهُ سُبْحَانَهُ يُعْصَى فَلَمْ يَعْجَلْ عَلَى عَبْدٍ عَصَى مَوْلَاهُ
 يَأْتِيهِ مُعْتَذِرًا فَيَقْبَلُ عُذْرَهُ كَرَمًا وَيَقْفِرُ عَمْدَهُ وَخَطَاهُ

وللبرعي في حمد الله

٩

لَكَ الْحَمْدُ يَا مُسْتَوْجِبَ الْحَمْدِ دَائِمًا عَلَى كُلِّ حَالٍ حَمْدٌ قَانَ لِدَائِمِ
 وَسُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ تَسْبِيحٌ شَاكِرٍ لِمَعْرُوفِكَ الْمَعْرُوفِ يَا ذَا الْمَرَاحِمِ
 فَكَمْ لَكَ مِنْ سِتْرٍ عَلَى كُلِّ خَاطِيٍّ وَكَمْ لَكَ مِنْ بَرٍّ عَلَى كُلِّ ظَالِمٍ
 وَجُودُكَ مَوْجُودٌ وَفَضْلُكَ قَائِمٌ وَأَنْتَ الَّذِي رُجِيَ لِكَشْفِ الْعِظَامِ
 وَبَابُكَ مَفْتُوحٌ لِكُلِّ مُؤْمِلٍ وَبِرِّكَ مَمْنُوحٌ لِكُلِّ مُصَادِمٍ
 فَيَا قَاتِلَ الْأَصْبَاحِ وَالْحَبِّ وَالنَّوَى وَيَا قَاسِمَ الْأَرْزَاقِ بَيْنَ الْعَوَالِمِ

وَيَا كَافِرَ الْحَيْثَانَ فِي حُجِّ بَجْرَهَا
وَأَحْصِي الْأُورَاقَ وَاللَّبَتِ وَالْحَصَى
إِلَيْكَ تَوَسَّلْنَا بِكَ أَغْفِرْ ذُنُوبَنَا
وَحَبِّبْ إِلَيْنَا الْحَقَّ وَأَعِصِمْ قُلُوبَنَا
وَدَمِّرْ أَعَادِيَنَا بِسُلْطَانِكَ الَّذِي
وَمَنْ عَلَيْنَا يَوْمَ يَنْكَشِفُ الْغَطَا
مُوَسِّسَ فِي الْأَقَاقِي وَحَشْرَ الْبَهَائِمِ
وَرَمْلَ الْفَلَاعِدَا وَقَطْرَ الْغَمَائِمِ
وَحَقْفَ عَنِ الْعَاصِينَ ثِقَلَ الْمَظَالِمِ
مِنْ الزَّيْغِ وَالْأَهْوَاءِ يَا خَيْرَ عَاصِمِ
أَذَلَّ وَأَفْنَى كُلِّ عَاتٍ وَغَاثِمِ
بِسْتَرِ خَطَايَانَا وَمَحْوِ الْجَرَائِمِ

وله أيضاً من قصيدة في الرجاء بالله

١٠

لِكُلِّ خَطْبٍ مِنْهُمْ حَسْبِي اللَّهُ
وَأَسْتَعِيثُ بِهِ فِي كُلِّ نَائِبَةٍ
ذُو الْمَنِّ وَالْمُجِدِّ وَالْفَضْلِ الْعَظِيمِ
لَهُ الْمَوَاهِبُ وَالْآلَاءُ وَالْمَثَلُ أَوْ
الْقَادِرُ الْأَمْرُ النَّاهِي الْمُدِيرُ لَا
مَنْ لَا يُقَالُ بِجَالِ عَنْهُ كَيْفَ وَلَا
وَلَا يُعْبَرُ مَرُّ الدَّهْوَرِ وَلَا
وَلَا يُعْبَرُ عَنْهُ بِالْحُلُولِ وَلَا
أَنْشَأَ الْعَوَالِمَ أَعْلَامًا بِقُدْرَتِهِ
قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ :

لَيْسَتْ تَوْبُ الرَّجَاوِ وَالنَّاسُ قَدَرَقَدُوا
وَقُلْتُ يَا أَعْدِيَّ فِي كُلِّ نَائِبَةٍ
قَضَمْتُ أَشْكَو إِلَى مَوْلَايَ مَا أَجِدُ
وَمَنْ عَلَيْهِ لِدَفْعِ الضَّرِّ أَعْتَمِدُ

لَقَدْ مَدَدَتْ يَدِي وَالضَّرُّ مُشْتَمِلٌ إِلَيْكَ يَا خَيْرَ مَنْ مَدَّتْ إِلَيْهِ يَدٌ

قصيدة لعبد الغني النابلسي في الثقة بالله

١١

كُنْ مَعَ اللَّهِ تَرَّ اللَّهُ مَعَكَ وَأَتْرَكَ الْكُلَّ وَحَازِرَ طَمَعِكَ
 وَأَزْرَمَ الْقَنْعَ يَمِينِ أَنْتَ لَهُ فِي جَمِيعِ الْكَوْنِ حَتَّى يَسْعَكَ
 بِالْصَّفَاعِنِ كَدَرَ الْحِسِّ قَبْ وَأَطْرَحَ الْأَغْيَارَ وَأَتْرَكَ خُدَعَكَ
 لِأَثْمَوَةِ بَيْتِكَ وَأَطْلَبَ مِنْكَ مَا قَرَّ مِنْ يَوْمٍ بِشَانِ ضَيْعِكَ
 نُورِكَ اللَّهُ بِهِ كُنْ مُشْرِقًا وَاحْذِرِ الْأَضْدَادَ تُطْفِئُ شَمْعَكَ
 وَأَعْبُدِ اللَّهَ بِكَشْفِ وَأَصْطَبِرْ وَعَلَى الْكَشْفِ تَوَقَّ جَزَعَكَ
 لَا تَقُلْ لَمْ يَقْتَحِ اللَّهُ وَلَا تَطْلُبِ الْفَتْحَ وَحَرِّزْ وَرَعَكَ
 كَيْفَمَا شَاءَ فَكُنْ فِي يَدِهِ لَكَ إِنْ قَرَّقَ أَوْ إِنْ جَمَعَكَ
 فِي الْوَرَى إِنْ شَاءَ خَفَضَ ذِقْتَهُ وَإِذَا شَاءَ عَلَيْهِمْ رَفَعَكَ
 وَإِذَا ضَرَّكَ لَا نَافِعَ مِنْ دُونِهِ وَالضَّرُّ لَا إِنْ نَفَعَكَ
 وَإِذَا أَعْطَاكَ مَنْ يَمْنَعُهُ ثُمَّ مَنْ يُعْطِي إِذَا مَا مَنَعَكَ
 لَيْسَ يُوقِيكَ إِذَا أَحَدٌ وَإِنْ اسْتَنْصَرْتَ فِيهِ شَيْعَكَ
 إِنَّمَا أَنْتَ لَهُ عَبْدٌ فَكُنْ جَاعِلًا بِالْقُرْبِ مِنْهُ وَلَمَكَ
 كُلَّمَا نَابَكَ أَمْرٌ يُقِ بِهِ وَاحْتَرِزْ لِلْغَيْرِ تَشْكُو وَجَمَعَكَ
 لَا تُؤْمَلْ مِنْ سِوَاهُ أَمَلًا إِنَّمَا يَسْقِيكَ مَنْ قَدْ زَرَعَكَ
 لَيْتَ لَوْ تَشَعَّرُ مَاذَا كُنْتَ مِنْ قَبْلِ مَا مَوَى الْمَوَالِي أَخْتَرَعَكَ
 كُنْتَ لَا شَيْءَ وَأَصْبَحْتَ بِهِ خَيْرَ شَيْءٍ بَشَرًا قَدْ طَبَعَكَ

تَابِعًا كُنْ دَائِمًا أَنْتَ وَلَا تَتَمَنَّ أَنْهُ لَوْ تَبِعَكَ
 وَدَعِ التَّدْبِيرَ فِي الْأَمْرِ لَهُ وَأَضْمِعِ الْمَعْرُوفَ مَعَ مَنْ صَنَعَكَ
 وَأَحْتَفِظْ حُرْمَةً مَنْ يُبْصِرُ إِنْ رُمْتَ فِعْلًا أَوْ تُسَادِي سَمِعَكَ
 كُنْ بِهِ مُعْتَصِمًا وَأَخْضِعْ لَهُ لَا تُعَانِدْ فِيهِ وَأَهْجُرْ بَدْعَكَ
 ١٢ قَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ جَعْمَانَ فِي هَذَا الْمَعْنَى :

فَأَمَنْ عَلَيَّ بِذَلِكَ مِنْ قَبْلِ الْعَنَاءِ
 وَلَنْ رَضَيْتَ فَذَلِكَ غَايَةُ مَطْلَبِي
 لَوْ أَبْدَلَنْ رُوحِي فِدَى لَرَأَيْتَهَا
 وَبَقِيتُ فِي حَجَلٍ كَعَبْدٍ قَدْ جَنَى
 وَأَلْقَيْتُ كُلَّ حَقِيرًا فِي جَنَابِكَ هِينًا
 وَالْكَفْلُ مِلْكُكُمْ فَمَا مِنِّي أَنَا
 أَنْعَمْتُمْ أَيْضًا بِكَوْنِي مُؤْمِنًا
 مَا كُنْتُ مُوْجُودًا وَلَا مِنِّي ثَنَا
 لَوْ عَمَّرَ الْأَبْدِينَ يَشْكُرُ مَعْلَنَا
 لِلْعَمْرِ مِنْكُمْ طَالِبًا وَلَقَدْ جَنَى
 مِنْوَا عَلَيَّ وَأَذْهَبُوا عَنِّي الْعَنَاءَ
 قَالِ ابْنُ دَقِيقِ الْعَيْدِ :

لَمْ يَبْقَ لِي أَمَلٌ سِوَاكَ فَإِنْ يَفْتُ
 وَدَعَتْ أَيَّامَ الْحَيَاةِ وَدَاعَا
 لَا أَسْتَلِدُّ بغيرِ وَجْهِكَ مَنْظَرًا
 وَسِوَى حَدِيثِكَ لَا أُرِيدُ سَمَاعَا

قصيدة للباي في التوسل والاستعطاف

هُوتِ الْمَشَاعِرُ وَالْمَدَا رِكُ عَنْ مَعَارِجِ كِبْرِيَانِكَ

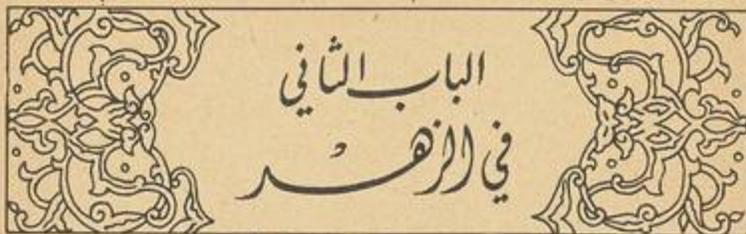
يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ قَدْ بَهَرَ الْعُقُولَ سَنَا بَهَائِكَ
 أَثْنِي عَلَيْكَ بِمَا عَلِمْتُ وَأَيْنَ عِلْمِي مِنْ ثَنَائِكَ
 مُتَّحِبٌّ فِي عَيْنِكَ أَوْ أَحْمَى مِنْعٌ فِي عَلَانِكَ
 وَظَهَرْتَ بِالْآثَارِ وَأَزْ أَعْمَالِ بَادٍ فِي جَلَانِكَ
 عَجَبًا خَفَاؤِكَ مِنْ ظُهُورِكَ أَمْ ظُهُورِكَ مِنْ خَفَائِكَ
 مَا الْكَوْنُ إِلَّا ظُلْمَةٌ قَبَسَ الْأَشْعَى مِنْ ضِيَائِكَ
 بَلْ كُلُّ مَا فِيهِ فَقِيرٌ مُسْتَسْتَجِبٌ مِنْ عَطَائِكَ
 مَا فِي الْعَوَالِمِ ذَرَّةٌ فِي جَنْبِ أَرْضِكَ أَوْ سَمَائِكَ
 إِلَّا وَوَجْهَتَهَا إِلَيْكَ بِالْإِفْتِقَارِ إِلَى عَمَائِكَ
 فَانظُرْ إِلَى مَنْ يَسْتَعِيْءُ مِنْكَ عَائِدًا مِنْ بِلَائِكَ
 قَدَفَتْ بِهِ مِنْ شَاهِقِ أَيْدِي أَمْتَانِكَ وَأَتِيَلَائِكَ
 وَسَطَتْ عَلَيْهِ لَوَائِمُ أَوْ أَمْكَانِ صَدًّا عَنْ فَنَائِكَ
 وَرَمَتْهُ فِي ظُلْمِ الْعَنَاءِ صِرٌّ وَالطَّبَائِعِ فِي شَبَائِكَ
 فَإِذَا أُرْعَوَى أَوْ كَادَ نَا فِي ظِيِّ عِلْمِكَ مِنْ قَضَائِكَ
 فَالْطُّفُفُ بِهِ فِيمَا جَرَى فِيهِ فِي مَعَارِجِ أَصْفِيَائِكَ
 وَاسْلُكْ بِهِ سَنَنَ الْهُدَايَةِ فِي مَعَارِجِ أَصْفِيَائِكَ
 ١٤ قَالَ أَبُو الْأَسْوَدِ الدُّؤَلِيُّ :

وَإِذَا طَلَبْتَ مِنَ الْخَوَائِجِ حَاجَةً
 فَلِكِعْطِيْنِكَ مَا أَرَادَ بِمُقْدَرَةٍ
 فَادْعُ الْإِلَآهَ وَأَحْسِنِ الْأَعْمَالَ
 فَهُوَ الْأَطِيفُ إِذَا أَرَادَ فَعَالًا

إِنَّ الْعِبَادَ وَشَأْنَهُمْ وَأُمُورَهُمْ بِيَدِ الْإِلَهِ يُقَلِّبُ الْأَحْوَالَ
فَدَعِ الْعِبَادَ وَلَا تَكُنْ بِطِلَابِهِمْ لَهْجًا تَضَعُضِعُ لِلْعِبَادِ سُؤَالَ
قَالَ أَبُو الْفَتْحِ الْبُسْتِي :

تَقَى اللَّهَ وَالزَّمَ هُدَى دِينِهِ وَمِنْ بَعْدِ ذَا قَالَ زَمِ الْقَلْسَفَةَ
وَلَا تَعْتَرِزْ بِأَنَاسٍ رَضُوا مِنْ الدِّينِ بِالزُّورِ وَالسَّقْسَفَةَ
وَدَعِ عَنكَ قَوْمًا يَعِيبُونَهَا قَلْسَفَةَ الْمَرْءِ فَلَ السَّقْفَةَ
لَمَّا حَضَرَتِ الْوَفَاةَ أَبَا الْحَسَنِ الْهَمْدَانِيَّ أَنْشَدَ لِنَفْسِهِ :

قَالُوا عَادًا نَأْتِي دِيَارَ الْحِمِي وَيَنْزِلُ الرِّكْبُ بِمَغْنَاهُمْ
وَكُلُّ مَنْ كَانَ مُطِيعًا لَهُمْ أَصْبَحَ مَسْرُورًا بِلِقَائِهِمْ
فَقُلْتُ لِي ذَنْبٌ فَمَا حِيلَتِي وَجْهَهُ أَلْقَاهُمْ
قَالُوا أَلَيْسَ الْغَفْوُ شَأْنَهُمْ لِأَسِيًّا عَمَّنْ تَرَجَاهُمْ



الباب الثاني في الزهد

الزهد في الدنيا والانقطاع الى الله

١٥ (مِنْ التَّهْمِجِ) خَلَقَ اللَّهُ الْخَلْقَ حِينَ خَلَقَهُمْ غِيَاً عَنِ طَاعَتِهِمْ آمِنًا
مِنْ مَعْصِيَتِهِمْ . لِأَنَّهُ لَا تَضُرُّهُ مَعْصِيَةٌ مِنْ عَصَاةٍ وَلَا تَنْفَعُهُ طَاعَةٌ مِنْ
أَطَاعَةٍ . فَفَسَمَ بَيْنَهُمْ مَعَالِيَهُمْ وَوَضَعَهُمْ فِي الدُّنْيَا مَوَاضِعَهُمْ . فَالْمَتَّقُونَ
فِيهَاهُمْ أَهْلُ الْأَفْضَالِ . مَنْظِفُهُمُ الصَّوَابُ وَمَلْبَسُهُمُ الْإِقْتِسَادُ وَمَشِيهِمْ

التَّوَّاضِعُ غَضُوا أَبْصَارَهُمْ عَمَّا حَرَّمَ عَلَيْهِمْ وَوَقَفُوا أَسْمَاعَهُمْ عَلَى الْعِلْمِ
 النَّافِعِ لَهُمْ . نَزَلَتْ أَنْفُسُهُمْ مِنْهُمْ فِي الْبَلَاءِ كَمَا تَلِي نَزَلَتْ فِي الرِّخَاءِ .
 لَوْلَا الْأَجَلُ الَّذِي كَتَبَ اللَّهُ لَهُمْ لَمْ تَسْتَقِرَّ أَرْوَاحُهُمْ فِي أَجْسَادِهِمْ .
 طَرَفَةٌ عَيْنٍ شَوْقًا إِلَى الثَّوَابِ . وَخَوْفًا مِنَ الْعِقَابِ . عَظُمَ الْخَالِقُ فِي
 أَنْفُسِهِمْ فَصَغُرَ مَا ذُوْنَهُ فِي أَعْيُنِهِمْ فَهُمْ وَالْجَنَّةُ كَمَنْ قَدَرَا هَا فَهُمْ فِيهَا
 مُنْعَمُونَ . وَهُمْ وَالنَّارُ كَمَنْ قَدَرَا هَا فَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ مُعَذَّبُونَ .
 أَرَاتَهُمُ الدُّنْيَا فَلَمْ يُرِيدُوهَا وَأَمَرْتَهُمْ فَقَدُوا أَنْفُسَهُمْ مِنْهَا . لَا يَرْضَوْنَ
 مِنْ أَعْمَالِهِمُ الْقَلِيلَ وَلَا يَسْتَكْبِرُونَ الْكَثِيرَ . فَهُمْ لِأَنْفُسِهِمْ مُتَمَهِّمُونَ .
 وَمِنْ أَعْمَالِهِمْ مُشْفِقُونَ . إِذَا زَكَّي أَحَدَهُمْ خَافَ بِمَا يُقَالُ لَهُ يَقُولُ :
 أَنَا أَعْلَمُ بِنَفْسِي مِنْ غَيْرِي وَرَبِّي أَعْلَمُ بِنَفْسِي مِنِّي . اللَّهُمَّ لَا تَوَاحِذِنِي
 بِمَا يَقُولُونَ وَاجْعَلْنِي أَفْضَلَ بِمَا يظُنُّونَ وَأَغْفِرْ لِي مَا لَا يَعْلَمُونَ . فَمِنْ
 عِلْمَةِ أَحَدِهِمْ أَنَّكَ تَرَى لَهُ قُوَّةً فِي الدِّينِ . وَحِزْمًا فِي لَيْنٍ . وَإِيمَانًا فِي
 يَقِينٍ . وَحِرْصًا فِي عِلْمٍ . وَعَمَلًا فِي حِلْمٍ . وَقَصْدًا فِي غِنَى . وَخُشُوعًا
 فِي عِبَادَةٍ . وَجَمَلًا فِي فَاقَةٍ . وَصَبْرًا فِي شِدَّةٍ . وَطَلَبًا فِي حَلَالٍ . وَنَشَاطًا
 فِي هُدًى . وَتَحَرُّجًا عَنْ طَمَعٍ . يَعْمَلُ الْأَعْمَالُ الصَّالِحَةَ وَهُوَ عَلَى وَجَلٍ .
 يَمْسِي وَهَمُّهُ الشُّكْرُ . وَيُصْبِحُ وَهَمُّهُ الذِّكْرُ . يَبِيْتُ حَذِرًا وَيُصْبِحُ قَرِحًا .
 حَذِرًا لِمَا حَذَرَ مِنَ الْعَفْلَةِ . وَقَرِحًا لِمَا أَصَابَ مِنَ الْفَضْلِ وَالرَّحْمَةِ . إِذَا
 اسْتَضَعَبَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ فِيمَا نَكَرَهُ لَمْ يُعْطَهَا سُوءَهَا فِيمَا تَحَبُّ . قُرَّةٌ عَلَيْهِ
 فِيمَا لَا يَزُولُ وَرَهَادَةٌ فِيمَا لَا يَبْقَى . يَمِزُجُ الْحِلْمَ بِالْعِلْمِ وَالْقَوْلَ بِالْعَمَلِ .

رَاهُ قَرِيبًا أَمَلُهُ . قَلِيلًا زَلَّهُ . حَاشِعًا قَلْبُهُ . قَانِمَةً نَفْسُهُ . مَتْرُورًا
 أَكْلُهُ . سَهْلًا أَمْرُهُ . حَرِيذًا دِينُهُ . مَيْتَةً شَهْوَتُهُ . مَكْظُومًا عِظَتُهُ . إِنْ
 كَانَ فِي الْغَافِلِينَ كُتِبَ فِي الذَّاكِرِينَ . وَإِنْ كَانَ فِي الذَّاكِرِينَ لَمْ
 يَكْتَبْ مِنَ الْغَافِلِينَ . يَغْفُو عَنِ ظَلَمِهِ . وَيُعْطِي مِنْ حَرَمِهِ . وَيُصِلُ مِنْ
 قِطْعَتِهِ . بَعِيدًا مَحْشُهُ . لِينًا قَوْلُهُ . غَائِبًا مُنْكَرُهُ . حَاضِرًا مَعْرُوفُهُ . مُثْقَلًا
 خَيْرُهُ . مَذْبِرًا شَرَّهُ . فِي الزَّلَازِلِ وَقُورُهُ . وَفِي الْمَكَارِهِ صَبُورُهُ . وَفِي
 الرِّخَاءِ شُكُورُهُ . لَا يَحِيفُ عَلَى مَنْ يَبْغِضُ . وَلَا يَأْتُمُّ فِيمَنْ يُحِبُّ . يَعْتَرِفُ
 بِالْحَقِّ قَبْلَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْهِ . لَا يُضِيعُ مَا اسْتَحْفَظَ . وَلَا يَنْسِي مَا ذَكَرَ .
 وَلَا يُنَابِزُ بِالْأَلْقَابِ . وَلَا يُضَارُّ بِالْجَارِ . وَلَا يَشْتُمُّ بِالْمَصَابِ . وَلَا
 يَدْخُلُ فِي الْبَاطِلِ . وَلَا يُخْرَجُ مِنَ الْحَقِّ . إِنْ صَمَتَ لَمْ يَغْمُهُ صَمْتُهُ . وَإِنْ
 ضَحِكَ لَمْ يَغْلُ صَوْتُهُ . وَإِنْ بُعِيَ عَلَيْهِ صَبَرَ حَتَّى يَكُونَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي
 يَنْتَقِمُ لَهُ . نَفْسُهُ مِنْهُ فِي عَنَاءٍ وَالنَّاسُ مِنْهُ فِي رَاحَةٍ أَتَعَبَ نَفْسَهُ لِأَخْرَجَتْهُ
 وَأَرَاخَ النَّاسَ مِنْ نَفْسِهِ . بَعْدَهُ عَمَّنْ تَبَاعَدَ عَنْهُ زَهْدٌ وَرَأَاهُ . وَدُنُوهُ
 مِمَّنْ دَنَا مِنْهُ لِينٌ وَرَحْمَةٌ . لَيْسَ تَبَاعُدُهُ بِكَبِيرٍ وَعَظَمَتِهِ وَلَا دُنُوهُ بِمَكْرٍ
 وَخَدِيعَةٍ

(الكشكول لبهاء الدين العاملي)

قصيدة للبرعي في الزهد

١٦

أَحْبَابَ قَلْبِي مَضَى زَمَانِي وَتَعَصَّتْ عَيْشِي أَلْهُومُ
 وَفَرَّقَ الْمَوْتَ أَهْلَ عَضْرِي فَلَا صَدِيقٌ وَلَا حَمِيمُ
 وَأَخْلَفَ الدَّهْرُ خَلْفَ سَوْءِ كَأَنِّي بَيْنَهُمْ يَتِيمُ

وَالْآنَ حَانَ الرَّجِيلُ مِنِّي وَهَذِهِ الدَّارُ لَا تَدُومُ
 وَمَا تَزَوَّدْتُ غَيْرَ ذَنْبٍ عَذَابُهُ دَائِمٌ أَلِيمٌ
 يُصْرَحُ الْوَعْظُ بِي وَقَلْبِي كَأَنَّهُ صَخْرَةٌ صَمِيمٌ
 أَبَارِزُ اللَّهُ بِالْخَطَايَا وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ حَلِيمٌ
 فَكَمْ خَلَعْتُ الدَّمَارَ جَهْلًا وَلَمْتُ فِي الْغِيِّ مَنْ يَلُومُ
 وَكَمْ تَعَامَيْتُ عَنْ رِشَادِي وَمَنْهَجِ الْحَقِّ مُسْتَقِيمٌ
 لَا أَنْتَهِي عَنْ قَبِيحٍ فَعَلِي وَلَا أَصَلِي وَلَا أَصُومُ
 عَصَيْتُ طِفْلاً وَصِرْتُ أَعْوَى وَالشَّيْبُ فِي مَفْرَقِي يُحُومُ
 شَيْبٌ وَعَيْبٌ وَحَمَلُ ذَنْبٍ وَالذَّنْبُ بَعْدَ الْمَشِيبِ شُومٌ
 يَا جَامِعَ أَمْوَالٍ مِنْ حَرَامٍ سَيَقْضِي مَالِكَ الْغَرِيمُ
 وَتَقْضِي وَزْرَهُ وَتُلَاقِي فِي النَّارِ يَغْلِي بِهَا الْحَمِيمُ
 وَكَيْفَ يَهْنِكَ صَفْوُ عَيْشٍ خِتَامُهُ عَلَقَمٌ عَقِيمٌ
 يَا وَاسِعَ اللَّطْفِ جُدْ بِفَضْلِ وَرَحْمَةٍ مِنْكَ يَا كَرِيمُ
 إِنْ قَالَ عَبْدُ الرَّحِيمِ ذَنْبِي قَقُلْ أَنَا الْمَشْفِقُ الرَّحِيمُ
 وَإِنْ شَكَ مِنْ خُصُومٍ سَوْءٍ فَحَلِّ مَا تَعَقَدُ الْخُصُومُ
 وَسَاحِجِ الْكُلِّ فِي ذُنُوبٍ أَنْتَ بِهَا سَيِّدِي عَلِيمٌ

١٧ قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ لِرَجُلٍ يَسْأَلُهُ أَنْ يَعْظُمَهُ . لَا تَكُنْ مِمَّنْ يَرْجُو
 الْآخِرَةَ بِلَا عَمَلٍ . وَيَرْجِي التَّوْبَةَ بِطُولِ الْأَمَلِ . يَقُولُ فِي الدُّنْيَا يَقُولُ
 الزَّاهِدِينَ . وَيَعْمَلُ فِيهَا بِقَوْلِ الرَّاعِبِيِّ . إِنْ أُعْطِيَ مِنْهَا لَمْ يَشْبَعْ . وَإِنْ

مُنَعٌ لَمْ يَنْعَ . يَنْهَى وَلَا يَنْتَهَى . وَيَأْمُرُ بِمَا لَا يَأْتِي . يُحِبُّ الصَّالِحِينَ
 وَلَا يَعْمَلُ عَمَلَهُمْ . وَيُبْغِضُ الْمُذْنِبِينَ وَهُوَ أَحَدُهُمْ . وَيَكْرَهُ الْمَوْتَ لِكَثْرَةِ
 ذُنُوبِهِ وَيُقِيمُ عَلَى مَا يَكْرَهُ الْمَوْتَ لَهُ . إِنْ سَقَمَ ظَلَّ نَادِمًا وَإِنْ صَحَّ آمِنٌ
 لَهَايَا . يُعْجِبُ بِنَفْسِهِ إِذَا عُوِيَ وَيَقْطُ إِذَا ابْتُلِيَ . إِنْ أَصَابَهُ بَلَاءٌ دَعَا
 مُضْطَرًّا . وَإِنْ نَالَهُ رَخَاءٌ أَعْرَضَ مُعْتَرًّا . تَغْلِبُهُ نَفْسُهُ عَلَى مَا تَنْظُنُّ وَلَا
 يَنْزِلُهَا عَلَى مَا يَسْتَيْقِنُ . يَخَافُ عَلَى غَيْرِهِ بِأَذَى مِنْ ذَنْبِهِ وَيَرْجُو لِنَفْسِهِ
 بِأَكْثَرٍ مِنْ عَمَلِهِ . إِنْ اسْتَعْنَى بِطَرِّ وَفَتِنٍ . وَإِنْ أَفْتَقَرَ قَطَطَ وَوَهْنٍ .
 يُقَصِّرُ إِذَا عَمِلَ . وَيُبَالِغُ إِذَا سَأَلَ . إِنْ عَرَضَتْ لَهُ شَهْوَةٌ أَسْلَفَ الْمُعْصِيَةَ
 وَسَوَّفَ التَّوْبَةَ . وَإِنْ عَرَتْهُ مِحْنَةٌ أَنْفَرَجَ عَنْ شَرَايِطِ الْمَلَّةِ . يَصِفُ
 الْعَبْرَ وَلَا يَتَعَبَّرُ . وَيُبَالِغُ فِي الْمَوْعِظَةِ وَلَا يَتَعَطُّ . فَهُوَ بِالْقَوْلِ مُدِلٌّ .
 وَمِنْ الْعَمَلِ مُقِلٌّ . يَنَافِسُ فِيمَا يَفْنَى وَيُسَامِعُ فِيمَا يَبْقَى . يَرَى الْغَنَمَ
 مَغْرَمًا . وَالْغَرَمَ مَغْنَمًا . يَخْشَى الْمَوْتَ . وَلَا يُبَادِرُ الْقَوْتَ . يَسْتَعْظِمُ مِنْ
 مَعْصِيَةِ غَيْرِهِ مَا يَسْتَعْمَلُ أَكْثَرَ مِنْهُ مِنْ نَفْسِهِ . وَيَسْتَكْثِرُ مِنْ طَاعَتِهِ مَا
 يَخْتَفِرُ مِنْ طَاعَةِ غَيْرِهِ . فَهُوَ عَلَى النَّاسِ طَاعِنٌ . وَلِنَفْسِهِ مُدَاهِنٌ . اللَّهُوَ مَعَ
 الْأَغْنِيَاءِ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنَ الذِّكْرِ مَعَ الْفُقَرَاءِ . يَحْكُمُ عَلَى غَيْرِهِ لِنَفْسِهِ
 وَلَا يَحْكُمُ عَلَيْهَا لِغَيْرِهِ . يُرْشِدُ غَيْرَهُ وَيُعْوِي نَفْسَهُ . فَهُوَ يُطَاعُ وَيَعْصَى .
 وَيَسْتَوِي وَلَا يُوْفَى . وَيَخْشَى الْخَلْقَ عَلَى غَيْرِ رَبِّهِ وَلَا يَخْشَى رَبَّهُ فِي
 خَلْقِهِ . قَالَ جَامِعُ التَّهْجِ : كَفَى بِهَذَا الْكَلَامِ مَوْعِظَةً نَاجِعَةً وَحِكْمَةً
 بِاللِّغَةِ وَبَصِيرَةً لِمُبْصِرٍ وَعِبْرَةً لِنَاطِرٍ مُفَكِّرٍ
 (لبهاء الدين)

زهد رجل من بني عباس

١٨ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُعَلَّمِ خَرَجْنَا مِنَ الْمَدِينَةِ حُجَّاجًا فَإِذَا أَنَا بِرَجُلٍ
 مِنْ بَنِي هَاشِمٍ مِنْ بَنِي الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّابِ قَدْ رَفَضَ الدُّنْيَا
 وَأَقْبَلَ عَلَى الْآخِرَةِ . فَجَمَعْتَنِي وَإِيَّاهُ الطَّرِيقُ فَأَنْسَتْ بِهِ وَقُلْتُ لَهُ :
 هَلْ لَكَ أَنْ تُعَادِلَنِي فَإِنَّ مَعِيَ فَضْلًا مِنْ رَاحَتِي . فَحُجِرَانِي خَيْرًا .
 ثُمَّ أُنْسَ إِلَيَّ فِجَعَلُ يُحَدِّثُنِي فَقَالَ : أَنَا رَجُلٌ مِنْ وُلْدِ الْعَبَّاسِ كُنْتُ
 أَسْكُنُ الْبَصْرَةَ وَكُنْتُ ذَا كِبَرٍ شَدِيدٍ وَنِعْمَةٌ طَائِلَةٌ وَمَالٌ كَثِيرٌ وَبَذَخُ
 زَائِدٍ . فَأَمَرْتُ يَوْمًا خَادِمًا لِي أَنْ يَحْشُو لِي فِرَاشًا مِنْ حَرِيرٍ وَنَجْدَةً بَوْرِدٍ
 نَثِيرٍ . فَفَعَلَ . فَأَتَانِي لِنَائِمٍ إِذَا يَقَعُ وَرَدَّةٌ قَدْ نَسِيَهُ الْخَادِمُ فَهَمَّتْ إِلَيْهِ
 فَأَوْجَعْتُهُ ضَرْبًا . ثُمَّ عُدْتُ إِلَى مَضْجِعِي بَعْدَ إِخْرَاجِ الْقَمْعِ مِنَ الْخُجْدَةِ
 فَأَتَانِي آتٌ فِي مَنَامِي فِي صُورَةِ فَطِيعَةٍ فَهَزَّنِي وَقَالَ : أَفِقْ مِنْ عَشِيَّتِكَ
 وَأَنْتَبَهْ مِنْ رَفَدَتِكَ ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ :

يَا خَلُّكَ إِنَّكَ إِنْ تَوَسَّدَ لَيْنًا وَسَدَّتْ بَعْدَ الْيَوْمِ صَمَّ الْجَنْدَلِ
 فَأَمَهَدَ لِنَفْسِكَ صَالِحًا تَسَعَّدَ بِهِ فَلْتَسُدَّ مِنْ غَدَا إِذَا لَمْ تَفْعَلْ
 فَأَتَبَهَتْ مَرْعُوبًا . وَخَرَجْتُ مِنْ سَاعَتِي هَارِبًا إِلَى رَبِّي

(مستقطف المستظرف للابشيهي)

قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ الْبَكْرِيُّ الشَّنْتَرِيُّ فِي الرَّهْدِ :

يَا مَنْ يُصْبِحُ إِلَى دَاعِيِ السَّقَاةِ وَقَدْ نَادَى بِهِ النَّاعِيَانِ الشَّيْبُ وَالْكِبَرُ
 إِنْ كُنْتَ لَا تَسْمَعُ الذِّكْرَى فَيَمِمْ نَوَى فِي رَأْسِكَ الْوَاعِيَانِ السَّمْعُ وَالذِّكْرُ

لَيْسَ الْأَصَمُ وَلَا الْأَعْمَى سِوَى رَجُلٍ لَمْ يَهْدِهِ الْهَادِيَانِ الْعَيْنُ وَالْأُذُنُ
لَا الدَّهْرِيَّتِيُّ وَلَا الدُّنْيَا وَلَا الْفَلَكَ أَعْلى وَلَا النَّيِّرَانِ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ
لَيَرْحَلَنَّ عَنِ الدُّنْيَا وَإِنْ كَرِهَا فِرَاقَهَا الثَّوَابِيَانِ الْبَدْوُ وَالْحَضَرُ
١٩ قَالَ ابْنُ جُبَيْرٍ الْكِنَانِيُّ أَحَدُ الرَّاحِلِينَ إِلَى الْمَشْرِقِ:

عَجِبْتُ لِلْمَرْءِ فِي دُنْيَاهُ تَطْمَعُهُ فِي الْعَيْشِ وَالْأَجَلَ الْخَتْمُ يَقْطَعُهُ
بِئْسَى وَيَضْمُجُ فِي عَشْوَاءٍ يَخْطِئُهَا أَعْمَى الْبَصِيرَةِ وَالْأَمَالُ تُخَدِّعُهُ
يَعْتَرُّ بِالذَّهْرِ مَسْرُورًا بِصِحَّتِهِ وَقَدْ تَيَقَّنَ أَنَّ الذَّهْرَ يَصْرَعُهُ
وَيَجْمَعُ الْمَالَ حِرْصًا لَا يَفَارِقُهُ وَقَدْ دَرَى أَنَّهُ لِلغَيْرِ يَجْمَعُهُ
تَرَاهُ يُشْفِقُ مِنْ تَضْيِيعِ دِرْهَمِهِ وَلَيْسَ يُشْفِقُ مِنْ دَيْنٍ يُضَيِّعُهُ
وَأَسْوَأُ النَّاسِ تَدْبِيرًا لِعَاقِبَةٍ مَنْ أَنْفَقَ الْعُمْرَ فِي مَا لَيْسَ يَنْفَعُهُ
قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ الْحَمِيرِيُّ مِنْ قَصِيدَةٍ:

فَوَادُ يَأْيِدِي النَّائِبَاتِ مُصَابُ وَجَفَنُ لَقِيضِ الدَّمْعِ فِيهِ مُصَابُ
تَنَاءَتْ دِيَارُ قَدِّ الْفَتِّ وَجَبْرَةُ فَهَلْ لِي إِلَى عَهْدِ الْوَصَالِ إِيَابُ
وَفَارَقْتُ أَوْطَانِي وَلَمْ أَبْلُغِ الْمُنَى وَدُونَ مُرَادِي أَبْجُرُ وَهَضَابُ
مَضَى زَمَنِي وَالشَّيْبُ حَلَّ بِمَفْرِقِي وَأَبْعَدُ شَيْءٍ أَنْ يُرَدَّ شَبَابُ
إِذَا مَرَّ عُمُرُ الْمَرْءِ لَيْسَ بِرَاجِعٍ وَإِنْ حَلَّ شَيْبٌ لَمْ يُفِدْهُ خِضَابُ

ذو النون والزهادة

٢٠ قَالَ ذُو النُّونِ بَيْنَا أَنَا أَسِيرُ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ إِذْ بَصُرْتُ بِجَارِيَةٍ
عَلَيْهَا أَظْهَارُ شَعْرِ . فَإِذَا هِيَ نَاحِلَةٌ ذَابِلَةٌ . فَدَنَوْتُ مِنْهَا لِأَسْمَعَ مَا تَقُولُ .

فَرَأَيْتَهَا مُتَّصِلَةً الْأَحْزَانِ بِالْأَشْجَانِ . وَعَصَمَتِ الرِّيحُ وَأَضْطَرَبَتِ
 الْأَمْوَاجُ وَظَهَرَتِ الْحَيْتَانُ . فَصَرَخَتْ ثُمَّ سَقَطَتْ إِلَى الْأَرْضِ . فَلَمَّا
 قَامَتْ نَحَبَتْ ثُمَّ قَالَتْ : سَيِّدِي بِكَ تَقَرَّبَ الْمُتَقَرَّبُونَ فِي الْخَلَوَاتِ .
 وَلِعَظَمَتِكَ سَبَّحَتِ الْبِنَانُ فِي الْبِحَارِ الزَّائِرَاتِ . وَجَلَّالِ قُدْسِكَ
 تَصَافَقَتِ الْأَمْوَاجُ الْمُتَلَطِّمَاتُ . أَنْتَ الَّذِي سَجَدَ لَكَ سَوَادُ اللَّيْلِ
 وَصَوْتُ النَّهَارِ . وَالنُّفُوسُ الدَّوَارُ وَالْبُحْرُ الزَّخَارُ . وَالْقَمَرُ النُّوَارُ وَالنَّجْمُ
 الزَّهَارُ . وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَكَ بِمِقْدَارٍ لِأَنَّكَ الْعَلِيُّ الْعَهَّارُ . ثُمَّ أُنشَدَتْ :
 يَا مُؤَنِّسَ الْأَبْرَارِ فِي خَلَوَاتِهِمْ يَا خَيْرَ مَنْ حَطَّتْ بِهِ الْأَنْزَالُ
 مَنْ ذَاقَ حُبَّكَ لَا يَدَالُ مُتِيماً قَرِحَ النُّوَادِ مُتِيماً بَلْبَالُ
 قُلْتُ لَهَا : عَسَى أَنْ تَرِيدِيَنِي مِنْ هَذَا . فَقَالَتْ : إِلَيْكَ عَنِّي ثُمَّ
 رَفَعَتْ طَرْفَهَا نَحْوَ السَّمَاءِ فَقَالَتْ :

أُحِبُّكَ حُبِّينِ حُبِّ الْوَدَادِ وَحُبًّا لِأَنَّكَ أَهْلُ لِدَاكَا
 فَلَمَّا الَّذِي هُوَ حُبُّ الْوَدَادِ فُحِبُّ شُغْلُهُ بِهِ عَنْ سِوَاكَ
 وَأَمَّا الَّذِي أَنْتَ أَهْلُ لَهُ فَكَشْفُكَ الْحُجُبِ حَتَّى أَرَاكَ
 فَمَا الْحَمْدُ فِي ذَا وَلَا ذَاكَ لِي وَلَكِنْ لَكَ الْحَمْدُ فِي ذَا وَذَاكَ
 ثُمَّ شَهَقَتْ شَهَقَةً فَاذَاهِي قَدَفَرَقَتْ الدُّنْيَا (اسواق الاشواق للمقاعي)

ذلة الدنيا

٢١ قِيلَ لِبَعْضِ الْحُكَمَاءِ : صِفْ لَنَا الدُّنْيَا فَقَالَ : أَمَلٌ بَيْنَ يَدَيْكَ .
 وَأَجَلٌ مُطْلِعٌ عَلَيْكَ . وَشَيْطَانٌ فَتَانٌ . وَأَمَانِي جَرَارَةُ الْعِنَانِ . تَدْعُوكَ

فَسْتَحْيِبُ . وَتَرْجُرُهَا فَتَحْيِبُ . نَاقِضَةٌ لِلعَزِيمَةِ مُرْتَجِمَةٌ لِلْمَطِيَّةِ . كُلُّ مَنْ
فِيهَا يَجْرِي . إِلَى مَا لَا يَدْرِي . وَقَالَ أَبُو العَرَبِ الصِّقَلِيُّ :

وَلَا يَفْرُكُ مِنْهَا حَسَنٌ يُرِيدُ لَهُ عِلْمَانٌ مِنْ عِلْمِ الذَّهَابِ
فَأَوَّلُهُ رَجَاءٌ مِنْ سَرَابٍ وَآخِرُهُ رَدَاءٌ مِنْ تُرَابٍ
قَالَ ابْنُ قَاضِي مِيلَةَ :

لِدُنْيَاكَ نُورٌ وَلَكِنَّهُ ظِلَامٌ يَحَارُ بِهِ الْمُبْصِرُ
فَإِنْ عِشْتَ فِيهَا عَلَى أَنَّهَا كَمَا قِيلَ فَنَطْرَةٌ تُعْبَرُ
فَلَا تُعْمَرَنَّ بِهَا مَنْزِلًا فَإِنَّ الحُرَابَ لِمَا تُعْمَرُ
وَلَا تَذْخَرَنَّ خِلَافَ التَّقَى فَتَفْنَى وَيَبْقَى الَّذِي تَذْخَرُ
وَمِنْ جَيْدِ شِعْرِ أَبِي العَتَاهِيَةِ قَوْلُهُ :

وَأَعْجَبًا لِلنَّاسِ لَوْ فَكَّرُوا وَحَاسَبُوا أَنْفُسَهُمْ أَبْصَرُوا
وَعَبَّرُوا الدُّنْيَا إِلَى غَيْرِهَا فَإِنَّمَا الدُّنْيَا لَهُمْ مَعْبَرٌ
الْخَيْرِ مِمَّا لَيْسَ يَخْفَى هُوَ الْمَعْرُوفُ وَالشَّرُّ هُوَ الْمُنْكَرُ
وَالْمَوْعِدُ الْمَوْتُ وَمَا بَعْدَهُ السَّحْشَرُ فَذَلِكَ الْمَوْعِدُ الْأَكْبَرُ
لَا فَخْرَ إِلَّا فِخْرُ أَهْلِ التَّقَى عَدَا إِذَا ضَمَّهُمُ الْمُحْشَرُ
لَيَعْلَمَنَّ النَّاسُ أَنَّ التَّقَى وَالْبِرَّ كَأَنَّا خَيْرٌ مِمَّا يُذْخَرُ

زوال الدنيا

٢٣١ (مِنْ النَّهْجِ) وَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ وَبَادِرُوا آجَالَكُمْ بِأَعْمَالِكُمْ .
وَابْتَاعُوا مَا يَبْقَى لَكُمْ بِمَا يَزُولُ عَنْكُمْ . وَتَرَحَّلُوا فَقَدْ جَدَّ بِكُمْ السَّيْرُ .

وَأَسْتَعْدُوا لِمَوْتٍ قَعْدَ أَظْلَكُمْ . وَكُونُوا قَوْمًا صَبِيحًا بِهَمِّ قَاتِبِهِمْ . وَعَلِمُوا
 أَنَّ الدُّنْيَا لَيْسَتْ لَهُمْ يَدَارٌ فَاسْتَبَدُّوا . فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَبَثًا
 وَلَمْ يَتْرُكْكُمْ سُدًى . وَمَا بَيْنَ أَحَدِكُمْ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ إِلَّا الْمَوْتُ
 أَنْ يَنْزِلَ بِهِ . وَإِنَّ غَايَةَ تَقْصُّهَا اللَّحْظَةُ وَتَهْدِيهَا السَّاعَةُ جَدِيدَةٌ بِقِصْرِ
 الْمُدَّةِ . وَإِنَّ غَايَةَ يَخْدُوهُ الْجُدِيدَانِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ حَرِيٌّ بِسُرْعَةِ
 الْأَوْبَةِ . وَإِنَّ قَادِمًا يَهْدُمُ بِالْقُوزِ أَوْ الشَّقْوَةِ لَمَسْتَحَقٌّ لِأَفْضَلِ الْعُدَّةِ .
 فَتَرَوُدُوا فِي الدُّنْيَا مِنَ الدُّنْيَا مَا تُحْرَزُونَ بِهِ نَفُوسِكُمْ غَدًا . فَأَتَقَى عَبْدٌ
 مِنْ نَصَحَ نَفْسَهُ وَقَدَّمَ تَوْبَتَهُ وَغَلَبَ شَهْوَتَهُ . فَإِنَّ أَجَلَهُ مُسْتَوْرَعُهُ وَأَمَلُهُ
 خَادِعُهُ . وَالشَّيْطَانُ مُوَكَّلٌ بِهِ يُذَيِّنُ لَهُ الْمَعْصِيَةَ لِيُرَكِّبَهَا . وَيَمْنِيهِ التَّوْبَةَ
 لِيَسُوقَهَا . حَتَّى تَهْتَمَّ مَنِيَّتُهُ عَلَيْهِ أَغْفَلَ مَا يَكُونُ عَنْهَا . فَإِلَهَا حَسْرَةٌ
 عَلَى كُلِّ ذِي عَقْلٍ أَنْ يَكُونَ عُمُرُهُ عَلَيْهِ حُجَّةً . وَأَنْ يُؤَدِّيَهُ أَيَّامُهُ إِلَى
 شَقْوَةٍ . نَسَأَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ أَنْ يَجْعَلَنَا وَإِيَّاكُمْ مِمَّنْ لَا تُبْطِرُهُ نِعْمَةٌ . وَلَا
 تُقْصِرُ بِهِ عَنْ طَاعَةِ رَبِّهِ غَايَةٌ . وَلَا تَحُلُّ بِهِ بَعْدَ الْمَوْتِ نَدَامَةٌ . وَلَا
 كَابَةٌ

(لبها، الدين)

قَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ :

عَلَيْكُمْ سَلَامُ اللَّهِ إِيَّيْ مُودِعُ وَعَيْنَايَ مِنْ مَضَى التَّرْقُوقِ تَدْمَعُ
 فَإِنْ نَحْنُ عِشْنَا يَجْمَعُ اللَّهُ بَيْنَنَا وَإِنْ نَحْنُ مُتْنَا فَالْقِيَامَةُ تَجْمَعُ
 أَلَمْ تَرَى رَيْبَ الدَّهْرِ فِي كُلِّ سَاعَةٍ لَهُ عَارِضٌ فِيهِ الْمَنِيَّةُ تَلْمَعُ
 أَيَابَانِي الدُّنْيَا لِغَيْرِكَ تَبْتَنِي وَيَا جَامِعَ الدُّنْيَا لِغَيْرِكَ تَجْمَعُ

أَرَى الْمَرْءَ وَتَابًا عَلَى كُلِّ فُرْصَةٍ
تَبَارَكَ مَنْ لَا يَمْلِكُ الْمَلِكَ غَيْرُهُ
وَإِي أَمْرِي فِي غَايَةِ لَيْسَ نَفْسُهُ
٢٤ قَالَ أَيْضًا:

طُولُ التَّعَاشِرِ بَيْنَ النَّاسِ مَمْلُوكٌ
يَارَاعِي الشَّاءَ لَا تُغْفَلُ رِعَايَتَهَا
إِنِّي لَنَفِي مَنْزِلٍ مَا زِلْتُ أَعْمُرُهُ
وَلَيْسَ مِنْ مَوْضِعٍ يَأْتِيهِ ذُو نَفْسٍ
لَمْ يُشْغَلِ الْمَوْتُ عَنَّا مِذْ أُعِدَّ لَنَا
وَمَنْ يَمِتْ فَهُوَ مَقْطُوعٌ وَمُحْتَبَبٌ
كُلُّ مَا بَدَأَ لَكَ فَالْآكَالُ قَانِيَةٌ
٢٥ قَالَ الْأَسْوَدُ الدَّارِمِيُّ بَعْدَ نَكْبَةِ الْأَكْبَرَةِ لِأَلِ الْحَرَقِ:

مَادَا نُؤْمَلُ بَعْدَ آلِ حَرَقٍ
أَهْلُ الْخَوَزَنَةِ وَالسَّدِيدِ وَبَارِقِ
تَزَلُّوا بِأَنْقَرَةَ يَسِيلُ عَلَيْهِمْ
جَرَّتِ الرِّيَّاحُ عَلَى رُسُومِ دِيَارِهِمْ
وَلَقَدْ غَنُوا فِيهَا بِأَنْعَمِ عَيْشَةٍ
فَإِذَا النَّعِيمُ وَكُلُّ مَا يَلْهَى بِهِ
٢٦ وَمِنْ رَفِيقِ مَا جَاءَ فِي الزُّهْدِ قَوْلُ أَبِي الْعَتَاهِيَةِ:

وَلِلْمَرْءِ يَوْمًا لَا مَحَالَةَ مَصْرَعُ
مَتَى تَقْضِي حَاجَاتٍ مِنْ لَيْسَ يَشْبَعُ
إِلَى غَايَةِ أُخْرَى سِوَاهَا تَطْلَعُ

مَا لِابْنِ آدَمَ إِنْ فَتَشَتْ مَعْقُولُ
فَأَنْتَ عَنْ كُلِّ مَا اسْتُرِعْتَ مَسْئُولُ
عَلِي يَقِينِي بِأَنِّي عَنْهُ مَسْئُولُ
إِلَّا وَلِلْمَوْتِ سَيْفٌ فِيهِ مَسْئُولُ
وَكَكُنَّا عَنْهُ بِالذَّاتِ مَشْغُولُ
وَأَلْحِي مَا عَاشَ مَغْشِي وَمَوْضُولُ
وَكُلُّ ذِي أَكُلٍ لَا بَدَّ مَا كُولُ

تَرَكُوا مَنَازِلَهُمْ وَبَعْدَ إِيَادِ
وَأَلْقَصِرِ ذِي الشَّرْفَاتِ مِنْ سِيْنَدَادِ
مَاءِ الْفُرَاتِ يَجِيءُ مِنْ أَطْوَادِ
فَكَأَنَّهُمْ كَانُوا عَلَى مِيعَادِ
فِي ظِلِّ مُلْكٍ تَابَتْ الْأَوْتَادِ
يَوْمًا يَصِيرُ إِلَى بَيْلِي وَنَفَادِ

تَعَالَى اللَّهُ يَا سَلَمَ بْنَ عَمْرٍو
 هَبِ الدُّنْيَا تَسَاقُ إِلَيْكَ عَفْوًا
 تَعَى نَفْسِي إِلَيَّ مِنَ اللَّيَالِي
 فَمَا لِي لَسْتُ مُشْغُولًا بِنَفْسِي
 أَمَا فِي السَّالِفِينَ لِي أَعْتَبَارُ
 كَأَنِّي بِالْمَنِيَّةِ أَرْجَعْتَنِي
 وَخَلْفِي نِسْوَةٌ يَبْكِينَ بَعْدِي
 وَحَقِّكَ كُلُّ ذَا يَفْنَى سَرِيعًا
 قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ :

إِنَّمَا نِعْمَةٌ دُنْيَا مُتَعَةٌ
 وَصُرُوفُ الدَّهْرِ فِي أَطْبَاقِهِ
 يَبْنِمَا الْإِنْسَانُ فِي عَلَيَّهَا
 وَحَيَاةُ الْمَرْءِ تَوْبُ مُسْتَعَارُ
 حَلَقَةٌ فِيهَا أَرْتِفَاعُ وَأُنْحَادُ
 إِذْ هَوَى فِي هَوَا مِنْهَا فَعَارُ

٢٧ قَدْ شَبَّهَ بَعْضُهُمُ الدُّنْيَا بِخَيَالِ الظِّلِّ فَقَالَ :

رَأَيْتُ خَيَالَ الظِّلِّ أَعْظَمَ عِبْرَةً
 شُخُوصًا وَأَشْبَاحًا يُخَالِفُ بَعْضُهَا
 تَمَّجِي وَتَمَّضِي بَابَةً بَعْدَ بَابِهِ
 لِمَنْ كَانَ فِي عِلْمِ الْحَقَائِقِ رَاقِي
 لِبَعْضٍ وَأَشْكَالًا يَبْتَدِرُ وَفَاقِي
 وَقَالَ شَرَفُ بْنُ أَسَدٍ فِي مَعْنَاهُ :

يَا مَنْ تَمَلَّكَ مُلْكًا لَا بَقَاءَ لَهُ
 هَلِ الْحَيَاةُ يَدِي الدُّنْيَا وَإِنْ عَذُبَتْ
 حَمَلَتْ نَفْسَكَ آثَامًا وَأَوْزَارًا
 إِلَّا كَهَيْفِ خَيَالٍ فِي الْكُرَى زَارًا

وَقَالَ بَعْضُهُمْ :

وَعَايَةَ هُدْيِ الدَّارِ لَذَّةُ سَاعَةٍ وَيَعْقِبُهَا الأَحْزَانُ وَالْهَمُّ وَالنَّدَمُ
وَهَاتِيكَ دَارُ الأَمْنِ وَالْعِزِّ وَالتَّقَى وَرَحْمَةِ رَبِّ النَّاسِ وَالْجُودِ وَالْكَرَمِ

٢٨ قَالَ الأَبَسِيُّ :

أَقُولُ لِمَنْ لَاحَ الأَمَشِيبُ بِقَوْدِهِ وَالْقَيْتَهُ عَنْ عَيْهِ لَيْسَ يُقْصِرُ
عَدْتُكَ أَنْ أَضَلَّتْ رَشْدَكَ حَاطِطًا وَلَيْلُ الشَّبَابِ الوَحْفُ دَاجٌ مُعْذِرُ
فَهَلْ لَكَ فِي سِنِّ الكُهُولَةِ عَازِرٌ إِذَا زَعَتْ عَنْ قَصْدٍ وَلَيْلِكَ مُقْمِرُ

قَالَ ابْنُ حَاجِبٍ يَذْكُرُ إِيْوَانَ كَسْرَى :

يَا مَنْ بَسَى بِشَاهِقِ البَنَانِ أَسَيْتَ صُنْعَ الدَّهْرِ بِالإِيْوَانَ
هُدْيِ المَصَانِعِ وَالدَّسَاكِرِ وَالبِنَا وَقُصُورِ كِسْرَانَا أُنُوشِرَوَانَ
كَتَبَ اللَّيَالِي فِي ذَرَاهَا أَسْطُرًا بِيَدِ البَيْلَى وَأَنَامِلِ الحِدَاثَانِ
إِنَّ الحَوَادِثَ وَالحُطُوبَ إِذَا سَطَتْ أَوْدَتْ بِكُلِّ مُوْتَقٍ الأَزْكَانِ

ذَكَرَ النِّبْيَةَ وَالعَوَاقِبَ

٢٩ قَالَ مَالِكُ بْنُ دِينَارٍ :

أَتَيْتُ القُبُورَ فَتَادَيْتُهَا فَأَيْنَ المَعْظَمُ وَانْحَتَمَرَّ
وَأَيْنَ المَذَلُّ بِسُلْطَانِهِ وَأَيْنَ المَذَكِّي إِذَا مَا انْفَتَحَرَّ
فَقُودِيَتُ مِنْ بَيْنِهِمْ لَا أَرَى نُحُوصًا لَهُمْ وَلَا مِنْ أَرَى
تَفَانُوا جَمِيعًا فَلَا نُحْبِرُ وَمَاتُوا جَمِيعًا وَمَاتَ الحَبْرُ
فَيَا سَائِلِي عَنْ أَنَاسٍ مَضُوءَا أَمَا لَكَ فِيهَا تَرَى مُعْتَبِرُ

رُوحٌ وَتَعْدُو بَنَاتُ الثَّرَى وَنُحَى مَحَاسِنُ تِلْكَ الصُّورِ

٣٠ قَالَ سَابِقُ الْبُرَيْرِيِّ وَأَجَادَ:

تَلَهُوْا وَتَأْمُلُوا أَيَّامًا تُعَدُّ لَنَا سَرِيعَةً الْمَرِّ تَطْوِينًا وَنَطْوِينًا
 كَمْ مِنْ عَزِيزٍ سَلَقَى بَعْدَ عِزَّتِهِ ذُلًّا وَصَاحِكَةً يَوْمًا سَتَبِكِيهَا
 وَالتُّخُوفِ تَرْتِي كُلَّ مُرْضِعَةٍ وَلِلْحِسَابِ بَرَى الْأَرْوَاحَ بَارِيهَا
 لَا تَبْرَحُ النَّفْسُ تُعْمَى وَهِيَ سَالِمَةٌ حَتَّى يَقُومَ بِنَادِي الْقَوْمِ نَاعِيهَا
 أَمْوَالَنَا لَذَوِي الْمِيرَاثِ تَجْمَعُهَا وَدُورُنَا لِحِرَابِ الدَّهْرِ بَنِيهَا
 ٣١ وَلَا يَبِي الْعَتَاهِيَةَ :

خَانَكَ الطَّرْفُ الطَّمُوحُ أَيُّهَا الْقَلْبُ الْجَبُوحُ
 لِدَوَاعِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ مَدُنُو وَرُوحُ
 هَلْ لِمَطْلُوبٍ يَذُوبُ تَوْبَةٌ مِنْهُ نَصُوحُ
 كَيْفَ إِصْلَاحُ فُلُوبٍ إِنَّمَا هُنَّ رُوحُ
 أَحْسَنَ اللَّهُ بِنَا أَنْ مِ الْخَطَايَا لَا تَفُوحُ
 فَإِذَا الْمُسْتُورُ مِنْهَا بَيْنَ تَوْبَتِهِ فُضُوحُ
 كَمْ رَأَيْنَا مِنْ عَزِيزٍ طُوِيَتْ عَنْهُ الْكُشُوحُ
 صَاحٍ مِنْهُ بِرَجِيلٍ صَاحُ الدَّهْرِ الصَّدُوحُ
 مَوْتُ بَعْضِ النَّاسِ فِي الْأَرْضِ عَلَى قَوْمٍ فُجُوحُ
 سَيَصِيرُ الْمَرُّ يَوْمًا جَسَدًا مَا فِيهِ رُوحُ
 بَيْنَ عَيْنِي كُلِّ حَيٍّ عِلْمُ الْمَوْتِ يَلُوحُ

كُنَّا فِي غَفْلَةٍ وَأَمْوتُ يَغْدُو وَيَرُوحُ
 لِبَنِي الدُّنْيَا مِنَ الدُّنْيَا يَا غَبُوقُ وَصَبُوحُ
 رُحْنٌ فِي الوَشْيِ وَأَصْبَحَ نَ عَلَيْهِنَ المَسُوحُ
 كُلُّ نَطَاحٍ مِنَ اللَّهِ لَهُ يَوْمٌ نَطُوحُ
 نَمَحَ عَلَى نَفْسِكَ يَا مَسْكِينُ إِنْ كُنْتَ تُسُوحُ
 لَتَسُونَنَّ وَإِنْ عَمِرْتَ مَا عَمِرَ نُوحُ

٣٢ قَالَ بهاء الدين زهير:

لَيْتَ شِعْرِي لَيْتَ شِعْرِي أَيُّ أَرْضٍ هِيَ قَبْرِي
 ضَاعَ عُمْرِي فِي أَعْتَابِ وَرَجِيلِ مُسْتَمِرٍ
 وَمَتَى يَوْمٌ وَفَاتِي لَيْتَنِي لَوْ كُنْتُ أَذْرِي
 لَيْسَ لِي فِي كُلِّ أَرْضٍ جِئْتَهَا مِنْ مُسْتَمِرٍ
 بَعْدَ هَذَا لَيْتَنِي أَعْرِفُ مَا آخِرُ عُمْرِي
 وَمَتَى أَخْلَصُ بِمَا أَنَا فِيهِ لَيْتَ شِعْرِي
 وَلَقَدْ آتَى بَانَ أَصْحُو فَمَا لِي طَالَ سُكْرِي
 أَرَى يُسْتَدْرَكُ أَلْفَا رِطُ مِنْ تَضْيِيعِ عُمْرِي

٣٣ قَالَ آخِرُ:

قَدِمَ لِنَفْسِكَ خَيْرًا وَأَنْتَ مَا لَكَ مَا لَكَ
 مِنْ قَبْلِ أَنْ تَفْتَانِي وَلَوْ نَحَا لَكَ حَالِكَ
 لَمْ تَدْرِ نَفْسُكَ حَقًّا أَيُّ الْمَسَالِكِ سَالِكَ

لِحَنَةِ أُمَّ لِنَارٍ إِلَى مَمَالِكِ مَالِكٍ
وَأَنْتَ لَا بَدَّ يَوْمًا بَعْدَ التَّكَاهُلِ هَالِكِ

قَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ فِي وَصْفِ الْمَوْتِ:

كَانَ الْأَرْضَ قَدْ طَوَيْتَ عَلِيًّا وَقَدْ أُخْرِجْتُ مِمَّا فِي يَدَيَا
كَأَنِّي صَرْتُ مُنْفَرِدًا وَاحِدًا وَمُرْتَهَنًا لَدَيْكَ بِمَا عَلِيًّا
كَأَنَّ اللَّبَائِكَاتِ عَلَيَّ يَوْمًا وَلَا يُغْنِي الْبُكَاءُ عَلَيَّ شَيْئًا
ذَكَرَنَ مِنْبَتِي فَنَعَيْنَ نَفْسِي أَلَا أَسْعِدُ أَخِيكَ يَا أَخِيًّا

٣٤ قَالَ ابْنُ الْمُعْتَرِ عِنْدَ مَوْتِهِ:

يَا نَفْسُ صَبْرًا لَعَلَّ الْخَيْرَ عُشْبَاكَ خَاتَمِكَ مِنْ بَعْدِ طَوْلِ الْأَمْنِ دُنْيَاكَ
مَرَّتْ بِنَا سَحْرًا طَيْرٌ فَقُلْتُ لَهَا طُوبَاكَ يَا لَيْتَنِي يَا لَيْتَنِي طُوبَاكَ
إِنْ كَانَ قَصْدُكَ شَرْقًا بِالسَّلَامِ عَلَيَّ شَاطِي الْفَرَاتِ يَلْغِي إِنْ كَانَ مَثْوَاكَ
مِنْ مُوْتَقٍ بِالْمُنَايَا لَا فِكَاكَ لَهُ يَبْكِي الدَّمَاءَ عَلَى الْفَيْلِ لَهُ بَاكِي
أَظْنُهُ آخِرَ الْأَيَّامِ مِنْ عُمْرِي وَأَوْشَكَ الْيَوْمَ أَنْ يَبْكِي لَهُ بَاكِي

٣٥ وَمَا أَجُودَ قَوْلَ ابْنِ أَبِي زَمْتَيْنَ:

الْمَوْتُ فِي كُلِّ حِينٍ يَلْبَسُ الْكَفْنَا وَتَحْنُ فِي غَفْلَةٍ عَمَّا يُرَادُ بِنَا
لَا تَطْمَئِنُّ إِلَى الدُّنْيَا وَبَهْجَتِهَا وَإِنْ تَوَشَّحْتَ مِنْ أَوْلِيَاءِ الْحَسَنَا
أَيْنَ الْأَجْبَةِ وَالْجِيرَانُ مَا فَعَلُوا أَيْنَ الَّذِينَ هُمْ كَانُوا لَنَا سَكْنَا
سَقَاهُمْ الْمَوْتُ كَأَسَا غَيْرَ صَافِيَةٍ فَصَيَّرْتَهُمْ لِأَطْبَاقِ الثَّرَى رُهْنَا
تَبْكِي الْمَنَازِلَ مِنْهُمْ كُلَّ مُنْسَجِمٍ بِالْمَكْرُمَاتِ وَتَرْتِي الْبِرَّ وَالْمِنْنَا

حَسْبُ الْجَمَامِ لَوْ أَبْقَاهُمْ وَأَمَلَهُمْ
 ٢٦ دَخَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْفَضْلِ عَلَى أَبِي حَفْصِ الشَّيْطَرِ نَحِيًّا يَعُودُهُ فِي
 عَلَيْهِ الَّتِي مَاتَ فِيهَا . فَأَلْسَدَهُ قَوْلَهُ :

نَعَى لَكَ ظِلَّ الشَّبَابِ الْمُسِيبُ
 وَنَادَتْكَ بِاسْمِ سِوَاكَ الْخُطُوبُ
 فَكُنْ مُسْتَعِدًّا لِلدَّاعِي الْقَنَاءُ
 فَإِنَّ الَّذِي هُوَ آتٍ قَرِيبُ
 أَلَسْنَا زَى شَهَوَاتِ النُّفُوسِ
 سِ تَفَنَى وَتَبَقَى عَلَيْهَا الذُّنُوبُ
 وَقَبْلَكَ دَاوَى الْمَرِيضِ الطَّيِّبُ
 فَعَاشَ الْمَرِيضُ وَمَاتَ الطَّيِّبُ
 يَخَافُ عَلَى نَفْسِهِ مَنْ يَتُوبُ
 فَكَيْفَ تَرَى حَالَ مَنْ لَا يَتُوبُ
 وَلَا يَبِي التَّلَاهِيَةِ :

لِدُوا لِلْمَوْتِ وَأَبْنَاوَا لِلْغُرَابِ
 فَكُلُّكُمْ يَصِيرُ إِلَى الذَّهَابِ
 أَلَا يَا مَوْتَ لَمْ أَرِ مِنْكَ بُدْأً
 أَتَيْتَ وَمَا تُحِيفُ وَمَا تُحَايِي
 كَأَنَّكَ قَدْ هَجَمْتَ عَلَى مَشِيئِي
 كَمَا هَجَمَ الْمُسِيبُ عَلَى شِبَابِي
 ٣٧ وَجَاءَ فِي قَلَابِدِ الْعَمِيَانِ :

أَيْنَ الْمُلُوكِ وَمَنْ بِالْأَرْضِ قَدْ عَمَرُوا
 قَدْ فَارَقُوا مَا بَنَوْا فِيهَا وَمَا عَمَرُوا
 وَأَصْبَحُوا رَهَنَ قَبْرِ بِالَّذِي عَمِلُوا
 عَادُوا رَمِيًّا بِهِ مِنْ بَعْدِ مَا دَثَرُوا
 أَيْنَ الْعَسَاكِرِ مَا رَدَّتْ وَمَا نَفَعَتْ
 وَأَيْنَ مَا جَمَعُوا فِيهَا وَمَا أَذْخَرُوا
 أَنَاهُمْ أَمْرُ رَبِّ الْعَرَبِ فِي عَجَلٍ
 لَمْ يُنْجِهِمْ مِنْهُ لَأَمَالٌ وَلَا وَزَرُ
 قَالَ أَبُو التَّلَاهِيَةِ وَهُوَ الْيَدُ الطُّوَلِيُّ فِي مَعَانِي الزُّهْدِ :

بِعَمْدِ نَفْسِكَ وَأَذْكَرِ سَاعَةَ الْأَجْلِ
 وَلَا تُغَرَّنْ فِي دُنْيَاكَ بِالْأَمَلِ

سَابِقُ خُوفِ الرَّدَى وَأَعْمَلُ عَلَى مَهَلٍ
وَأَعْلَمُ بِأَنَّكَ مَسْئُولٌ وَمُفْتَحَصٌ
لَا تَلْمَعَنَّ بِكَ الدُّنْيَا وَزُخْرُفُهَا
لَا يَخْذَرُ النَّفْسَ إِلَّا ذُو مَرَاقِبَةٍ
مَا أَقْرَبَ الْمَوْتِ مِنْ أَهْلِ الْحَيَاةِ وَمَا
مَا أَحْسَنَ الدِّينِ وَالدُّنْيَا إِذَا اجْتَمَعَا
٣٨ وَلَهُ أَيْضًا :

قَدْ سَمِعْنَا أَلْوَعظَ لَوْ يَنْفَعُنَا
كُلُّ نَفْسٍ سَتَوَانِي سَعِيهَا
جَفَّتِ الْأَقْلَامُ مِنْ قَبْلِ بِنَا
يَهْرُبُ الْمُرءُ مِنَ الْمَوْتِ وَهَلْ
كُلُّ نَفْسٍ سَتَقَابِي عَاجِلًا
أَيُّهَا ذَا النَّاسِ مَا حَلَّ بِكُمْ
وَسَقَامٍ ثُمَّ مَوْتٍ نَازِلٍ
وَحِسَابٍ وَكِتَابٍ حَافِظٍ
وَصِرَاطٍ مِنْ بَدَلٍ عَنْ حَدِيثِهِ
قَالَ بَعْضُهُمْ :

وَتَلْحِظْنِي مُمَاحِظَةً الرَّقِيبِ
بِحِطِّ الدَّهْرِ أَسْطَرُهُ مَشِيئِي
وَتَلْحِظْنِي أَلْمِيَّةً مِنْ قَرِيبٍ
وَتَنْشُرْ لِي كِتَابًا فِيهِ طِي

كِتَابٌ فِي مَعَانِيهِ غُمُوضٌ تَلُوحُ لِكُلِّ آوَاتٍ مُنِيبِ
 أَزَالَ اللَّهُ يَا صَاحِبِي شَبَابِي فَعَوِضْتَ الْبَغِيضَ مِنَ الْحَبِيبِ
 وَبَدَلْتَ التَّكَاثُلَ مِنْ تَشَاطِي وَمِنْ حُسْنِ النَّصَارَةِ بِالشُّحُوبِ
 كَذَلِكَ الشَّمْسُ يَمْلُوهَا أَصْفِرَارُ إِذَا جَنَحَتْ وَمَاتَ لِلْغُرُوبِ
 قَالَ الْإِلْبِيرِيُّ :

كَأَنِّي بِنَفْسِي وَهَمِي فِي السُّكْرَاتِ تُعَالِجُ أَنْ تَرْقَى إِلَى اللَّهِوَاتِ
 وَقَدْزِمَ رَحْلِي وَأَسْتَقَلَّتْ رِكَائِي وَقَدْ آذَنَنِي بِالرَّحِيلِ حُدَاتِي
 إِلَى مَنْزِلٍ فِيهِ عَذَابٌ وَرَحْمَةٌ وَكَمْ فِيهِ مِنْ زَجْرٍ لَنَا وَعِظَاتِ
 وَمِنْ أَعْيُنٍ سَأَلَتْ عَلَيَّ وَجَنَاتِهَا وَمِنْ أَوْجِهٍ فِي التُّرْبِ مُنْعَفِرَاتِ
 وَكَمْ وَارِدٍ فِيهِ عَلَيَّ مَا يَسْرُهُ وَكَمْ وَارِدٍ فِيهِ عَلَيَّ الْحَسْرَاتِ

في النهر ونوابه

٣٩ أَنْشَدَ الْخَلِيفَةُ الْمُعْتَضِدُ لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ قَصِيدَةً مِنْهَا :

وَلَا تَأْمَنَنَّ الدَّهْرَ إِنِّي أَمِنْتُهُ فَلَمْ يَبْقَ لِي خِلاَءٌ وَلَمْ يَرَعْ لِي حَقًّا
 قَتَلْتُ صَنَادِيدَ الرِّجَالِ وَلَمْ أَدَعْ عَدُوًّا وَلَمْ أَمْهَلْ عَلَيَّ طَلْعِيهِ خَلْقًا
 وَأَخْلَيْتُ دَارَ الْمَلِكِ مِنْ كُلِّ نَازِعٍ فَشَرَحْتُهُمْ غَرْبًا وَمَزَقْتُهُمْ شَرْقًا
 فَمَا بَلَّتْ أَلْتَجَمَ عِزًّا وَرَفَعَةً وَصَارَتْ رِقَابُ الْخُلَاقِ أَجْمَعِ لِي رِقَاً
 رِمَانِي الرَّدَى سَهْمًا فَأَخَذَ جَهْرَتِي فَهَا أَنَا ذَا فِي حُفْرَتِي عَاجِلًا أَلْتَى
 قَالَ الْإِمَامُ أَبُو مُظَفَّرٍ الْأَبْيُورْدِيُّ :

يَا مَنْ يُؤْمَلُ أَنْ يَعْيشَ مُسْلِمًا جَذْلَانٌ لَا يُدْهِمِي بِحُطْبِ يُحْزِنُ

أَفَرَطْتَ فِي شَطَطِ الْأَمَانِي فَأَقْتَصِدْ
 لَيْسَ الْأَمَانُ مِنَ الزَّمَانِ بِمُمْكِنٍ
 وَأَعْلَمُ بَأَنَّ مِنَ الْمُنَى مَا يَفْتَرُ
 وَمِنَ الْحَالِ وَجُودُ مَا لَا يُمْكِنُ
 مَعْنَى الزَّمَانِ عَلَى الْحَقِيقَةِ كَأَسْمِهِ
 فَعَلَامَ زَجُو أَنَّهُ لَا يُزْمِنُ

قصيدة لاسماعيل القرني في التوبة

٤٠

إِلَى كَمِّ تَمَادَى فِي غُرُورٍ وَغَفَلَةٍ
 لَقَدْ ضَاعَ عُمْرُ سَاعَةٍ مِنْهُ تُشْتَرَى
 وَكَمْ هَكَذَا نَوْمٌ إِلَى غَيْرِ يَقْطَعَةٍ
 يَمِلُ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ آيَةً ضَيْعَةٍ
 أَرْضَى مِنَ الْعَيْشِ الرَّغِيدِ وَعَيْشَةِ
 مَعَ الْمَلَأِ الْأَعْلَى بَعِيشِ الْبَيْمَةِ
 فَيَا دَرَّةً بَيْنَ الْمَزَابِلِ أَلْقَيْتَ
 وَجَوْهَرَةً بَيْعَتْ بِالْجَنَسِ قِيمَةَ
 أَفَانٍ بِبَاقِي تَشْتَرِيهِ سَقَاهَةٌ
 وَنُحْطًا بِرِضْوَانٍ وَنَارًا بِجَنَّةِ
 أَنْتَ صَدِيقٌ أَمْ عَدُوٌّ لِنَفْسِهِ
 فَإِنَّكَ تَرْمِيهَا بِكُلِّ مُصِيبَةٍ
 وَلَوْ فَعَلَ الْأَعْدَا بِنَفْسِكَ بَعْضَ مَا
 فَعَلْتَ لَمَسْتَهُمْ لَهَا بَعْضُ رَحْمَةٍ
 لَقَدْ بَعَثَهَا هُونًا عَلَيْكَ رَخِيسَةً
 وَكَانَتْ بِهَذَا مِنْكَ غَيْرَ حَقِيقَةٍ
 كَلَفَتْ بِهَا دُنْيَا كَثِيرُ غُرُورِهَا
 تُقَابِلُنَا فِي نُصْحِهَا بِالْحَدِيعَةِ
 عَلَيْكَ بِمَا يُجِدِي عَلَيْكَ مِنَ التَّقَى
 فَإِنَّكَ فِي سَهْوٍ عَظِيمٍ وَغَفَلَةٍ
 تُصَلِّي بِلَا قَابِ صَلَاةٍ يَمِثُّهَا
 يَصِيرُ الْقَتَى مُسْتَوْجِبًا لِلْعُقُوبَةِ
 تُحَاطَبُهُ إِيَّاكَ تَعْبُدُ مُثْبَلًا
 عَلَى غَيْرِهِ فِيهَا لِغَيْرِ ضُرُورَةٍ
 وَلَوْ رَدَّ مِنْ تَأْجَاكَ لِلغَيْرِ طَرْفَهُ
 تَمَيَّزَتْ مِنْ غَضَبِ عَلَيْهِ وَعَعِيرَةٍ
 فَوَيْلَكَ تَدْرِي مَنْ تَأْجَاهِهِ مُعْرِضًا
 وَبَيْنَ يَدَيْ مَنْ تَخْفِي غَيْرَ مُخْبِتٍ
 تَقُولُ مَعَ الْعِصْيَانِ رَبِّي غَافِرٌ
 صَدَقْتَ وَلَكِنْ غَافِرٌ بِالْمُسْئِئَةِ

وَرَبِّكَ رَزَاقٌ كَمَا هُوَ غَافِرٌ قَلِمٌ لَمْ تُصَدِّقْ فِيهِمَا بِالسَّوِيَّةِ
فَكَيْفَ تُرْجِي الْغَمَّ مِنْ غَيْرِ تَوْبَةٍ وَلَسْتَ تُرْجِي الرِّزْقَ إِلَّا بِحِيلَةٍ
وَهَا هُوَ بِالْأَرْزَاقِ كَفَلَ نَفْسَهُ وَلَمْ يَتَّكِفْ لِلْأَنَامِ بِحِجَّةٍ
وَمَازَلَتْ تَسْعَى فِي الَّذِي قَدْ كُفِّتَهُ وَتَهْمِلُ مَا كُفِّتَهُ مِنْ وَظِيفَةٍ
لَسِي بِهِ ظَنًّا وَتُحْسِنُ تَارَةً عَلَى حَسْبِ مَا يَقْضِي الْهُوَى بِالْقَضِيَّةِ

للبرعي في الاغراء بالتوبة

٤١

يَا مُحْسِنًا بِالزَّمَانِ ظَنًّا لَمْ تَدْرِ مَا يَفْعَلُ الزَّمَانُ
لَا تَتَّبِعِ النَّفْسَ فِي هَوَاهَا إِنَّ اتِّبَاعَ الْهُوَى هَوَانٌ
وَأَجَلْتِي مِنْ عِتَابِ رَبِّي إِنَّ قَالَ أَسْرَفْتَ يَا فُلَانُ
إِلَى مَتَى أَنْتَ فِي الْمَعَاصِي تَسِيرُ مُرْحَى لَكَ الْعَنَانُ
لَوْ خَوَّفْتَنِي أَتَجَمِّمُ بَطْشِي لَشَوَقَتْ قَلْبَكَ الْجِنَانُ
أَنْتَ سُبْحَانُ عَلَى الْمَعَاصِي وَأَنْتَ عَنْ طَاعَتِي جَبَانُ
عِنْدِي لَكَ الصُّلْعُ وَهُوَ بَرِي وَعِنْدَكَ السِّيفُ وَالسِّنَانُ
فَأَسْتَحْيِي مِنْ شَيْبَةٍ تَرَاهَا فِي النَّارِ مَسْجُونَةٌ تِهَانُ
أَيُّ أَوَانٍ تَتُوبُ فِيهِ هَلْ بَعْدَ قَطْعِ الرَّجَا أَوَانُ
يَا سَيِّدِي هَذِهِ عِيُوبِي وَأَنْتَ فِي الْخُطْبِ مُسْتَعَانُ
يَا مَنْ لَهُ فِي الْعَصَاةِ شَأْنٌ وَشَأْنُهُ الْعُطْفُ وَالْحَنَانُ
يَا مَنْ مَلَإَ بَرَهُ النَّوَاحِي لَمْ يَحُلْ مِنْ بَرِهِ مَكَانُ
عَفْوًا فَإِنِّي رَهِينُ ذَنْبٍ حَاشَاكَ أَنْ يَفْلِقَ الرَّهَانُ

٤٢ قَالَ حُرَيْثُ بْنُ جَبَلَةَ الْعُدْرِيُّ وَقِيلَ عَثِيرُ بْنُ لَيْدِ الْعُدْرِيُّ:
 يَا قَلْبُ إِنَّكَ فِي الْأَحْيَاءِ مَفْرُورٌ فَاذْكُرْ وَهَلْ يَنْفَعُكَ الْيَوْمَ تَذْكِيرُ
 تُرِيدُ أَمْرًا فَمَا تَدْرِي أَعَاجِلُهُ خَيْرٌ لِنَفْسِكَ أَمْ مَا فِيهِ تَأْخِيرُ
 فَاسْتَمْدِرِ اللَّهَ خَيْرًا وَأَرْضَيْنِ بِهِ فِينَا الْعَسْرُ إِذْ دَارَتْ مَيَاسِيرُ
 وَبَيْنَمَا الْمَرْءُ فِي الْأَحْيَاءِ مُتَبَطٌّ إِذْ صَارَ فِي الرَّمْسِ تَعْمُوهُ الْأَعَاصِيرُ
 حَتَّى كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ إِلَّا تَوْهْمُهُ وَالذَّهْرُ فِي كُلِّ حَالِهِ دَهَارِيرُ
 يَبْكِي الْغَرِيبُ عَلَيْهِ لَيْسَ يَعْرِفُهُ وَذُو قَرَابَتِهِ فِي الْحَيِّ مَسْرُورُ
 قَالَ آخِرُ:

وَيَلِي إِذَا كَانَ الْحَجِيمُ جَزَائِي مَاذَا يَحِلُّ بِمُهْجَتِي وَبِهَائِي
 يُبْلِي الْعَذَابُ مَخَاسِنِي وَيَشِينُهَا وَيَطُولُ مِنِّي فِي الْحَجِيمِ بُكَائِي
 وَيَقُولُ لِي الْجَبَّارُ جَلَّ جَلَالُهُ يَا عَبْدَ سَوْءٍ أَنْتَ مِنْ أَعْدَائِي
 بَارَزْتَنِي وَعَصَيْتَ أَمْرِي جَاهِلًا وَنَسِيتَ وَعَدِي مَا تَخَافُ لِقَائِي
 وَرَى وَجْهَ الطَّائِعِينَ كَأَنَّهَا بَدْرٌ بَدَأَ فِي لَيْلَةٍ ظَلَمَاءُ
 كَشَفُوا الْحِجَابَ فَشَاهَدُوهُ وَأَذْهَشُوا وَكَسُوا نَعِيمًا دَائِمًا بِيضَاءُ
 ٤٣ قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ بْنُ خَاتِمَةَ مُسْتَعِيثًا بِهِ تَعَالَى:

يَا مَنْ يَغِيثُ الْوَرَى مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا إِرْحَمْ عِبَادًا أَكْفَأَ الْفَقْرِ قَدَبَسَطُوا
 عَوَدَتْهُمْ بَسَطَ أَرْزَاقٍ بِلا سَبَبٍ سَوَى جَمِيلِ رَجَاءِ نَحْوِهِ أَنْبَسَطُوا
 وَعَدَتْ بِالْفَضْلِ فِي وَرْدٍ وَفِي صَدْرٍ بِالْجُودِ إِنْ أَقْسَطُوا وَالْحِلْمِ إِنْ قَسَطُوا
 عَوَارِفِ أُرْتَبَطَتْ شَمُّ الْأَنْوْفِ بِهَا وَكُلُّ صَعْبٍ بِقَيْدِ الْجُودِ يَرْتَبَطُ

يَا مَنْ تَعَرَّفَ بِالْمَعْرُوفِ فَأَعْتَرَفَتْ
وَعَالِمًا بِحَقِيَّاتِ الْأُمُورِ فَلَا
عَبْدَ قَقِيرٍ بِيَابِ الْجُودِ مِنْكَسِرُ
مَهْمَا أَتَى لِيَمْدُ الْكَفِّ أَحْجَلُهُ
يَا وَاسِعًا صَاقَ خَطْوُ الْخَلْقِ عَنْ نَعْمٍ
وَنَاشِرًا بِيَدِ الْإِجْمَالِ رَحْمَتَهُ
إِرْحَمْ عِبَادًا بِضَنْكَ الْعَيْشِ مَا لَهُمْ
لَكِنَّهُمْ مِنْ ذُرَى عَلَيْكَ فِي نَمَطٍ
وَمَنْ يَكُنْ بِالَّذِي يَهْوَاهُ مُجْتَمِعًا
تَحْنُ الْعَيْدُ وَأَنْتَ الْمَلِكُ لَيْسَ سِوَى
قَالَ آخَرُ:

أَفْصَرْتُ عَنْ طَلَبِ الْبَطَالَةِ وَالصَّبَا
لِلَّهِ أَيَّامُ الشَّبَابِ وَأَهْلُهُ
فَدَعَ الصَّبَا يَا قَلْبُ وَالْمَعْنَ الْهَوَى
وَأَنْظِرْ إِلَى الدُّنْيَا بَعَيْنِ مُودِعٍ
وَالْحَادِثَاتُ مُوَكَّلَاتُ بِالْقَتَى
قَالَ بَشْرُ بْنُ الْمُعْتَمِرِ:

تَعَاثُرَ الْقَدَى فِي الْمَاءِ لَا تَسْتَطِيعُهُ
وَتُورِثُ مِنْ أَكْلِ الطَّعَامِ الذَّهْ
وَتَكْرَعُ فِي حَوْضِ الذُّنُوبِ فَتَشْرَبُ
وَلَا تَذْكُرُ الْمِسْكِينَ مِنْ أَيْنَ يَكْسِبُ

وَرَفْدُ يَامِسْكِينُ فَوْقَ تَمَارِقِ
فَحَتَّى مَتَى لَا تَسْتَفِيقُ جَهَالَهٗ
وَفِي حَشْوِهَا نَارٌ عَلَيْكَ تَلَبُّ
وَأَنْتَ ابْنُ سَبْعِينَ بِذَلِكَ تَلَبُّ
٤٤ قَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَّةِ :

فِيَا مَنْ بَاتَ يَنْبُو بِالْخَطَايَا
أَمَا تَحْشَى مِنَ الدِّيَانِ طَرْدَا
وَعَيْنُ اللَّهِ سَاهِرَةٌ تَرَاهُ
بُجْرُمٍ دَائِمًا أَبَدًا تَرَاهُ
أَتَعْصِي اللَّهَ وَهُوَ يَرَاكَ جَهْرًا
وَتَخْلُو بِالْمَعَاصِي وَهُوَ دَانَ
وَتَنْكِرُ فِعْلَهَا وَلَهَا شُهُودُ
وَلَيْسَ تَحْشَى مِنْ لِقَاہُ
فِيَا حُزْنَ الْمَسِيءِ إِشْوَمِ ذَنْبِ
بِمَكْتُوبٍ عَلَيْكَ وَقَدْ حَوَاهُ
وَبَعْدَ الْحُزْنِ يَكْفِيهِ جَمَاهُ
فَيَنْدُبُ حَسْرَةً مِنْ بَعْدِ مَوْتِ
وَيَبْكِي حَيْثُ لَا يُجْدِي بُكَاهُ
يَعِضُ يَدَيْهِ مِنْ نَدَمٍ وَحُزْنِ
وَيَنْدُبُ حَسْرَةً مَا قَدْ عَرَاهُ
فَبَادِرْ بِالصَّلَاحِ وَأَنْتَ حَيٌّ
لَعَلَّكَ أَنْ تَتَالَ بِهِ رِضَاهُ

ما كتب على القبر

٤٥ تُوِّي رَجُلٌ مِنْ كِنْدَةَ فَكُتِبَ عَلَى قَبْرِ هَذِهِ الْآيَاتُ :

يَا وَاقِعِينَ أَلَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُوا
لَوْ تَتَزَلَّوْنَ بِشَعْبِنَا لَمَرَقْتُمْ
أَنْ الْجِمَامَ بِكُمْ عَلَيْنَا قَادِمٌ
أَنْ الْمَفْرَطَ فِي التَّرْوِدِ نَادِمٌ
لَا تَسْتَغْفِرُوا بِالْحَيَاةِ فَإِنَّكُمْ
تَبْنُونَ وَالْمَوْتَ الْمَرْقُ هَادِمٌ
سَاوَى الرَّدَى مَا بَيْنَنَا فِي حُفْرَةٍ
حَيْثُ الْمُخْدَمِ وَاحِدٌ وَالْحَادِمِ
وَمِمَّا وُجِدَ عَلَى قَبْرِ :

إِنَّ الْحَيِّبَ مِنَ الْأَحْبَابِ مُخْتَلَسٌ لَا يَمْنَعُ الْمَوْتَ بَوَّابٌ وَلَا حَرَسٌ
 فَكَيْفَ تَفْرَحُ بِالدُّنْيَا وَلَدُنِّيهَا يَا مَنْ يَمُدُّ عَلَيْهِ اللَّفْظُ وَالنَّفْسُ
 لَا يَرْحَمُ الْمَوْتَ ذَا جَاهٍ لِعِزَّتِهِ وَلَا الَّذِي كَانَ مِنْهُ الْعِلْمُ يُقْتَبَسُ
 قَدْ كَانَ قَصْرُكَ مَعْمُورًا لَهُ شَرَفٌ فَقَبْرُكَ الْيَوْمَ فِي الْأَجْدَاثِ مُنْدَرِسٌ
 قَالَ ابْنُ الزُّرَّاقِ هَذِهِ الْأَيَّاتُ وَأَوْصَى أَنْ تُكْتَبَ عَلَى قَبْرِهِ:

أَخْوَانَنَا وَالْمَوْتُ قَدْ حَالَ دُونَنَا وَالْمَوْتُ حُكْمٌ نَأْفِذُ فِي الْخَلَائِقِ
 سَبَقْتُمْ لِلْمَوْتِ وَالْعَمْرُ طِيَهُ وَأَعْلَمُ أَنَّ الْكُلَّ لَا بُدَّ لِأَحْيٍ
 بَعِيثِكُمْ أَوْ بِأَضْحَاجِي فِي الثَّرَى أَلَمْ تَكُ فِي صَفْوٍ مِنَ الْعَيْشِ رَاقٍ
 فَمَنْ مَرَّ بِي فَلْيَمِضْ بِي مُتَرَجِّمًا وَلَا يَكُ مَنَسِيًّا وَقَاهُ الْأَصَادِقُ
 ٤٦ أَمْرًا أَبُو الصَّلْتِ الْإِسْبِيلِيُّ أَنْ تُكْتَبَ هَذِهِ الْأَيَّاتُ عَلَى قَبْرِهِ:

سَكَّتْكَ يَا دَارَ الْفَنَاءِ مُصَدِّقًا يَا بَنِي إِلَى دَارِ الْبَقَاءِ أَصِيرُ
 وَأَعْظَمُ مَا فِي الْأَمْرِ أَنِّي صَارْتُ إِلَى عَادِلٍ فِي الْحُكْمِ لَيْسَ يُجُورُ
 فَيَأْتِي شِعْرِي كَيْفَ أَلْقَاهُ عِنْدَهَا وَزَادِي قَلِيلٌ وَالذُّنُوبُ كَثِيرُ
 فَإِنَّ أَلْ مَجْزِيًا بِذُنُوبِي قَانِنِي بِشَرِّ عِقَابِ الْمَذْنُوبِينَ جَدِيدُ
 وَإِنْ يَكُ عَفْوٌ مَعْنِي وَرَحْمَةٌ فَمَنْ نَعِيمٌ زَانِدٌ وَسُرُورُ

خُفِرَتْ هَذِهِ الْأَيَّاتُ عَلَى قَبْرِ ابْنِ بَاقٍ وَهِيَ مِنْ تَصْنِيفِهِ:

رَحِمَ عَلَى قَبْرِ ابْنِ بَاقٍ وَحِيَهُ فَمِنْ حَقِّ مِيتِ الْمَيِّ تَسْلِيمُ حِيَهُ
 وَقُلْ أَمِنْ الرَّحْمَانِ رَوْعَةً خَائِفٍ لِيَتَفَرِّطَهُ فِي الْبُؤَابَاتِ وَغِيَهُ
 وَإِنِّي بِفَضْلِ اللَّهِ أَوْثَقُ وَائِقُ وَحَسْبِي وَإِنْ أَذْبَتْ حَسْبُ صَيِّغِهِ

٤٧ قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ الْمُقَرَّبِيُّ الْحَيَّاطُ عَلَى لِسَانِ مَيْتٍ :

أَيُّهَا الزَّارُونَ بَعْدَ وَقَاتِي جَدًّا صَمْنِي وَحَدًّا عَمِيقًا
سَرَوْنَ الَّذِي رَأَيْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ عِيَانًا وَتَسْلُكُونَ طَرِيقًا

نَظَّمَ أَسْعَدُ مُصْطَفَى الْقُصَيْبِيِّ قَبْلَ مَوْتِهِ تَارِيخًا لِقَبْرِهِ :

قَبْرُهُ بِهِ مَنْ أَوْتَقَتْهُ ذُنُوبُهُ وَتَعَدَّ لِسُوءِ فِعَالِهِ مُتَخَوِّفًا

قَدْ ضَاعَ مِنْهُ عُمْرُهُ بِطَالَةِ وَالْعَيْشُ مِنْهُ بِالتَّكْدُرِ مَا صَفَا

مَاذَا طَوَى قَبْرَ الْقُصَيْبِيِّ أَرْخُوا مُسْتَمْتَحًا لِلْعَفْوِ أَسْعَدُ مُصْطَفَى

٤٨ لَمَّا قُتِلَ سَيْفُ بْنُ ذِي يَزْنَ الْجَمِيرِيُّ ذَفِينًا فِي صَنْعَاءَ بِمَعْبَرَةَ

وَوُضِعَ فِي سَرِيرِهِ عِنْدَ رَأْسِهِ لَوْحٌ قَدْ كُتِبَتْ فِيهِ هَذِهِ الْآيَاتُ :

أَنَا ابْنُ ذِي يَزْنَ مِنْ قُرْعِ ذِي يَمِنَ مَلَكَتْ مِنْ حَدِّ صَنْعَاءَ إِلَى عَدَنَ

جَلَبْتُ مِنْ فَارِسٍ جَيْشًا عَلَى عَجَلٍ فِي الْبَحْرِ أَجْمَلُهُمْ فِيهِ عَلَى السُّفُنِ

حَتَّى غَزَوْتُ بِهِمْ قَوْمًا مُهَاجِرَةً فِي الْبَرِّ جَاسُوا إِخْلَالَ الْحَيِّ مِنْ يَمِنَ

بِالْحُسْفِ وَالذَّلِّ حَتَّى قَالَ قَاتِلُهُمْ ذُو قُوَا ثَمَارَ ذَوَاتِ الْحَمْدِ وَالْإِحْنَ

فَأَوْقَعُوا بِهِمْ وَالْدَّهْرُ ذُو ذَوْلٍ حَتَّى كَانَ مَعَارَ التَّوَمِ لَمْ يَكُنْ

حَتَّى إِذَا ظَفَرَتْ نَفْسِي بِمَا طَلَبْتُ وَرَالَ مَا كَانَ فِي قَلْبِي مِنَ الْحَزَنِ

وَنِلْتُ أَكْثَرَ مِمَّا كُنْتُ أَمَلُهُ مِنْ قَتْلِي الْخُبَشِ حَتَّى طَابَ لِي وَطَنِي

جَاءَ الْقَضَاءُ بِمَا لَا يُسْتَطَاعُ لَهُ دَفْعُ وَلَا يُشْتَرَى بِأَقْوَمِ الْبَشَرِ

مِنْ بَعْدِ مَا جَبَتْ أَحْوَالُ الْمَصْرَمَةِ قَطَرَ الْبِلَادِ فَلَمْ أَعْجِزْ وَلَمْ أَهْنِ

قَدِصَرْتُ مَرْتَنًا فِي قَاعِ مُظْلَمَةٍ لِلَّهِ دَرِيٌّ مِنْ نَاوٍ وَمَرْتَنٌ

الباب الثالث في المرثي

رثاء اعرابية لابنها

٤٩ قَالَ الْأَصْمَعِيُّ : حَجَّتْ أَعْرَابِيَّةٌ وَمَعَهَا ابْنٌ لَهَا فَأَصِيدَتْ بِهِ . فَلَمَّا
 ذُفِنَ قَامَتْ عَلَى قَبْرِهِ وَهِيَ مُوجِعَةٌ فَقَالَتْ : وَاللَّهِ يَا بُنَيَّ لَقَدْ غَذَوْتُكَ
 رَضِيعًا . وَفَقَدْتُكَ سَرِيعًا . وَكَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ الْحَالَيْنِ مُدَّةٌ أَلْتَذُّ
 بِعَيْشِكَ فِيهَا . فَأَصْبَحْتَ بَعْدَ النَّضَارَةِ وَالنَّضَارَةِ وَرَوْتِي الْحَيَاةَ
 وَالتَّنَسُّمَ فِي طِيبِ رَوَائِحِهَا تَحْتَ أَطْبَاقِ الثَّرَى جَسَدًا هَامِدًا وَرَفَا
 سَحِيقًا وَصَعِيدًا جُرْزًا . أَيُّ بُنَيَّ قَدْ سَحَبْتَ الدُّنْيَا عَلَيْكَ أَذْيَالَ الْفَنَاءِ
 وَأَسْكَنْتَكَ دَارَ الْيَلْبِ . وَرَمَتْنِي بَعْدَكَ نَكْبَةً الرَّدَى . أَيُّ بُنَيَّ لَقَدْ
 أَسْفَرَلِي عَنْ وَجْهِ الدُّنْيَا صَبَاحَ دَاجٍ ظَلَامُهُ . (ثُمَّ قَالَتْ) : أَيُّ رَبِّ وَمَنْكَ
 الْعَدْلُ وَمِنْ خَلْقِكَ الْجُورُ . وَهَبْتَهُ لِي قُرَّةَ عَيْنٍ فَلَمْ تُتِّعْنِي بِهِ كَثِيرًا
 بَلْ سَلَبْتَنِيهِ وَشِيكَ . ثُمَّ أَمَرْتَنِي بِالصَّبْرِ وَوَعَدْتَنِي عَلَيْهِ الْأَجْرَ فَصَدَّقْتُ
 وَعَدَكَ وَرَضَيْتُ قَضَاءَكَ . فَرَحِمَ اللَّهُ مَنْ تَرَحَّمَ عَلَيَّ مِنْ أَسْتَوْدَعْتُهُ
 الرِّدْمَ وَوَسَدْتُهُ الثَّرَى . اللَّهُمَّ أَرْحَمِ غُرْبَتَهُ وَأَيْسَ وَحْشَتَهُ وَأَسْتُرْ
 سَوَاءَهُ يَوْمَ تَنْكَشِفُ السَّوَاءَاتُ . (فَلَمَّا أَرَادَتْ الرُّجُوعَ إِلَى
 أَهْلِهَا وَقَفَتْ عَلَى قَبْرِهِ فَقَالَتْ) : أَيُّ بُنَيَّ إِنِّي قَدْ تَرَوَدْتُ لِسَفْرِي
 فَلَيْتَ شِعْرِي مَا زَادَكَ لِبُعْدِ طَرِيقِكَ وَيَوْمَ مَعَادِكَ . اللَّهُمَّ إِنِّي

أَسْأَلُكَ لَهَ الرِّضَا بِرِضَايَ عَنْهُ . ثُمَّ قَالَتْ : أَسْتَوْدَعُكَ مَنْ أَسْتَوْدَعُ عَيْكَ
 فِي أَحْسَانِي جَنِينًا . وَأُنْكَلَ الوَالِدَاتِ مَا أَمْضَى حَرَارَةَ قُلُوبِهِنَّ وَأَقْلَقَ
 مَضَاجِعِهِنَّ وَأَطْوَلَ لَيْلِهِنَّ وَأَقْصَرَ نَهَارِهِنَّ وَأَقْلَى أَسْنِهِنَّ وَأَشَدَّ
 وَحْشَتِهِنَّ . وَأَبْعَدَهُنَّ مِنَ السُّرُورِ وَأَقْرَبَهُنَّ مِنَ الْأَحْزَانِ . فَلَمْ تَزَلْ
 تَقُولُ هَذَا وَتَحُودُ حَتَّى أَبْكَتْ كُلَّ مَنْ سَمِعَهَا . وَحَدَّثَ اللهُ وَصَلَتْ
 رَكَاتٍ عِنْدَ قَبْرِهِ وَأَنْطَلَقَتْ

الاحنف بن قيس والرائية

٥٠ . لَمَّا دُفِنَ الْأَحْنَفُ بْنُ قَيْسٍ بِالْكُوفَةِ قَامَتِ امْرَأَةٌ عَلَى قَبْرِهِ
 فَقَالَتْ : لِلَّهِ دَرُكٌ مِنْ جَنَّ فِي جَنِّ . وَمُدْرَجٌ فِي كَفْنٍ . نَسَأَلُ الَّذِي
 فَجَعْنَا بِمَوْتِكَ . وَأَبْتَلَانَا بِفَعْدِكَ . أَنْ يَجْعَلَ سَبِيلَ الْخَيْرِ سَبِيلَكَ . وَدَلِيلَ
 الرُّشْدِ دَلِيلَكَ . وَأَنْ يُوسِعَ لَكَ فِي قَبْرِكَ . وَيَغْفِرَ لَكَ فِي حَشْرِكَ .
 فَلَقَدْ كُنْتُ فِي الْحَافِلِ شَرِيفًا . وَعَلَى الْأَرَامِلِ عَطُوفًا . وَلَقَدْ كُنْتُ فِي
 الْحَيِّ مُسَوِّدًا . وَإِلَى الْخَلِيفَةِ مُوقِّدًا . وَلَقَدْ كَانُوا الْقَوْلَكَ مُسْتَمِعِينَ .
 وَلَرَأَيْكَ مُتَّبِعِينَ . وَأَنْتَ أَهْلُ لِحْسَنِ الثَّنَاءِ وَطَيْبِ الْبَقَاءِ . أَمَا وَالَّذِي
 كُنْتُ مِنْ أَجْلِهِ فِي عِدَّةٍ . وَمِنْ الْحَيَاءِ إِلَى مُدَّةٍ . وَمِنْ الْإِقْدَارِ إِلَى
 غَايَةٍ . وَمِنْ الْأَثَارِ إِلَى نِهَائِيَّةٍ . الَّذِي رَفَعَ عَمَلَكَ لَمَّا قَضَى أَجَلَكَ . لَقَدْ
 عَشْتُ حَمِيدًا مُوَدُّدًا . وَمُتَّ سَعِيدًا مَفْهُودًا . ثُمَّ أَنْصَرَفَتْ وَهِيَ تَقُولُ :
 لِلَّهِ دَرُكٌ يَا أَبَا بَجْرٍ مَاذَا تَعَيَّبَ مِنْكَ فِي الْقَبْرِ
 لِلَّهِ دَرُكٌ أَيَّ حَشْوٍ تَرَى أَصْبَحْتَ مِنْ عُرْفٍ وَمِنْ نُكْرِ

إِنْ كَانَ دَهْرٌ فِيكَ جَدًّا لَنَا حَدَّثْنَا بِهِ وَهَنَتْ قَوَى الصَّبْرِ
فَلَكُمْ يَدِ أَسَدَيْهَا وَيَدِ كَانَتْ تَرْدُ جَرَارَ الدَّهْرِ
ثُمَّ انصرفت . فقال الناس : ما سمعنا كلامَ امرأةٍ قطُّ أبلغَ ولا
أصدق منه . فسئل عنها فإذا هي امرأته (زهر الآداب للقيرواني)
٥١ قال أبو جبال البراء بن ربيعة القعسي برثي إخوته :

أبعد بني أُمي الذين تتابعوا أرجمي حياة أم من الموت أجزع
ثمانية كانوا ذؤابة قومهم بهم كنت أعطي ما أشاء وأمنع
أولئك إخوان الصفاء رزيتهم وما الكف إلا إصبع ثم إصبع
لعمرك إني بالخليل الذي له علي دلال واجب لقمع
وإني بالمولى الذي ليس نأفي ولا ضارري فشدانه لمتمع
٥٢ وقال أشجع بن عمرو السلمي في ابن سعيد :

مضى ابن سعيد حين لم يبق مشرق ولا مغرب إلا له فيه مادح
وما كنت أدري ما فواصل كفه على الناس حتى غيبته الصفايح
فأصبح في لحد من الأرض ميتا وكانت به حيا تضيق الصفايح
سأبكيك ما فاضت دموعي فإن تبض فحسبك مني ما تحن الجوايح
فما أنا من رزء وإن جل جازع ولا بسرور بعد موتك فارح
كان لم يميت حي سواك ولم تقم على أحد إلا عليك النوايح
لئن حسنت فيك المراني وذكرها لقد حسنت من قبل فيك المدائح
٥٣ وقال مويك المزوم برثي امرأته أم العلاء :

أمرز علي الجذب الذي حلت به
 أني حلت وكنت جد فروقة
 صلى عليك الله من مفقودة
 فلقد تركت صغيرة مرحومة
 فقدت شمائل من لزائم حولة
 وإذا سمعت أنيتها في ليها
 ٥٤ وقال أعرابي يرثي بنه :

أسكان بطن الأرض لو يقبل الفدا
 فيا ليت من فيها عليها وليت من
 وقاسمني دهري بني مشاطرا
 فصاروا ديونا للمنايا ولم يكن
 كأنهم لم يعرف الموت غيرهم
 وقد كنت حي الخوف قبل وفاتهم
 فله ما أعطى والله ما حوى
 رثى ذو الورارين ابن عبد البر رجلا مات مجذوما .

مات من كثر آراه أبدا
 كان مثل السيف إلا أنه
 سالم العقل سقيم الجسد
 حسد الدهر عليه فصدي

٥٥ قال ابن عبد ربه يرثي ولدا له :

قصد المنون له فمات فقيدا
 ومضى على صرف الخطوب حميدا

بأبي وأمي هالِكًا أفردته
سودُ المقابر أضجت بيضا به
لم نرزهُ لَمَّا رُزينا وحده
لكن رُزينا ألقيم بن محمد
وَأبن المبارك في الرقائق معمرًا
وَالأخفشين فصاحةً وبلاغةً
كَانَ الوصي إذا أردت وصيةً
وَلي حفيظًا في الأزيمة حفيظًا
مَا كَانَ مثلي في الرزية والدا
حني إذا بدأ السوايق في العلي
يأمن يُفند من البكاء موهما
تأبى القلوب المستكنة للأسى
إِنَّ الَّذِي بَادَ السُرورُ بموته
أَلَانَ لَمَّا أَن حَويت مآثرًا
وَرَأيتُ فيكَ مِنَ الصَّلاحِ شَمَانًا
أَبكي عَلَيْكَ إِذَا الحَمَامَةُ أَطْرَبتْ
لَوْلَا حَلِيَا أَنِي أَرزُ بِبِدعةٍ
جَعَلتُ يَوْمِي فِي المَلاحَةِ مَأْتَمًا
قَد كَانَ فِي كُلِّ العُلومِ فَرِيدًا
وَعَدتْ لَهُ بِيضُ الضَمائرِ سُودًا
وَإِنِ اسْتَقَلَّ بِهِ المُنونُ وَجِيدًا
فِي فَضلهِ وَالأسودَ بنَ يزيدَا
وَأبنِ المَسيبِ فِي الحَدِيثِ سَعِيدًا
وَالأعشيين رِوَايَةً وَشِيدًا
وَالمُسْتَفَادَ إِذَا طَلَبتَ مُفِيدًا
وَمَضَى وَدُودًا فِي الأورَى مُودُودًا
ظَفرتْ يَدَاهُ بِمِثْلِهِ مَوْلُودًا
وَالعالمِ ضَمينَ شِلوهُ مَلْخُودًا
مَا كَانَ يَسْمَعُ فِي البِكَاءِ تَفْئِيدًا
مِنْ أَن تَكُونَ حِجَارَةً وَحَدِيدًا
مَا كَانَ خَزَنِي بَعْدَهُ لِيِيدًا
أَعيتْ عَدُوًّا فِي الأورَى وَحَسُودًا
وَمِنَ السَّماحِ دَلَالًا وَشُهُودًا
وَجَهَ الصَّباحِ وَغَرَدتْ تَعْرِيدًا
بِمَا يُعَدُّهُ الأورَى تَعْدِيدًا
وَجَعَلتُ يَوْمَكَ فِي المَوالِدِ عِيدًا
قَالَ الشَّمردُلُ يَرِي أَخاهُ حَكَمًا:

يَقُولُونَ أَحْتَسِبُ حَكْمًا وَرَأْحًا يَا بَيْضَ لَا يَرَاهُ وَلَا يَرَانِي
 وَقَبْلَ فِرَاقِهِ أَيْقَنْتُ أَنِّي وَكُلُّ بَنِي أَبِي مُتَفَارِقَانِ
 أَخِي لَوْ دَعَوْتُ أَجَابَ صَوْتِي وَكُنْتُ مُحِبِّهِ أَنِّي دَعَانِي
 فَقَدْ أَفْنَى الْبِكْلَةَ عَلَيْهِ دَمْعِي وَلَوْ أَنِّي الْفَقِيدُ إِذَا بَكَانِي
 مَضَى لِسَيْلِهِ لَمْ يُعْطَ ضَيْمًا وَلَمْ تَرْهَبْ عَوَائِلَهُ الْأَدَانِي
 قَتَلْنَا عَنْهُ قَاتِلَهُ وَكُنَّا نَصُولُ بِهِ لَدَى الْحَرْبِ الْعَوَانِ
 قَتِيلًا لَيْسَ مِثْلَ أَخِي إِذَا مَا بَدَأَ الْخَفِرَاتُ مَذْهُوْلَ الْجَنَانِ
 وَكُنْتُ سِنَانٌ رَمَحِي مِنْ قَنَاتِي وَلَيْسَ الرَّمْحُ إِلَّا بِالسِّنَانِ
 وَكُنْتُ بَنَانٌ كَتَمِي مِنْ يَمِينِي وَكَيْفَ صَالِحًا بَعْدَ الْبَنَانِ
 وَكَانَ يَهَابُكَ الْأَعْدَاءُ فِينَا وَلَا أَخْشَى وَرَاءَكَ مَنْ رَمَانِي
 فَقَدْ أَبَدُوا ضَعْفَانَهُمْ وَشَدُّوا إِلَى الطَّرْفِ وَأَعْتَمَرُوا لِيَانِي
 فِدَاكَ أَخُ نَبَا عَنْهُ غِنَاهُ وَمَوْلَى لَا تَصُولُ لَهُ يَدَانِ

٥٧ وَمِنْ رَفِيقِ مَرَاتِي لَيْدِي :

بَلِينَا وَمَا تَبَلَى النُّجُومُ الطَّوَالِعُ وَتَبَقَى الْجِبَالُ بَعْدَنَا وَالْمَصَانِعُ
 وَقَدْ كُنْتُ فِي الْكُنَافِ دَارِ مَضْنَةٍ قَفَارَقْنِي جَارٌ يَأْرَبِدُ نَافِعُ
 فَلَا جَزَعُ إِنْ فَرَّقَ الدَّهْرُ بَيْنَنَا فَكُلُّ أَمْرِي يَوْمًا بِهِ الدَّهْرُ فَاجِعُ
 وَمَا النَّاسُ إِلَّا كَالدِّيَارِ وَأَهْلِهَا بِهَا يَوْمٌ حَلَّوْهَا وَعَدَّوْا بِالْأَقْعِ
 وَيَمْضُونَ أَرْسَالًا وَتُخَلَّفُ بَعْدَهُمْ كَمَا ضَمَّ أُخْرَى التَّالِيَاتِ الْمَشَانِعُ
 وَمَا الْمَرْءُ إِلَّا كَالشِّهَابِ وَضَوْوِهِ يَحُورُ رَمَادًا بَعْدَ إِذْ هُوَ سَاطِعُ

وَمَا أَلْبَسُ إِلَّا مُضْمَرَاتٍ مِّنَ التُّقَى
 أَلَيْسَ وَرَائِي إِنْ تَرَأَخْتَ مَنِيَّتِي
 أَخْبَرُ أَخْبَارَ الْقُرُونِ الَّتِي مَضَتْ
 فَأَصْبَحْتُ مِثْلَ السِّيفِ أَخْلَقَ جَفْنَهُ
 فَلَا تَبْعَدْنِ إِنْ أَلْمَنَّةُ مَوْعِدُ
 أَعَاذِلُ مَا يُدِيرُكَ إِلَّا تَطْنِيًا
 أَتَجْرَعُ مِمَّا أَحْدَثَ الدَّهْرُ بِالْتِقَى
 لَعْمَرِكَ مَا تَدْرِي الصُّوَارِبُ بِالْحَصَى
 ٥٨ لَمَّا تُوْفِيَ مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحٍ قَالَ

بَأَيِّ يَدٍ أَسْطَوْ عَلَى الدَّهْرِ بَعْدَ مَا
 وَهَاضَ جَنَاحِي حَادِثٌ جَلَّ خَطْبُهُ
 وَمِنْ عَادَةِ الْأَيَّامِ أَنْ صُرُوفَهَا
 لَعَمْرِي لَقَدْ غَالَ التَّجَلُّدُ أَنَّنَا
 فَمَا أَعْرِفُ الْأَيَّامَ إِلَّا ذَمِيمَةً
 وَلَا لِي مِنَ الْإِخْوَانِ إِلَّا مُكَاشِرٌ
 فَهَدَّتْ قَتَى قَدْ كَانَ لِلْأَرْضِ زِينَةً
 لَعَمْرِي لَيْنٌ كَانَ أَلْرَدَى بِكَ فَاتَنِي
 لَقَدْ أَحْدَثَتْ مِنِّي التَّوَابِ حُكْمَهَا
 وَلَا تَرَكْنِي أَرْهَبُ الدَّهْرَ بَعْدَهُ
 وَمَا أَلْمَالُ إِلَّا عَارِيَاتٌ وَدَائِعُ
 لُزُومُ الْعَصَا تُخْنِي عَلَيْهَا الْأَصَابِعُ
 أَدِيبُ كَأَنِّي كَلَّمَا قُمْتُ رَاكِعُ
 تَقَادُمُ عَهْدِ الْفَيْنِ وَالنَّصْلِ قَاطِعُ
 عَلَيْنَا قَدَانٌ لِلطَّلُوعِ وَطَالِعُ
 إِذَا رَحَلَ الْفَتَيَانُ مِنْ هُوَ رَاجِعُ
 وَأَيُّ كَرِيمٍ لَمْ تُصِبْهُ الْقَوَارِعُ
 وَلَا زَاجِرَاتُ الطَّيْرِ مَا اللَّهُ صَانِعُ
 سَعِيدُ بْنُ حَمِيدٍ بِرَيْثِهِ :
 أَبَانَ يَدَيَّ عَضْبُ الذُّبَابِ بَيْنَ قَاصِبُ
 وَسَدَّتْ عَنِ الصَّبْرِ الْجَمِيلِ الْمَذَاهِبُ
 إِذَا سَرَّ مِنْهَا جَانِبٌ سَاءَ جَانِبُ
 فَهَدَّنَاكَ فَهَدَّ الْغَيْثُ وَالْعَامُ جَادِبُ
 وَلَا الدَّهْرُ إِلَّا وَهُوَ بِالْكَثْرِ طَابُ
 فَوَجَّهُ لَهُ رَاضٍ وَوَجَّهُ مُغَاضِبُ
 كَمَا زَيْتٌ وَجَّهَ السَّمَاءَ الْكُوَاكِبُ
 وَكُلُّ أَمْرِي يَوْمًا إِلَى اللَّهِ ذَاهِبُ
 فَمَا تَرَكْتُ حَقًّا عَلَيَّ التَّوَابِ
 لَقَدْ كَلَّ عَيْنِي نَابَهُ وَالْحَالِبُ

سَقَى جَدْنَا أَمْسَى الْكَرِيمِ ابْنَ صَالِحٍ
 إِذَا بَشَّرَ الرُّوَادَ بِالْبَيْتِ بَرَقَهُ
 فَعَادَرَ بَاقِيَ الدَّهْرِ تَأْيِيرُ صَوْبِهِ
 ٥٩ قَالَ بَكْرُ بْنُ النَّطَّاحِ بَرِّي
 الشُّرَاةَ لِقَاتِلِهِمْ فَأَصِيبَ بِسَهْمِهِ :

عَلَى الْأَمِيرِ الْيَمِينِيِّ الْهَمَامِ
 وَفَارِسِ الدِّينِ وَسَيْفِ الْأَمَامِ
 أَتَيْتُمْ إِذْ أَوْدَى جَمِيعَ الْأَنَامِ
 عِظَامُهُ سَقِيًّا لَهَا مِنْ عِظَامِ
 وَأَمْتَعَتْ بَعْدَكَ يَا ابْنَ الْكِرَامِ
 وَالْفَرَّ تَشْكُومِنَا طَوْلَ الْحِمَامِ
 كَمَا نَحْيِي قَبْرَهُ بِالسَّلَامِ
 غَنَى عَنِ الْبَحْرِ وَصَوَّبَ الْغَمَامِ
 وَكَانَ فِي اللَّيْلِ كَبْدَ الظَّلَامِ
 وَقَدْ رَأَاهُ وَهُوَ صَعْبُ الْمَرَامِ
 يَضْرِبُهُمْ عِنْدَ ارْتِفَاعِ الْقَتَامِ
 يَفْلِتُ مِنْ وَقَعِ صَقِيلِ الْحَسَامِ
 عَلَى رَبِيعِ النَّاسِ فِي كُلِّ عَامِ
 مَا هَيَّجَ الشُّجُو دَعَا الْحَمَامِ
 يَأَعِينُ جُودِي بِالْذَمُوعِ السَّجَامِ
 عَلَى فِتَى الدُّنْيَا وَصَنْدِيدِهَا
 لَا تَذْخِرِي الدَّمْعَ عَلَى هَالِكِ
 طَلَبَ ثَرَى حُلُوانٍ إِذْ ضَمِنْتَ
 أَغْلَقْتَ الْخَيْرَاتِ أَبْوَابَهَا
 وَأَصْبَحْتَ خَيْلِكَ بَعْدَ الْوَجْحَى
 إِرْحَلْ يَا نَقْرَبُ إِلَى مَالِكِ
 كَانَ لِأَهْلِ الْأَرْضِ فِي كَفِّهِ
 وَكَانَ فِي الصُّبْحِ كَشْمَسِ الضُّحَى
 وَسَائِلَ يَجِبُ مِنْ مَوْتِهِ
 قُلْتُ لَهُ عَهْدِي بِهِ مُعَلِّمًا
 وَالْحَرْبُ مِنْ طَارَ لَهَا لَمْ يَكْذُ
 لَمْ يَنْظُرِ الدَّهْرُ لَنَا إِذْ عَدَا
 لَنْ يَسْتَقِيلُوا أَبَدًا فَعَدُهُ

٦٠ وَقَالَ أَيضًا يَرْثِيهِ :

يَا حُفْرَةَ ضَمْتِ مَحَاسِنَ مَالِكٍ مَا فِيكَ مِنْ كَرَمٍ وَمِنْ إِحْسَانٍ
لَهْفِي عَلَى الْبَطْلِ الْمَرَضِ خَدَّهُ وَجِينَهُ لِأَسِنَّةِ الْفَرَسَانِ
خَرَقَ الْكُتَيْبَةَ مُعَلَّمًا مُتَكَبِّرًا وَالْمَرْهَفَاتُ عَلَيْهِ كَالنَّيْرَانِ
ذَهَبَتْ بِشَاشَةِ كُلِّ شَيْءٍ بَعْدَهُ فَأَلْأَرْضُ مُوحِشَةٌ بِأَلْعَمْرَانِ
هَدَمَ الشَّرَاةَ عِدَادَةَ مَصْرَعِ مَالِكٍ شَرَفَ الْعُلَا وَمَكَارِمِ الْبُنْيَانِ
قَتَلَوَاتِي الْعَرَبِ الَّذِي كَانَتْ بِهِ تَقْوَى عَلَى اللَّزْبَاتِ فِي الْأَزْمَانِ
حَرَمُوا مَعْدًا مَا لَدَيْهِ وَأَوْقَعُوا عَصِيَّةً فِي قَلْبِ كُلِّ نِيْمَانِ
تَرَكَهُ فِي رَهْجِ الْعِجَاجِ كَأَنَّهُ أَسَدٌ يَصُولُ بِسَاعِدِي وَبَنَانِ
هُوتِ الْجُدُودُ عَنِ السُّعُودِ لِقَدَمِهِ وَمَسَّكَتُ بِالنَّخَسِ وَالْدَّرِيَانِ
لَا يُبْعِدُنْ أَخُو خِرَاعَةَ إِذْ تَوَى مُسْتَشْهِدًا فِي طَاعَةِ الرَّحْمَانِ
عَزَّ الْغَوَاةُ بِهِ وَذَلَّتْ أُمَّةٌ مَحْبُوءَةٌ بِحَقَائِقِ الْإِيمَانِ
وَبَكَاهُ مُصْنِفُهُ وَصَدْرُ حَسَامِهِ وَالْمُسْلِمُونَ وَدَوْلَةُ السَّلْطَانِ
وَعَدَّتْ تُعَقِّرُ خَيْلَهُ وَتَقْسَمُ أَذْرَاعُهُ وَسَوَابِغِ الْأَبْدَانِ
أَفْتَحْمَدُ الدُّنْيَا وَقَدْ ذَهَبَتْ بَيْنَ كَانَ الْعَجِيرَ لَنَا مِنَ الْخِدْمَانِ

٦١ قَالَ بَهَاءُ الدِّينِ الْعَامِلِيُّ يَرْثِي وَالِدَهُ :

قِفْ بِالطُّلُولِ وَسَلْمَا أَيْنَ سَلَمَاهَا وَرَوِّمِنْ جُرْعِ الْأَجْفَانِ رِيَاهَا
وَرَدِّدِ الطَّرْفَ فِي أَطْرَافِ سَاحَتِهَا وَرَوِّحِ الرُّوحَ مِنْ أَرْوَاحِ أَرْجَاهَا
وَإِنْ يَفْتِكَ مِنَ الْأَطْلَالِ مَخْبَرُهَا فَلَا يَفُوتُكَ مَرَاهَا وَرِيَاهَا

رُبْعُ فَضْلٍ يَضَاهِي التَّبَرُّ تَرْبَتَهَا
 عَدَا عَلَى جِرَّةٍ حَلُّوا بِسَاحَتِهَا
 بُدُورُ تَمِّ عَمَامُ الْمَوْتِ جَلَّتْهَا
 فَأَلْجَدُ يَبْكِي عَلَيْهَا جَارِعًا أَسْفَا
 يَا حَبْدًا أَرْمَنُ فِي ظِلِّهِمْ سَلَفَتْ
 أَوْقَاتُ أَنَسٍ قَضَيْنَاهَا فَمَا ذُكِرَتْ
 يَا سَادَةَ هَجْرًا وَأَسْتَوْطَنُوا هَجْرًا
 رَعِيًا لِلَّيَالِ وَضَلَّ بِالْحِمَى سَلَفَتْ
 لِقَدِيمِكُمْ شِقَ جَيْبِ الْمَجْدِ وَأَنْصَدَعَتْ
 وَخَرَّ مِنْ شَانِحَاتِ الْعِلْمِ أَرْقَمَهَا
 يَا نَاوِيَا يَا مَلْصَلَى مِنْ قَرَى هَجْرٍ
 أَهْتِ يَا بَحْرُ بِالْبَحْرَيْنِ فَأَجْتَمَعَتْ
 ثَلَاثَةٌ أَنْتِ أَسْدَاهَا وَأَغْرُرُهَا
 حَوَيْتَ مِنْ دُرِّ الْحُلِيَاءِ مَا حَوِيَا
 يَا أَخْمَصًا وَطِطْتَ هَامَ السُّهَى شَرْفًا
 وَيَا ضَرْبِيحًا عَلَا فَوْقَ السَّمَاءِ عَلَا
 فِيكَ أَنْطَوَى مِنْ شُمُوسِ الْفَضْلِ آخِرَهَا
 وَمِنْ شَوَائِحِ أَطْوَادِ الْقُسُوفِ أَرْ
 فَأَسْحَبَ عَلَى الْفَلَكَ الْعَالَوِيِّ ذَيْلَ عَلَا
 وَدَارُ أَنَسٍ يُحَاكِي الدَّرَّ حَصْبَاهَا
 صَرَفُ الزَّمَانِ فَأَبْلَاهُمْ وَأَبْلَاهَا
 شُمُوسُ فَضْلِ سَحَابِ التُّرْبِ غَشَاهَا
 وَالَّذِينَ يَنْدُبُهَا وَالْفَضْلُ يَنْعَاهَا
 مَا كَانَ أَقْصَرَهَا عُمْرًا وَأَحْلَاهَا
 إِلَّا وَقَطَعَ قَلْبَ الصَّبِّ ذِكْرَاهَا
 وَأَهَا لِقَلْبِ الْمَعْنَى بَعْدَكُمْ وَأَهَا
 سَقِيًا لِأَيَّامِنَا بِأَخْفِيفِ سَقِيَاهَا
 أَرْكَانُهُ وَبِكُمْ مَا كَانَ أَقْوَاهَا
 وَأَنْهَدَتْ مِنْ بَاذِخَاتِ الْحِلْمِ أَرْسَاهَا
 كَسَيْتَ مِنْ حُلَى الرِّضْوَانِ أَرْضَاهَا
 ثَلَاثَةٌ كُنَّ أَمْثَالًا وَأَشْبَاهَا
 جُودًا وَأَعْدَبَهَا طَعْمًا وَأَحْلَاهَا
 لَكِنَّ دَرَكَ أَعْلَاهَا وَأَغْلَاهَا
 سَقَاكِ مِنْ دِيمِ الْوَسْمِيِّ أَسْمَاهَا
 عَلَيْكَ مِنْ صَلَوَاتِ اللَّهِ أَرْكَاهَا
 وَمِنْ مَعَالِمِ دِينِ اللَّهِ أَسْنَاهَا
 سَاهَا وَأَرْقَمَهَا قَدْرًا وَأَنْبَاهَا
 فَقَدْ حَوَيْتَ مِنَ الْعَالِيَاءِ أَعْلَاهَا

عَلَيْكَ مِنِّي سَلَامُ اللَّهِ مَا صَدَحَتْ عَلَى غُصُونِ أَرَاكِ الدُّوْحَ وَرَقَاهَا
٦٢ قَالَ أَبُو فِرَاسٍ الْحَمْدَانِي يُرِي جَابِرَ بْنَ نَاصِرِ الدِّينِ:

أَلْقِرْ فِيكَ مَقْصَرُ الْأَمَالِ وَالْحِرْصُ بَعْدَكَ غَايَةُ الْجَهَالِ
لَوْ كَانَ يَخْلُدُ بِالْقَضَائِلِ فَاضِلٌ وَصَلَتْ لَكَ الْأَجَالُ بِالْأَجَالِ
لَوْ كُنْتَ تُفَدَى لَأَفْتَدَيْتَكَ سَرَاتِنَا بِتَقَانِسِ الْأَرْوَاحِ وَالْأَمْوَالِ
أَوْ كَانَ يَدْفَعُ عَنْكَ بَأْسُ أَقْبَلَتْ صَرَعًا تَكْدَسُ بِالْقَتَا الْعَسَالِ
أَعَزَّ عَلَيَّ سَادَاتِ قَوْمِكَ أَنْ تُرَى فَوْقَ الْفِرَاشِ مُقَلَّبَ الْأَوْصَالِ
وَأَسْتَمِرُّ عِنْدَكَ لَمْ تَرَقَّ صُدُورُهَا وَالْحَيْلُ وَاقِفَةٌ عَلَى الْأَطْلَالِ
وَالسَّائِيَاتُ مَصُونَةٌ لَمْ تُبْتَدَلْ وَأَلْيَضُ سَالِمَةٌ مَعَ الْأَبْطَالِ
وَإِذَا أَلْنِيَّةٌ أَقْبَلَتْ لَمْ يَنْبَهَا حِرْصُ الْحَرِيصِ وَحِيلَةُ الْمُخْتَالِ
مَا لِلخُطُوبِ وَمَا لِأَحْدَاثِ النَّوَى أَعْجَلْنَ جَابِرَ غَايَةَ الْإِعْجَالِ
لَمَّا تَسَرَّبَلُ بِالْقَضَائِلِ وَارْتَدَى بُرْدَ الْعُلَى وَأَعْتَمَّ بِالْإِقْبَالِ
وَتَشَاهَدَتْ صَيْدَ الْمُلُوكِ لِقَضَلِهِ وَارَى الْمَكَارِمَ مِنْ مَكَانِ عَالِ
أَبَا الْمَرْجِي غَيْرِ خَزَنِي دَارِسُ أَبَدًا عَلَيْكَ وَغَيْرُ قَابِي سَالِ
وَلَيْزِ هَلَكْتَ فَمَا الْوَفَاءُ بِهَا لِكَ وَلَيْزِ يُلَيْتَ فَمَا الْوَدَادُ بِبَالِ
لَا زِلْتُ مَعْدُوقُ الثَّرَى مَطْرُوقُهُ بِسَخَابَةِ تَجْرُورَةِ الْأَذْيَالِ
وَمُحِبِّنُ عَنْكَ السِّيَاتِ وَلَمْ يَزَلْ لَكَ صَاحِبٌ مِنْ صَالِحِ الْأَعْمَالِ

٦٣ قَالَتْ هِنْدُ بِنْتُ مَعْبِدٍ تَرِي خَالِدَ بْنَ نَضَلَةَ:

أَأْمِيمَ هَيْهَاتِ الصِّبَا ذَهَبَ الصِّبَا وَأَطَارَ عَنِّي الْجِلْمَ جَهْلُ غُرَابِي

أَيْنَ الْأَلَى بِالْأَمْسِ كَانُوا جِيرَةً
 مَا تَوَا وَلَوْ أَنِّي قَدَرْتُ بِحِيلَةٍ
 مَا حِيلَتِي إِلَّا الْبُكَاءُ عَلَيْهِمْ
 ٦٤ وَقَالَ يَحْيَى بْنُ زِيَادٍ يَرَى أَخَاهُ عَمْرًا :

أَلَا نَوَهَ الدَّاعِي بَلِيلٌ فَأَسْمَعَا
 مَضَى صَاحِبِي وَأَسْتَقْبَلُ الدَّهْرُ صَرَعِي
 كَأَن لَمْ نَكُنْ يَا عَمْرُو فِي دَارِ غِبْطَةٍ
 دَفَعْنَا بِكَ الْأَيَّامَ حَتَّى إِذَا أَتَتْ
 فَلَمْ يَبْلُ ذِكْرٌ مِنْكَ كُنْتَ تُجِدُهُ
 وَمَا دَرَسَ الثُّوبُ الَّذِي زَوَّدُوكَهُ
 وَطَابَ ثَرَى أَصْبَحَتْ فِيهِ وَإِنَّمَا
 ٦٥ أَنشَدَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلْقَمَةَ يَرَى أَخَاهُ شَرِيكًا :

لَقَدْ وَارَى الْمُقَابِرُ مِنْ شَرِيكِ
 بِهِ كُنَّا نَصُولُ عَلَى الْأَعَادِي
 صَمُوتٌ فِي الْمَجَالِسِ غَيْرُ عِي
 كَرِيمٍ الْخَلْقُ لَا طَبِيعَ غَيْبٍ
 كَرِيمٍ مَوَاطِنِ الْأَحْسَابِ عَفُ
 دَلُوفٌ بِالْقَرَى وَاللَّيْلِ قَرُ
 ٦٦ وَقَالَ الْأَبِيدُ بْنُ أَبِي رُبَيْعٍ يَرَى أَخَاهُ بَرِيدًا وَتُرْوَى إِسْلَمَةَ الْجَمْعِيُّ :

كثيرَ تَكْرُمٍ وَقَلِيلَ عَابِ
 وَنَدَفَعُ مَرَّةَ الْقَوْمِ الْفَضَابِ
 جَدِيدٍ حِينَ يَنْطِقُ بِالصَّوَابِ
 وَلَا فَحَّاشَةٌ تَرْقُ السَّبَابِ
 إِذَا الضَّلِيلُ مَالَ بِهِ التَّصَابِي
 إِلَى الْمَسْتَسْتِينَ ذُرَى الرِّكَابِ

أَقُولُ لِنَفْسِي فِي الْخَلَاءِ أَلُوْمَهَا
 أَمَا تَعْلَمِينَ أَخْبِرَ أَنْ لَسْتُ لَاقِيَا
 فَتَى كَانَ يَدِينِيهِ الْغَنَى مِنْ صَدِيقِهِ
 فَتَى كَانَ يُعْطِي السَّيْفَ فِي الْحَرْبِ حَمَّةُ
 وَسَخَى بِنَفْسِي أَنِّي سَوْفَ أَعْدِي
 ٦٧ وَقَالَ أَيضًا فِيهِ :

تَطَاوَلَ لِي لَمْ أَنَّهُ تَقَلَّبَا
 فَإِنْ تَكُنِ الْأَيَّامُ فَرَقْنَ بَيْنَنَا
 أَحَقًّا عِبَادَ اللَّهِ أَنْ لَسْتُ لَاقِيَا
 فَتَى إِنْ هُوَ اسْتَعْنَى يُخْرِقُ فِي الْغَنَى
 فَلَيْتَكَ كُنْتَ الْحَيَّ فِي النَّاسِ بَاقِيَا
 فَتَى يَشْتَرِي حُسْنَ الثَّنَاءِ بِمَالِهِ
 كَأَنَّ لَمْ يُصَاحِبْنَا بِرَيْدٍ بَغِيظَةٍ
 وَمَا نَعَى النَّاعِي بِرَيْدَا تَعَوَّلَتْ
 عَسَاكَ تَعْنَى النَّفْسِ حَتَّى كَانِي
 إِلَى اللَّهِ أَشْكُو فِي بَرِيدٍ مُصِيبَتِي
 ٦٨ قَالَتْ الْخُنْسَاءُ تَرَى أَخَاهَا صَخْرًا :

قَدَى بَيْنِكَ أُمَّ بِالْعَيْنِ عَوَارُ
 كَانَ عَيْنِي لِذِكْرَاهُ إِذَا خَطَرَتْ
 أَمْ أَقْفَرَتْ إِذْخَلَتْ مِنْ أَهْلِهَا الدَّارُ
 فَيَضُ يَسِيلُ عَلَى الْحَدَيْنِ مِدْرَارُ

تَبْكِي خُنَّاسٌ عَلَى صَخْرٍ وَحَقَّ لَهَا
 لَا بَدَمٍ مَيْتَةٍ فِي صَرْفِهَا غَيْرُ
 يَا صَخْرُ وَاوْرِدْ مَاءَ قَدْ تَوَارَدَهُ
 وَإِنَّ صَخْرًا حَلَامِينَا وَسَيِّدَنَا
 وَإِنَّ صَخْرًا لَتَأْتُمُّ الْهُدَاةُ بِهِ
 لَمْ تَرَهُ جَارَةً يَمْشِي بِسَاحَتِهَا
 مِثْلُ الرُّدَيْنِيِّ لَمْ تَقْدَمْ شَيْئَتَهُ
 طَلَقُ الْيَدَيْنِ بِفِعْلِ الْحَيْرِ مُعْتَمِدُ
 ٦٩ وَقَالَتْ أَيْضًا:

يُذَكِّرُنِي طُلُوعُ الشَّمْسِ صَخْرًا
 وَلَوْلَا كَثْرَةُ الْبَاكِينَ حَوْلِي
 وَمَا يَبْكُونَ مِثْلَ أَخِي وَلَكِنْ
 وَأَذْكُرُهُ لِكُلِّ غُرُوبِ شَمْسٍ
 عَلَى إِخْوَانِهِمْ لَقَتَلْتُ نَفْسِي
 أَعْزَى النَّفْسِ عَنْهُ بِالتَّاسِي

٧٠ قَالَ الْمُتَمِّمُ بَرِّي أَخَاهُ مَا لِكَا:

أَعْيَنِي جُودِي بِالذَّمُوعِ لِمَالِكٍ
 فَتَى كَانَ مَقْدَامًا إِلَى الرَّوْعِ رَكُضُهُ
 أَبِي الصَّبْرِ آيَاتُ أَرَاهَا وَإِنِّي
 وَإِنِّي مَتَى مَا أَدْعُ بِاسْمِكَ لَا تُجِبُ
 سَقَى اللَّهُ أَرْضًا حَاهَا قَبْرُ مَالِكٍ
 فَإِنْ تَكُنِ الْأَيَّامُ قَرَقَنَ بَيْنَنَا
 إِذَا ذَرَّتِ الرِّيحُ الْكَنِيفَ الْمَرْبَعَا
 سَرِيعًا إِلَى الدَّاعِي إِذَا هُوَ أَفْرَعَا
 أَرَى كُلَّ حَبْلٍ دُونَ حَبْلِكَ أَقْطَعَا
 وَكُنْتَ جَدِيرًا أَنْ تُجِيبَ وَتُسْمِعَا
 ذَهَابَ الْغَوَادِي الْمُدْجَنَاتِ فَأَمْرَعَا
 فَقَدْ بَانَ مُحَمَّدًا أَخِي يَوْمَ وَدَعَا

وَعَشْنَا بَحِيرَ فِي الْحَيَاةِ وَقَبَلْنَا أَصَابَ الْمَنَايَا رَهْطَ كِسْرَى وَتَبَا
فَتَى كَانَ أَحْيَا مِنْ فَتَاةٍ حَيَّةٍ وَأَشْجَعَ مِنْ لَيْثٍ إِذَا مَا تَمَّنَّا
تَقُولُ ابْنَةُ الْعَمْرِيِّ مَالِكٌ بَعْدَمَا أَرَاكَ قَدِيمًا نَاعِمَ الْوَجْهِ أَفْرَعَا
فَقُلْتُ لَهَا طُولُ الْأَسَاءَةِ سَاءَ بِي وَلَوْعَةُ حُزْنٍ تَتْرُكُ الْوَجْهَ أَسْفَعَا
٧١ قَالَ زُهَيْرٌ بِنْتُ بَعْضَ مَنْ يَعْزُ عَلَيْهِ :

أَرَاكَ هَجْرَتِي هَجْرًا طَوِيلًا وَمَا عَوَّدْتِي مِنْ قَبْلِ ذَاكَ
عَهْدُكَ لَا تَطِيقُ الصَّبْرَ عَنِّي وَتَعْصِي فِي وَدَادِي مَنْ نَهَاكَ
فَكَيْفَ تَغَيَّرْتَ تِلْكَ السَّجَايَا وَمَنْ هَذَا الَّذِي عَنِّي تَنَاكَ
فَلَا وَاللَّهِ مَا حَاوَلْتُ غَدْرًا فَكُلُّ النَّاسِ يَغْدُرُ مَا خَلَاكَ
وَمَا فَارَقْتَنِي طَوْعًا وَلَكِنَّ دَهَاكَ مِنَ الْمَنِيَةِ مَا دَهَاكَ
فِيَا مَنْ غَابَ عَنِّي وَهُوَ رُوحي وَكَيْفَ أَطِيقُ مِنْ رُوحي أَنْفَكَ
وَلَيْتَكَ لَوْ بَقِيتَ لِضَعْفِ حَالِي وَكَانَ النَّاسُ كُلُّهُمْ فِدَاكَ
يَعْزُ عَلَيَّ حِينَ أُدِرُّ عَيْنِي أَفْتَسُّ فِي مَكَانِكَ لَا أَرَاكَ
خَمْتُ عَلَى وَدَادِكَ فِي ضَمِيرِي وَلَيْسَ بَدَالُ مَحْتُومًا هُنَاكَ
لَقَدْ عَجَلْتُ عَلَيْكَ يَدَ الْمَنَايَا وَمَا اسْتَوْقَيْتَ حَظَّكَ مِنْ صَبَاكَ
فَوَا أَسْفِي لِحْسَمِكَ كَيْفَ يَبْلِي وَيَذْهَبُ بَعْدَ بَهْجَتِهِ سَنَاكَ
وَمَا لِي أَدْعِي أَنِّي وَفِي وَلَسْتُ مُشَارِكًا لَكَ فِي بِلَاكَ
تُوتُ وَمَا أَمُوتُ عَلَيْكَ حُزْنَا وَحَقَّ هَوَاكَ خُنْتُكَ فِي هَوَاكَ
وَيَا تَحْجَلِي إِذَا قَالُوا مُحِبُّ وَلَمْ أَنْفَعَكَ فِي خَطْبِ آتَاكَ

أَرَى الْبَاكِينَ فِيكَ مَعِيَ كَثِيرًا
 وَيَا مَنْ قَدْ نَوَى سَفْرًا بَعِيدًا
 جَزَاكَ اللَّهُ عَنِّي كُلَّ خَيْرٍ
 وَأَعْلَمُ أَنَّهُ عَنِّي جَزَاكَ
 فَيَا قَبْرَ الْحَبِيبِ وَدِدْتُ أَنِّي
 حَمَلْتُ وَلَوْ عَلَى عَيْنِي ثَرَاكَ
 سَقَاكَ الْغَيْثُ تَهْتَانًا وَإِلَّا
 فَحَسْبُكَ مِن دُمُوعِي مَا سَقَاكَ
 وَلَا زَالَ السَّلَامُ عَلَيْكَ مِنِّي
 يُزْفُ عَلَى النَّسِيمِ إِلَى ذَرَاكَ
 ٧٢ قَالَ أَبُو سَعِيدٍ مِنْ رِثَاءِ فِي بَنِي أُمَيَّةَ:

بَكَيْتُ وَمَاذَا يَرُدُّ الْبُكَاءُ
 وَقَلَّ الْبُكَاءُ لِقَتْلِي كُدًّا
 أُصِيبُوا مَعًا فَتَوَلَّوْا مَعًا
 كَذَلِكَ كَانُوا مَعًا فِي رَجَا
 بَكَتْ لَهُمُ الْأَرْضُ مِنْ بَعْدِهِمْ
 وَنَاخَتْ عَلَيْهِمْ نُجُومُ السَّمَاءِ
 وَكَانُوا ضِيَاءِي فَلَمَّا انْقَضَى
 زَمَانِي بِقَوْمِي تَوَلَّى الضِّيَاءِ
 ٧٣ وَقَالَ فِيهِمْ أَيْضًا وَتَرَوِي هَذِهِ الْأَيَّاتُ لِلْعَمَائِي:

أَفَاضَ الْمُدَامِعَ قَتْلِي كُدًّا
 وَقَتْلِي بِكُشُوعَةٍ لَمْ تَرْمَسِ
 وَقَتْلِي بِوَجِّهِ وَبِاللَّابِتِينَ
 يَثْرِبُ هُمْ خَيْرٌ مَا أَنفَسِ
 وَبِالزَّائِبِينَ نَفُوسُ تَوْتٍ
 وَأُخْرَى بِبَهْرِ أَبِي فُطْرُسِ
 أَوْلِيكَ قَوْمٌ أَنَاخَتْ بِهِمْ
 نَوَائِبُ مِنْ زَمَنِ مُتَعَسِ
 إِذَا رَكِبُوا زَيْنُوا الرَّاكِبِينَ
 وَإِنْ جَلَسُوا زِينَةُ الْجَلِيسِ
 هُمْ أَضْرَعُونِي لِرَبِّ الزَّمَانِ
 وَهُمْ الصَّمُورُ الرَّغْمُ بِالْمَغْطَسِ
 فَمَا أَنَسَ لَا أَنَسَ قَتْلَاهُمْ
 وَلَا عَاشَ بَعْدَهُمْ مِنْ نَسِي

٧٤ كَانَ لِابْنِ عَمَّارِ ابْنِ يُقَالَ لَهُ مَعْنُ فَمَاتَ فَقَالَ يَرِيهِ :

يَا مَوْتُ مَالِكَ مُوَلَعًا بِضَرَارِي إِيَّيْكَ وَإِنْ صَبَرْتُ لَزَارِي
تَعْدُو عَلَيَّ كَمَا نَبِي لَكَ وَإِزُّ وَأَوَّلُ مِنْكَ كَمَا يُوَلُّ فِرَارِي
نَفْسُ الْبَعِيدِ إِذَا أَرَدَتْ قَرِيْبَةً لَيْسَتْ بِنَاجِيَةٍ مَعَ الْأَقْدَارِ
وَالْمُرْسُوفِ وَإِنْ تَطَاوَلَ عَمْرُهُ يَوْمًا يَصِيرُ لِحِفْرَةِ الْحَفَارِ
لَمَّا عَلَا عَظْمِي بِهِ فَكَأَنَّهُ مِنْ حُسْنِ بَيْتِي قَضِيبُ نُضَارِ
فَجَعَلْتَنِي بِأَعْزَى أَهْلِي كُلِّهِمْ تَعْدُو عَلَيْهِ عِدْوَةٌ الْجَبَّارِ
هَلَّا بِنَفْسِي أَوْ بِبَعْضِ قَرَابَتِي أَوْقَعْتَ أَوْ مَا كُنْتَ بِالْخِتَارِ
وَرَكَّتْ رَبِّيَ إِلَيَّ مِنْ أَجْلِهَا عَفْتُ الْجِهَادَ وَصِرْتُ فِي الْأَمْصَارِ

٧٥ قَالَتْ هِنْدُ بِنْتُ عُتْبَةَ تَرِي أَبَاهَا وَأَخْوِيهَا :

مَنْ حُسْنٌ لِي الْأَخْوِينَ كَالْمُغْنَيْنِ أَوْ مَنْ رَاهَا
قَرْمَانَ لَا يَنْظُمُ لَهَا وَلَا يُرَامُ جِهَاهَا
وَيَلِي عَلَى أَبِي وَالْقَبْرِ الَّذِي وَارَاهَا
لَا مِثْلَ كَهْلِي فِي الْكُهُولِ وَلَا فَتَى كَفْتَاهَا

٧٦ قَالَ أَعْرَابِي يَرِي ابْنَهُ وَكَانَ وَقَعَ صَرِيحًا فِي الْحَرْبِ :

حُسَيْنٌ لَا خَيْرَ فِي الدُّنْيَا وَمَنْ فِيهَا إِذْ أَنْتَ خَلَيْتَهَا فِي مَنْ يُخَالِفَهَا
نَعَى النُّعَاةَ حُسَيْنًا لِي فَقُلْتُ لَهُمْ مَا لَتِ بِنَا الْأَرْضُ أَوْ زَالَتْ رَوَاسِيهَا
الْحَزْمُ وَاللَّزْمُ كَمَا نَامِنْ صَنِيعَتِهِ مَا كُلُّ الْآيَةِ يَا قَوْمُ أَحْصِيهَا
رَوِي الرِّمَاحَ بِأَيْدِينَا فَنُورِدُهَا بِيضًا وَنُصَدِرُهَا حُمْرًا أَعَالِيهَا

لَيْتَ السَّمَاءَ عَلَى مَنْ تَحْتَهَا وَقَعَتْ وَأَنْشَقَّتِ الْأَرْضُ فَأُنْجَبَتْ بِمَنْ فِيهَا
لَا أَصْلَحَ اللَّهُ مِنَّا مَنْ يُصَالِحُكُمْ مَا لَاحَتْ الشَّمْسُ فِي أَعْلَى مَجَارِيهَا

رثاء مشاهير العرب

٧٧ قَالَ الْحُسَيْنُ بْنُ مُطَيْرِ الْأَسَدِيِّ فِي مَعْنِ بْنِ زَائِدَةَ :

أَلِمَّا عَلَى مَعْنٍ وَقَوْلًا لِقَبْرِهِ سَقَمَكَ الْفَوَادِي مَرَبَعًا ثُمَّ مَرَبَعًا
فِيَا قَبْرَ مَعْنٍ أَنْتَ أَوْلُ حُفْرَةٍ مِنْ الْأَرْضِ خُطَّتِ لِلسَّمَاحَةِ مَضْجَعًا
وَيَا قَبْرَ مَعْنٍ كَيْفَ وَارَيْتَ جُودَهُ وَقَدْ كَانَ مِنْهُ الْبِرُّ وَالْبَجْرُ مَرْتَعًا
بَلَى قَدْ وَسِعَتْ الْجُودُ وَالْجُودِيَّةُ وَلَوْ كَانَ حَيًّا ضِفَّتْ حَتَّى تَصَدَّعًا
فَتِي عَيْشٍ فِي مَعْرُوفِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ كَمَا كَانَ بَعْدَ السَّيْلِ مَجْرَاهُ مَرْتَعًا
وَلَمَّا مَضَى مَعْنٌ مَضَى الْجُودُ فَانْقَضَى وَأَصْبَحَ عِرْنِينَ الْمَكَارِمِ أَجْدَعًا

٧٨ قَالَ ثَابِتُ بْنُ هَارُونَ الرَّقِيُّ النَّصْرَانِيُّ يَزِي أبا الطَّيِّبِ الْمَتَّبِعِيَّ:
النَّهْرُ أَخْبْتُ وَاللَّيَالِي أَنْكَدُ مِنْ أَنْ تَعِيشَ لِأَهْلِهَا يَا أَحْمَدُ
قَصَدْتُكَ لَمَّا أَنْ رَأَيْتُكَ نَفَيْسَهَا بُحْلًا يَمِثُّكَ وَالنَّفَائِسُ تُقْصَدُ
ذُقْتَ الْكُرَيْهَةَ بَغْتَةً وَقَعْدَتَهَا وَكَرِهَهُ فَعَدَّكَ فِي الْوَرَى لَا يُفْقَدُ
قُلْ لِي إِنْ أَسْطَعْتَ الْخُطَابَ فَإِنِّي صَبَّ الْفَوَادِ إِلَى خِطَابِكَ مُكْمَدُ
أَتْرَكَتْ بَعْدَكَ شَاعِرًا وَاللَّهُ لَا لَمْ يَبْقَ بَعْدَكَ فِي الْوَرَى مَنْ يُشَدُّ
أَمَّا الْعُلُومُ فَإِنَّمَا يَا رَبِّهَا تَبْكِي عَلَيْكَ بِأَدْمَعٍ لَا تُجْمَدُ
٧٩ وَرثاه أيضا أبو القاسم المظفر بن علي الكاتب:

لَا رَعَى اللَّهُ سِرْبَ هَذَا الزَّمَانِ إِذْ دَهَانَا فِي مِثْلِ ذَلِكَ اللِّسَانِ

مَا رَأَى النَّاسُ ثَانِي الْمُتَيِّبِي أَيُّ ثَانٍ يُرَى لِيَكْرَ الزَّمَانِ
 تَكَانَ مِنْ نَفْسِهِ الْكَبِيرَةِ فِي جَيْشٍ وَفِي كِبْرِيَاءِ ذِي سُلْطَانِ
 كَانَ فِي لَفْظِهِ نَبِيًّا وَلَكِنْ ظَهَرَتْ مُعْجَزَاتُهُ فِي الْمَعَانِي
 ٥٨٠ لِأَيِّ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْعَطْوِيِّ مِنَ الْمُرْقُصِ فِي رِثَاءِ ابْنِ أَبِي دُوَادٍ:
 وَلَيْسَ صَرِيحُ النَّعْشِ مَا سَمِعُونَهُ وَلَكِنَّهُ أَصْلَابُ قَوْمٍ تَقْصَفُ
 وَلَيْسَ فَيْقُ الْمِسْكِ مَا مَجِدُونَهُ وَلَكِنَّهُ ذَلِكَ الثَّنَاءُ الْعُخْلَفُ
 وَقَالَ غَيْرُهُ فِيهِ:

أَلْيَوْمَ مَاتَ نِظَامُ الْمُلْكِ وَاللَّسَنِ وَمَاتَ مَنْ كَانَ يُسْتَعْدَى عَلَى الزَّيْمَنِ
 وَأَظْلَمَتْ سُبُلُ الْأَدَابِ وَأَحْتَجَبَتْ سَمْسُ الْمَكَارِمِ فِي عَيْمٍ مِنَ الْكُفَنِ
 ٨١ قَالَ جَرِيْدُ بَرِّيِّ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ:

يَا عَيْنَ جُودِي بِدَمْعِ هَاجِهِ الذِّكْرُ فَمَا لِدَمْعِكَ بَعْدَ الْيَوْمِ مُدْخَرُ
 إِنَّ الْخَلِيفَةَ قَدْ وَارَى شِمَائِلَهُ غَيْرَاءَ مَلْحُودَةٍ فِي جُوهَلَا زُورُ
 أَمْسَى يَنُوهُ وَقَدْ جَلَّتْ مُصِيبَتُهُ مِثْلَ الشُّجُومِ هَوَى مِنْ بَيْنِهَا الْقَمَرُ
 كَانُوا شُهُودًا فَلَمْ يَدْفَعْ مِنْبِتَهُ عَبْدُ الْعَزِيزِ وَلَا رُوحُ وَلَا عُمَرُ
 وَخَالِدٌ لَوْ أَرَادَ الدَّهْرُ فِدَيْتَهُ أَعْلَوْا مَخَاطِرَةَ لَوْ يَنْفَعُ الْخَطَرُ
 قَدْ شَفَّنِي رَوْعَةُ الْعَبَّاسِ مِنْ فِرْعَ لَمَّا آتَاهُ بِدَيْرِ الْقَسَطَلِ الْخَبْرُ
 ٨٢ قَالَ الشُّبْرَاوِيُّ بَرِّيِّ الْعَلَّامَةِ الْعَبَّادِيِّ:

يَا طَالِبَا رَاحَةٍ مِنْ دَهْرِهِ عَبَّأَا أَقْصَرَ فَمَا الدَّهْرُ إِلَّا بِالْمُومِ مُلِي
 كَمْ مَنْظَرٍ رَأَيْتُ أَفْتَتَ جَمَالَتَهُ يَدُ الْمُنُونِ وَأَعَيْتَهُ عَنِ الْحِيلِ

وَكَمْ هَمَامٍ وَكَمْ قَرَمٍ وَكَمْ مَلَكٍ
 وَكَمْ إِمَامٍ إِلَيْهِ تَنْتَهِي دَوْلُ
 وَكَمْ عَزِيزٍ أَذَلَّتْهُ الْمُنُونُ وَمَا
 يَا عَارِفًا دَهْرَهُ يَكْفِيكَ مَعْرِفَةً
 هَلْ فِي زَمَانِكَ أَوْ مِنْ قَبْلِهِ سَمِعْتُ
 وَهَلْ رَأَيْتَ أَنَسًا قَدْ عَلَا وَعَلُوا
 أَوْ هَلْ نَسِيتَ لِدَوَائِلِ الْمَوْتِ أَوْ عَمِيتَ
 وَهَلْ رَعَى الْمَوْتَ ذَا عِزٍّ لِعِزَّتِهِ
 أَمُوتَ بَابٌ وَكُلُّ النَّاسِ دَاخِلُهُ
 وَإِنِّي قَمَدُ إِمَامٍ عَالِمٍ عَالِمٍ
 وَإِنِّي مَوْتُ الَّذِي مَاتَ لَهُ أُمَّمٌ
 لِأَجْلِ ذَا طَالَ مَتَا النُّوحُ وَانْحَدَرَتْ
 عَلَى إِمَامٍ هَمَامٍ فَاضِلٍ فَطِنٍ
 لَهُ يَدٌ وَرَدَتْ بِحَرِّ الْهَدَى وَرَوَتْ
 وَكَمْ لَهُ مِنْ تَأْلِيفٍ بِجَوْهَرِهَا
 ٨٣ قَالَ الْبَيْرُيْدِيُّ بْنُ مُغِيرَةَ الْمَقْرِيُّ بِرِّي الْكَيْسَاءِيُّ وَ مُحَمَّدَ بْنَ
 الْحَسَنِ وَكَانَا قَدْ خَرَجَا مَعَ الرَّشِيدِ إِلَى خِرَاسَانَ فَمَا تَأَنَّى الطَّرِيقَ :
 تَصَرَّمَتِ الدُّنْيَا فَلَيْسَ حُلُودٌ وَمَا قَدْ تَرَى مِنْ بَهْجَةِ سَيِّدِ
 سَيِّفِيكَ مَا أَفْنَى الْفُرُونَ الَّتِي حَلَّتْ فَكُنْ مُسْتَعِدًّا فَالْتَفَاءُ عَتِيدٌ

أَسَيْتُ عَلَى قَاضِي الْقَضَاةِ مُحَمَّدٍ فَأَذْرَيْتُ دَمْعِي وَالْفَوَادِ عَمِيدُ
 وَقُلْتُ إِذَا مَا الْخَطْبُ أَشْكَلَ مِنْ لَنَا بِإِيضَاحِهِ يَوْمًا وَأَنْتَ قَفِيدُ
 وَأَقْلَقْنِي مَوْتَ الْكَسَائِي بَعْدَهُ وَكَادَتْ يِي الْأَرْضُ الْقَضَاةَ تَمِيدُ
 وَأَذْهَلْنِي عَنْ كُلِّ عَيْشٍ وَلَذَّةٍ وَارَقَ عَيْنِي وَالْعُيُونُ هُجُودُ
 هُمَا عَالِمَانِ أَوْدِيَاً وَتَحْرَمَا وَمَا لُهُمَا فِي الْعَالَمِينَ نَدِيدُ
 فَحَزَنِي إِنْ تَخَطَّرَ عَلَى الْقَلْبِ خَطْرَةٌ بِذِكْرِهَا حَتَّى أَلَمَاتٍ جَدِيدُ

٨٤ قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي الْعَتَاهِيَةِ يَرِي الْأَصْمِعِي :

أَسَيْتُ لِقَفْدِ الْأَصْمِعِي لَقَدْ مَضَى حَمِيدًا لَهُ فِي كُلِّ صَالِحَةٍ سَهْمُ
 تَقَضَّتْ بِشَاشَاتِ الْجَالِسِ بَعْدَهُ وَوَدَعْنَا إِذْ وَدَعَ الْإِنْسُ وَالْعِلْمُ
 وَقَدْ كَانَ تَجْمُ الْعِلْمِ فِينَا حَيَاتَهُ فَلَمَّا أَنْقَضَتْ أَيَّامُهُ أَقْلَ التَّجْمِ
 ٨٥ قَالَ الْمُتَمِيدُ يَرِي أَحْمَدَ بْنَ طُولُونَ :

إِلَى اللَّهِ أَشْكُو أَسَى عَرَانِي كَوَقَعِ الْأَسْلُ
 عَلَى رَجُلٍ أَرْوَعَ يَرِي مِنْهُ فَضْلُ الْوَجَلِ
 شِهَابُ خَبَا وَقَدَهُ وَعَارِضُ غَيْثِ أَفْلِ
 شَكَتْ دَوْلَتِي فَقَدَهُ وَكَانَ يَزِينُ الدُّوَلِ

٨٦ قَالَ الشَّهَابُ الْمَنْصُورِي يَرِي الْإِمَامَ كَمَالَ الدِّينِ السُّيُوطِي :

مَاتَ الْكَمَالُ فَقَالُوا وَلِي الْحُجْبَى وَالْجَلَالُ
 قَالَعُيُونُ بُكَاءُ وَلِلدُّمُوعِ انْهِمَالُ
 وَفِي فَوَادِي حُزْنٍ وَلَوْعَةٍ لَا تَرَالُ

لِلَّهِ عِلْمٌ وَحِلْمٌ وَارْتَهُ تِلْكَ الرَّمَالُ
 بِكَيْ الرَّشَادِ عَلَيْهِ دَمَا وَسَرُّ الضَّلَالُ
 قَدْلَاحٍ فِي الْخَيْرِ تَقْصُ لَمَّا مَضَى وَاخْتِلَالُ
 وَكَيْفَ لَمْ تَرَ تَقْصَا وَقَدْ تَوَلَّى الْكَمَالُ
 عُلُومُهُ رَاسِحَاتُ تَرُولُ مِنْهَا الْحِبَالُ
 بِقَبْرِهِ الْعِلْمُ نَاوُ وَالْفَضْلُ وَالْإِفْضَالُ

٨٧ قَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ مَعْبُدٍ يَرْثِي يَحْيَى بْنَ مَعِينٍ:

لَقَدْ عَظَمْتَ فِي الْمُسْلِمِينَ رِزِيَةً غَدَاةَ نَعْيِ النَّاعُونَ يَحْيَى فَأَتَمَعُوا
 فَقَالُوا وَإِنَّا قَدْ دَفَنَاهُ فِي الثَّرَى فَكَأَدَ فُؤَادِي حَسْرَةً يَتَصَدَّعُ
 فَقُلْتُ وَلَمْ أَمْلِكْ لِعَيْنِي عَابِرَةً وَلَا خِزَعًا إِنَّا إِلَى اللَّهِ تَرْجِعُ
 أَلَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ عِظَمُ رِزِيَتِي يَحْيَى إِلَى مَنْ لَسْتَرِيحُ وَنَفْسُ
 وَمَنْ ذَا الَّذِي يُوتَى فَيَسْأَلُ بَعْدَهُ إِذَا لَمْ يَكُنْ لِلنَّاسِ فِي الْعِلْمِ مُنْتَفِعُ
 لَقَدْ كَانَ يَحْيَى فِي الْحَدِيثِ بَقِيَّةً مِنَ السَّلَفِ الْمَاضِينَ حِينَ تَقَشَعُوا
 فَلَمَّا مَضَى مَاتَ الْحَدِيثُ بِمَوْتِهِ وَأَدْرَجَ فِي أَكْفَانِهِ الْعِلْمُ أَجْمَعُ
 وَصِرْنَا حَيَارَى بَعْدَ يَحْيَى كَأَنَّا رَعِيَّةَ رَاعٍ بِهَمِّهِمْ فَتَصَدَّعُوا
 وَلَيْسَ يُنْفَعُ عَنْكَ دَمْعٌ سَخَّحَهُ وَلَكِنْ إِلَيْهِ يَسْتَرِيحُ الْمُفْتَحُ
 لَعَمْرُكَ مَا لِلنَّاسِ فِي الْمَوْتِ حِيلَةٌ وَلَا لِقَضَاءِ اللَّهِ فِي الْخَلْقِ مَدْفَعُ
 وَلَكِنَّمَا أَبْكَى عَلَى الْعِلْمِ إِذْ مَضَى فَمَا بَعْدَ يَحْيَى فِيهِ لِلنَّاسِ مَفْرَعُ
 فَقَدْ تَرَكَ الدُّنْيَا وَقَرَّ بِدِينِهِ إِلَى اللَّهِ حَتَّى مَاتَ وَهُوَ مَمْتَعُ

٨٨ قَالَ إِسْحَاقُ الْمَوْصِلِيُّ يُرِي أَبَاهُ إِبرَاهِيمَ الْمُغْتَبِيَّ :

أَقُولُ لَهُ لَمَّا وَقَفْتُ بِقَبْرِهِ عَلَيْكَ سَلَامٌ اللَّهُ يَا صَاحِبَ الْقَبْرِ
وَيَا قَبْرَ إِبرَاهِيمَ حَيْثُ حُفِرَ وَلَا زِلْتُ تُسْقَى الْغَيْثَ مِنْ سُبُلِ الْقَطْرِ
لَقَدْ عَزَّنِي وَجَدِي عَلَيْكَ فَلَمْ يَدْعُ لِقَلْبِي نَصِيبًا مِنْ عَزَاهُ وَلَا صَبْرٍ
وَقَدْ كُنْتُ أَبْكِي مِنْ فِرَاقِكَ لَيْلَةً فَكَيْفَ وَقَدْ صَارَ الْفِرَاقُ إِلَى الْجَشْرِ
٨٩ لَمَّا مَاتَ أَبُو إِسْحَاقَ الصَّابِي رَثَاهُ الشَّرِيفُ الرَّضِيُّ الْمَوْسَوِيُّ بِقَوْلِهِ :

أَعْلَمْتُ مَنْ حَمَلُوا عَلَى الْأَعْوَادِ أَرَأَيْتَ كَيْفَ خَبَأَ ضِيَاءَ النَّادِي
جَبَلٌ هَوَى لَوْحَرٍ فِي الْبَجْرِ اعْتَدَى مِنْ وَقَعِهِ مُتَتَابِعِ الْأَزْبَادِ
مَا كُنْتُ أَعْلَمُ قَبْلَ حَطِّكَ فِي الثَّرَى أَنَّ السُّرَى يَعْلُو عَلَى الْأَطْوَادِ
٩٠ قَالَ الشَّهَابُ الْمَنْصُورِيُّ يُرِي الْعَلَامَةَ نُجَيْي الدِّينِ الْكَافِيَّ :

بَكَتْ عَلَى الشَّيْخِ نُجَيْي الدِّينِ الْكَافِيَّ عِيُونَنَا بِدُمُوعٍ مِنْ دَمِ الْهَمِّ
كَانَتْ أَسَارِي هَذَا الدَّهْرِ مِنْ دُرِّ تَرَهَّى قَبْدِلَ ذَلِكَ الدَّرِّ بِالسَّجِّ
فَكَمْ نَفَى بِسَمَاحٍ مِنْ مَكَارِمِهِ فَقَرَأَ وَقَوْمَ بِالْإِعْطَاءِ مِنْ عِوَجِ
يَا نُورَ عِلْمٍ أَرَاهُ الْيَوْمَ مُنْطَفِئًا وَكَانَتْ النَّاسُ تُشْهِي مِنْهُ فِي سِرِّجِ
فَلَوْ رَأَيْتَ الْفِتَاوَى وَهِيَ بَاكِيَةٌ رَأَيْتَهَا مِنْ نُجَيْي الدَّمْعِ فِي لُجِّ
وَلَوْ سَرَّتْ بِنَاءَ عَنْهُ رِيحٌ صَبَا لَأَسْتَشْفُوا مِنْ سُدَّهَا أَطِيبَ الْأَرْجِ
يَا وَحْشَةَ الْعِلْمِ مِنْ فِيهِ إِذَا اعْتَرَكْتَ أَبْطَالُهُ فَتَوَارَتْ فِي دُجَى الرَّحْمِ
لَمْ يَلْعَنُوا شَأْوَ عِلْمٍ مِنْ خِصَائِهِ أَنَّى وَرَثْتَهُ فِي أَرْفَعِ الدَّرَجِ
قَدْ طَالَ مَا كَانَ يَفْرِيئًا وَيُفْرِيئًا فِي حَالَتِهِ بِوَجْهِ مِنْهُ مُبْتَهَجِ

سَمِيَّاهُ وَكَسَاهُ اللهُ نُورَ سَنَا مِنْ سُنْدُسٍ بِيَدِ الْغُرَّانِ مُنْسَجٍ

٩١ وَقَالَ أَيضًا بَرِّي الْحِجَازِيَّ أَبَا الطَّيِّبِ الْحَزْرَجِيَّ :

لَهْفَ قَلْبِي عَلَى أَفْوَالِ الشَّهَابِ نُخْفَةَ الْقَوْمِ زَهْمَةَ الْأَصْحَابِ

كَانَ فِي مَطْلَعِ الْبَلَاغَةِ يَسْرِي فَتَوَارَى مِنَ الثَّرَى بِمِجَابِ

فَقَدَّتْ بِهِ آيَاتِي الْمَعَانِي وَيَتَامَى جَوَاهِرِ الْأَدَابِ

هَطَلَتْ أَدْمُعُ السَّحَابِ عَلَيْهِ وَقَلِيلٌ فِيهِ دُمُوعُ السَّحَابِ

وَذَوُو الْجَمْعِ أَصْبَحُوا حِينِ وَلَّى كُلُّهُمْ جَامِعًا بِأَلَا مِخْرَابِ

يَا شَيْهًا بَاطِلُوعُهُ فِي سَمَا الْفَضْلِ مَ وَلَكِنْ أَفْوَلُهُ فِي الثَّرَابِ

لَكَ فِيهَا أَلَّتْ تَذَكُّرَةٌ مِنْ مَا أُنْتَقَى ذَرَّهُ أَوْلُو الْأَلْبَابِ

رَوْضَةٌ أُنْبَعَتْ بِفَاكِهِةٍ مِنْ حُسْنِ لَفْظٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابِ

فَسَقَى تَرْبَهَا الرَّبَابُ لِتَهْتَرَّ وَتَرْبُو عَلَى سَمَاعِ الرَّبَابِ

وَرَأَى كَسْرَهُ فَقَابَلَهُ اللهُ تَعَالَى بِأَجْبَرِ يَوْمِ الْحِسَابِ

٩٢ قَالَ عِمَادُ الْكَاتِبِ بَرِّي صَلَاحَ الدِّينِ :

تَمَلُّ الْهَدَى وَالْمَلِكِ عَمَّ شَتَانُهُ وَالنَّهْرُ سَاءَ وَأَقْلَمَتْ حَسَنَاتُهُ

بِاللهِ أَيْنَ النَّاصِرُ الْمَلِكُ الَّذِي لِلَّهِ خَالِصَةٌ صَفَتْ نِيَّاتُهُ

أَيْنَ الَّذِي مَا زَالَ سُلْطَانًا لَنَا يُرْجَى نَدَاهُ وَتُنْتَقَى سَطْوَاتُهُ

أَيْنَ الَّذِي شَرَفَ الزَّمَانَ بِفَضْلِهِ وَسَمَتْ عَلَى الْفَضْلَاءِ تَشْرِيفَاتُهُ

أَيْنَ الَّذِي عَنَتِ الْقَرْنَجُ لِأَبِيهِ ذَلًّا وَمِنْهَا أَدْرَكَتْ نَارَاتُهُ

أَغْلَالَ أَعْنَاقِ الْعِدَى أَسْيَافُهُ أَطَوَّقَ أَجْيَادِ النُّورَى حَسَنَاتُهُ

الباب الرابع
في الحسب

٩٣ قَالَ الْعَسْبَجِيُّ لِبَعْضِ أَصْحَابِ ابْنِ الْعَمِيدِ ذِي الْكِفَايَتَيْنِ :
كَيْفَ رَأَيْتَ الْوَزِيرَ . فَقَالَ : رَأَيْتُهُ يَا بَسَّ الْعُودِ ذَمِيمَ الْعُهُودِ سَيِّئَ
الظَّنِّ بِالْمَعْبُودِ . فَقَالَ الْعَسْبَجِيُّ : أَمَا رَأَيْتَ تِلْكَ الْأَيْهَةَ وَالصَّيْتَ
وَالْمَوَاكِبَ وَالْتَّجْمَلَ الظَّاهِرَ وَالذَّارَ الْجَلِيلَةَ وَالقَرَشَ السَّنِّيَّ وَالْحَاشِيَةَ
الْجَمِيلَةَ . فَقَالَ ذَلِكَ الرَّجُلُ : الدُّوْلَةُ غَيْرُ السُّوْدُدِ . وَالسَّاطِنَةُ غَيْرُ
الْكَرَمِ . وَالْحَظُّ غَيْرُ الْعَجْدِ . أَيْنَ الرُّوَارُ وَالْمَسْتَجْمُونَ . وَأَيْنَ الْأَمْلُونُ
وَالشَّاكِرُونَ . وَأَيْنَ الْوَاصِفُونَ الصَّادِقُونَ . وَأَيْنَ الْمُنْصَرِفُونَ
الرَّاضُونَ . وَأَيْنَ الْهَبَاتُ وَأَيْنَ التَّفَضُّلَاتُ وَأَيْنَ الْحِلْعُ وَالشَّرِيفَاتُ .
وَأَيْنَ الْهَدَايَا وَأَيْنَ الصِّيْفَاتُ . هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لَا تَجِيءُ الرِّئَاسَةُ
بِالْتَّرَهَاتِ . وَلَا يَحْصُلُ الشَّرَفُ بِالْحُرْعِيَّاتِ . أَمَا سَمِعْتَ قَوْلَ الشَّاعِرِ :

أَبَا جَعْفَرٍ لَيْسَ فَضْلُ الْقَتَى إِذَا رَاحَ فِي قَرَطٍ إِعْجَابِهِ
وَلَا فِي قِرَاعَةٍ يَرْدُؤُهُ وَلَا فِي مَالِحَةٍ أَثْوَابِهِ
وَلَكِنَّهُ فِي الْقَعَالِ الْجَمِيلِ وَالْكَرَمِ الْأَشْرَفِ النَّابِ

٩٤ إِجْتَمَعَ عَلِيُّ بْنُ الطَّرْبِ الْمَدَوَانِيُّ وَحَمَّةُ بْنُ رَافِعِ الدُّوسِيِّ عِنْدَ
مَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ حَمِيرٍ . فَقَالَ : لَا تَسْأَلَا حَتَّى أَسْمَعَ مَا تَقُولَانِ . فَقَالَ
عَالِمُ الْحَمَّةِ : أَيْنَ نَحْبُ أَنْ تَكُونَ أَيَادِيكَ . قَالَ : عِنْدَ ذِي الرُّتْبَةِ

الْعَدِيمِ وَعِنْدَ ذِي الْحُلَّةِ الْكَرِيمِ . وَالْمُعْسِرِ الْغَرِيمِ . وَالْمُسْتَضْعَفِ الْحَلِيمِ .
قَالَ : مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِالْمَتِّ . قَالَ : الْفَقِيرُ الْمُخْتَالُ . وَالضَّعِيفُ
الصَّوَالُ . وَالغَنِيُّ الْقَوَالُ . قَالَ : فَمَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِالْمَنْعِ . قَالَ : الْحَرِيصُ
الْكَانِدُ وَالْمُسْتَمِيدُ الْحَاسِدُ . وَالْمُخَافُ الْوَاجِدُ . قَالَ : مَنْ أَجْدَرُ النَّاسِ
بِالصَّيْمَةِ . قَالَ : مَنْ إِذَا أُعْطِيَ شَكَرَ . وَإِذَا مَنَعَ عَذَرَ . وَإِذَا مَطَّلَ
صَبَرَ . وَإِذَا قَدِمَ الْعَهْدُ ذَكَرَ . قَالَ : مَنْ أَكْرَمُ النَّاسِ عَشْرَةً . قَالَ : مَنْ
إِذَا قُرِبَ مَنَعَ . وَإِذَا ظَلِمَ صَفَحَ . وَإِنْ ضُويِقَ سَمِعَ . قَالَ : مَنْ أَلَامَ
النَّاسَ . قَالَ : مَنْ إِذَا سَأَلَ خَضَعَ . وَإِذَا سُئِلَ مَنَعَ . وَإِذَا مَلَكَ كَنَعَ .
ظَاهِرُهُ جَشَعَ . وَبَاطِنُهُ طَبِعَ . قَالَ : فَمَنْ أَجَلُّ النَّاسِ . قَالَ : مَنْ عَفَا إِذَا
قَدَرَ . وَأَجْمَلُ إِذَا انْتَصَرَ . وَلَمْ تُطْعِمِهِ عِزَّةَ الطَّيْرِ . قَالَ : فَمَنْ أَحْزَمُ النَّاسِ .
قَالَ : مَنْ أَخَذَ رِقَابَ الْأَسْوَدِ بِيَدَيْهِ . وَجَعَلَ الْعَوَاقِبَ نَضْبَ عَيْنَيْهِ .
وَنَبَذَ التَّهَبَ دُبُرَ أُذُنَيْهِ . قَالَ : فَمَنْ أَخْرَقَ النَّاسَ . قَالَ : مَنْ رَكِبَ
الْحِطَّارَ . وَأَعْسَفَ الْعِثَارَ . وَأَسْرَعَ فِي الْبِدَارِ قَبْلَ الْإِقْتِدَارِ . قَالَ : مَنْ
أَجْوَدُ النَّاسِ . قَالَ : مَنْ بَدَلَ الْمُجْهُودِ . وَلَمْ يَأْسَ عَلَى الْمَفْقُودِ . قَالَ : مَنْ
أَبْلَغُ النَّاسِ . قَالَ : مَنْ حَلَّى الْمَعْنَى الْمُرِيذَ بِاللَّفْظِ الْوَجِيزِ . وَطَبَّقَ الْمَفْصَلَ
قَبْلَ التَّخْرِيزِ . قَالَ : مَنْ أَنْعَمَ النَّاسُ عَيْشًا . قَالَ : مَنْ تَحَلَّى بِالْعَفَافِ
وَرَضِيَ بِالْكَفَافِ . وَتَجَاوَزَ مَا يَخَافُ إِلَى مَا لَا يَخَافُ . قَالَ : فَمَنْ أَشَقَى
النَّاسِ . قَالَ : مَنْ حَسَدَ عَلَى النِّعَمِ . وَسَخِطَ عَلَى الْقِسْمِ . وَأَسْتَشَعَرَ
النَّدَمَ عَلَى مَا نَحْتَمَ . قَالَ : مَنْ أَنْغَى النَّاسَ . قَالَ : مَنْ أَسْتَشَعَرَ

أَيَّاسَ . وَأَظْهَرَ التَّجْمُلَ لِلنَّاسِ وَأَسْتَكْتَرَّ قَلِيلَ النِّعَمِ . وَلَمْ يَمْنَحْ عَلَى
 الْقِسْمِ . قَالَ فَمَنْ أَحْكَمُ النَّاسِ . قَالَ : مَنْ صَمَتَ قَادِرًا . وَنَظَرَ فَاعْتَبَرَ
 وَوَعِظَ فَازْدَجَرَ . قَالَ : مَنْ أَجْهَلَ النَّاسِ . قَالَ : مَنْ رَأَى الْخُرْقَ
 مَغْنَمًا . وَالتَّجَاوَزَ مَغْرَمًا
 (لابن عبد ربه)

٩٥ قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ : أَعْجَبُ مَا فِي الْإِنْسَانِ قَلْبُهُ وَهُوَ مَوَادٌّ
 مِنَ الْحِكْمَةِ وَأَضْدَادٌ مِنْ خِلَافِهَا . فَإِنْ سَمِعَ لَهُ الرَّجَاءُ أَذَلَّهُ الطَّمَعُ .
 وَإِنْ هَاجَهُ الطَّمَعُ أَهْلَكَهُ الْحِرْصُ . وَإِنْ مَلَكَهُ الْيَأْسُ قَتَلَهُ الْأَسْفُ .
 وَإِنْ عَرَّضَ لَهُ الْغَضَبُ أَشَدَّ بِهِ الْغَيْظُ . وَإِنْ أَسْعَدَ بِالرِّضَا نَسِيَّ
 التَّحْفِظِ . وَإِنْ أَتَاهُ الْخَوْفُ شَغَلَهُ الْحَذَرُ . وَإِنْ اتَّسَعَ لَهُ الْأَمْنُ اسْتَلْبَثَتْهُ
 الْغَرَّةُ . وَإِنْ أَصَابَتْهُ مُصِيبَةٌ فَصَحَّحَتْهُ الْجُرْعُ . وَإِنْ اسْتَفَادَ مَا لَا أُطْعَاهُ
 الْغِنَى . وَإِنْ عَضَّتْهُ فَاقَةٌ بَلَغَ بِهِ الْبَلَاءُ . وَإِنْ جَهَدَ بِهِ الْجُوعُ قَعَدَ بِهِ
 الضَّمْفُ . وَإِنْ أَفْرَطَ فِي الشَّبَعِ كَطَّهَ الْبِطْنَةَ . فَكُلُّ تَقْصِيرٍ بِهِ مُضِرٌّ
 وَكُلُّ إِفْرَاطٍ لَهُ قَاتِلٌ

٩٦ نخبة من وصية ابن سعيد المغربي لابنه وقد اراد السفر

أَوْدِعَكَ الرَّحْمَانَ فِي غُرْبَتِكَ مُرْتَقِبًا رَحْمَاهُ فِي أَوْبَتِكَ
 فَلَا تُطِلْ حَبْلَ النَّوَى إِنِّي وَاللَّهِ أَشْتَاقُ إِلَى طَلْعَتِكَ
 وَأَخْتَصِرُ التَّوَدِيعَ أَخْذًا فَمَا لِي نَاطِرٌ يَتَوَى عَلَى فُرْقَتِكَ
 وَأَجْعَلَ وَصَاتِي نُصْبَ عَيْنٍ وَلَا يَبْرَحَ مَدَى الْأَيَّامِ مِنْ فِكْرَتِكَ
 خُلَاصَةُ الْعُمْرِ الَّتِي حُنِكَتْ فِي سَاعَةٍ زُفْتُ إِلَى فِطْنَتِكَ

فَلتَجَارِبِ أُمُورٍ إِذَا طَالَعَهَا تَشْحَدُ مِنْ غَفْلَتِكَ
 فَلَا تَمَّ عَنْ وَعِيهَا سَاعَةٌ فَإِنهَا عَوْنٌ إِلَى يَقْظَنِكَ
 وَكُلُّ مَا كَابَدْتَهُ فِي النَّوَى فَلَيْسَ يُدْرَى أَصْلُ ذِي غُرْبَةٍ
 وَأَمْسِ الْهُوَيْنَا مُظْهِرًا عَفَّةً وَإِنَّمَا تُعْرِفُ مِنْ شَيْتِكَ
 وَأَنْطِقْ بِحَيْثُ الْعِي مُسْتَفْهِجٌ وَأَنْبِ رِضَا الْأَعْيُنِ عَنْ هَيْبَتِكَ
 وَبِحَيْثُ بَكَرْتِكَ مِنْ بَابِهِ وَأَقْصِدْ لَهُ مَا عَشْتُ فِي بَكَرَتِكَ
 وَوَفِّ كَلًّا حَقَّهُ وَلْتَكُنْ تَكْسِرُ عِنْدَ الْفَخْرِ مِنْ حَدَّتِكَ
 وَحَيْثَمَا خَيْمَتْ فَأَقْصِدْ إِلَى صُحْبَةٍ مِنْ تَرْجُوهُ فِي نُصْرَتِكَ
 وَلِلرَّزَايَا وَتَبَّهُ مَا لَهَا إِلَّا الَّذِي تَذْخُرُ مِنْ عُدَّتِكَ
 وَلَا تَقُلْ أَسْلَمَ لِي وَحَدَّتِي فَقَدْ تُقَابِي الذَّلَّ فِي وَحَدَّتِكَ
 وَالْتَرِمِ الْأَحْوَالَ وَزَنَا وَلَا تَرْجِعْ إِلَى مَا قَامَ فِي شَهْوَتِكَ
 وَتَجْمَلِ الْعُقْلَ مَحْكًا وَخُذْ كَلًّا بِمَا يَظْهَرُ فِي نَقْدَتِكَ
 وَأَعْتَبِرِ النَّاسَ بِالْقَاطِظِهِمْ وَأَصْحَبِ أَخَا يَرْغَبُ فِي صُحْبَتِكَ
 كَمْ مِنْ صَدِيقٍ مُظْهِرٍ نَصْحَهُ وَفَكَرُهُ وَقَفَّ عَلَى عَثْرَتِكَ
 إِيَّاكَ أَنْ تَغْرِبَهُ إِنَّهُ عَوْنٌ مَعَ الدَّهْرِ عَلَى كُرْبَتِكَ
 وَأَنْتُمْ نَمُو النَّبْتِ قَدْ زَارَهُ غِبُّ النَّدَى وَأَسْمُ إِلَى قُدْرَتِكَ
 وَلَا تُضَيِّعْ زَمَانًا مُمْكِنًا تَذْكَارُهُ يُذَكِّي لَطْفِي حَسْرَتِكَ
 وَالشَّرُّ مَهْمَا اسْتَطَعْتَ لَا تَأْتِيهِ فَإِنَّهُ حَوِزٌّ عَلَى مُعْجَبَتِكَ

يَا بُنَيَّ الَّذِي لَا نَاصِحَ لَهُ مِثْلِي وَلَا مَنْصُوحَ لِي مِثْلُهُ . قَدْ قَدِمْتُ
لَكَ فِي هَذَا النِّظْمِ مَا إِنِ أَخْطَرْتَهُ بِخَاطِرِكَ فِي كُلِّ أَوَانٍ رَجَوْتُ لَكَ
حُسْنَ الْعَاقِبَةِ إِنِ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى . وَإِنِ أَخَفَّ مِنْهُ لِلْحِفْظِ وَأَعْلَقَ
بِالْفِكْرِ وَأَحَقَّ بِالتَّنَدُّمِ قَوْلُ الْأَوَّلِ :

بِزَيْنِ الْغَرِيبِ إِذَا مَا أُعْتَرِبَ ثَلَاثُ فَمِنْهُنَّ حُسْنُ الْأَدَبِ
وَالثَّانِيَةُ حُسْنُ أَخْلَاقِهِ وَالثَّلَاثَةُ اجْتِنَابُ الرِّيبِ
وَأَضَعُ يَا بُنَيَّ إِلَى الْيَتِّ الَّذِي هُوَ يَتِيمَةُ الدَّهْرِ وَسَأَمُ الْكَرَمِ وَالصَّبْرِ :
وَلَوْ أَنَّ أَوْطَانَ الدِّيَارِ بَنَتْ بِكُمْ لَسَكَنْتُمْ الْأَخْلَاقَ وَالْآدَابَ
إِذْ حُسْنُ الْخَلْقِ أَكْرَمُ زَيْلٍ . وَالْأَدَبُ أَزْجَبُ مَنَزَلٍ . وَلَتَكُنْ
كَمَا قَالَ بَعْضُهُمْ فِي أَدِيبٍ مُتَعَرِّبٍ : وَكَانَ كُلَّمَا طَرَأَ عَلَى مَلِكٍ
فَكَانَتْ مَعَهُ وَلَدٌ وَإِلَيْهِ قَصْدٌ . غَيْرُ مُسْتَرِيبٍ بِدَهْرِهِ . وَلَا مُنْكَرٍ شَيْئًا
مِنْ أَمْرِهِ . وَإِذَا دَعَاكَ قَلْبُكَ إِلَى صُحْبَةِ مَنْ أَخَذَ بِجَمَاعِ هَوَاهُ فَاجْعَلِ
التَّكْلِيفَ لَهُ سَلْمًا وَهَبْ فِي رَوْضِ أَخْلَاقِهِ هُبُوبَ النَّسِيمِ . وَحُلَّ بِطَرْفِهِ
حُلُولُ الْوَسَنِ وَأَنْزِلْ بِقَلْبِهِ زَوْلَ الْمَسْرَةِ حَتَّى يَتِمَّكَ لَكَ وَدَادُهُ .
وَيُخْلِصَ فِيكَ أَعْتَادُهُ . وَطَهِّرْ مِنَ الْوُقُوعِ فِيهِ لِسَانَكَ . وَأَغْلِقْ تَمَعَكَ
وَلَا تُرَخِّصْ فِي جَانِبِهِ لِحْسُودِ لَكَ مِنْهُ يُرِيدُ ابْعَادَكَ عَنْهُ لِيَنْفَعْتَهُ . أَوْ
حَسُودٍ لَهُ يَنَارُ لِحِمْلِهِ بِصُحْبَتِكَ . وَمَعَ هَذَا فَلَا تَتَرَبَّطْ بِطُولِ صُحْبَتِهِ وَلَا
تَتَمَهَّدْ بِدَوَامِ رِقْدَتِهِ . فَقَدْ يَنْبَغِيهِ الزَّمَانُ . وَيَتَغَيَّرُ مِنْهُ الْقَلْبُ وَاللِّسَانُ .
وَإِنَّمَا الْعَاقِلُ مَنْ جَعَلَ عَمَلَهُ مَعْيَارًا وَكَانَ كَالْمِرْآةِ يَلْقَى كُلَّ وَجْهِ بِمِثَالِهِ

وَفِي أَمْثَالِ الْعَامَّةِ : مَنْ سَبَقَكَ يَوْمَ فَمَدَّ سَبَقَكَ بِعَقْلِ . فَأَحْتَدِ
بِأَمْثَلِهِ مِنْ جَرَبٍ . وَاسْتَمِعْ إِلَى مَا خَلَدَ الْمَأْمُونُونَ بَعْدَ جُهْدِهِمْ وَتَعْيِهِمْ مِنْ
الْأَقْوَالِ . فَإِنَّهَا خُلَاصَةٌ عُمْرِهِمْ وَزُبْدَةُ تَجَارِبِهِمْ . وَلَا تَتَكَلَّمْ عَلَى
عَقْلِكَ فَإِنَّ النَّظَرَ فِي مَا تَعْبُ فِيهِ النَّاسُ طُولُ أَعْمَارِهِمْ وَأَبْتَاغُوهُ غَالِيًا
بِتَجَارِبِهِمْ يُرَبِّحُكَ وَيَقَعُ عَلَيْكَ رَخِيصًا . وَإِنْ رَأَيْتَ مِنْ لَهْ عَقْلٍ وَمَرْوَةٍ
وَتَجَرِبَةٍ فَاسْتَعْمِدْ مِنْهُ وَلَا تَضِعْ قَوْلَهُ وَلَا فِعْلَهُ . فَإِنَّ فِي مَا تَلْقَاهُ تَلَقِيحًا
لِعَقْلِكَ وَحَثًّا لَكَ وَاهْتِدَاءً . وَلَيْسَ كُلُّ مَا تَسْمَعُ مِنْ أَقْوَالِ الشُّعْرَاءِ يَحْسَنُ
بِكَ أَنْ تَتَّبِعَهُ حَتَّى تَتَدَبَّرَهُ . فَإِنْ كَانَ مُوَافِقًا لِعَقْلِكَ مُصْلِحًا لِحَالِكَ
فَرَأَى ذَلِكَ عِنْدَكَ وَإِلَّا فَانْزِدْهُ نَبْذَ النَّوَاةِ . فَلَيْسَ لِكُلِّ أَحَدٍ يَتَّبِعُ .
وَلَا كُلُّ شَخْصٍ يُكَلِّمُ . وَلَا الْجُودُ مِمَّا يُعْمُ بِهِ . وَلَا حُسْنُ الظَّنِّ وَطِيبُ
النَّفْسِ مِمَّا يُعَامَلُ بِهِ كُلُّ أَحَدٍ . وَلِلَّهِ دَرُّ الْقَائِلِ :

وَمَا لِي لَا أُوْفِي الْبَرِيَّةَ قِسْطَهَا عَلَى قَدَرِ مَا يُعْطِي وَعَقْلِي مِيزَانَ
وَأَيَّاكَ أَنْ تُعْطِيَ مِنْ نَفْسِكَ إِلَّا بِقَدَرٍ . فَلَا تُعَامِلِ الدُّونَ بِمُعَامَلَةِ
الْكُفُوِّ وَلَا الْكُفُوِّ بِمُعَامَلَةِ الْأَعْلَى . وَلَا تَضِعْ عُمْرَكَ فِي مَنْ يُعَامِلُكَ
بِالطَّمَاعِ وَيُشِيبُكَ عَلَى مُصْلِحَةٍ حَاضِرَةٍ عَاجِلَةٍ بِغَائِبَةِ آجَلَةٍ . وَلَا تَحْفُفْ
النَّاسَ بِالْجَمَلَةِ وَلَكِنْ يَكُونُ ذَلِكَ بِحَيْثُ لَا يَلْحَقُ مِنْهُ مَلَلٌ وَلَا سَجَرٌ وَلَا
جَفَاءٌ . فَمَتَى فَارَقْتَ أَحَدًا فَعَلَى حُسْنِي فِي الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي
هَلْ أَنْتَ رَاجِعٌ إِلَيْهِ فَلِذَلِكَ قَالَ الْأَوَّلُ : وَمَا مَضَى سَلْمٌ بِكَيْتٍ
عَلَى سَلْمٍ . وَأَيَّاكَ وَالْبَيْتَ السَّائِرَ :

وَكُنْتَ إِذَا حَلَلْتَ بَدَارَ قَوْمٍ رَحَلْتَ بِخِزْيَةٍ وَتَرَكْتَ عَارًا
 وَأَحْرَصَ عَلَى مَا جَمَعَ قَوْلُ الْقَائِلِ : ثَلَاثَةٌ تُبْنِي لَكَ الْوُدَّ فِي
 صَدْرِ أَخِيكَ . أَنْ تَبْدَأَهُ بِالسَّلَامِ وَتُوسِعَ لَهُ فِي الْمَجْلِسِ وَتَدْعُوهُ بِأَحَبِّ
 الْأَسْمَاءِ إِلَيْهِ . وَأَحْذَرُ كُلِّ مَا بَيْنَهُ لَكَ الْقَائِلُ : كُلُّ مَا تَفْرَسُهُ تُجْنِيهِ
 إِلَّا ابْنَ آدَمَ . فَإِذَا غَرَسْتَهُ يَقْلَمُكَ . وَقَوْلُ الْآخِرِ : ابْنُ آدَمَ ذُئِبٌ مَعَ
 الضَّعْفِ أَسَدٌ مَعَ الْقُوَّةِ . وَإِيَّاكَ أَنْ تُثَبَّتَ عَلَى صُحْبَةِ أَحَدٍ قَبْلَ أَنْ
 تُطِيلَ اخْتِبَارَهُ . (وَيُحْكِي) أَنَّ ابْنَ الْمُقَمَّعِ خَطَبَ مِنْ الْحَلِيلِ صُحْبَتَهُ .
 فَجَاوَبَهُ أَنْ الضُّحْبَةَ رِقٌّ وَلَا أَضْعُرِي فِي يَدَيْكَ حَتَّى أَعْرِفَ كَيْفَ
 مَلَكَتْكَ . وَأَسْتَمَلُ مِنْ عَيْنٍ مَنْ تَعَاشِرُهُ وَتَفْقَدُ فِي فَلَاتِ الْأَلْسُنِ
 وَصَفْحَاتِ الْأَوْجِهَةِ . وَلَا يَحْمَلُكَ الْحَيَاءُ عَلَى السُّكُوتِ عَمَّا يَضُرُّكَ أَنْ لَا
 تُبَيِّنَهُ . فَإِنَّ الْكَلَامَ سِلَاحُ السَّلْمِ . وَبِالْأَيْنِ يُعْرَفُ أَلْمُ الْجُرْحِ وَأَجْعَلْ
 لِكُلِّ أَمْرٍ أَخَذْتَ فِيهِ غَايَةً تَجْعَلُهَا نِهَايَةً لَكَ . وَأَقْبَلْ مِنَ الدَّهْرِ مَا
 أَتَاكَ . مَنْ قَرَعَيْنَا بَعِيشَهُ نَفَعَهُ إِذِ الْأَفْكَارُ تَجَابُ الْهُمُومَ . وَتَضَاعَفُ
 الْغُمُومَ . وَمُلَازِمَةُ الْقُطُوبِ . غُنْوَانُ الْمَصَائِبِ وَالْحُطُوبِ . يَسْتَرِيبُ بِهِ
 الصَّاحِبُ . وَيَسْتَمْتُ الْعَدُوُّ وَالنَّجَائِبُ . وَلَا تَضُرُّ بِالْوَسَاوِسِ إِلَّا نَفْسَكَ
 لِأَنَّكَ تَنْصَرُّ بِهَا الدَّهْرَ عَلَيْكَ . وَلِلَّهِ دَرُّ الْقَائِلِ :

إِذَا مَا كُنْتَ لِلْأَحْزَانِ عَوْنَا عَلَيْكَ مَعَ الزَّمَانِ فَنَنْتَلُمُ
 مَعَهُ أَنَّهُ لَا يَرُدُّ عَلَيْكَ الْغَائِبَ الْحَزْنَ . وَلَا يَرْعُوِي بِطُولِ عَيْتِكَ
 الزَّمْنَ . وَلَقَدْ شَاهَدْتُ بِغَرِّ نَاطَةِ شَخْصًا قَدْ أَلْفَتَهُ الْهُمُومُ . وَعَشِيتُهُ

الغموم . ومن صغره إلى كبره لا تراه أبداً خلياً من فكرة حتى لئب
 يصدر لهم . ومن أعجب ما رأته منه أنه يتكبد في الشدة ولا
 يتعلل بأن يكون بعدها فرج ويتكبد في الرخاء خوفاً من أن لا يدوم
 (وينشد) : توقع زوالاً إذا قيل تم . (وينشد) : وعند التناهي يقصر
 المتطاول . وله من الحكايات في هذا الشأن عجائب . ومثل هذا عمره
 مخسور يمر ضياعاً . ومتى رفعت الزمان إلى قوم يذمون من العلم ما
 تحسنت حسداً لك وقصداً لتصغير قدرك عندك وترهيدا لك فيه
 فلا يحملك ذلك على أن ترهد في علمك وتركن إلى العلم الذي
 مدحوه . فتكون مثل الغراب الذي أعجبه مشي أمجلة فرام أن يتعلمه
 فصعب عليه . ثم أراد أن يرجع إلى مشيه فنسيه فبقي نخبل المشي كما قيل :
 إن الغراب وكان يمشي مشية في ماضى من سالف الأجيال
 حسد القطا وأراد يمشي مشيتها فأصابه ضرب من العقاب
 فأصل مشيته وأخطأ مشيتها فلذلك كنهوه أبا ير قال
 ولا يفسد خاطرك من جعل يذم الزمان وأهله ويقول : ما بقي
 في الدنيا كريم ولا فاضل ولا مكان يرتاح فيه . فإن الذين ترأهم
 على هذه الصفة أكثر ما يكونون بمن صحبه الحرمان . وأستخفت طلته
 للهوان . وأبرموا على الناس بالسؤال ففتوهم وعجزوا عن طلب الأمور
 من وجوهها فاستترأخوا إلى الوقوع في الناس . وأقاموا الأعذار
 لأنفسهم بقطع أسبابهم . ولا تزل هذين اليتيمين من فكرك :

لِنِ إِذَا مَا نِلْتَ عِزًّا فَآخُو الْعِزِّ يَلِينُ
فَإِذَا نَابَكَ دَهْرٌ فَكَمَا كُنْتَ تَكُونُ

وَالْأَمْثَالُ تُضْرَبُ لِذِي اللَّبِّ الْحَكِيمِ . وَذُو الْبَصَرِ يَمِشِي عَلَى
الصِّرَاطِ الْأَسْتَقِيمِ . وَالْقَطْنُ يُفْنَعُ بِالْقَلِيلِ وَيَسْتَدِلُّ بِالْيَسِيرِ . وَاللَّهُ
سُبْحَانَهُ حَيِّقِي عَلَيْكَ لَا رَبَّ سِوَاهُ (مُلَخَّصٌ عَنِ الْمُقْرِي)

طُرُقَةٌ مِنْ وَصِيَّةِ ابْنِ طَاهِرٍ لِابْنِهِ

٩٧ أَمَا بَدُ فَعَلَيْكَ بِتَمَوُّي اللَّهِ وَحَدِّهِ وَخَشْيَتِهِ وَمُرَاقَبَتِهِ عِزَّ وَجَلَّ
وَمُرَايَلَهُ سَخَطَهُ وَحِفْظَ رِعْيَتِكَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ . وَالزَّمَّ مَا أَلْبَسَكَ
مِنَ الْعَاقِبَةِ بِالذِّكْرِ لِمَعَادِكَ وَمَا أَنْتَ صَائِرٌ إِلَيْهِ وَمَوْقُوفٌ عَلَيْهِ
وَمَسْئُولٌ عَنْهُ وَالْعَمَلُ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ بِمَا يَبْصُرُكَ اللَّهُ عِزَّ وَجَلَّ وَيُنِجِيكَ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عِقَابِهِ وَأَلِيمِ عَذَابِهِ . فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قَدْ أَحْسَنَ
إِلَيْكَ وَأَوْجَبَ عَلَيْكَ الرَّأْفَةَ بِمَنْ اسْتَرْعَاكَ أَمْرَهُمْ مِنْ عِبَادِهِ .
وَأَلْزَمَكَ الْعَدْلَ عَلَيْهِمْ وَالْقِيَامَ بِحَقِّهِ وَحُدُودِهِ فِيهِمْ . وَالذَّبَّ عَنْهُمْ
وَالدَّفْعَ عَنْ حَرِيمِهِمْ وَبُيُوتِهِمْ . وَالْحَقْنَ لِذِمَائِهِمْ وَالْأَمْنَ لِسَبِيلِهِمْ .
وإِدْخَالَ الرَّاحَةِ عَلَيْهِمْ . وَمُواخِذَكَ بِمَا فَرَضَ عَلَيْكَ وَمَوْقِفَكَ عَلَيْهِ
وَمُسَانِكَ عَنْهُ وَمُثَبِّبَكَ عَلَيْهِ بِمَا قَدَّمْتَ وَأَخَّرْتَ . فَفَرِّغْ لِذَلِكَ
فَهْمَكَ وَعَقْلَكَ وَنَظْرَكَ وَلَا يَشْغَلْكَ عَنْهُ شَاغِلٌ وَأَنْتَ رَأْسُ أَمْرِكَ
وَمَلَائِكُ شَأْنِكَ وَأَوَّلُ مَا يُؤَفِّقُكَ اللَّهُ عِزَّ وَجَلَّ بِهِ لِرُشْدِكَ . وَلِيَكُنْ
أَوَّلُ مَا تُلْزِمُ نَفْسَكَ وَتَنْسِبُ إِلَيْهِ أَفْعَالَكَ الْمَوْظَبَةَ عَلَى مَا أَفْتَرَضَ

اللَّهُ عَلَيْكَ مِنَ الصَّلَوَاتِ . وَإِذَا وَرَدَ عَلَيْكَ أَمْرٌ فَأَسْتَعِنَ عَلَيْهِ بِاسْتِخَارَةِ
 اللَّهِ وَتَقْوَاهُ . وَآثِرِ الْفَقْهَ وَأَهْلَهُ وَالِدِينَ وَحَمَلَتَهُ فَإِنَّ أَفْضَلَ مَا تَرَى بِهِ
 الْمَرْءُ الْفَقْهَ فِي الدِّينِ وَالطَّلَبُ لَهُ وَالْحَثُّ عَلَيْهِ . وَالْمَعْرِفَةُ بِمَا يَتَقَرَّبُ بِهِ
 إِلَى اللَّهِ . فَإِنَّهُ الدَّلِيلُ عَلَى الْخَيْرِ كُلِّهِ وَالْقَائِدُ إِلَيْهِ وَالْأَمْرُ بِهِ وَالنَّاهِي
 عَنِ الْمَعْصِيَةِ الْمَوْبِقَاتِ كُلِّهَا . وَمَعَ تَوْفِيقِ اللَّهِ يَزْدَادُ الْعَبْدُ مَعْرِفَةَ لَهُ
 وَدَرَكَ الدَّرَجَاتِ الْعُلَى فِي الْمَعَادِ . مَعَ مَا فِي ظُهُورِهِ لِلنَّاسِ مِنَ التَّوْفِيقِ
 لِأَمْرِكَ وَأَهْبِيبَةَ لِسُلْطَانِكَ وَالْأَلْسِنَةَ بِكَ وَاللِّقَّةَ بِعَدْلِكَ . وَعَطْلِكَ
 بِالْإِقْتِصَادِ فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا . فَلَيْسَ شَيْءٌ أَبْيَنَ نَفْعًا وَلَا أَحْضَرَ أَمْنًا
 وَلَا أَجْمَعَ فَضْلًا مِنْهُ . وَالْقَصْدُ دَاعِيَةٌ إِلَى الرُّشْدِ وَالرُّشْدُ دَلِيلٌ عَلَى
 التَّوْفِيقِ وَالتَّوْفِيقُ قَائِدٌ إِلَى السَّعَادَةِ وَقِيَامِ الدِّينِ وَالسُّنَنِ الْمَهَادِيَةِ
 بِالْإِقْتِصَادِ . فَأَثَرُهُ فِي دُنْيَاكَ كُلِّهَا وَلَا تُقَصِّرُ فِي طَلَبِ الْآخِرَةِ وَالْآجِرِ
 وَالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ وَالسُّنَنِ الْمَعْرُوفَةِ وَمَعَالِمِ الرُّشْدِ . وَلَا غَايَةَ لِلِاسْتِكْثَارِ
 فِي الْبِرِّ وَالسَّعْيِ لَهُ . إِذَا كَانَ يُطَلَبُ بِهِ وَجْهُ اللَّهِ تَعَالَى وَمَرْضَاتُهُ وَمُرَافَقَةُ
 أَوْلِيَانِهِ فِي دَارِ كَرَامَتِهِ . وَاعْلَمْ أَنَّ الْقَصْدَ فِي شَأْنِ الدُّنْيَا يُورِثُ الْعِزَّ
 وَيُحْصِنُ مِنَ الذُّنُوبِ وَأَنَّهُ لَنْ تَحُوطَ نَفْسُكَ وَمَنْ يَلِيكَ وَلَا تَسْتَضِلَّ
 أُمُورَكَ بِأَفْضَلِ مِنْهُ . فَأَتِيهِ وَاهْتَدِ بِهِ تَتِمَّ أُمُورُكَ وَتَرُدَّ مَقْدَرُكَ
 وَتَصْلُحَ خَاصَّتُكَ وَعَامَّتُكَ . وَلَا تَتَّهَمَنَّ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ فِيمَا تُوَلِّيَهُ مِنْ
 عَمَلِكَ قَبْلَ أَنْ تَكْشِفَ أَمْرَهُ فَإِنَّ إِيقَاعَ التُّهْمِ بِالْبِرِّاءِ وَالظُّنُونِ
 السَّيِّئَةِ بِهِمْ بِأَثْمٍ . وَلَا يَجِدَنَّ عَدُوَّ اللَّهِ الشَّيْطَانَ فِي أَمْرِكَ مَغْمَرًا فَإِنَّهُ

إِنَّمَا يَكْتَفِي بِالْقَلِيلِ مِنْ وَهْنِكَ وَيُدْخِلُ عَلَيْكَ مِنَ الْقَمْرِ فِي سُوءِ
 الظَّنِّ مَا يَنْغَصُّكَ لِدَاذَةِ عَيْشِكَ . وَأَعْلَمُ أَنَّكَ تَجِدُ مُحْسِنَ الظَّنِّ قُوَّةَ
 وَرَاحَةَ وَتَكْتَفِي بِهِ مَا أَحْبَبْتَ كِفَايَتَهُ مِنْ أُمُورِكَ وَتَدْعُو بِهِ النَّاسَ إِلَى
 مَحَبَّتِكَ وَالِاسْتِقَامَةِ فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا . . . وَتَقَرَّدُ بِتَقْوِيمِ نَفْسِكَ تَقَرَّدُ
 مَنْ يَعْلَمُ أَنَّهُ مَسْئُولٌ عَمَّا صَنَعَ وَحِجْرِيٌّ بِمَا أَحْسَنَ وَمَا خُوذَ بِمَا أَسَاءَ . فَإِنَّ
 اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ جَعَلَ الدِّينَ حِرْزًا وَعِزًّا وَرَفَعَ مِنْ أَتْبَعِهِ وَعَزَّزَهُ . فَاسْأَلْكَ
 بِمَنْ تَسُوْسُهُ وَتَرْعَاهُ نَهْجَ الدِّينِ وَطَرِيقَةَ الْهُدَى . وَأَقِمِ حُدُودَ اللَّهِ
 فِي أَصْحَابِ الْجِرَانِمِ عَلَى قَدَرِ مَنَازِلِهِمْ وَمَا اسْتَحَقُّوهُ . وَلَا تَعْطِلْ ذَلِكَ
 وَلَا تَهْتَاوُنْ بِهِ . وَلَا تُؤَخِّرْ عَقُوبَةَ أَهْلِ الْعُقُوبَةِ فَإِنَّ فِي تَفْرِيطِكَ فِي
 ذَلِكَ مَا يُفْسِدُ عَلَيْكَ حُسْنَ ظَنِّكَ . وَأَعْتَرَمَ عَلَى أَمْرِكَ فِي ذَلِكَ
 بِالسُّنَنِ الْمَعْرُوفَةِ وَجَانِبِ الْبِدْعِ وَالشُّبُهَاتِ يَسْلَمُ لَكَ دِينُكَ وَتَقُمُ
 لَكَ مُرُوءَتُكَ . وَإِذَا عَاهَدْتَ عَهْدًا فَفِ بِهِ وَإِذَا وَعَدْتَ خَيْرًا
 فَأَجِزْهُ وَأَقْبِلِ الْحَسَنَةَ وَأَدْفَعْ بِهَا وَأَعْمِضْ عَنْ عَيْبِ كُلِّ ذِي عَيْبٍ مِنْ
 رَعِيَّتِكَ وَأَسَدِّدْ لِسَانَكَ عَنْ قَوْلِ الْكُذِبِ وَالزُّورِ وَأَبْغِضْ أَهْلَهُ
 وَأَقْصِ النَّيْمَةَ . فَإِنَّ أَوَّلَ فَسَادِ أُمُورِكَ فِي عَاجِلِهَا وَأَجْلَهَا تَقْرِيبُ
 الْكُذُوبِ لِأَنَّ الْكُذِبَ رَأْسُ الْمَأْسِيَةِ . وَالزُّورَ وَالنَّيْمَةَ خَاتِمَتُهَا لِأَنَّ
 النَّيْمَةَ لَا يَسْلَمُ صَاحِبُهَا . وَلَا يَسْتَمِمْ لِبَطِيئَتِهَا أَمْرًا . وَأَحِبِّ أَهْلَ
 الصَّلَاحِ وَالصِّدْقِ وَأَعِنِ الْأَشْرَافَ بِالْحَقِّ . وَوَاسِ الضُّعَفَاءَ وَصِلِ
 الرَّحِمَ وَابْتَغِ بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ تَعَالَى وَإِعْزَازَ أَمْرِهِ . وَالْتَمِسْ فِيهِ

تَوَابَهُ وَالِدَارَ الْآخِرَةَ وَاجْتَنِبْ سُوءَ الْأَهْوَاءِ وَالْجُورِ وَأَصْرِفْ عَنْهَا
رَأْيَكَ . وَأَمْلِكْ نَفْسَكَ عَنِ الْغَضَبِ وَآثِرِ الْوَقَارَ وَالْحِلْمَ . وَإِيَّاكَ
وَالْحِدَّةَ وَالطَّيْشَ وَالْعُرُورَ فِي مَا أَنْتَ بِسَبِيلِهِ . وَإِيَّاكَ أَنْ تَقُولَ أَنَا
مُسَلِّطٌ أَفْعَلُ مَا أَشَاءُ فَإِنَّ ذَلِكَ سَرِيعٌ إِلَى نَقْصِ الرَّأْيِ وَقَلَّةِ الْيَقِينِ
بِاللَّهِ وَأَخْلَصْ لِلَّهِ وَحَدِّهِ النَّيَّةَ فِيهِ وَالْيَقِينَ بِهِ . وَأَعْلَمْ أَنَّ الْمُلْكَ لِلَّهِ
سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَنْزِعُهُ مِمَّنْ يَشَاءُ . وَأَنْ تَجِدَ تَعْيِيرَ النِّعْمَةِ
وَحُلُولَ النِّعْمَةِ عَلَى أَحَدٍ أَسْرَعَ مِنْهُ عَلَى جَهْلَةِ النِّعْمَةِ مِنْ أَصْحَابِ السُّلْطَانِ
وَالْمُبْسُوطِ لَهُمْ فِي الدَّوْلَةِ إِذَا كَفَرُوا وَنِعْمَ اللَّهُ وَإِحْسَانُهُ . وَأَسْتَطْلُوا بِمَا
آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ . وَدَعَّ عَنْكَ شَرَّ نَفْسِكَ . وَلَتَكُنْ ذَخَائِرُكَ وَكَذُورُكَ
الَّتِي تَذْخِرُ وَتُكْثِرُ الْبِرَّ وَالْتَقْوَى وَالْمَعْدِلَةَ وَأَسْتِصْلَاحَ الرَّعِيَّةِ وَعِمَارَةَ
بِلَادِهِمْ وَالْتَفْقُدَ لِأُمُورِهِمْ وَالْإِعَانَةَ لِمَلْهُوفِهِمْ . وَأَعْلَمْ أَنَّ الْأَمْوَالَ إِذَا
كَانَتْ فِي صَلَاحِ الرَّعِيَّةِ وَإِعْطَاءِ حُقُوقِهِمْ وَكَفِّ الْمُوَاظَةِ عَنْهُمْ نَمَتْ
وَزَكَتْ وَنَمَتْ وَصَلَحَتْ بِهَا الْعَامَّةُ وَتَرَيَاتِ بِهَا الْوِلَاةُ وَطَابَ بِهَا الزَّمَانُ
وَاعْتَمَدَ فِيهَا الْعِزُّ وَالنِّعْمَةُ . فَأَوْفِ رِعْيَتِكَ مِنْ ذَلِكَ حِصَصَهُمْ وَتَعَهَّدْ مَا
يُضِلُّحُ أُمُورَهُمْ . فَتَقَرَّ النِّعْمَةُ عَلَيْكَ وَتَسْتَوْجِبَ الزَّيْدَ مِنَ اللَّهِ وَكَانَتْ
بِذَلِكَ عَلَى حَيَاةٍ خَرَايِكَ وَجَمَعَ أَمْوَالَ رِعْيَتِكَ وَعَمَلِكَ أَقْدَرُ . وَكَانَ
الْجَمِيعُ لِمَا سَأَلْتَهُمْ مِنْ عَدْلِكَ وَإِحْسَانِكَ أَسْكَنَ لِبَطَاعَتِكَ وَأَطِيبَ أَنْفُسًا
يَكُلُّ مَا أَرَدَتْ . وَاجْهَدْ نَفْسَكَ فِيمَا حَدَّثَتْ لَكَ فِي هَذَا الْبَابِ
وَلَتَعْظُمَ خَشِيَّتُكَ فِيهِ وَإِنَّمَا يَبْقَى مِنَ الْمَالِ مَا أَنْفَقَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ .

وَإِيَّاكَ أَنْ تُنْسِيكَ الدُّنْيَا وَغُرُورَهَا أَهْلَ الْآخِرَةِ فَتَهَاوَنَ بِمَا يَحِقُّ عَلَيْكَ .
 فَإِنَّ التَّهَاوَنَ يُورِثُ التَّفْرِيطَ وَالتَّفْرِيطَ يُورِثُ الْبُورَانَ . وَلَا تُخْفِرَنَّ ذُنُوبًا
 وَلَا تَمْلِكَنَّ حَاسِدًا وَلَا تَرْحَمَنَّ فَاجِرًا . وَلَا تُدَاهِنَنَّ عَدُوًّا وَلَا تُصَدِّقَنَّ
 تَمَامًا وَلَا تَأْمَنَنَّ عَدَاوًا . وَلَا تَأْتِينَ مَدْحًا وَلَا تَمُشِينَ مَرَحًا . وَلَا تُغْمِضَنَّ
 عَنْ ظَالِمٍ رَهْبَةً مِنْهُ أَوْ مُحَابَاةً وَلَا تَطْلُبَنَّ ثَوَابَ الْآخِرَةِ فِي الدُّنْيَا ...
 وَأَعْلَمُ أَنَّكَ جُعِلْتَ بِيُولَايَتِكَ خَازِنًا وَحَافِظًا وَرَاعِيًا . وَإِنَّمَا سُمِّيَ
 أَهْلُ عَمَلِكَ رَعِيَّتَكَ لِأَنَّكَ رَاعِيهِمْ وَوَقِيهِمْ . تَأْخُذُ مِنْهُمْ مَا أَعْطَوْكَ مِنْ
 عَقْوِهِمْ وَمَقْدَرَتِهِمْ وَتُنْفِذُ فِي قَوَامِ أَمْرِهِمْ وَصَلَاحِهِمْ وَتَقْوِيمِ أَوْدِهِمْ .
 فَاسْتَعْمِلْ عَلَيْهِمْ ذَا الرَّأْيِ وَالتَّدْبِيرِ وَالتَّجَرُّبَةَ وَالحِذْرَةَ بِالعَمَلِ وَالعِلْمِ
 بِالسِّيَاسَةِ وَالعُقَابِ . وَوَسِّعْ عَلَيْهِمْ فِي الرِّزْقِ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنَ الحُقُوقِ
 الْأَلَزِمَةِ لَكَ فِيهَا تَقَلَّدْتَ وَأَسْنَدَ إِلَيْكَ . وَلَا يَشْغَلُكَ عَنْهُ شَاغِلٌ وَلَا
 يَصْرِفُكَ عَنْهُ صَارِفٌ . فَإِنَّكَ مَتَى آثَرْتَهُ وَقَمَّتْ فِيهِ بِالْوَاجِبِ
 اسْتَدْعَيْتَ بِهِ زِيَادَةَ النِّعْمَةِ مِنْ رَبِّكَ . وَحُسْنَ الْأَحْدُوثَةِ فِي عَمَلِكَ .
 وَأَحْرَزْتَ بِهِ الْمُحَبَّةَ مِنْ رَعِيَّتِكَ وَأَعْنَتَ عَلَى الصَّلَاحِ . وَفَقَسْتَ العِمَارَةَ
 بِنَاحِيَّتِكَ وَظَهَرَ الخُصْبُ فِي كُورِكَ . وَكَثُرَ خَرَاجُكَ وَتَوَفَّرَتْ أَمْوَالُكَ .
 وَقَوِيَ بِذَلِكَ عَلَى ارْتِبَاطِ جُنْدِكَ وَإِرْضَاءِ العَامَةِ بِإِقَاضَةِ المَطَاءِ
 فِيهِمْ مِنْ نَفْسِكَ . وَكُنْتَ مَحْمُودَ السِّيَاسَةِ مَرْضِي العَدْلَ فِي ذَلِكَ
 عِنْدَ عَدُوِّكَ . وَكُنْتَ فِي أُمُورِكَ كُلِّهَا ذَا عَدْلٍ وَآلَةٍ وَقُوَّةٍ وَعُدَّةٍ .
 فَتَأَفَّسَ فِي ذَلِكَ وَلَا تُقَدِّمَ عَلَيْهِ شَيْئًا تُحْمَدُ فِيهِ مَغَبَّةَ أَمْرِكَ . وَاجْعَلْ

فِي كُلِّ كُورَةٍ مِنْ عَمَلِكَ أَمِينًا يُخْبِرُكَ أَخْبَارَ عَمَلِكَ وَيَكْتُبُ إِلَيْكَ
 بِسِيرَتِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ حَتَّى كَأَنَّكَ مَعَ كُلِّ عَامِلٍ فِي عَمَلِهِ مُعَايِنٌ لِأَمْرِهِ
 كُلِّهَا. فَإِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَأْمُرَهُمْ بِأَمْرٍ فَأَنْظِرْ فِي عَوَاقِبِ مَا أَرَدْتَ مِنْ
 ذَلِكَ. فَإِنْ رَأَيْتَ السَّلَامَةَ فِيهِ وَالْعَافِيَةَ وَرَجَوْتَ فِيهِ حُسْنَ الدِّقَاقِ
 وَالصَّنْعِ فَأَمْضِهِ. وَإِلَّا فَتَوَقَّفْ عَنْهُ وَرَاجِعْ أَهْلَ الْبَصَرِ وَالْعِلْمِ بِهِ.
 ثُمَّ خُذْ فِيهِ عُدَّتَهُ. فَإِنَّهُ رُبَّمَا نَظَرَ الرَّجُلُ فِي أَمْرٍ مِنْ أَمْرِهِ وَقَدْ
 آتَاهُ عَلَى مَا يَهْوَى فَأَعْوَاهُ ذَلِكَ وَأَعْجَبَهُ. فَإِنْ لَمْ يَنْظُرْ فِي عَوَاقِبِهِ
 أَهْلَكَهُ وَنَقِضَ عَلَيْهِ أَمْرَهُ. فَاسْتَعْمِلِ الْحَزْمَ فِي كُلِّ مَا أَرَدْتَ وَبَاشِرْهُ
 بَعْدَ عَوْنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِالْقُوَّةِ وَكَثْرٍ فِي اسْتِخَارَةِ رَبِّكَ فِي جَمِيعِ
 أُمُورِكَ. وَأَفْرَغْ مِنْ عَمَلِ يَوْمِكَ وَلَا تُؤَخِّرْهُ لِيَدِكَ وَكَثْرٍ مُبَاشَرَتَهُ
 بِنَفْسِكَ. فَإِنَّ لِلْعَدَا أُمُورًا وَحَوَادِثَ تُلْهِمُكَ عَنْ عَمَلِ يَوْمِكَ الَّذِي
 آخَرْتَ. وَأَعْلَمْ أَنَّ الْيَوْمَ إِذَا مَضَى ذَهَبَ بِمَا فِيهِ وَإِذَا آخَرْتَ عَمَلَهُ
 أَجْتَمَعَ عَلَيْكَ أُمُورٌ يَوْمِينَ فَيُنْقَلِكُ ذَلِكَ حَتَّى تُعْرَضَ عَنْهُ. وَإِذَا
 أَمْضَيْتَ لِكُلِّ يَوْمٍ عَمَلَهُ أَرَحْتَ نَفْسَكَ وَبَدَنَكَ وَأَحْكَمْتَ أُمُورَ
 سُلْطَانِكَ. وَأَنْظِرْ أَحْرَارَ النَّاسِ وَذَوِي السِّنِّ مِنْهُمْ مِمَّنْ تَسْتَيْقِنُ
 صَفَاءَ طَوْبِيَّتِهِمْ وَشَهَدَتْ مَوَدَّتَهُمْ لَكَ وَمُظَاهَرَتَهُمْ بِالنَّصِصِ وَالْمَخَالِطَةِ
 عَلَى أَمْرِكَ. فَاسْتَخْلَصْهُمْ وَأَحْسِنْ إِلَيْهِمْ. وَتَعَاهَدْ أَهْلَ الْبَيْوَاتِ مِمَّنْ
 قَدْ دَخَلَتْ عَلَيْهِمُ الْحَاجَةُ فَاحْتَمَلْ مَوَؤَنَتَهُمْ وَأَصْلِحْ حَالَهُمْ حَتَّى لَا
 يَجِدُوا خِلَّتَهُمْ مَسًا. وَأَفْرِدْ نَفْسَكَ بِالنَّظَرِ فِي أُمُورِ الْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ

وَمَنْ لَا يَقْدِرُ عَلَى رَفْعِ مَظْلَمَةِ إِلَيْكَ وَالْمُخْتَقِرَ الَّذِي لَا يَعْلَمُ لَهُ يَطْلُبُ
 حَقَّهُ . فَسَلْ عَنْهُ أَحَقَّ مَسْأَلَةٍ وَوَكِّلْ بِأَمْتَالِهِ أَهْلَ الصَّلَاحِ مِنْ رَعِيَّتِكَ .
 وَرَبُّهُمْ يَرْفَعُ حَوَائِجَهُمْ وَحَالَاتِهِمْ إِلَيْكَ لِتَنْظُرَ فِيهَا بِمَا يُصْلِحُ اللَّهُ بِهِ
 أَمْرَهُمْ . وَتَعَاهِدَ ذَوِي الْبِئْسَاءِ وَأَيَاتِهِمْ وَأَرَامِلَهُمْ وَأَجْعَلْ لَهُمْ أَرْزَاقًا
 مِنْ بَيْتِ الْمَالِ أَقْدَاءَ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَعَزَّهُ اللَّهُ فِي الْعُظْفِ عَلَيْهِمْ
 وَالصَّلَاةِ لَهُمْ . يُصْلِحُ اللَّهُ بِذَلِكَ عَيْشَهُمْ وَيَرْزُقُكَ بِهِ بَرَكَهَ وَزِيَادَةَ
 وَأَجْرَ لِلْأَضْرَاءِ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ . وَاعْرِفْ مَا تَجْمَعُ عَمَّا لَكَ مِنَ الْأَمْوَالِ
 وَيُنْفِقُونَ مِنْهَا وَلَا تَجْمَعْ حَرَامًا وَلَا تُنْفِقْ إِسْرَافًا . وَاعْزِزْ مُجَالَسَةَ الْعُلَمَاءِ
 وَمُشَاوَرَتَهُمْ وَمُخَالَطَتَهُمْ . وَلِيَكُنْ هَوَاكَ اتِّبَاعَ السُّنَنِ وَإِقَامَتَهَا وَإِثَارَ
 مَسْكَرِمِ الْأُمُورِ وَمَعَالِيهَا . وَلِيَكُنْ أَكْرَمُ دُخُلَانِكَ وَخَاصَّتِكَ عَلَيْكَ
 مَنْ إِذَا رَأَى عَيْبًا فِيكَ لَمْ تَنْعَهُ هَيْئَتِكَ عَنْ إِنْهَاءِ ذَلِكَ إِلَيْكَ فِي سِرِّكَ
 وَإِعْلَانِكَ مَا فِيهِ مِنَ النَّقْصِ . فَإِنْ أَوْلَيْكَ أَنْصَحَ أَوْلِيَانِكَ وَمُظَاهِرُونَ
 لَكَ . وَأَنْظُرْ عَمَّا لَكَ الَّذِينَ يَحْضُرُ تَكْ وَكُتَابَكَ فَوْقَ لِكُلِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ
 فِي كُلِّ يَوْمٍ وَقْتًا يَدْخُلُ فِيهِ عَلَيْكَ بِكُتُبِهِ وَمُؤَامَرَاتِهِ وَمَا عِنْدَهُ مِنْ
 حَوَائِجِ عَمَّا لَكَ وَأُمُورِ كُورِكَ وَرَعِيَّتِكَ . ثُمَّ فَرِّغْ لِمَا يُوْرِدُهُ عَلَيْكَ مِنْ
 ذَلِكَ سَمْعَكَ وَبَصْرَكَ وَفَهْمَكَ وَعَقْلَكَ . وَكُرِّرِ النَّظَرَ فِيهِ وَالتَّدْبِيرَ لَهُ . فَمَا
 كَانَ مُوَافِقًا لِلْحَقِّ وَالْحَزْمِ فَأَمْضِهِ . وَمَا كَانَ مُخَالَفًا لَكَ فَأَصْرِفْهُ إِلَى
 التَّثَبُّتِ فِيهِ وَالْمَسْأَلَةِ عَنْهُ . وَلَا تَمْتَرْ عَلَى رَعِيَّتِكَ وَلَا غَيْرِهِمْ بِعَمْرُوفٍ
 تُؤْتِيهِ إِلَيْهِمْ وَلَا تَقْبَلْ مِنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ إِلَّا الْوَفَاءَ وَالِاسْتِقَامَةَ وَالْعُورَى فِي

أُمُورِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ . وَلَا تَضَعَنَّ الْمَعْرُوفَ إِلَّا عَلَى ذَلِكِ . وَتَفْهَمُ كِتَابِي
إِلَيْكَ وَأَكْثَرَ النَّظَرِ فِيهِ وَالْعَمَلِ بِهِ . وَلَيْكُنْ أَعْظَمَ سِيرَتِكَ وَأَفْضَلَ
رَغْبَتِكَ مَا كَانَ لِلَّهِ رِضَى وَلِدِينِهِ نِظَامًا وَلِأَهْلِهِ عِزًّا وَتَمَكِينًا وَاللَّذِمَّةَ
وَاللِّمَّةَ عَدْلًا وَصَلَاحًا . وَأَنَا أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُحْسِنَ عَوْنَكَ وَتَوْفِيقَكَ
وَرُشْدَكَ وَكَوَلَاءَتَكَ . وَالسَّلَامُ

(لابن الاثير)

وصية محمد الدكدجي لابنه

٩٨

زُرْ وَالِدَيْكَ وَقِفْ عَلَى قَبْرَيْهِمَا فَكَأَنِّي بِكَ قَدْ نَقَلْتَ إِلَيْهِمَا
لَوْ كُنْتَ حَيْثُ هُمَا وَكَانَا بِالْبَقَا مَا كَانَ ذَنْبُهُمَا إِلَيْكَ فَطَالَمَا
كَانَا إِذَا مَا أَبْصَرَ بِكَ عِلَّةً كَانَا إِذَا سَمِعَا أَيْنَكَ أَسْبَلَا
وَتَمَنَّى لَوْ صَادَفَا بِكَ رَاحَةً فَجَمِيعَ مَا يَجُوبُهُ مُلْكُ يَدَيْهِمَا
فَلَسَيْتَ حَقَّهُمَا عَشِيَّةً أَسْكِنَا دَارَ الْبَقَا وَسَكَنْتَ فِي دَارَيْهِمَا
فَلَتَلَحُّقَهُمَا غَدًا أَوْ بَعْدَهُ حَتَّمَا كَمَا لَحِقَا هُمَا أَبُوَيْهِمَا
وَلَتَنْدَمَنَّ عَلَى فِعَالِكَ مِثْلَ مَا نَدِمَا هُمَا قَدِمَا عَلَى فِعْلَيْهِمَا
بُشْرَاكَ لَوْ قَدِمْتَ فِعْلًا صَالِحًا وَقَضَيْتَ بَعْضَ الْحَقِّ مِنْ حَقَيْهِمَا
فَأَحْفَظْ حِفْظًا وَصَيْتِي وَأَعْمَلْ بِهَا فَعَسَى تَنَالُ الْقُوْزَ مِنْ رَبِّهِمَا
٩٩ مِنْ شِعْرِ الْمُثَقَّبِ الْعَبْدِيِّ :

لَا تَقُولَنَّ إِذَا مَا لَمْ تَرُدْ
أَنْ يُتِمَّ الْوَعْدَ فِي شَيْءٍ نَعَمْ

حَسَنُ قَوْلٍ نَعَمٍ مِنْ بَعْدِ لَا
 وَبَسِيجُ قَوْلٍ لَا بَعْدَ نَعَمٍ
 إِنْ لَا بَعْدَ نَعَمٍ فَاحْشَهِ
 فَبِإِلَافٍ بَدَأَ إِذَا خِفتَ الدَّمُ
 وَإِذَا قُلْتَ نَعَمَ فَاصْبِرْ لَهَا
 بِتَجَازِ الوَعْدِ إِنْ أَخْلَفَ دَمُ
 أَكْرَمِ الْجَارِ وَرَاعِي حَقِّهِ
 إِنْ شَرَّ النَّاسِ مَنْ يَمْدُحُنِي
 حِينَ يَلْقَانِي وَإِنْ غَبَتْ شَتَمُ

١٠٠ قَالَ يَزِيدُ بْنُ الْحَكَمِ الثَّقَفِيُّ يَعِظُ ابْنَهُ بَدْرًا:

يَا بَدْرُ وَالْأَمْثَالُ يَضْرِبُهَا الَّذِي أَلْبَسَ الْحَكِيمُ
 دَمٌ لِلخَلِيلِ بُوْدِهِ مَا خَيْرٌ وَدَّ لَا يَدُومُ
 وَأَعْرِفْ لِمَ جَارِكَ حَقَّهُ وَالْحَقُّ يَعْرِفُهُ الْكَرِيمُ
 وَأَعْلَمْ بِأَنَّ الضَّيْفَ يَوْمٌ مَا سَوْفَ يَحْمَدُ أَوْ يَلُومُ
 وَالنَّاسُ مُبْتَلِيَانِ مَحْمُودُ النِّيَاةِ أَوْ ذَمِيمُ
 وَأَعْلَمْ بِنَبِيِّ فَإِنَّهُ بِالْعِلْمِ يَنْتَفِعُ الْعَلِيمُ
 أَنَّ الْأُمُورَ دَقِيقَهَا مِمَّا يَهِيحُ لَهُ الْعَظِيمُ
 وَالتَّبَلُّ مِثْلُ الدِّينِ تُقْضَاهُ وَقَدْ يَلُوى الْغَرِيمُ
 وَالبَغْيُ يَضْرَعُ أَهْلَهُ وَالظُّلْمُ مَرْتَعُهُ وَخِيمُ
 وَلَقَدْ يَكُونُ لَكَ الْبَعِيدُ أَخًا وَيَقْطَعُكَ الْحَمِيمُ
 وَالْمَرْءُ يُكْرَمُ لِلغَنِيِّ وَيَهَانُ لِلْعَدَمِ الْعَدِيمِ
 قَدْ يُفْتَرُ الْحَوْلُ التَّقِي وَيُكْثَرُ الْحَقُّ الْأَيْمِ
 يَمَلًا لِذَلِكَ وَيُبْتَلَى هَذَا فَأَيُّهُمَا الْمُضِيمُ

وَأَمْرٌ يَبْجَلُ فِي الْحُقُوقِ وَلِدَكَالَلَهُ مَا يُسِيمُ
 مَا بُجِلُ مَنْ هُوَ لَلْمَنُورِ وَرَيْبَهَا غَرَضٌ رَجِيمٌ
 وَرَى الْقُرُونَ أَمَامَهُ هَمْدُوا كَمَا هَمَدَ الْهَشِيمُ
 وَتَحَرَّبُ الدُّنْيَا فَلَا بُوسٌ يَدُومُ وَلَا نَعِيمٌ

نخبة من حكم أبي عثمان بن ليون التجيبي

١٠١

زَاحِمٌ أُولِي الْعِلْمِ حَتَّى تُعَدَّ مِنْهُمْ حَقِيقَةٌ
 وَلَا يَرُدُّكَ عَجْزٌ عَنْ أَخْذِ أَعْلَى طَرِيقَةٍ
 فَإِنَّ مَنْ جَدَّ يُعْطَى فِيمَا يُحِبُّ لِحُوقِهِ

الْدَّرْسُ رَأْسُ الْعِلْمِ فَأَحْرِصْ عَلَيْهِ فَكُلُّ ذِي عِلْمٍ فَقِيرٌ إِلَيْهِ
 مَنْ صَيَّعَ الدَّرْسَ يَرَى هَازِيًا عِنْدَ اعْتِبَارِ النَّاسِ مَا فِي يَدَيْهِ
 فِعْزَةُ الْعَالِمِ مِنْ حِفْظِهِ كَعِزَّةِ الْمُنْفِقِ فِي مَا عَلَيْهِ

ثَلَاثٌ مُهْلِكَاتٌ لَا مَحَالَةَ هَوَى نَفْسٍ يَقُودُ إِلَى الْبَطَالَةِ
 وَشُحٌّ لَا يَزَالُ يُطَاعُ دَابًّا وَعُجْبٌ ظَاهِرٌ فِي كُلِّ حَالَةٍ

أَخْوَكُ الَّذِي يَحْمِيكَ فِي الْغَيْبِ جَاهِدًا وَيَسْتُرُ مَا تَأْتِي مِنَ السُّوءِ وَالتَّفَنُّجُ
 وَيَنْشُرُ مَا يَرْضِيكَ فِي النَّاسِ مُعَلِّنًا وَيُنْضِي وَلَا يَأْلُو مِنَ الْبِرِّ وَالتَّنْصِيحِ

حَبِيبُكَ مَنْ يَغَارُ إِذَا زَلَلْنَا وَيُغْلِظُ فِي الْكَلَامِ مَتَى أَسَانَا
 يُسْرُ إِنْ أَتَصَفْتَ بِكُلِّ فَضْلٍ وَيَحْزَنُ إِنْ نَقَصْتَ أَوْ انْتَقَصْتَ
 وَمَنْ لَا يَكْتَرِثُ بِكَ لَا يُبَالِي أَحَدَتْ عَنِ الصَّوَابِ أَمْ أَعْتَدَلْنَا

مَنْ تَنَاسَى ذُنُوبَهُ قَتَلَتْهُ وَأَبَانَتْ عَنْهُ الْوَلِيَّ الْحَمِيمَا
ذِكْرُكَ الذَّنْبَ نَفْرَةٌ عَنْهُ تُبْقِي لَكَ إِتْكَارَ فِعْلِهِ مُسْتَدِيمَا

لَيْسَ النَّفْضُ يَا أَخِي أَنْ تُحْسِنَا لِأَخٍ يُجَازِي بِالْحَمِيلِ مِنَ الشَّنَا
إِنَّ النَّفْضَ أَنْ تُجَازِي مَنْ أَسَا لَكَ بِالْحَمِيلِ وَأَنْتَ عَنْهُ فِي غَنَى

مَنْ عَيْنِي الْمَرْءُ يَبْدُو مَا يَكْتُمُهُ حَتَّى يَكُونَ الَّذِي يَرَعَاهُ يَفْهَمُهُ
مَا يُضْمِرُ الْمَرْءُ يَبْدُو مِنْ شَمَائِلِهِ لِنَاطِرٍ فِيهِ يَهْدِيهِ تَوَسُّمُهُ

تَعْظِيمُكَ النَّاسَ تَعْظِيمٌ لِنَفْسِكَ فِي قُلُوبِ الْأَعْدَاءِ طُرًّا وَالْأَوْلَادِ
مَنْ عَظَّمَ النَّاسَ يَعْظُمُ فِي النَّفُوسِ بِلَا مَوْتَةٍ وَيَنْلُ عِزَّ الْأَعْرَافِ

وَمُسْتَشْفَعٌ مِنْ أَخٍ خُلَّةٌ وَفِيهِ مَعَايِبٌ تُسْتَرْدَلُ
كَأَعْمَى يُخَافُ عَلَى أَعْوَرٍ عَثَارًا وَعَنْ نَفْسِهِ يَفْعَلُ

خُذِ الْأُمُورَ بِرِفْقٍ وَاتَّئِدْ أَبَدًا إِيَّاكَ مِنْ مَجَلٍ يَدْعُو إِلَى وَصَبِ
الرِّفْقُ أَحْسَنُ مَا تَوَاتَى الْأُمُورُ بِهِ يُصِيبُ ذُو الرِّفْقِ أَوْ يَنْجُو مِنَ الْعَطَبِ

إِنَّ الْمُسِيءَ إِذَا جَازَيْتَهُ أَبَدًا بِفِعْلِهِ زِدْتَهُ فِي غَيْهِ شَطَطًا
الْعَفْوُ أَحْسَنُ مَا يُجْزَى الْمُسِيءَ بِهِ يَهِينُهُ أَوْ يُرِيهِ أَنَّهُ سَقَطًا

سَرِيرَةُ الْمَرْءِ تُبْدِيهَا شَمَائِلُهُ حَتَّى يَرَى النَّاسُ مَا يُخْفِيهِ إِعْلَانًا
فَأَجْعَلْ سَرِيرَتَكَ التَّقْوَى تَرَى أَمَلًا فِي كُلِّ مَا أَنْتَ تَبْغِيهِ وَبُرْهَانًا

تَثَبَّتْ بِالْأُمُورِ وَلَا تُبَادِرْ لِشَيْءٍ دُونَ مَا نَظَرِ وَفَكَّرِ
فَبِحَيْحٍ أَنْ تُبَادِرَ ثُمَّ تُخْطِي وَتَرْجِعَ لِتَثَبَّتِ دُونَ عَذْرِ

نخبة من حكم اوردها البستي في ديوانه

١٠٢

يَا مَنْ يُسَامِي الْعُلَى عَفْوًا بِلَا تَعَبٍ هِيَاتِ نَيْلُ الْعُلَى عَفْوًا بِلَا تَعَبٍ
عَلَيْكَ بِالْجِدِّ إِنِّي لَمْ أَجِدْ أَحَدًا حَوَى نَصِيبَ الْعُلَى مِنْ غَيْرِ مَا نَصَبِ

أَلْحُرُّ فِي التَّحْقِيقِ مُعْتَقٌ ذَاتِهِ مِنْ رِقِّ شَهْوَتِهِ وَمِنْ غَفَلَاتِهِ
وَمَنْ أَقْنَى مَا لَيْسَ يُمْكِنُ غَضَبُهُ مِنْهُ وَوَقَّرَ جَاهِدًا حَسَنَاتِهِ
فَأَصْحَ لَوْعَظِي وَأَنْتَفِعَ بِصَانِحِي وَأَبْجَلُ بِيَاقِي الْعُمُرِ قَبْلَ فَوَاتِهِ
وَأَمِتْ بِجُهْدِكَ قُوَّةَ الْغَضَبِ الَّذِي نَحْيَا الْبَصِيرَةَ وَالْتَقَى بِمَمَاتِهِ
وَعَلَيْكَ بِالْعَدْلِ الَّذِي هُوَ لَفْتِي إِنْ عُدَّتِ الْأَوْصَافُ خَيْرُ صِفَاتِهِ
وَأَعْلَمُ بَانَ مَرَارَةَ الْعَيْشِ الَّذِي يَأْتِي الْفَتَى فِي الْخَوْفِ مِنْ بَغَاتِهِ
وَالْمَرْءُ لَيْسَ يَخَافُ مِنْ رَكْضَاتِهِ إِلَّا لَوْهِنَ دَبِّ فِي عَزَمَاتِهِ
أَنِّي يَخَافُ الْمَوْتَ حَيْثُ عَالِمٌ يَعْتَدُهُ فَضْلًا مُقَوِّمَ ذَاتِهِ
لَأَسِيًّا وَوَرَاءَ ذَلِكَ لَفْتِي عَيْشُ رَخَاءِ الْعَيْشِ فِي لَذَاتِهِ
مَنْ ظَنَّ أَنَّ فَنَاءَهُ مِنْ مَوْتِهِ فَأَعْلَمُ بَانَ فَنَاءَهُ بِحَيَاتِهِ

قُلْ لِلْفَقِيهِ مَقَالًا لَيْسَ يَئِدُّ مِنْ حُلُوِّ الْعِتَابِ وَمُرِّ الْعُتْبِ تَمْرِيحًا
إِذَا فَطَمَتْ أَمْرًا عَنْ عَادَةٍ قَدِمَتْ فَأَجْمَلُ لَهُ يَا عَقِيدَ الْفَضْلِ تَدْرِجًا
وَلَا تُعِنِّفُ إِذَا قَوِّمْتَ ذَا عَوْجٍ فَرُبَّمَا أَعْقَبَ التَّقْوِيمُ تَعْوِيحًا

تَكَثَّرَتْ بِالْأَمْوَالِ جَهْلًا وَإِنَّمَا
فَأَنْتَ عَلَيْهَا خَائِفٌ غَضَبًا غَاصِبٌ
إِذَا نَامَتْ الْأَجْفَانُ بِتِ مُكَابِدًا
فَهَلَّا أَفْتَيْتِ الْبَاقِيَاتِ الَّتِي لَهَا
فَضَائِلُ نَفْسَانِيَّةٌ لَيْسَ يَهْتَدِي
هِيَ الْعِلْمُ وَالتَّقْوَى هِيَ الْبَأْسُ وَالْحُجْبَى
وَاللَّمْرُ أَضْدَادُ يُرْمُونَ قَسْرَهُ
فَإِنْ كَانَ ذَا خَيْرٍ جَفَاهُ شِرَارُهُمْ
وَلَيْسَ لَهُ مِنْهُمْ عَلَى حَالَةٍ بُدٌّ
وَإِنْ كَانَ شَرًّا فَالْخِيَارُ لَهُ ضِدٌّ

مَنْ صَادَمَ الدَّهْرَ مُغْتَرًّا بِقُوَّتِهِ
وَمَنْ يُبِيعُ قُرْنَاءَ السُّوءِ عِشْرَتَهُ
فَأَحْكَمَ عَلَيْهِ بَانَ الدَّهْرُ قَدْ صَدَمَهُ
كَمْ مِنْ وُجُودٍ إِذَا اسْتَوْضَحَتْ صُورَتُهُ
يَكُنْ قِصَارَاهُ مِنْ إِنَائِسِهِمْ نَدَمَهُ
وَكُلُّ ذِي شَرَفٍ لَوْلَا خِصَائِصُهُ
رَأَيْتَ أَشْرَفَ مِنْ مَحْضُولِهِ عَدَمَهُ
مِنْ الْقَضَائِلِ سَاوَى رَأْسِهِ قَدَمَهُ

نخبة من الرازي الشيخ السابوري

١٠٣

أَلْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْقَاهِرِ
مُدِيرِ الْخَلْقِ وَمُنْشِي الرِّزْقِ
الْوَاحِدِ الْقَرْدِ الْمَلِكِ الْقَادِرِ
ذِي الْمَنْ وَالطَّلُولِ إِلَهِ الْخَلْقِ
هَذَا كِتَابٌ جَامِعُ الْأَدَابِ
مُفَصَّلٌ مُنْتَظَمٌ الْأَبْوَابِ
حَبْرَتُهُ يَنْطَلِقُ تَحْسِيرًا
لَمْ أَلْ فِيهِ التَّضَحُّعَ وَالتَّيْسِيرَا
أَوْدَعَتْهُ مَحَاسِنُ الْمَذَاهِبِ
فِي الرِّأْيِ وَالْعَقْلِ وَفِي التَّجَارِبِ

وَكُلَّ قَوْلٍ حَسَنٍ مُنْتَجَبٍ يُؤْتَرُ عَنْ أَهْلِ الْحُجْبَى وَالْأَدَبِ
 وَمَا آتَى مِنْ مِثْلِ مَضْرُوبٍ مُسْتَمَلِحٍ مُسْتَطَرَفٍ غَرِيبٍ
 يَزْدَادُ ذُو الْعِلْمِ إِذَا رَوَاهُ عِلْمًا إِلَى مُحَمَّدٍ مَا أَنْشَاهُ
 وَيُنْحَكِمُ الْمَغْلَلَ الْمَغْمُورًا حَتَّى تَرَاهُ أَرِبًا نَحْرِيذًا
 وَالْمَرْءُ لَنْ يَسْتَكْمَلَ الْأَدَابَا وَلَوْ يَعِيشُ سَلِيمًا اخْتَابَا
 لِكِنَّهُ يَزْدَادُ فِي الْأَيَّامِ عِلْمًا بِنَقْضِ الْأَمْرِ وَالْإِبْرَامِ
 وَإِنَّهُ يَزْدَادُ يَوْمًا يَوْمًا فِي دَهْرِهِ تَجْرِبَةً وَعِلْمًا

التجارب

١٠٤

وَأَفْطَنَ لِصَرْفِ الدَّهْرِ وَالْعَجَابِ قَائَهُ لَا عِلْمَ كَالْتَجَارِبِ
 كَفَاكَ مِنْ عَاشَرَتِ مِنْ إِخْوَانٍ مَعْرِقَةً بِصُورَةِ الزَّمَانِ
 لَا تَحْمَدَنَّ قَبْلَ اخْتِبَارِ أَحَدًا بِحُجْبٍ مِنْ بَرَقِهِ إِذَا بَدَأَ
 فَرُبَّمَا أَخْلَقَكَ الطَّرِيدُ بِاللَّامِعِ أَنْتَ بِهِ غَرِيدُ
 إِنْ خِفْتَ مِنْ عَاقِبَةِ النَّدَامَةِ فَارْضَ مِنَ النَّوَالِ بِالسَّلَامَةِ
 نَدَامَةُ الْمَرْءِ عَلَى التَّفْصِيرِ أَيْسَرُ مِنْ نَدَامَةِ التَّعْزِيرِ
 وَطَالِبُ الْفَضْلِ مِنَ الْأَعْدَاءِ كَذِي عَلِيلٍ شَرِقِ بَمَاءِ
 وَاتَّهَزَ الْفُرْصَةَ إِمَّا مَرَّتْ فَرُبَّمَا طَلَبْتَهَا قَفَرَتْ
 وَالْأَمْرُ إِنْ أَعْيَا عَلَيْكَ مِنْ عَلٍ فَاطَابَةُ قَبْلَ قُوْتِهِ مِنْ أَسْفَلِ
 مَنْ لَمْ يَعْظُهُ الدَّهْرُ بِالتَّجَارِبِ لَمْ يَتَّعِظْ يَوْمًا بِقَوْلِ صَاحِبِ
 رَبِّ رَحًا دَارَتْ بَيْنَ يَلِيهَا تَطْحَنُ فِي الْحُرُوبِ مُرْكِيهَا

مَنْ جَاسَ الْأَعْدَاءَ وَالْحُسَادَا لَمْ يَدَمْ الْخُبَالُ وَالنَّفْسَادَا
 وَوَحْدَةُ الْأَرْءِ بِلَا أُنَيْسٍ خَيْرٌ لَهُ مِنْ سَيِّئِ الْجَلِيسِ
 نَاصِحٌ أَخَاكَ فِي الْمَلَمَاتِ الْخَيْرُ وَكُنْ إِذَا نَاصَحْتَهُ عَلَى حَذَرٍ
 إِذَا لَمِيتَ النَّاسَ بِالنَّصِيحَةِ فَوَطِّنِ النَّفْسَ عَلَى الْقَضِيحَةِ
 مَنْ صَدَقَ الصَّاحِبَ وَالرَّفِيقَا لَمْ يَدَعْ الصِّدْقُ لَهُ صَدِيقَا
 مَنْ سَلَكَ الْقَصْدَ إِذَا مَا سَارَا فِي كُلِّ وَجْهِ أَمِنَ الْعِشَارَا

الصمت وحفظ اللسان

١٠٥

أَلْصَمْتُ لِلْمَرْءِ حَلِيفُ السَّلْمِ وَشَاهِدُهُ لَهُ بِفَضْلِ الْحُكْمِ
 وَحَارِسٌ مِنْ زَلَلِ اللِّسَانِ فِي الْقَوْلِ إِنْ عَيَّ عَنِ الْبَيَانِ
 فَعُدَّ بِهِ مُعْتَصِمًا مِنَ الْخَطَا أَوْسَقَطُ يُفْرِطُ فِي مَا قَرَطَا
 إِنَّ السُّكُوتَ يُعْقِبُ السَّلَامَةَ قُرْبَ قَوْلٍ يُورِثُ التَّدَامَةَ
 اسْتَبْدَلَ الْخَيْفَةَ مِنْ أَمَانِهِ مَنْ لَمْ يَكُنْ يَحْذَرُ مِنْ لِسَانِهِ
 يَظَلُّ مَكْرُوبًا طَوِيلًا سَقَمُهُ مَنْ لَا يَزُمُ قَوْلُهُ وَيَخْطُمُهُ
 مَنْ لَمْ يَكُنْ لِسَانُهُ مِنْ هَمِّهِ يَفْرَحُ بِهِ وَيَسْتَرَحُ مِنْ تَعْمِهِ
 مِنْ أَحْمَدِ الْأَشْيَاءِ فِي الْإِنْسَانِ زِيَادَةُ الْعَقْلِ عَلَى اللِّسَانِ
 إِسْرَافُ ذِي الْإِطْنَابِ فِي الْمَقَالِ أَضْرُّ مِنْ إِسْرَافِهِ فِي أُمَالِ
 لِأَشْيَاءٍ مِنْ جَوَارِحِ الْإِنْسَانِ أَحَقُّ بِالسَّجْنِ مِنَ اللِّسَانِ
 إِنَّ اللِّسَانَ سَبْعُ عَشْرَ عَمُورُ إِنْ لَمْ يَسْسُهُ الرَّأْيُ وَالتَّذْيِيرُ
 لَا تُطْلِقَنَّ الْقَوْلَ فِي غَيْرِ بَصَرٍ إِنْ اللِّسَانَ غَيْرُ مَأْمُونِ الضَّرْدِ

فَالْقَوْلُ مَا أَرْسَلْتَهُ عَلَى عَجَلٍ مُّوَكَّلٌ بِهِ الْعَارُ وَالزَّلَالُ
يَارُبَّ مَحْمُودٍ مِنَ الْمَقَالِ يَهِيحُ شَرًّا غَيْرَ مُسْتَقَالٍ
وَلَفْظَةٍ زَائِنَةٍ سَبِيلَهَا قَدْ سَلَبَتْ نِعْمَةً مَّنْ يَقُولُهَا
لَا تُطْلِقَنَّ فِي مَجْلِسٍ مَقَالَهُ إِذَا مَضَتْ لَيْسَ لَهَا إِقَالَهُ

الصدر

١٠٦

وَالصَّبْرُ قَاعَلَمٌ مِنْ أَعْدِ الْعَدَدِ عَلَى صُرُوفِ النَّائِبَاتِ الْعُودِ
فَأَجَعَلَهُ إِنْ هُمْ أَلَمَّ مَعْقِلًا وَأَجَعَلَهُ عِنْدَ النَّائِبَاتِ مَوْتَلًا
فَالدَّهْرُ لَا يَبْقَى عَلَى مِضْمَارٍ مُخْتَلِفِ الْإِقْبَالِ وَالْإِدْبَارِ
مَنْ لَمْ يَكُنْ عِنْدَ الْبَلَايَا صَابِرًا سَلَاكًا يَسْلُو الْبَهِيمَ صَاغِرًا
فَأَصْبِرْ إِذَا مَا عَضَّكَ الزَّمَانُ فَكُلُّ يَوْمٍ لِلْمَلِكِ شَانُ
مَنْ يَعْصِمُ بِالصَّبْرِ عِنْدَ الْحَادِثِ فَالْحَبْلُ فِي يَدَيْهِ غَيْرُ نَاكِثِ
إِذَا أَتَى مَا لَا تَطِيقُ دَفْعَهُ فَالصَّبْرُ أَوْلَى مَا أَقْتَنَيْتَ نَفْعَهُ
حُلُولُ مَا حَلَّ مِنَ الْبَلَاءِ كَالضَّيْفِ يَوْمًا حَلَّ فِي الْفَنَاءِ
فَأَصْبِرْ لِضَيْفِ بَيْتِكَ يَوْمًا نَزَلَا لَا يَلْبَثُ الْنَازِلُ أَنْ يَرْتَحِلَا

صدق النطق

١٠٧

وَأَكْرَمُ الْأَدَابِ صَدَقُ الْمَنْطِقِ أَكْرَمٌ بِهِ أَكْرَمٌ بِهِ مِنْ خُوقِ
أَعْدَلُ شَاهِدٍ عَلَى الصَّلَاحِ أَقْرَبُ مِنْهَاجٍ إِلَى الْفَلَاحِ
شَرَفٌ بِهِ أَخْلَاقُكَ الْكَرِيمَةِ أَسْرُّهُ بِهِ حَالَايَتِكَ الْذَمِيمَةِ
مَنْ صَدَقَ الْحَدِيثَ فِي الْمَقَالِ شَارَكَهُ الْمُتْرُونَ فِي الْأَمْوَالِ

وَالْكَذِبُ فَأَعْلَمُ أَفْطَحُ الْمَسَاوِي صَاحِبُهُ مُشْفَى عَلَى الْمَهَاوِي
 مَنْ يَشْتَهَرُ يَوْمًا بِكَذِبِ الْمُنْطِقِ ثُمَّ أَتَى بِالصِّدْقِ لَمْ يُصَدَّقْ
 مَنْ عَذِبَ الْكَذِبُ عَلَى لِسَانِهِ فَالْصِّدْقُ لَيْسَ كَانِنًا مِنْ شَأْنِهِ
 وَلَكِنَّهُ الْمُنْطِقُ بِالصَّوَابِ خَيْرٌ مِنَ الْإِفْصَاحِ بِالْكَذَابِ
 لَا تَعْصِينَ قَوْلَ ذَوِي التَّجَارِبِ . لَا تَسْتَعِنَ فِي عَمَلٍ بِكَاذِبٍ

المكالم

١٠٨

وَأَنْزِعْ إِلَى مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ فَإِنَّهَا مِنْ أَنْفَسِ الْأَعْلَاقِ
 تَحْمِيكَ مِنْ قَوَارِعِ الْمَلَامَةِ تَمْتَحِكُ الْأَغْرَازَ وَأَبْكَرَامَةَ
 أَزِينُ حِلْيَةٍ عَلَى الْإِنْسَانِ وَأَتَمِّجُ الْأَنْصَارَ وَالْأَعْوَانَ
 فَارْحَلْ إِلَيْهَا طَالِبًا لِفَضْلِهَا وَأَسْمُ إِلَيْهَا رَاغِبًا فِي نَيْلِهَا
 فَإِنَّهَا تَمْتَحِكُ الْفَضَائِلَ حَمْدًا مِنَ النَّاسِ وَذُخْرًا آجِلًا
 عَلَيْكَ مَا يُحَمَدُ مِنْ مَقَالٍ قَرَضَ عَلَيْهِ النَّفْسَ فِي الْأَعْمَالِ
 فَكُلُّ مَا اسْتَحْيَيْتَ أَنْ يُقَالَ فِيكَ فَلَا تَجْتَبِهِ فِعْمَالًا
 عَلَيْكَ حُسْنُ الْبَشْرِ فِي الْإِقَاءِ فَإِنَّهُ مِنْ سَبَبِ الْإِخَاءِ
 يُرِي عَلَى صَاحِبِهِ قَبُولًا مِنَ الْوَرَى وَمَنْظَرًا جَمِيلًا
 يَهْدِي لَكَ الْإِجْلَالَ وَالْإِعْظَامَا يَذُودُ عَنْكَ أَلْهَمَ وَالْمَلَامَا

١٠٩ القصيدة الزينية لصالح بن عبد القدوس وقيل لملي بن ابي طالب
 صرمت جبالك بعد وصلك زئيب (*) والدهر فيه تصرم وتقلب

(*) انما اراد الشاعر بزئيب هنا الدنيا وبالغائيات في البيت بعده ملذآنا

وَكَذَلِكَ وَصَلُ الْغَائِيَاتِ فَإِنَّهُ
 فَدَعَ الصَّبَا فَلَقَدْ عَدَاكَ زَمَانُهُ
 ذَهَبَ الشَّبَابُ فَمَا لَهُ مِنْ عَوْدَةٍ
 دَعَاكَ مَا قَدَفَاتِ فِي زَمَنِ الصَّبَا
 وَأَخْشَ مُنَاقَشَةَ الْحِسَابِ فَإِنَّهُ
 وَاللَّيْلِ فَاعْلَمَ وَالتَّهَارُ كِلَاهُمَا
 لَمْ يَنْسَهُ الْمَلَكُانِ حِينَ نَسِيَتْهُ
 وَالرُّوحُ فِيكَ وَدَيْعَةٌ أَوْدَعَتْهَا
 وَعُرُورٌ ذُنَيْكَ الَّتِي تَسْمَعِي لَهَا
 وَجَمِيعٌ مَا حَصَلَتْهُ وَجَمَعَتْهُ
 تَبًّا لِدَارٍ لَا يَدُومُ نَعِيمُهَا
 فَاتَمَعِ هُدَيْتِ نَصَابِحًا أَوْلَا كَهَا
 أَهْدَى النَّصِيحَةَ فَاتَعَطَّ عَقَالَهُ
 لَا تَأْمَنِ الدَّهْرَ أَحْوَنَ لِأَنَّهُ
 وَعَوَاقِبُ الْأَيَّامِ فِي غُصَّاتِهَا
 وَيَفُوزُ بِالْمَالِ الْحَقِيرِ مَكَانَهُ
 وَيُبَشِّ بِالرَّجَبِ عِنْدَ قُدُومِهِ
 فَاقْتَعِ فِي بَعْضِ الْقِنَاعَةِ رَاحَةً
 لَا تَحْرِيصَنَّ فَالْحَرْصُ لَيْسَ بِزَائِدٍ
 آلٌ يَبْلَقَعَةُ وَرَقٌ حُطْبُ
 وَأَزْهَدُ فَعْمُوكَ مَرٌّ مِنْهُ الْأَطْيَبُ
 وَأَتَى الْمَشِيبُ قَائِنٌ مِنْهُ الْمَهْرَبُ
 وَأَذْكَرُ ذُنُوبِكَ وَأَبْكَهَا يَأْمُذِبُ
 لَا بُدَّ يُحْصَى مَا جَنَيْتَ وَيَكْتَبُ
 أَنْفَاسُنَا بِهِمَا تُعَدُّ وَتَحْسَبُ
 بَلْ أَثْبَتَاهُ وَأَنْتَ لِأِهِ تَلْمُبُ
 سَتَرْدُهَا بِالرَّعْمِ مِنْكَ وَتَسْلُبُ
 دَارُ حَقِيقَتِهَا مَتَاعٌ يَذْهَبُ
 حَقًّا يَقِينًا بَعْدَ مَوْتِكَ يَنْهَبُ
 وَمَشِيدُهَا عَمَّا قَلِيلٍ يَخْرَبُ
 بِرُ نَصُوحِ الْأَنْامِ تَجْرِبُ
 فَهُوَ التَّقِيُّ اللُّوْذِيُّ الْأَدْرَبُ
 مَا زَالَ قِدْمًا لِلرِّجَالِ يُؤَدِّبُ
 مَضْضٌ يَذِلُّ لَهُ الْأَعْزُ الْأَنْجَبُ
 فَتَرَاهُ يُرْجَى مَا لَدَيْهِ وَيُرْغَبُ
 وَيُقَامُ عِنْدَ سَلَامِهِ وَيُقَرَّبُ
 وَلَقَدْ كَسَى تَوْبَ الْمَذَلَّةِ أَشْعَبُ
 فِي الرِّزْقِ بَلْ يُشْقِي الْحَرِيصَ وَيُتَعَبُ

كَمْ عَاجِزٍ فِي النَّاسِ يَأْتِي رِزْقُهُ
 فَعَلَيْكَ تَقْوَى اللَّهِ فَالْزَمَهَا تَفَرُّ
 وَأَعْمَلْ بِطَاعَتِهِ تَمَلَّ مِنْهُ الرِّضَا
 وَأَرَعَ الْأَمَانَةَ وَالْحَيَانَةَ فَاجْتَنِبْ
 وَأَحْذَرِ مِنَ الْمَظْلُومِ سَهْمًا صَائِبًا
 وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْأَقْرَابِ كُلِّهِمْ
 وَإِذَا بَلَيْتَ بِنِكَيَةٍ فَاصْبِرْ لَهَا
 وَإِذَا أَصَابَكَ فِي زَمَانِكَ شِدَّةٌ
 فَادْعُ لِرَبِّكَ إِنَّهُ أَذْنَى لِمَنْ
 وَأَجْذَرُ مَوْلَاةَ الدِّينِ لِأَنَّهُ
 وَأَخْتَرُ صَدِيقَكَ وَأَصْطَفِيهِ تَفَاخُرًا
 وَدَعِ الْكُذُوبَ فَلَا يَكُنْ لَكَ صَاحِبًا
 وَذَرِ الْحُقُودَ وَلَوْ صَفَا لَكَ مَرَّةً
 إِنَّ الْحُقُودَ وَإِنْ تَقَادَمَ عَهْدُهُ
 وَأَحْفَظْ لِسَانَكَ وَأَحْتَرِزْ مِنْ لَفْظِهِ
 وَزِنِ الْكَلَامَ إِذَا نَطَقْتَ وَلَا تَكُنْ
 وَالسِّرَّ فَأَكْثَمُهُ وَلَا تَطِقْ بِهِ
 وَأَحْرِصْ عَلَى حِفْظِ الْقُلُوبِ مِنَ الْأَدَى
 إِنَّ الْقُلُوبَ إِذَا تَنَافَرَتْ وَدَهَا

رَعْدًا وَيَحْرُمُ كَيْسٌ وَيُنَجِّبُ
 إِنَّ التَّقِيَّ هُوَ الْبَهِيُّ الْأَهْيَبُ
 إِنَّ الْمُطِيعَ لِرَبِّهِ لِمُقَرَّبُ
 وَأَعْدِلْ وَلَا تَظْلِمَ يُطِبُّ لَكَ مَكْسَبُ
 وَأَعْلَمْ بِأَنَّ دُعَاءَهُ لَا يُجِيبُ
 بِتَذَلُّلٍ وَأَسْمَحَ لَهُمْ إِنْ أَذْنَبُوا
 مَنْ ذَا رَأَيْتَ مُسْلِمًا لَا يُنْكِبُ
 أَوْ نَالَكَ الْخُطْبُ الْكُرْبِيُّ الْأَضْعَبُ
 يَدْعُوهُ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ وَأَقْرَبُ
 يُعِدِّي كَمَا يُعِدِّي الصَّحِيحُ الْأَجْرَبُ
 إِنَّ الْقَرِينَ إِلَى الْمُقَارِنِ يُنْسَبُ
 إِنَّ الْكُذُوبَ يَشِينُ حُرًّا يَصْحَبُ
 وَأَبْعَدُهُ عَنْ رُؤْيَاكَ لَا يُسْتَجَلَبُ
 فَالْحَقْدُ بَاقٍ فِي الصُّدُورِ مُعَيَّبُ
 فَالْمَرْءُ يَسْلَمُ بِاللِّسَانِ وَيَعْطِبُ
 ثُرَاتَرَةً فِي كُلِّ نَادٍ مُخْطَبُ
 فَهُوَ الْأَسِيرُ لَدَيْكَ إِذْ لَا يَنْشَبُ
 فَرُجُوعَهَا بَعْدَ التَّنَافُرِ يَصْعَبُ
 شِبْهُ الزُّجَاجَةِ كَسَرُهَا لَا يُشْعَبُ

وَأَحْذَرُ عَدُوَّكَ إِذْ تَرَاهُ بِأَسْمَا
 وَإِذَا الصَّدِيقَ رَأَيْتَهُ مُتَمَلِّقًا
 لَا خَيْرَ فِي وَدِّ أَمْرِي مُتَمَلِّقِي
 يُعْطِيكَ مِنْ طَرَفِ اللِّسَانِ حَلَاوَةً
 يَلْقَاكَ يَخْلِفُ أَنَّهُ بِكَ وَائِقُ
 وَإِذَا رَأَيْتَ الرِّزْقَ عَزَّ بِلَدَّةِ
 فَارْحَلْ فَارْضُ اللَّهُ وَاسِعَةَ الْفَضَا
 فَلَقَدْ نَصَحْتُكَ إِنْ قَبِلْتَ نَصِيحَتِي
 خُذْهَا إِلَيْكَ قَصِيدَةً مَنْظُومَةً
 بِحِكْمٍ وَآدَابٍ وَجُلٍّ مَوَاعِظِ
 فَاصْنَعْ لِي وَعِظَ قَصِيدَةً أَوْلَا كَهَا
 فَالْتِثُ يَبْدُو نَابَهُ إِذْ يَغْضُبُ
 فَهُوَ الْعَدُوُّ وَحَقَّهُ يُتَجَبَّبُ
 حُلُو اللِّسَانِ وَقَلْبُهُ يَتَقَلَّبُ
 وَيَرُوعُ مِنْكَ كَمَا يَرُوعُ الثَّلَابُ
 وَإِذَا تَوَارَى عَنْكَ فَهُوَ الْعُقْرَبُ
 وَخَشِيتَ فِيهَا أَنْ يَضِيقَ الْمَكْسَبُ
 طُولًا وَعَرَضًا شَرْقَهَا وَالْمَغْرِبُ
 فَالْتَصِعْ أَغْلَى مَا يُبَاعُ وَيُوهَبُ
 جَاءَتْ كَنْظَمِ الدَّرْبِلِ هِيَ أَعْجَبُ
 أَمْثَالُهَا لِذَوِي الْبَصَائِرِ تُكْتَبُ
 طَوْدُ الْعُلُومِ الْأَشَاخِطِ الْأَهْيَبُ

لامية ابن الوردي

١١٠

إِعْتَرَلَ ذِكْرَ الْأَغَانِي وَالْفَرَزَلِ
 وَدَعَى الذِّكْرَى لِأَيَّامِ الصَّبَا
 وَأَثْرَكَ الْغَادَةَ لَا تَحْفَلُ بِهَا
 وَافْتَكِرَ فِي مُنْتَهَى حُسْنِ الَّذِي
 وَأَهْجَرَ الْحُمْرَةَ إِنْ كُنْتُ قَتَى
 وَآتَى اللَّهُ فَتَقْوَى اللَّهِ مَا
 لَيْسَ مَنْ يِقْطَعُ طُرُقًا بَطَلًا
 وَقُلِ الْقُصْلَ وَجَانِبَ مَنْ هَزَلَ
 فَلِأَيَّامِ الصَّبَا نَجْمٌ أَقْلُ
 تَمَسَّ فِي عِزِّ رَفِيعٍ وَتَجَلَّ
 أَنْتَ تَهَوَّاهُ تَجِدُ أَمْرًا جَلَّ
 كَيْفَ يَسْمَعِي فِي جُنُونٍ مَنْ عَقَلَ
 جَاوَرَتْ قَابَ أَمْرِي إِلَّا وَصَلَ
 إِنَّمَا مِنْ يَتَّبِعِي اللَّهُ الْبَطْلُ

كُتِبَ أَمُوتْ عَلَى الْخَلْقِ فَكَمِمْ قَلَّ مِنْ جَيْشٍ وَأَفْنَى مِنْ دَوْلٍ
 أَيْنَ تَمْرُودٌ وَكَنْعَانٌ وَمَنْ مَلَكَ الْأَرْضَ وَوَلَّى وَعَزَلَ
 أَيْنَ مَنْ سَادُوا وَشَادُوا وَبَنُوا هَلَكَ الْكُلُّ وَلَمْ تُعْنِ الْقُلُلُ
 أَيْنَ أَرْبَابُ الْحُجِيِّ أَهْلُ النَّهْيِ أَيْنَ أَهْلُ الْعِلْمِ وَالْقَوْمُ الْأَوْلُ
 سَيِّدُ اللَّهِ كَلَّا مِنْهُمْ وَسَيِّزِي فَاعِلًا مَا قَدْ فَعَلَ
 أَيُّ نَبِيٍّ اتَّمَعَ وَصَايَا جَمَعَتْ حِكْمًا خُصَّتْ بِهَا خَيْرُ الْمَالِ
 أَطْلَبِ الْعِلْمَ وَلَا تَكْسَلْ فَمَا أَبْعَدَ الْخَيْرَ عَلَى أَهْلِ الْكَسَلِ
 وَأَحْتَلِ بِالْفَقْهِ فِي الدِّينِ وَلَا تَشْتَغِلْ عَنْهُ بِمَالٍ وَخَوْلِ
 وَأَهْجِرِ النَّوْمَ وَحَصَلَهُ فَمَنْ يَعْرِفُ الْمَطْلُوبَ يَحْتَرِ مَا بَدَلَ
 لَا تَقُلْ قَدْ ذَهَبَتْ أَيَّامُهُ كُلُّ مَنْ سَارَ عَلَى الدَّرْبِ وَصَلَ
 فِي أَرْذِيَادِ الْعِلْمِ إِرْغَامُ الْعِدَى وَجَمَالُ الْعِلْمِ إِصْلَاحُ الْعَمَلِ
 جَمَلُ الْمُنْطِقِ بِالْحَوْ فَمَنْ يُحْرَمُ الْإِعْرَابَ بِالنُّطْقِ اخْتَبَلَ
 أَنْظِمِ الشُّعْرَ وَلَا زِمِ مَذْهَبِي فِي أَطْرَاحِ الرَّفْدِ لَا تَبْغِ التَّحَلَّ
 فَهُوَ عُنْوَانُ عَلَى الْفَضْلِ وَمَا أَحْسَنَ الشُّعْرَ إِذَا لَمْ يُبْتَدَلْ
 مَلِكٌ كَسَرَى عَنْهُ تُعْنِي كِسْرَةً وَعَنْ النَّجْرِ اجْتِرَاءُ بِالْوَشَلِ
 إِطْرَحِ الدُّنْيَا فَمَنْ عَادَاتِهَا تَخْفِضُ الْعَالِي وَتُعْلِي مَنْ سَقَلَ
 عَيْشَةُ الرَّائِبِ فِي تَحْصِيلِهَا عَيْشَةُ الْجَاهِلِ فِيهَا أَوْ أَقَلِ
 كَمْ جَهُولٌ بَاتَ فِيهَا مُكْثِرًا وَعَلِيمٌ مَاتَ مِنْهَا بِعَمَلِ
 كَمْ شُبَّاعٌ لَمْ يَبَلْ فِيهَا الْمُنَى وَجَبَانَ نَالَ غَايَاتِ الْأَمَلِ

فَاتْرِكِ الْحِيلَةَ فِيهَا وَاتَّكِلِ
لَا تَقُلْ أَصْلِي وَقْصَلِي أَبَدًا
إِنَّمَا أُصْلُ أَلْتَقَى مَا قَدْ حَصَلَ
قَدْ يَسُودُ الْمَرْءُ مِنْ دُونَ أَبِي
وَبِحَسَنِ السَّبْكِ قَدْ يُنْفَى الزَّعْلُ
إِنَّمَا الْوَرْدُ مِنَ الشُّوكِ وَمَا
قِيَمَةُ الْإِنْسَانِ مَا يُحْسِنُهُ
بَيْنَ تَبْدِيرٍ وَنُحْلٍ رُتَبَةٌ
وَكَلَّا هَذِينَ إِنْ زَادَ قَتْلُ
لَيْسَ يَخْلُو الْمَرْءُ مِنْ ضِدِّهِ وَلَوْ
حَاوَلَ الْعُرْلَةَ فِي رَأْسِ جَبَلٍ
دَارِ جَارِ السُّوءِ بِالصَّبْرِ وَإِنْ
لَمْ تَجِدْ صَبْرًا فَمَا أَحْلَى النُّقْلُ
جَابِ السُّلْطَانَ وَأَحْذَرِ بَطْشَهُ
لَا تَلِ الْأَحْكَامَ إِنْ هُمْ سَأَلُوا
إِنَّ نِصْفَ النَّاسِ أَعْدَاءُ لِمَنْ
قَصَرَ الْأَمَالَ فِي الدُّنْيَا تَفَزَّ
رَغْبَةً فِيكَ وَخَالِفَ مَنْ عَدَلَ
غِبْ وَزُرْ غَيْبًا تَرُدُّ حُبًّا مَنْ
فَدَلِيلُ الْعَقْلِ تَقْصِيرُ الْأَمَلِ
أَكْثَرَ التَّرْدَادِ أَضْنَاهُ الْمَلَلُ
لَا يَضُرُّ الْقَضَلَ إِفْلَالُ كَمَا
وَأَعْتَبِرْ فَضَلَ أَلْتَقَى دُونَ الْحَلَلِ
حُبُّكَ الْأَوْطَانَ عَجْزُ ظَاهِرُ
وَسَرَى الْبَدْرِ بِهِ الْبَدْرُ اكْتَمَلُ
فِيكَ الْمَاءُ يَبْقَى آسِنًا

نونية ابي الفتح البستي

١١١

زِيَادَةُ الْمَرْءِ فِي دُنْيَاهُ نُقْصَانُ
وَرِيحُهُ غَيْرَ مَحْضِ الْخَيْرِ خُسْرَانُ

وَكُلُّ وَجْدَانٍ حَظٌّ لَا ثَبَاتَ لَهُ فَإِنَّ مَعْنَاهُ فِي التَّحْقِيقِ فُتْدَانُ
 يَا عَامِرًا لِحِرَابِ الدَّهْرِ مُجْتَهِدًا بِاللَّهِ هَلْ لِحِرَابِ الْعُرَى عُمَرَانُ
 وَيَا حَرِيصًا عَلَى الْأَمْوَالِ تُجَمِّعُهَا أَنْسَيْتَ أَنْ سُرُورَ أَمْوَالِ أَحْرَانُ
 زِعَ الْفَوَادِ عَنِ الدُّنْيَا وَزُخْرُفِهَا فَصَفَوْهَا كَدْرٌ وَالْوَصْلُ هِجْرَانُ
 وَأَرَعَ سَمْعَكَ أَمْثَالًا أَفْصَلَهَا كَمَا يُفْصَلُ يَأْقُوتُ وَمَرْجَانُ
 أَحْسِنَ إِلَى النَّاسِ تَسْتَعْبِدُ قُلُوبَهُمْ فَطَالَمَا اسْتَعْبَدَ الْإِنْسَانَ إِحْسَانُ
 يَا خَادِمَ الْجِسْمِ كَمْ تَسْعَى لِحِدْمَتِهِ أَتَطْلُبُ الرِّيحَ فِي مَا فِيهِ خُسْرَانُ
 أَقْبِلْ عَلَى النَّفْسِ وَأَسْتَكْمِلْ قَضَائِلَهَا فَأَنْتَ بِالنَّفْسِ لَا بِالْجِسْمِ إِنْسَانُ
 وَكُنْ عَلَى الدَّهْرِ مَعْوَا نَالِذِي أَمَلٍ يَرْجُو نَدَاكَ فَإِنَّ الْحَرْ مِعْوَانُ
 وَأَشْدُّ يَدَيْكَ بِجَبَلِ اللَّهِ مُعْتَصِمًا فَإِنَّهُ الرُّكْنُ إِنْ خَاتَمْتَ أَرْكَانُ
 مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُحْمَدُ فِي عَوَاقِبِهِ وَيَكْفِيهِ شَرٌّ مِنْ عَزَا وَمَنْ هَانُوا
 مَنْ اسْتَعَانَ بِغَيْرِ اللَّهِ فِي طَلَبِ فَإِنَّ نَاصِرَهُ عَجْزٌ وَخِذْلَانُ
 مَنْ كَانَ لِلْخَيْرِ مَنَاعًا فَلَيْسَ لَهُ عَلَى الْحَقِيقَةِ إِخْوَانُ وَأَخْدَانُ
 مَنْ جَادَ بِأَمْوَالِ مَالِ النَّاسِ قَاطِبَةً إِلَيْهِ وَأَمْوَالُ الْإِنْسَانِ فِتَانُ
 مَنْ سَلَّمَ النَّاسَ يَسْلَمُ مِنْ غَوَائِلِهِمْ وَعَاشَ وَهُوَ قَرِيرُ الْعَيْنِ جَذْلَانُ
 مَنْ كَانَ لِلْعَقْلِ سُلْطَانٌ عَلَيْهِ غَدَا وَمَا عَلَى نَفْسِهِ لِلْحَرِصِ سُلْطَانُ
 مَنْ مَدَّ طَرْفًا بِرُطْبِ الْجَهْلِ يُحَوِّهُوِي أَغْضَى عَلَى الْحَقِّ يَوْمًا وَهُوَ خِرْيَانُ
 مَنْ اسْتَشَارَ صُرُوفَ الدَّهْرِ قَامَ لَهُ عَلَى حَقِيقَةِ طَبَعِ الدَّهْرِ بَرْهَانُ
 مَنْ بَزَرَ الشَّرَّ يُخْصِدُ فِي عَوَاقِبِهِ نَدَامَةً وَلِحَصْدِ الزَّرْعِ إِبَانُ

مَن اسْتَمَامَ إِلَى الْأَشْرَارِ نَامَ وَفِي
 كُن رَيْقَ الْبَشَرِ إِنَّ الْحَرْهَمَةَ
 وَرَافِقَ الرَّفِيقِ فِي كُلِّ الْأُمُورِ فَلَمْ
 وَلَا يَفْرُكَ حَظُّ جَرَّةٍ حَرَقُ
 أَحْسَنَ إِذَا كَانَ إِمْكَانٌ وَمَقْدَرَةٌ
 فَأَلْرَوْضُ يَزْدَانُ بِالْأَنْوَارِ وَاعْمَةٌ
 صُنْ حُرٌّ وَجِهَكَ لَا تَهْتِكْ غِلَالَتَهُ
 دَعِ التَّكَاثُلَ فِي الْخَيْرَاتِ تَطْلُبُهَا
 لَا ظِلَّ لِلْمَرْءِ يَعْرِى مِنْ نَهْمِي وَتَقَى
 وَالنَّاسُ أَعْوَانٌ مِنْ وَآلَتِهِ دَوْلَتُهُ
 سَخْبَانٌ مِنْ غَيْرِ مَالٍ بِأَقْلٍ حَصِرُ
 لَا تُودِعِ السِّرَّ وَشَاءَ بِهِ مَذَلًا
 لَا تَحْسَبِ النَّاسَ طَبْعًا وَاحِدًا فَلَهُمْ
 مَا كُلُّ مَاءٍ كَصَدَاءِ لِيُورِدِهِ
 لَا تَحْدِثَنَّ بِمَطْلٍ وَجَهَ عَارِفَةٍ
 لَا تَسْتَشِرْ غَيْرَ نَدْبٍ حَازِمٍ يَقْظِي
 فَلَتَدَايِيرُ فَرْسَانٍ إِذَا رَكَّضُوا
 وَالْأُمُورُ مَوَاقِيتُ مُقَدَّرَةٌ
 فَلَا تَكُنْ عَجَلًا فِي الْأَمْرِ تَطْلُبُهُ
 قَيْصِيهِ مِنْهُمْ صِلْ وَثَعْبَانَ
 صَحِيفَةٌ وَعَلَيْهَا الْبِشْرُ عُنْوَانُ
 يَدَمٌ رَفِيقٌ وَلَمْ يَذُمَّهُ إِنْسَانُ
 فَالْحُرْقُ هَدْمٌ وَرَفَقُ الْمَرْءِ بُنْيَانُ
 فَلَنْ يَدُومَ عَلَى الْإِحْسَانِ إِمْكَانُ
 وَالْحُرُّ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانُ يَزْدَانُ
 فَكُلُّ حُرٍّ لِحُرِّ الْوَجْهِ صَوَانُ
 فَلَيْسَ يَسْعُدُ بِالْخَيْرَاتِ كَسَلَانُ
 وَإِنْ أَظْلَتَهُ أَوْرَاقُ وَأَفْسَانُ
 وَهُمْ عَلَيْهِ إِذَا عَادَتَهُ أَعْوَانُ
 وَبَاقِلُ فِي ثَرَاءِ الْمَالِ سَخْبَانُ
 فَارْعَى غَنَمًا فِي الدَّوْرِ سِرْحَانُ
 غَرَايِزُ لَسْتَ تُحْصِيهِنَّ أَلْوَانُ
 نَعَمٌ وَلَا كُلُّ نَبْتٍ فَهَوْ سَعْدَانُ
 فَالْبُرُّ يُخْدِشُهُ مَطْلٌ وَلَيَانُ
 قَدِ اسْتَوَى مِنْهُ اسْرَارُ وَإِعْلَانُ
 فِيهَا أَبْرُوا كَمَا لِلْحَرْبِ فَرْسَانُ
 وَكُلُّ أَمْرٍ لَهُ حَدٌّ وَمِيزَانُ
 فَلَيْسَ يُحْمَدُ قَبْلَ التَّضَمُّجِ بُحْرَانُ

كفى من العيش ما قدسد من عوز
وَدُو الْقِنَاعَةِ رَاضٍ مِنْ مَعِيشَتِهِ
فَقِيهِ لِلْحَرِّ قُتْيَانٌ وَغُنْيَانٌ
وَصَاحِبِ الْمَرْصِ إِنْ أَثْرَى فَفَضْبَانٌ
إِذَا جَفَاكَ خَلِيلٌ كُنْتَ تَأَلَّفُهُ
فَأَطَابُ سِوَاهُ فَكُلُّ النَّاسِ إِخْوَانٌ
حَسَبُ أُنْتَى عَقْلُهُ خِلَا يُعَاشِرُهُ
إِذَا تَحَامَاهُ إِخْوَانٌ وَخِلَانٌ
هَمَّا رَضِيعَا لِبَانِ حِكْمَةٍ وَتَقَى
وَسَاكِنَا وَطَنِ مَالٍ وَطُغْيَانِ
إِذَا نَبَأَ بِكَرِيمٍ مَوْطِنُ قَلْبِهِ
وَرَأَاهُ فِي بَسِيطِ الْأَرْضِ أَوْطَانِ
يَا ظَالِمًا فَرِحًا بِالْعِزِّ سَاعِدَهُ
إِنْ كُنْتَ فِي سِنَةِ الْدَّهْرِ يَقْظَانِ
مَا اسْتَمْرَأَ الظُّلْمَ لَوْ أَنْصَفْتَ آكِلُهُ
وَهَلْ يَلِدُ مَذَاقَ الْمَرْءِ خُطْبَانِ
يَا أَيُّهَا الْعَالِمُ الْمَرْضِيُّ سِيرَتُهُ
أَبْشِرْ وَأَنْتَ بَغْيِرُ الْمَاءِ رِيَانِ
وَيَا أَخَا الْجَهْلِ قَدْ أَصْبَحْتَ فِي الْحُجِّ
وَأَنْتَ مَا بَيْنَهَا لِاشْكَ ظَمَانِ
لَا تَحْسَبَنَّ سُرُورًا دَائِمًا أَبَدًا
مَنْ سَرَّهُ زَمَنٌ سَاءَتْهُ أَرْزَمَانِ
يَا رَافِلًا فِي الشَّبَابِ الْوُخْفِ مُنْتَشِيًا
مِنْ كَأْسِهِ هَلْ أَصَابَ الرَّشْدَ نَشْوَانِ
لَا تَغْتَرَّرْ بِشَبَابِ رَائِقِ خَضِلِ
فَكَمْ تَقَدَّمَ قَبْلَ الشَّيْبِ شُبَانِ
وَيَا أَخَا الشَّيْبِ لَوْ نَاصَحْتَ نَفْسَكَ لَمْ
يَكُنْ لِيُنْكَ فِي الْإِسْرَافِ إِمْعَانِ
هَبِ الشَّيْبَةَ تُبْلِي عُدْرَ صَاحِبِهَا
مَا عُدْرَ أَشْيَبَ يَسْتَهْوِيهِ شَيْطَانِ
كُلُّ الذُّنُوبِ فَإِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُهَا
إِنْ شِيعَ الْمَرْءُ إِخْلَاصَ وَإِيمَانِ
وَكُلُّ كَسْرٍ فَإِنَّ الدِّينَ يُجْبِرُهُ
وَمَا لِكَسْرِ قِتَاةِ الدِّينِ جَبْرَانِ
خُذْهَا سَوَاطِرَ أَمْثَالٍ مُهْدِيَةٍ
فِيهَا لِمَنْ يَبْتَغِي التَّيْيَانَ تَيَّانِ
مَا ضَرَّ حَسَانَهَا وَالطَّبْعُ صَانِعُهَا
أَنْ لَمْ يَصْنَعْهَا قَرِيعُ الدَّهْرِ حَسَانِ

الباب الخامس في اللامشاه

امثال في معان مختلفة جمعها ابن عبد ربه في العقد الفريد (*)

١١٢ (فِي الصَّمْتِ) * الصَّمْتُ حُكْمٌ وَقَلِيلٌ فَاعِلُهُ * عِيٌّ صَامِتٌ
خَيْرٌ مِنْ عِيٍّ نَاطِقٍ * الصَّمْتُ يُكْسِبُ أَهْلَهُ الْمَحَبَّةَ * اسْتَكْتَرَّ مِنْ
أَهْمِيَّةِ الصَّمُوتِ * النَّدْمُ عَلَى السُّكُوتِ خَيْرٌ مِنَ النَّدْمِ عَلَى الْكَلَامِ *
(مَنْ أَصَابَ مَرَّةً وَأَخْطَأَ مَرَّةً) * شَخْبٌ فِي الْإِنَاءِ وَشَخْبٌ فِي
الْأَرْضِ ١ * يَشْجُجُ مَرَّةً وَيَأْسُو أُخْرَى * سَهْمٌ لَكَ وَسَهْمٌ عَلَيْكَ *
أَطْرُقِي وَمِيشِي ٢ * (انْكَشَافُ الْأَمْرِ بَعْدَ اكْتِنَابِهِ) * حَصَّصَ الْحَقُّ *
أَبْدَى الصَّرِيحَ عَنِ الرَّغْوَةِ * صَرَّحَ الْمُخْضُ عَنْ الزُّبْدَةِ * أَفْرَخَ الْقَوْمُ
يَبِضَّتْهُمْ ٣ * بَرِحَ الْحَقَّاءُ وَكُشِفَ الْعَطَاءُ * (الدُّعَاءُ بِالْخَيْرِ) لِلْقَادِمِ
مِنْ سَفَرِهِ : خَيْرٌ جَاءَ وَرُدَّ فِي أَهْلِ وَمَالٍ ٤ * بَلَغَ اللَّهُ بِكَ أَكْثَرَ
الْعُمْرِ ٥ * نَعِمَ عَوْفَكَ ٦ * فِي الزَّوْجِ : عَلَى يَدِ الْخَيْرِ وَأَيْمِنَ *
بِالرِّفَاءِ وَالْبَيْنِ ٧ * هُنَّتْ وَلَا تَنْكُدُ ٨ * هَوَتْ أُمُّهُ وَهَبَلَتْ

(*) اعلم ان ما في الحاشية من الشروح كان متصلاً بالامثال ففصلناه عنها لاتهام السياق

- ١ شَبَّ بِالْحَالِبِ الْجَاهِلِ الَّذِي يَجْلِبُ شَخْبًا فِي الْإِنَاءِ وَشَخْبًا فِي الْأَرْضِ
- ٢ أَصْلُهُ أَنْ يُجْلِبَ الْوَبْرَ بِالصَّوْفِ . وَالْمِطْرَاقُ الْعُودُ الَّذِي يُضْرَبُ بِهِ بَيْنَ مَا خُلِطَ
- ٣ أَي أَخْرَجُوا فِرْعَانًا . يُرِيدُونَ أَظْهَرُ وَأَسْرَمَ
- ٤ أَي جَعَلَكَ اللَّهُ كَذَلِكَ
- ٥ أَي أَقْصَاهُ
- ٦ أَي نَعِمَ بِكَ
- ٧ يُرِيدُ بِالرِّفَاءِ الْكَثْرَةَ (كَذَا فِي الْأَصْلِ) . يُقَالُ رَفَأْتُهُ إِذَا دَعَوْتَ لَهُ بِالْكَثْرَةِ
- ٨ أَي أَصَابَكَ خَيْرٌ وَلَا أَصَابَكَ ضَرٌّ

أُمُهُ ١ * (الدُّعَاءُ بِالشَّرِّ) * حَوَى نَجْمُهُ وَرَكَدَتْ رِيحُهُ * بَاخَ مَيْسَتَهُ
 وَكَبَا جَوَادَهُ * نَحَمَدَ ضَرَامَهُ وَتَضَبَ مَاؤُهُ * إِنْتَلَمَ رُكْنَهُ وَأَنهَارَ جِرْفَهُ *
 نَقَبَ خِفَّهُ وَدَمِنَ ظِلْفَهُ * رَغِمَ أَنْفُهُ وَخَرَّ سَقْمُهُ * غَارَ مَاؤُهُ وَسَقَطَ
 بَهَاؤُهُ * قَرَعَ فَنَاؤُهُ وَصَفَرَ إِنَاؤُهُ * (رَمَى الرَّجُلُ غَيْرَهُ بِالْمُعْضَلَاتِ) *
 رَمَاهُ بِأَمْخَافِ رَأْسِهِ * وَرَمَاهُ بِثَالِثَةِ الْأَثَاثِيِّ ٢ * أَلْعَصِيَّةُ وَالْأَفِيكَةُ ٣ *
 كَأَنَّمَا أَفْرَعُ عَلَيْهِ ذُنُوبًا ٤ * (الْمَكْرُ وَالْحَلَالَةُ) * قَتَلَ فِي ذِرْوَتِهِ ٥ *
 ضَرَبَ أَمْخَاسًا لِأَسْدَاسٍ ٦ * وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: أَلْدَبُ يَأْدُو لِلغَزَالِ ٧ *
 (فِي الرَّجُلِ الْمُبْرَزِ فِي الْفَضْلِ) * مَا يُشَقُّ عُبَارُهُ ٨ * إِذَا جَرَى الْمُدَّكِيُّ
 حَسَرَتْ عَنْهُ الْحُرُّ ٩ * جِرْيُ الْمُدَّكِيَّاتِ غِلَاةٌ أَوْ غِلَابٌ * لَيْسَتْ لَهُ هَمَّةٌ
 دُونَ الْغَايَةِ الْقُصْوَى * (الرَّجُلُ النَّبِيَهُ الذِّكْرُ) * مَا يُنْحَرُ فَلَانٌ فِي
 أَلْعِيكُمُ ١٠ * مَا يَوْمٌ حَيَمَةٌ بِسِرِّ ١١ * أَشْهَرُ مِنَ الْإِبْلَقِ * وَهَلْ

١ يدعون عليه وهم يريدون الحمد له . ونحوه إذا أحسن . فأناله الله وأخزاه الله . ومنه قول امرئ القيس : ما له لأعد من نفره ٢ يريد قطعة من الجبل يجعل الى جنبها الثنتان وتكون هي الثالثة ٣ إذا رماه بالبهنان ٤ إذا كلمه كلمة يسكنه بها ٥ أي خادعه حتى أزاله من رأيه . ويروي عن الزبير حين سأل عائشة عن الخروج الى البصرة فأبت عليه : فما زال يقتل في الذروة والغارب حتى أجابت ٦ يريدون المناكرة . وقال آخر :

إذا أراد امرؤ مكرًا حتى غللاً وظلَّ يضرب أمخاساً لأسداس

٧ أي يختله ليوقعه ٨ أصله السابق من الخيل ٩ أي كما يسبق الفرس الفارح الحُرُّ ١٠ ألعكم الجوالق يريد أنه لا يتفق مكانه ١١ يضرب لكل أمر مشهور وكانت فيه وقعة مشهورة قُتِلَ فيها المنذر بن ماء السماء فضربت مثلاً

يَخْفَى عَلَى النَّاسِ النَّهَارُ . وَمِثْلُهُ : وَهَلْ يَخْفَى عَلَى النَّاطِرِ الصَّبْعُ *
 وَهَلْ يَجْهَلُ فُلَانًا إِلَّا مَنْ يَجْهَلُ الْقَمَرَ * (الرَّجُلُ الْعَزِيزُ يَبِيزُ بِهِ
 الذَّلِيلُ) * إِنْ الْبَغَاثَ بَارِضْنَا يَسْتَنْسِرُ ١ * لِأَحْرَ بُوَادِي عَوْفٍ ٢ *
 تَمَرَدَ مَارِدٌ وَعَزَّ الْأَبْلَقُ ٣ * مِنْ عَزَّ بَزَّ * مِنْ قَلَّ ذَلَّ * مَنْ أَمِرَ قَلَّ أَمِرَ
 أَي كَثُرَ) * (الرَّجُلُ الصَّعْبُ) * فُلَانٌ أَلْوَى بَعِيدٌ أَسْتَمَرَّ * مَا
 بَلَّغَتْ مِنْهُ بِأَفْوَقٍ نَاصِلٍ ٤ * مَا يَقَعُّعُ لِي بِالسَّنَانِ * مَا يَصْطَلِي بِنَارِهِ *
 مَا تُقَرَّنُ بِهِ الصَّعْبَةُ * (الرَّجُلُ الْعَالِمُ التَّخْوِيرُ) * إِنَّهُ لِيَقَابُ وَإِنَّهُ
 لِعَضُّ ٥ * أَنَا جَذِيئُهَا أَلْحَكُّكَ وَعَذِيئُهَا الْمَرْجَبُ ٦ * وَمِثْلُهُ : إِنَّهُ
 لِحَذَلُ حِكَاكٍ * عَنَيْتُهُ تَشْفِي الْحَرْبَ ٧ * لِذِي الْحِلْمِ قَبْلَ الْيَوْمِ مَا تُفْرَعُ
 الْعَصَا ٨ * إِنَّهُ لِأَمِيٌّ ٩ * مَا حَكَّكَ قَرْحَةً إِلَّا أَدْمَيْتَهَا * الْأُمُورُ
 تَشَابَهُ مُقْبِلَةً وَتَظَاهَرُ مُدْبِرَةً . وَلَا يَعْرِفُهَا مُقْبِلَةً إِلَّا الْعَالِمُ التَّخْوِيرُ .
 فَإِذَا أَدْبَرَتْ عَرَفَهَا الْجَاهِلُ وَالْعَالِمُ * (الرَّجُلُ الْمَجْرَبُ) * إِنَّهُ لِشَرَابٌ

١ البغاث صفار الطير تستنسر تصير نوراً ٢ يريدون عوف بن صعلم الشيباني وكان
 ميمياً ٣ مارد حصن يدومة والابلق حصن السموم ٤ وأصله سهم المكسور الفوق
 الساقط النصل . يقول : فهذا ليس كذلك ٥ النقاب الذكي والعصا العالم التخرير
 ٦ قال الأصمعي : المَسْدِيلُ تصغير المَسْدَلِ . وهو عود يُصَبُّ لِلإبل الجرباء تَحْتَهُ بِهِ مِنْ
 الجرب فأراد أن رأيه يشفي به . والمُدْبِقُ تصغير عَذَقٍ . والمُعْدَقُ بالفتح الخلة نفسها . فإذا مالت
 الخلة الكريمة بنوا من جانبها المائل بناءً مرتفعاً يدعها لكي لا تسقط فذلك الترحيب . وصدرها للدح
 ٧ والعصبة شيء : تعالج به الإبل إذا جربت ٨ وأول من فرعت له العصا
 سعد بن مالك الكناني . ثم فرعت لعامر بن الظرب العدواني . وكان حكماً في الجاهلية فكبر
 حتى أنكروا عقله . فقال لبنيه : إذا أنا زغت فقوموني . وكان إذا زاغ فرعت له العصا فبتزع
 عن ذلك ٩ وهو الذي يصيب بالظن

بَانْقَعَا * ١ * إِنَّهُ لِحَرَّاجُ وَّلَاجُ * حَلَبَ الدَّهْرَ أَشْطَرُهُ وَشَرِبَ أَفَاوِيْقَهُ * ٢ *
 رَجُلٌ مُنْجَذٌ * ٣ * أَوَّلُ لَغْزٍ وَأَخْرَقٌ * لَا تَغْزُ إِلَّا بِغْلَامٍ قَدْ غَزَا *
 زَاجِمٌ يُعَوِّدُ أَوْدَعَ * الْعَوَانُ لَا تُعَلِّمُ الْحِمْرَةَ . وَقَالَتِ الْعَامَّةُ : الشَّارِبُ
 لَا يُضَمَّرُ لَهُ * (الْإِتْقَالُ مِنْ ذَلِّ إِلَى عِزِّ) * كُنْتَ كُرَاعًا فَصِرْتَ
 ذِرَاعًا * كُنْتَ عِزْرًا فَاسْتَيْسَتْ * كُنْتَ بُغَانًا فَاسْتَسْرَتْ * (إِعْجَابُ
 الرَّجُلِ بِأَهْلِهِ) * كُلُّ قِتَاةٍ بِأَبْنَيْهَا مُحِبَّةٌ * الْقَرْنَبِيُّ فِي عَيْنِ أُمِّهَا حَسَنَةٌ *
 زَيْنٌ فِي عَيْنِ وَالِدِهِ وَوَلَدُهُ * حَسَنٌ فِي كُلِّ عَيْنٍ مِنْ تَوَدُّ * (أَشْبَاهُ الرَّجُلِ
 بِأَبِيهِ) * مَنْ أَشْبَهَ أَبَاهُ فَمَا ظَلَمَ * أَلْعَصِيَّةُ مِنَ الْعَصَا * مَا أَشْبَهَ حَجَلُ
 الْجِبَالِ بِالْوَانِ صَخْرَهَا * مَا أَشْبَهَ الْحَوْلَ بِالْقَبْلِ . وَمَا أَشْبَهَ اللَّيْلَةَ
 بِالْبَارِحَةِ * شَيْئَةٌ أَعْرَفَهَا مِنْ أُخْزَمِ * ٤ * قَالَ زُهَيْرٌ :

وَهَلْ يُبِتُ الحَطِيَّ إِلَّا وَشِيحُهُ وَتُغْرَسُ إِلَّا فِي مَنَابِتِهَا النَّخْلُ
 وَمَنْهُ قَوْلُ الْعَامَّةِ : لَا تَلِدُ الذِّئْبَةَ إِلَّا ذَيْبًا * حَذُو النَّعْلِ بِالنَّعْلِ
 وَحَذُو الْقِدَّةِ بِالْقِدَّةِ * ٥ * (الْحَلِيمُ) * إِذَا تَرَا الشَّرَّ فَاقْعُدْ * ٦ * وَمَنْهُ .
 الْحَلِيمُ مَطِيَّةُ الْجُهُولِ * لَا يَتَنَصَّفُ حَلِيمٌ مِنْ جَاهِلٍ * أَخْرَ الشَّرَّ فَإِنْ
 شِئْتَ تَجْتَهُ . وَقَوْلُهُمْ فِي الْحَلِيمِ : إِنَّهُ كَوَاقِعِ الطَّيْرِ وَكَسَاكِنِ

١ أي معاود للخبر والشئ ٢ أي اختبر من الدهر خبرة وشرة . فالشطر هو شطر الحلبة
 والبقية اسم اللبن حين يمتنع في الضرع ما بين الحلبتين ٣ وهو الجرب . وأصله من
 التواجد يقال : قد عض على ناخذ . إذا استحك ٤ يقال هذا في الولد إذا كانت
 فيه طبيعة من أبيه ٥ والقدة الريشة من ريش السهم تحدى على صاحبها
 ٦ أي فاحلم ولا تسارع اليه

الزبيح * كأنما على رؤوسهم الطير * ربما أسمع فأذر * حلمي أصم وأذني
 غير صماء * (مدارة الناس) * إذا لم تغلب فأخلب ١ * وقولهم :
 إلا حظية فلا آية ٢ * سوء الاستمسالك خير من حسن الصرعة *
 ومنه قول أبي الدرداء : إنا لبش في وجوه قوم وإن قلوبنا لتفر عنهم *
 ومنه قوله : يشرار الناس من داراه الناس لشره * ومنه قول شبيب بن
 شيبه في خالد بن صفوان : ليس له صديق في السر ولا عدو في
 العلانية . يريد أن الناس يدارونه لشره وقلوب الناس تبغضه *
 (الاستعداد للأمر قبل نزوله) * قبل الرمي يرأس السهم * قبل
 الرماية تملأ الكنان * خذ الأمر بقوله ٣ * شر الرأي الديري *
 التحايرة قبل المناجزة * التقدّم قبل النزول * يا عاقدا ذكر حلا *
 خير الأمور أحمدها مغبة * ليس الدهر بصاحب من لم ينظر في
 العواقب * (حسن التدبير والنهي عن الحرق) * الرقيق يمن
 والحرق شوم * رب أكلة تحرم أكالات * قلب الأمر ظهرا
 لبطن * وجه الحجر وجهة ما * ول حارها من تولى قارها * (الأمر
 الشديد المفضل) * أظلم عليه يومه * وأين يضع المخنوق يده * لو
 كان ذا حيلة تحول * رأى الكوكب ظهرا . قال طرفة : وتريه
 النجم يجري بالظهر * (هلاك القوم) * طارت به العنقا . وطارت

٢ معناه إن لم يكن حظوة فلا

٣ أي بلسنقابه قبل أن يدير

١ يقول : إذا لم تغلب فدار والطرف

تقصير . وألا يالو ويأتلي وهو التقصير

بِهِمْ عَقَابُ مَلَاعٍ ١ * وَالْمَنَائِيَا عَلَى الْخَوَايَا ٢ * أَتَتْهُمُ الدَّهْمُ تَرْمِي
 بِالرُّضْفِ ٣ * وَهَذَا أَمْرٌ لَا يُنَادَى وَوَيْدُهُ ٤ * اِلْتَقَتْ حَقَّتَا الْبَطَانِ *
 وَبَلَغَ السَّيْلُ الرَّبِي وَجَاوَزَ الْخِزَامُ الطَّيْبِينَ * وَتَقُولُ الْعَامَّةُ: بَلَغَ السَّكِينُ
 الْعَظْمَ * (الْيَأْسُ وَالْحَيْبَةُ) * مَنْ لِي بِالسَّائِحِ بَعْدَ الْبَارِحِ ٥ * جَاءَ
 بِخَفِي حَيْنٍ * أَطَالَ الْغَيْبَةَ وَجَاءَ بِالْحَيْبَةِ * وَتَطِيرُهُ: سَكَتَ الْفَأُ وَنَطَقَ
 حَلْقًا ٧ * (الْظُّلْمُ تَرْجِعُ عَاقِبَتُهُ عَلَى صَاحِبِهِ) * مَنْ حَفَرَ مَعْوَاةً وَقَعَ
 فِيهَا ٨ * يَدُو عَلَى كُلِّ أَمْرٍ مَا يَأْتِرُ * عَادَ الرَّمِيُّ عَلَى النَّزْعَةِ ٩ *
 وَتَقُولُ الْعَامَّةُ: كَأَنَّ لِبَاحِثٍ عَنْ مُدْيَةٍ * رُمِيَ بِمَجْرِهِ وَقَتِلَ بِسِلَاحِهِ *
 (نَفِيُّ الْمَالِ عَنِ الرَّجُلِ) * مَا لَهُ سَعَةٌ وَلَا مَعْنَةٌ ١٠ * مَا لَهُ هِلَعٌ وَلَا
 هَلْمَةٌ ١١ * مَا لَهُ هَارِبٌ وَلَا قَارِبٌ ١٢ * مَا لَهُ عَافِظَةٌ وَلَا نَافِظَةٌ ١٣ *

١ يُقَالُ ذَلِكَ فِي الْوَاحِدِ وَالْمَجْمَعِ . وَأَحْسِبُهَا مَعْدُولَةً عَنْ مَلِيعٍ ٢ قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ : الْخَوَايَا فِي
 هَذَا الْمَوْضِعِ مَرْكَبٌ مِنْ مَرَاكِبِ النِّسَاءِ وَاحِدَتُهَا حَوِيَّةٌ . وَأَحْسِبُ أَصْلَهَا إِنْ قَوْمًا قَاتَلُوا مَحْمُولُوا
 عَلَى الْخَوَايَا فَصَارَتْ مَثَلًا ٣ مَعْنَاهُ الدَّاهِيَةُ الْعَظِيمَةُ ٤ مَعْنَاهُ أَنْ الْأَمْرَ اشْتَدَّ حَتَّى
 ذَهَبَتِ الْمَرْأَةُ أَنْ تَدْعُو وَوَيْدُهُمَا ٥ أَيُّ مَنْ لِي بِالْيَسَنِ بَعْدَ الشُّؤْمِ
 ٦ قَالَ الشَّاعِرُ :

وَمَا زِلْتُ أَقْطَعُ عَرْضَ الْبِلَادِ مِنْ الْمَشْرِقِينَ إِلَى الْمَغْرِبِينَ
 وَأَدْرَعُ الْحَوَافِ تَحْتَ الدُّجَى وَأَسْتَحْبِبُ النَّسْرَ وَالْفَرَقِدِينَ
 وَأَطْوِي وَأَنْشُرُ ثَوْبَ الْحَمُومِ إِلَى أَنْ رَجَعْتُ بِخَفِي حَيْنِينَ

٧ أَيُّ اطَّالَ السُّكُوتُ وَتَكَلَّمَ بِالْقَبِيحِ . وَهَذَا الْمَثَلُ يَقَعُ فِي بَابِ الْعِيِّ وَلَهُ هَهُنَا وَجْهٌ أَيْضًا
 ٨ وَالْمَغَارَةُ الْبَيْرُ تَحْفَرُ لِلذَّنَابِ وَيَعْمَلُ فِيهَا جَدِي لِيَسْقُطَ الذَّنْبُ فِيهَا لِيَصِيدَهُ فِصْطَادٌ
 ٩ وَهِيَ الرَّمَاةُ يَرْجِعُ عَلَيْهِمْ رَمِيمٌ
 ١٠ مَعْنَاهُ لَا شَيْءَ لَهُ
 ١١ وَهِيَ الْهَدْيُ وَالْعِنَاقُ ١٢ مَعْنَاهُ لَيْسَ لَهُ أَحَدٌ يَجْرِبُ مِنْهُ وَلَا أَحَدٌ يَقْرُبُ إِلَيْهِ فَيَلْسُ لُهُ
 ١٣ وَهِيَ الْضَائِنَةُ وَالْمَاغِزَةُ شَيْءٌ

مَا بِهِ نَبْضٌ وَلَا حَبْضٌ ١ * مَا لَهُ سَبْدٌ وَلَا لَبْدٌ ٢ * (إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي
 الدَّارِ أَحَدٌ) * مَا بِالْأَدَارِ دُعْوِيٌّ وَلَا بِهَا دُئِيٌّ ٣ * وَمَا بِهَا مِنْ غَرِيبٍ .
 وَلَا بِهَا دُورِيٌّ وَلَا طُورِيٌّ . وَمَا بِهَا وَارٍ وَمَا بِهَا صَافِرٌ . وَمَا بِهَا دِيَارٌ وَمَا
 بِهَا نَافِخٌ ضَرْمَةٌ . وَمَا بِهَا إِرْمٌ ٤ * (إِسْتِجْمَالُ الرَّجُلِ وَنَفْيُ الْعِلْمِ) *
 مَا يَعْرِفُ الْحَوْمَانَ اللَّوِيَّ . وَمَا يَعْرِفُ الْحَيَّ مِنَ اللَّيِّ . وَلَا هَرِيرًا مِنْ غَرِيرٍ .
 وَلَا قَيْلًا مِنْ ذَبِيرِهِ * وَمَا يَعْرِفُ أَيُّ طَرْفِهِ أَطْوَلُ وَأَكْبَرُ * وَمَا يَعْرِفُ
 مِنْ بَيْرِهِ مِمَّنْ يَبْرُهُ * وَأَيُّ طَرْفِهِ أَطْوَلُ أَنْسَبُ أَيُّهُ أَمْ نَسَبُ أُمِّهِ

١١٣ هذه آيات ذهب مذهب الامثال وأكثرها للسنتي والحري

إِنَّمْ وَلَدٌ فَلِلْأُمُورِ أَوَّخِرُ أَبَدًا كَمَا كَانَتْ لَهْنًا أَوَّابِلُ
 إِذَا غَامَرْتَ فِي شَرَفِ مَرُومٍ فَلَا تَقْنَعُ بِمَا دُونَ النُّجُومِ
 إِذَا أَعْتَادَ الْفَتَى حَوْضَ الْمُنَايَا فَاهْوَنُ مَا يَمُرُّ بِهِ الْوُحُولُ
 إِنَّ السَّلَاحَ جَمِيعُ النَّاسِ تَحْمِلُهُ وَلَيْسَ كُلُّ ذَوَاتِ الْغَلَبِ السَّعِ
 الْعَبْدُ لَيْسَ لِحِرِّ صَالِحٍ بَأَخٍ لَوْ أَنَّهُ فِي ثِيَابِ الْحَرِّ مَوْلُودُ
 إِذَا اشْتَبَكَ دُمُوعٌ فِي حُدُودٍ تَبَيَّنَ مَنْ بَكَى مِمَّنْ تَبَاكَى
 إِنَّ الْكِرَامَ إِذَا مَا أَيْسَرُوا ذَكَرُوا مَنْ كَانَ يَأْتُهُمْ فِي الْمَنْزِلِ الْحُسَيْنُ

١ قال الأصمعي: النبض والحبض في الوتر. والنبض تحرك الوتر والحبض صوته وقال:

والنبض جوي نبضاً وحبضاً ٢ الشعر والصوف ٣ معناه ما جاء من يدعو ومن

يدب ٤ معنى هذا كله ما جاء أحد. ولا يقال منها شيء في الإثبات

والإيجاب وإنما يقولونها في التني والحمد ٥ والقيل ما أقبلت به من

قبل الجبل والديبر ما أدبرت به منه

إِنَّ الزَّرَازِيرَ لَمَّا قَامَ قَائِمَهَا
 إِنْ كُنْتَ تَطْلُبُ عِزًّا فَادْرِعْ نَعْبًا
 أَيَا حَجَرَ الشُّحْدِ حَتَّى مَتَى
 إِذَا لَمْ يُعِنْ قَوْلَ النَّصِيحِ قَبُولُ
 تَوَهَّمَتْ أَنَّهَا بَصَارَتْ شَوَاهِينَا
 أَوْ قَارِضٌ بِالذَّلِّ وَأَخْتَرِ رَاحَةَ الْبَدَنِ
 إِذَا مَا الْجُرْحُ رَمَّ عَلَى فَسَادِ
 إِذَا اللَّهُ لَمْ يَحْرُسْكَ مِمَّا تَخَافُهُ
 فَكُلْ مَعَارِيضَ الْكَلَامِ فُضُولُ
 تَبَيَّنَ فِيهِ تَفْرِيطُ الطَّيِّبِ
 فَلَا السِّيفَ قَطَاعٌ وَلَا الدَّرْعَ مَانِعُ
 وَإِذَا نُدِبُوا لِلْقَوْلِ قَالُوا فَأَحْسِنُوا
 إِنْ السَّمَاءُ إِذَا لَمْ تَبْكِ مَقْلَتَهَا
 بِذَا قَضَتْ الْأَيَّامَ مَا بَيْنَ أَهْلِهَا
 تَرِيدِينَ إِدْرَاكَ الْمَعَالِي رَخِيصَةً
 صَدِيقُ عَدُوِّي دَاخِلٌ فِي عَدَاوَتِي
 فَلَا حَدِيثَهُمْ يُجْنِي لَهَا ثَمْرُ
 قَدْ تَنَكَّرَ الْعَيْنُ ضَوْءَ الشَّمْسِ مِنْ رَمَدِ
 كَرِيشَةٍ بِمَهَبِ الرِّيحِ سَاقِطَةٍ
 كَبْرُ بِلَا نَسْبٍ تَيْهٌ بِالْأَحْسَبِ
 لَمْ أَرَدْ الطَّيْرَ عَنِ شَجَرِ
 لَا خَيْرَ فِي حُسْنِ الْجُسُومِ وَطُولِهَا
 لَا تَقْطَعَنَّ ذَنْبَ الْأَفْعَى وَتُرْسِلَهَا
 لَهُ خَلِيقٌ بِيضٌ لَا يُغَيِّرُهَا
 تَوَهَّمَتْ أَنَّهَا بَصَارَتْ شَوَاهِينَا
 أَوْ قَارِضٌ بِالذَّلِّ وَأَخْتَرِ رَاحَةَ الْبَدَنِ
 إِذَا مَا الْجُرْحُ رَمَّ عَلَى فَسَادِ
 إِذَا اللَّهُ لَمْ يَحْرُسْكَ مِمَّا تَخَافُهُ
 فَكُلْ مَعَارِيضَ الْكَلَامِ فُضُولُ
 تَبَيَّنَ فِيهِ تَفْرِيطُ الطَّيِّبِ
 فَلَا السِّيفَ قَطَاعٌ وَلَا الدَّرْعَ مَانِعُ
 وَإِذَا نُدِبُوا لِلْقَوْلِ قَالُوا فَأَحْسِنُوا
 إِنْ السَّمَاءُ إِذَا لَمْ تَبْكِ مَقْلَتَهَا
 بِذَا قَضَتْ الْأَيَّامَ مَا بَيْنَ أَهْلِهَا
 تَرِيدِينَ إِدْرَاكَ الْمَعَالِي رَخِيصَةً
 صَدِيقُ عَدُوِّي دَاخِلٌ فِي عَدَاوَتِي
 فَلَا حَدِيثَهُمْ يُجْنِي لَهَا ثَمْرُ
 قَدْ تَنَكَّرَ الْعَيْنُ ضَوْءَ الشَّمْسِ مِنْ رَمَدِ
 كَرِيشَةٍ بِمَهَبِ الرِّيحِ سَاقِطَةٍ
 كَبْرُ بِلَا نَسْبٍ تَيْهٌ بِالْأَحْسَبِ
 لَمْ أَرَدْ الطَّيْرَ عَنِ شَجَرِ
 لَا خَيْرَ فِي حُسْنِ الْجُسُومِ وَطُولِهَا
 لَا تَقْطَعَنَّ ذَنْبَ الْأَفْعَى وَتُرْسِلَهَا
 لَهُ خَلِيقٌ بِيضٌ لَا يُغَيِّرُهَا

مَا كُلُّ مَنْ طَلَبَ الْمَعَالِي تَأْفِذَا
 مَا الَّذِي عِنْدَهُ تُدَارُ الْمُنَايَا
 مَا أَنْتَ أَوْلَى سَلْوِ غَرَهُ قَرُّ
 مَا إِنْ يَضُرُّ الْعَضْبُ كَوْنُ قِرَابِهِ
 وَكَيْفَ يَبِيتُ مُضْطَجِعًا جَبَانُ
 وَمَا الْحَسَنُ فِي وَجْهِ الْقَتِي سَرَفُهُ
 وَمَا فِي سَطْوَةِ الْأَرْبَابِ عَيْبُ
 وَمَا الْحِدَاثَةُ عَنْ حِلْمٍ بِمَانِعَةٍ
 وَمَا مَنَزَلُ اللَّذَاتِ عِنْدِي بِمَنَزَلِ
 وَمَا كُلُّ نَاوٍ لِلْجَمِيلِ بِفَاعِلِ
 وَمَا الْحَيْلُ إِلَّا كَالصَّدِيقِ قَلِيلَةٌ
 وَكُلُّ أَمْرِي يُؤَلِّي الْجَمِيلَ مُحِبُّ
 وَمَنْ يَجِدُ الطَّرِيقَ إِلَى الْمَعَالِي
 وَأَسْتَكْبِرُ الْأَخْبَارَ قَبْلَ لِقَائِهِ
 وَمِنْ نَكِدِ الدُّنْيَا عَلَى الْحِرَانِ يَرَى
 وَمِنْ الْبَلِيَّةِ عَذْلٌ مَنْ لَا يَرْعَوِي
 وَمِنْ الْعُدَاوَةِ مَا يَنَالُكَ نَفْعُهُ
 وَكُلُّ بَرِي طَرُقِ الشُّجَاعَةِ وَالنَّدَى
 وَرُبَّ كَيْبٍ لَيْسَ تَدْنَى جُفُونُهُ

فِيهَا وَلَا كُلُّ الرِّجَالِ فُحُولًا
 كَالَّذِي عِنْدَهُ تُدَارُ السَّمُولُ
 وَرَأَيْدُ أَعْجَبْتَهُ خُضْرَةُ الدَّمَنِ
 خَلْقًا وَلَا الْبَارِي حَقَارَةُ عُسِهِ
 فَرَشْتَ لِحْنِهِ شَوْكَ الْقَتَادِ
 إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي فِعْلِهِ وَالْحَلَائِقِ
 وَلَا فِي زَلَّةِ الْعُبْدَانِ عَارُ
 قَدْ يُوجَدُ الْحَامُ فِي الشَّبَانَ وَالشَّيْبِ
 إِذَا لَمْ أَتَجَلَّ عِنْدَهُ وَأَكْرَمِ
 وَلَا كُلُّ فَعَالٍ لَهُ يُتَمِّمُ
 وَإِنْ كَثُرَتْ فِي عَيْنٍ مَنْ لَا يَجْرِبُ
 وَكُلُّ مَكَانٍ يُنْبِتُ الْعِرَّ طَيْبُ
 فَلَا يَذُرُّ الْمُطَيِّ بِلَا سَنَامِ
 فَلَمَّا التَّقِينَا صَغَرَ الْخُبْرُ الْخُبْرُ
 عَدُوا لَهُ مَا مِنْ صَدَاقَتِهِ بُدُ
 عَنْ جَهْلِهِ وَخَطَابٍ مَنْ لَا يَفْهَمُ
 وَمِنْ الصَّدَاقَةِ مَا يَضُرُّ وَيُؤْلِمُ
 وَلَكِنَّ طَبْعَ النَّفْسِ لِلنَّفْسِ قَائِدُ
 وَرُبَّ كَثِيرِ الدَّمْعِ غَيْرِ كَيْبِ

وَفِي تَعَبٍ مِّن تَجْمُدِ الشَّمْسِ ضَوْءَهَا وَيَجْهَدُ أَنْ يَأْتِيَ لَهَا بِضْرِبٍ
 وَإِنْ كَانَ ذَنْبِي كُلُّ ذَنْبٍ فَإِنَّهُ مَحَا الذَّنْبِ كُلِّ الْخَوْفِ مَنْ جَاءَ تَائِبًا
 وَإِطْرَاقُ طَرْفِ الْعَيْنِ لَيْسَ بِنَافِعٍ إِذَا كَانَ طَرْفُ الْقَلْبِ لَيْسَ بِمُطْرَقٍ
 وَكُلُّ أَمْرِي يَوْمًا سَيَعْرِفُ سَعِيَهُ إِذَا حَصَّاتِ عِنْدَ الْإِلَهِ الْحَصَائِلُ
 وَقَدْ نَبَّحَ الْكَلْبُ السَّحَابَ وَدُونَهَا مَهَامُهُ تَغَشَى نَظْرَةَ الْمُتَأَمِّلِ
 وَمَنْ يَأْمَنِ الدُّنْيَا يَكُنْ مِثْلَ قَابِضٍ عَلَى الْمَاءِ خَاتَمُهُ فُرُوجُ الْأَصَابِعِ
 وَوَضَعَ النَّدَى فِي مَوْضِعِ السَّيْفِ بِالْعُلَى مُضِرٌّ كَوْضَعِ السَّيْفِ فِي مَوْضِعِ النَّدَى
 وَمَا أَنْفَعَا أَحْيَى الدُّنْيَا بِنَظَرِهِ إِذَا اسْتَوَتْ عِنْدَهُ الْأَنْوَارُ وَالظُّلُمُ
 وَهَلْ يَدْعِي اللَّيْلُ الدَّجُوجِيَّ أَنَّهُ تَضِيءُ ضِيَاءَ الشَّمْسِ شُهْبُ ظَلَامِهِ
 وَلَا تَشِيمُ كُلُّ خَالٍ لَاحَ بَارِقُهُ وَلَوْ تَرَأَى هَيُونَ السَّكْبِ تَحَاجَا
 وَالنَّارُ فِي أَحْجَارِهَا مَخْبُوءَةٌ لَا تَلْتَطِي إِنْ لَمْ تَثْرَهَا الْأَزْنُدُ
 وَاللَّهُمَّ يَحْتَرِمُ الْجَسِيمَ مَخَافَةٌ وَيُشِيبُ نَاصِيَةَ الصَّبِيِّ وَهَرِيمُ
 وَمَنْ يَنْشُدِ الرُّكْبَانَ عَنْ كُلِّ غَالِبٍ فَلَا بُدَّ أَنْ يُلْفِي بَشِيرًا وَنَاعِيًا
 وَأَوَّلُ مَا يَكُونُ اللَّيْلُ شِبْلًا وَمَبْدَأُ طَاعَةِ الْقَدْرِ الْهَلَالُ
 وَالنَّجْمُ تَسْتَصْفِرُ الْأَبْصَارَ صُورَتَهُ وَالذَّنْبُ لِلطَّرْفِ لِالنَّجْمِ فِي الصِّغْرِ
 وَكَمْ مُضْمِرٌ بَعْضًا يُدْرِكُ حَبَّةً وَفِي الرِّزْدِنَارِ وَهُوَ فِي الدُّسِّ بَارِدُ
 وَمَا كُلُّ أَزْهَارِ الرِّيَاضِ أَرْيَجَةٌ وَلَا كُلُّ أَطْيَارِ الْقَلَا تَتَرَنَّمُ
 وَمَا كُلُّ مَنْ هَزَّ الْحَسَامَ بِضَارِبٍ وَلَا كُلُّ مَنْ أَجْرَى الْيَرَاعَ بِكَاتِبٍ
 وَمَا كُلُّ وَحْشٍ تَرَى ضَيْغَمًا وَلَا كُلُّ عُوْدٍ يُسَمَّى عَفَارًا

يُخْفِي الْعِدَاةَ وَهِيَ غَيْرُ خَفِيَّةٍ نَظَرُ الْعَدُوِّ بِمَا أَسْرَ بِيُوحُ
يَا جُلَّ مَا بَعْدَتْ عَلَيْكَ بِلَادَنَا وَطَلَابِنَا فَارْعُدْ بِأَرْضِكَ وَأَبْرِقْ
يَمْرُ وَعِيدُ الظَّالِمِينَ بِسَمْعِهِ كَمَا طَنَّ فِي لَوْحِ الْجَيْنِ ذَبَابٌ
يَلْقَاكَ وَالْعَسَلُ الْمُصْفَى يُجْتَنَى مِنْ قَوْلِهِ وَمِنَ الْعِفَالِ الْعَلَمُ

١١٤ نَجْمَةٌ مِنْ تَفْرِيدِ الصَّاحِبِ لِبْنِ حِجَّةِ الْحَمَوِيِّ

مَنْ عَرَفَ اللَّهَ أَزَالَ التُّهْمَةَ وَقَالَ كُلُّ فِعْلِهِ لِلْحِكْمَةِ
وَمَنْ أَغَاثَ الْبَائِسَ الْمَلْهُوفَا أَغَاثَهُ اللَّهُ إِذَا أَخِيفَا
فَإِنَّ مِنْ خَلَائِقِ الْكِرَامِ رَحْمَةً ذِي الْبَلَاءِ وَالْأُسْقَامِ
وَإِنَّ مِنْ شَرَائِطِ الْعُلُوِّ الْعَطْفَ فِي الْبُؤْسِ عَلَى الْعَدُوِّ
لَا تَغْتَرِّزْ بِالْحِفْظِ وَالسَّلَامَةِ فَإِنَّمَا الْحَيَاةُ كَالْمُدَامَةِ
وَالْعُمُرُ مِثْلُ الْكَاسِ وَالذَّهْرُ الْقَدْرُ وَالصَّفْوُ لَا يَدُلُّهُ مِنَ الْكَدْرِ
فَإِنَّمَا الرِّجَالُ بِالْإِخْوَانِ وَالْيَدُ بِالسَّاعِدِ وَالْبَنَانُ
وَمَوْجِبُ الصَّدَاقَةِ الْمُسَاعَدَةُ وَمُقْتَضَى الْمُوَدَّةِ الْمُعَاضَدَةُ
وَإِنْ رَأَيْتَ النَّصْرَ قَدْ لَاحَ لَكَ فَلا تُقْصِرْ وَاحْتَرِزْ أَنْ تَهْلِكَ
وَأَضْعَفُ الْمُلُوكِ طَرًّا عَقْدًا مِنْ غَرَّةِ السَّلْمِ فَأَقْصَى الْجُنْدَا
لَا تَيَأْسَنْ مِنْ فَرْجٍ وَلُطْفٍ وَقُوَّةٍ تَظْهَرُ بَعْدَ ضَعْفٍ
تَسْأَلُ بِالرَّفْقِ وَبِالتَّائِي مَا لَمْ تَسَلْ بِالْحِرْصِ وَالتَّعْنِي
لَا خَيْرَ فِي جَسَامَةِ الْأَجْسَامِ بَلْ هُوَ فِي الْعُقُولِ وَالْأَفْهَامِ
لَا تَحْتَقِرْ شَيْئًا صَغِيرًا مُحْتَقَرًا قَرِيبًا أَسَّاتِ الدَّمِ الْإِبْرَ

كَمْ حَسَنَ ظَاهِرُهُ قَبِيحُ وَسَمِجٍ عُنْوَانُهُ مَلِيحُ
 فَأَلْعَاقِلُ الْكَامِلُ فِي الرِّجَالِ لَا يَتَشَنَّى لِرُخْرِفِ الْمَقَالِ
 مَا طَابَ قَرَعُ أَصْلُهُ خَيْثُ وَلَا زَكَا مِنْ مَجْدِهِ حَدِيثُ
 وَأَلْبَنِي فَأَحْذَرُهُ وَخِيمُ الْمَرْتَعِ وَالْمَجْبُ فَاثْرُكُهُ شَدِيدُ الْمَصْرَعِ
 وَالْعَدْرُ بِالْعَهْدِ قَبِيحٌ جِدًّا شَرُّ الْوَرَى مَنْ لَيْسَ يَرَعَى الْعَهْدَا

من قصيدة لبي العتاهية المثلية

١١٥

إِنَّ الشَّبَابَ وَالْفَرَاعَ وَالْجِدَّةَ مَفْسَدَةٌ لِلْمَرْءِ أَيُّ مَفْسَدَةٍ
 يُغْنِيكَ عَنْ كُلِّ قَبِيحٍ تَرْكُهُ يَرْتَمِنُ الرَّأْيَ الْأَصِيلَ شَكَّهُ
 مَا عَيْشٌ مِنْ آفَتِهِ بِقَاوُهُ نَقَصَ عَيْشًا كُلَّهُ فَنَاوُهُ
 يَأْرُبُ مَنْ أَسْخَطَنَا بِجَهْدِهِ قَدْ سَرَّنَا اللَّهُ بِغَيْرِ حَمْدِهِ
 مَا تَطَّلَعُ الشَّمْسُ وَلَا تَغِيْبُ إِلَّا لِأَمْرِ شَأْنُهُ غَيْبُ
 لِكُلِّ شَيْءٍ مَعْدِنٌ وَجَوْهَرٌ وَأَوْسَطُ وَأَصْفَرُ وَأَكْبَرُ
 وَكُلُّ شَيْءٍ لِأَحَقِّ بِجَوْهَرِهِ أَصْفَرُهُ مُتَّصِلٌ بِأَكْبَرِهِ
 مَنْ لَكَ بِالْمُحْضِ وَكُلُّ مُمْتَرِجٍ وَسَاوِسُ فِي الصَّدْرِ مِنْهُ تَخَلُّجُ
 الْخَيْرِ وَالشَّرِّ هُمَا أَزْوَاجُ لَذَا نِتَاجُ وَلَذَا نِتَاجُ
 مَنْ لَكَ بِالْمُحْضِ وَلَيْسَ مُحْضٌ يَجِبُ بَعْضُ وَيَطِيبُ بَعْضُ
 وَالْخَيْرُ وَالشَّرُّ إِذَا مَا عُدَا بَيْنَهُمَا بُونَ بَعِيدٌ جِدًّا
 عَجِبْتُ حَتَّى عَمِنِي السُّكُوتُ صرْتُ كَأَنِّي حَارٌّ مَبْهُوتُ
 كَذَا قَضَى اللَّهُ فَكَيْفَ أَصْنَعُ أَلْقَمْتُ إِنْ ضَاقَ الْكَلَامُ أَوْسَعُ

الباب السادس في الأمتثال والاشارة

الملك المتري

١١٦ ذَكَرَ الْحُكَمَاءَ . وَذَوُوا الْفَضْلَ مِنَ الْعُلَمَاءِ . أَنَّهُ كَانَ فِي
بَعْضِ الْأَمْصَارِ . تاجرٌ مِنْ أَعْيَانِ التَّجَارِ . وَكَانَ لَهُ غُلَامٌ مَخَالِيلُ السَّعَادَةِ
مِنْ جَبِينِهِ لِأَيْحَةَ . وَرَوَّاحُ النَّجَابَةِ مِنْ أَذْيَالِ شِمَالِهِ فَائِحَةٌ . فَأَوْسَقَ
لَهُ أَبُوهُ مَرْكَبًا مِنَ الْمَتَاجِرِ وَالْمَنَافِعِ . وَأَخَذَ فِي تَعْيَةِ الْبَضَائِعِ . وَسَلَّمَهُ
إِلَى الْهَوَاءِ وَالْمَاءِ . بَعْدَ أَنْ تَوَكَّلَ عَلَى رَبِّ السَّمَاءِ . فَسَارَ بَعْضَ أَيَّامٍ .
وَهُوَ فِي أَهْنَاءِ مَرَامٍ . وَأَطْيَبَ عَيْشٍ وَمَقَامٍ . الْمَاءُ رَائِقٌ . وَالْهَوَاءُ
مُؤَافِقٌ . وَالنَّكَدُ مُفَارِقٌ . وَالسَّرُورُ مُرَافِقٌ . وَبَيْنَمَا السَّفِينَةُ مِنْ
نَسْفِ الْعَوَاصِفِ أَمِينَةٌ . تَجَارِي السَّهْمَ وَالطَّيْرَ . وَتَبَارِي الدَّهْمَ فِي
السَّيْرِ . وَإِذَا بِالرِّيَّاحِ هَاجَتْ . وَالْأَمْوَاجَ مَاجَتْ . وَأَنْبَجَ الْبَحْرُ
تَصَادَمَتْ . وَأَطْوَادِ الْأَمْوَاجِ عَلَى الْعُرْفَاءِ تَلَاطَمَتْ . فَعَجَزَ ذَلِكَ الْمَلَّاحُ
وَتَرَكَ شَيْمَةَ الْوَقَارِ وَالسَّكِينَةَ . وَرَقِمَ نَفْسُ الْحُرُوفِ فِي الْوَاحِ
السَّفِينَةَ . فَشَاهَدُوا مِنْ الْهَوَاءِ الْأَهْوَالَ . وَغَدَا قَاعُ التَّجْرِ كَالْجِبَالِ .
وَصَارَ طَائِرُ ذَلِكَ الْغُرَابِ يَمُنُ فِيهِ مِنَ الْأَعْتَابِ . كَأَحْوَالِ
الدُّنْيَا بَيْنَ صُعُودٍ وَهَبُوطٍ . وَقِيَامٍ وَسُقُوطٍ . طَوْرًا يُسَامُونَ . الْأَفْلَاكَ
وَيُنَاجُونَ الْأَمْلَاكَ . وَطَوْرًا يَهْبُطُونَ الْغُورَ . وَيَنْظُرُونَ قَرْنَ الثَّوْرِ .

وَرَبَّمَا مَرَقُوا مِنْهُ مِنْ تَحْتِ الزُّورِ . فَلَمْ يَدْرُوا عَاجِزِينَ حَيَارَى سَكَارَى
وَمَا هُمْ بِسُكَارَى يَتَأَشَدُّونَ :

وَفَلَكَ رَكْبَانَهُ وَالْبَجْرُ ذُو هَوَاءٍ فَسَارَ وَحَارَ وَمَارَا
فَطَوَّرَا عَلَوْنَا السَّمَاءَ وَطَوَّرَا رُبِنَا إِلَى الْأَرْضِ مِنْهَا أَنْحَدَارَا
وَأَخِرَ الْأَمْرِ نَسَفَتِ السَّفِينَةَ الرِّيَّاحُ وَأَوْعَرَ اللَّهُ سَهْلَهَا . وَخَرَقَهَا
فَأَعْرَقَهَا وَأَهْلَهَا . وَذَهَبَ الْبَجْرُ بِأَمْوَالِهَا وَأَرْوَاحِهَا . وَتَمَلَّقَ الْغَلَامُ
بِلُوحٍ مِنَ الْوِاحِجِ . وَأَسْتَمَرَ تَقْدِفُهُ الْأَمْوَاجُ . وَتَصَطَّيْمُ بِهِ أَثْبَاجُ
الْبَجْرِ الْهَيَّاجِ . إِلَى أَنْ وَصَلَ إِلَى سَاحِلٍ . فَخَرَجَ وَهُوَ كَيْبٌ نَاجِلٌ .
وَصَعَدَ إِلَى جَزِيرَةٍ . فَوَاقَيْهَا غَزِيرَةٌ . وَوَضَعَهَا عَجِيبٌ . لَيْسَ بِهَا دَاعٍ
وَلَا مَحِيبٌ . فَجَعَلَ يَمِشِي فِي جَنَابِهَا إِلَى أَنْ آدَاهُ التَّوْفِيقُ . إِلَى فَمِ
طَرِيقٍ . فَسَارَ فِي تِلْكَ الْجَادَةِ . وَهَدَايَةَ اللَّهِ لَهُ مَادَةٌ . فَأَنْتَهَى بِهِ
الْمَسِيرُ . إِلَى أَنْ تَرَأَى لَهُ سَوَادَ كَبِيرٍ . وَبَلَغَ مَمْلَكَةَ عَظِيمَةٍ . وَوِلَايَةَ
جَسِيمَةٍ . وَرَأَى عَلَى بُعْدِ مَدِينَةٍ . مُسَوَّرَةَ حَصِينَةٍ . فَعَمِدَ إِلَى ذَلِكَ
الْبَلَدِ . وَتَوَجَّهَ نَحْوَهُ وَقَصَدَ . فَاسْتَقْبَلَهُ طَائِفَةٌ مِنَ الرِّعَالِ . نِسَاءُ
وَرِجَالٍ . يَتَّبِعُهُمْ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ . وَطَوَائِفٌ مُحْشَدَةٌ . مِنْ طُبُولٍ تُضْرَبُ .
وَفَوَارِسٍ تَلْعَبُ . وَزُمُورٍ تَرَعُقُ . وَالسَّنَةِ بِالْتِنَاءِ تَنْطِقُ . حَتَّى إِذَا
وَصَلُوا إِلَيْهِ . تَرَامُوا عَلَيْهِ . وَكَبُّوا بَيْنَ يَدَيْهِ . يَقْلُونَ يَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ .
مُسْتَبْشِرِينَ بِرُؤْيَيْهِ . مُتَبَرِّكِينَ بِطَلْعَتِهِ . ثُمَّ الْبُسُودُ الْخَلْعُ السَّنِيَّةُ .
وَقَدَّمُوا لَهُ فَرَسًا عَلَيْهِ . بِكَنْبُوشٍ ذَهَبٍ . وَسَرَجٍ مُغْرَقٍ . وَوَضَعُوا

لَهُ التَّاجَ عَلَى الْمَفْرِقِ . وَمَشَوْا فِي الخِدْمَةِ بَيْنَ يَدَيْهِ . وَالْجَنَابِ فِي
 الْمَوَاكِبِ تُجْرُ لَدَيْهِ . يَنَادُونَ : حَاشَاكَ وَإِلَيْكَ . سُلْطَانُ النَّاسِ قَادِمٌ
 عَلَيْكَ . حَتَّى وَصَلُوا إِلَى الْمَدِينَةِ . وَدَخَلُوا فَلَقَتَهَا الْحَصِينَةَ . فَفَرَسُوا
 شَقَقَ الْحَرِيرِ . وَنَثَرُوا النِّثَارَ الْكَثِيرَ . وَأَجْلَسُوهُ عَلَى السَّرِيرِ . وَأَطْلَقُوا
 تَجَامِرَ النَّيِّ وَالْعَبِيرِ . وَوَقَفَ فِي خِدْمَتِهِ الصَّغِيرُ وَالْكَبِيرُ . وَالْمَأْمُورُ
 وَالْأَمِيرُ وَالِدُسْتُورُ وَالْوَزِيرُ . وَأَنشَدُوهُ :

قَدِمْتَ قَدُومَ الْبَدْرِ بَيْتَ سَعُودِهِ . وَأَمْرَكَ فِينَا صَاعِدٌ كَصُعُودِهِ
 (قَالُوا) : إَعْلَمُ يَا مَوْلَانَا أَنَّكَ صَرْتَ لَنَا سُلْطَانًا وَنَحْنُ كُنَّا
 عَيْدِكَ . وَتَابِعُ مَرَادِكَ وَمُرِيدِكَ . فَافْعَلْ مَا تَحْتَارُ . وَتَحْكَمْ فِي الْكِبَارِ
 مِنَّا وَالصَّغَارِ . وَأْمُرْ فَا مِثَالِ أَمْرِكَ عَلَيْنَا نَحْتُمُ . وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ فِي خِدْمَتِكَ
 مَقَامٌ مَعْلُومٌ . فَجَعَلَ يَتَفَكَّرُ فِي أَمْرِهِ وَمَبْدَأِهِ . وَيَتَأَمَّلُ مَا صَارَ إِلَيْهِ
 وَيَتَدَبَّرُ فِي مُنْتَهَاهُ . فَقَالَ : إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ سَبَبٍ . وَلَا بُدَّ
 لَهُ مِنْ آخِرٍ وَمُنْقَلَبٍ . فَإِنَّهُ لَمْ يَصْدُرْ فِي عَالَمِ الْكُونَ سُدًى . وَإِنَّ
 لِهَذَا الْيَوْمِ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ غَدًا . وَإِنَّ الصَّانِعَ الْقَدِيمَ الْقَادِرَ الْحَكِيمَ .
 السَّمِيعَ الْعَلِيمَ الْبَصِيرَ الْحَيَّ الْمُدِيرَ الْكَرِيمَ . لَمْ يَقْدِرْ هَذِهِ الْأَفْعَالَ . عَلَى
 سَبِيلِ الْإِهْمَالِ . وَلَمْ يُجِدْ حَدَثًا لِعِبَا وَلَا عِبَا . وَجَعَلَ يَلِازِمُ هَذِهِ
 الْأَفْكَارَ . أَنَاءَ اللَّيْلِ وَأَطْرَافِ النَّهَارِ . وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ قَائِمٌ بِشُكْرِ
 النِّعْمَةِ . مُلَازِمٌ بِأَبِ مَوْلَاهُ بِالطَّاعَةِ وَالخِدْمَةِ . وَأَضِعَ الْأَشْيَاءَ فِي مَحَلِّهَا .
 وَالْمَنَاصِبَ فِي يَدِ أَهْلِهَا . مُلْتَمِثٌ إِلَى أَحْوَالِ الرَّعِيَةِ عَامِلٌ بَيْنَهُمْ بِالْعَدْلِ

وَالسَّوِيَّةُ . مُتَعَدِّدُ أُمُورِ الْكِبَارِ وَالصِّغَارِ . بِأَنْوَاعِ الْإِحْسَانِ وَأَصْنَافِ الْمُبَارِ . مُؤَسَّسُ قَوَاعِدِ الْمَمْلَكَةِ وَالسَّلْطَنَةِ عَلَى أَرْكَانِ الْعَقْلِ وَالْعَدْلِ مَهْمَا أَمَكْنَهُ . مُتَخَصُّصُ عَنْ مَصَالِحِ الْمَمْلَكَةِ . سَالِكٌ مَعَ كُلِّ مَنْ أَرَبَابِ الْوُظَائِفِ مَا يَتَّقِي مَسَلِكُهُ . ثُمَّ وَقَعَ اخْتِيَارُهُ مِنْ بَيْنِ أَوْلِيكَ الْجَمَاعَةِ عَلَى شَابِّ جَلِيلِ الْبِرَاعَةِ . لَهُ فِي سُوقِ الْفَضْلِ وَالْوَفَاءِ أَوْفَرُ بَضَاعَةٍ . مُتَّصِفٌ بِأَنْوَاعِ الْكَمَالِ مُتَحَلٍّ بِزِينَةِ الْأَدَبِ وَالْجَمَالِ . فَأَتَّخِذُهُ وَزِيرًا . وَفِي أُمُورِهِ نَاصِحًا وَمُشِيرًا . فَجَعَلَ يَلِاطِفُهُ وَيُرْضِيهِ . وَيُكْرِمُهُ وَيُدْنِيهِ . وَيُفِيضُ عَلَيْهِ مِنْ مَلَابِسِ الْإِنْعَامِ . وَخَلَعَ الْإِفْضَالَ وَالْإِكْرَامَ . مَا مَلَكَ بِهِ حَبَّةٌ قَلْبِهِ . وَاسْتَصَفَى خَالِصَ وَدِّهِ وَلِيَّهُ . وَسَكَنَ فِي سُوَيْدَانِهِ . وَمَسَكَنَ بِهِ مِنْ ضَمِيرِ أَحْشَائِهِ . إِلَى أَنْ اخْتَلَى بِهِ وَتَلَطَّفَ فِي خِطَابِهِ . وَاسْتَصَحَّحَهُ فِي جَوَابِهِ . وَسَأَلَهُ عَنْ أَمْرِ امْرَأَتِهِ وَمُوجِبِ رِفْعَتِهِ وَسَلْطَنَتِهِ مِنْ غَيْرِ مَعْرِفَةِ الرِّفَاقِ . وَلَا أَهْلِيَّةِ وَلَا اسْتِحْقَاقِ . وَلَا هُوَ مِنْ بَيْتِ الْمَلِكِ . وَلَا فِي بَحْرِ السَّلْطَنَةِ لَهُ فُلُكٌ . وَلَا مَعَهُ مَالٌ وَلَا خَيْلٌ يَهْدِيهَا . وَلَا رِجَالٌ وَلَا مَعْرِفَةٌ يُدْبِي بِهَا . وَلَا سَجَاعَةٌ وَفَضِيلَةٌ يَهْتَدِي بِتَهْدِيهَا . فَقَالَ ذَلِكَ الشَّابُّ فِي الْجَوَابِ : أَعْلَمُ أَيُّهَا الْمَلِكُ الْأَعْظَمُ أَنَّ هَذِهِ الْبَلَدَةَ وَعَسَاكِرَ إِقْلِيمِهَا وَجُنْدَهُ قَدْ اخْتَرَعُوا أَمْرًا . وَأَصْطَلَحُوا عَلَى عَادَةِ تَجَرِّي . سَأَلُوا الرَّحْمَانَ أَنْ يُقَيِّضَ لَهُمْ فِي أَوَانٍ . شَخْصًا مِنْ جِنْسِ الْإِنْسَانِ . يَكُونُ عَلَيْهِمْ ذَا سُلْطَانٍ . فَأَجَابَهُمْ إِلَى ذَلِكَ . فَسَلَكُوا فِي أَمْرِهِ هَذِهِ الْمَسَالِكَ . وَذَلِكَ أَنَّهُمْ فِي الْيَوْمِ الَّذِي قَدِمْتَ عَلَيْهِمْ . يُرْسِلُ اللَّهُ تَعَالَى

رَجُلًا مِنْ عَالَمِ الْغَيْبِ إِلَيْهِمْ . فَيَسْتَقْبِلُونَهُ كَمَا اسْتَقْبَلُوكَ . وَيَسْلُكُونَ مَعَهُ
 طَرِيقَةَ الْمُلُوكِ . مِنْ غَيْرِ نَقْصٍ وَلَا زِيَادَةٍ . وَقَدْ صَارَتْ هَذِهِ لَهُمْ عَادَةً .
 فَيَسْتَمِرُّ عَلَيْهِمْ سَنَةٌ . فِي هَذِهِ الْمُرْتَبَةِ الْحَسَنَةِ . فَإِذَا انْقَضَى الْأَجَلُ
 الْمَعْدُودُ . وَجَاءَ ذَلِكَ الْيَوْمَ الْمَوْعُودُ . عَمَدُوا إِلَى ذَلِكَ السُّلْطَانِ وَقَدْ
 صَارَ فِيهِمْ ذَا إِمْكَانٍ وَمَكَانٍ وَعُلُقَةٍ وَنَسَبٍ . وَإِحَاءٍ وَنَسَبٍ . وَتَبَّتْ
 لَهُ أَوْلَادٌ . وَصَارَ لَهُ أَهْلٌ وَأَوْلَادٌ . جَرُّهُ بِرَجُلِهِ مِنَ النَّجْتِ . وَسَبَّوهُ
 ثُوبَ الْعِزَّةِ وَالرَّخْتِ . وَأَلْبَسُوهُ ثُوبَ الدَّلِّ وَالنَّكَالِ . وَأَوْتَقَوْهُ
 بِالسَّلَائِلِ وَالْأَغَالِلِ . وَحَمَلَهُ الْأَهْلُ وَالْأَقَارِبُ . وَأَتَوْا بِهِ إِلَى بَحْرِ
 قَرِيبٍ فَوَضَعُوهُ فِي قَارِبٍ . وَسَمَّوهُ إِلَى مُوَكَّلِينَ لِيُوصِلُوهُ إِلَى ذَلِكَ
 الْجَانِبِ . فَيُوصِلُوهُ إِلَى ذَلِكَ الْبَرِّ . وَهُوَ قَفْرٌ أَغْبَرُ . لَيْسَ بِهِ أُنَيْسٌ وَلَا
 رَفِيقٌ . وَلَا جَلِيسٌ وَلَا صَدِيقٌ . وَلَا زَادٌ وَلَا مَاءٌ . وَلَا نَشْوَةٌ وَلَا نَمَاءٌ .
 وَلَا مُعِيثٌ وَلَا مُعِينٌ . وَلَا قَرِيبٌ وَلَا قَرِينٌ . وَلَا قُدْرَةٌ وَلَا إِمْكَانٌ .
 عَلَى الْوُصُولِ إِلَى الْعُمَرَانِ . وَلَا ظِلٌّ وَلَا ظَلِيلٌ . وَلَا إِلَى الْخُلَاصِ
 سَبِيلٌ . وَلَا إِلَى طَرِيقِ النَّجَاةِ دَلِيلٌ . فَيَسْتَمِرُّ هُنَاكَ فَرِيدًا طَرِيدًا إِلَى
 أَنْ يَهْلِكَ عَطَشًا وَجُوعًا . لَا يَمْلِكُ إِقَامَةً وَلَا يَسْتَطِيعُ رُجُوعًا . ثُمَّ
 يَسْتَأْنِفُ أَهْلَ هَذِهِ الْبِلَادِ . مَا لَهُمْ مِنْ فِعْلٍ مُعْتَادٍ . فَيَجْرُجُونَ بِالْأَهْمَةِ
 الْكَامِلَةِ . إِلَى تِلْكَ الطَّرِيقِ السَّائِلَةِ . فَيَقْبِضُ اللَّهُ تَعَالَى لَهُمْ رَجُلًا .
 فَيَفْعَلُونَ مَعَهُ مِثْلَ مَا فَعَلُوا مَعَ غَيْرِهِ قَوْلًا وَعَمَلًا . وَهَذَا دَأْبُهُمْ وَدَيْنُهُمْ .
 وَقَدْ ظَهَرَ لَكَ ظَاهِرُهُمْ وَبَاطِنُهُمْ . فَقَالَ ذَلِكَ الْعَلَامُ الْمَفْلُحُ . لِذَلِكَ

الْوَزِيرُ الْمُصْلِحُ : فَهَلْ أَطَّلَعَ أَحَدٌ مِّنْ تَقَدَّمَ عَلَى عَاقِبَةِ هَذَا الْمَأْتَمِ .
 قَالَ : كُلُّ عُرْفٍ ذَلِكَ . وَتَحَقَّقَ أَنَّهُ عَنْ قَرِيبٍ هَالِكٌ . وَلَكِنْ غُرُورُ
 السُّلْطَنَةِ لِيَهِيَهُ . وَسُرُورُ التَّحَكُّمِ وَالتَّسَلُّطِ يُطْعِمُهُ . وَحُضُورُ اللَّذَةِ الحَاصِلَةِ
 لِسُوءِ العَاقِبَةِ يُنْسِيهِ . وَلَا يُفِيقُ مِنْ عَقْلَتِهِ . وَيَسْتَقِظُ مِنْ رَقَدَتِهِ . إِلَّا
 وَعَامُهُ قَدْ مَضَى . وَالْأَجَلُ الْمَضْرُوبُ قَدْ انْقَضَى . وَقَدْ أَحَاطَتْ بِهِ
 نَوَازِلُ البَلَاءِ . وَهَجَمَ عَلَيْهِ بَوَازِلُ القَضَاءِ . فَيَسْتَيْثُ . وَلَا مُعِيثُ .
 وَيُنَادِي الحَلَاصَ . وَلَاتِ حِينَ مَنَاصٍ . فَلَمَّا سَمِعَ العَلَامُ . هَذَا الكَلَامَ .
 أَطْرَقَ مُفَكِّرًا . وَبَقِيَ مُتَحَيِّرًا . وَعَلِمَ أَنَّهُ إِنْ لَمْ يَتَدَارَكَ أَمْرَهُ وَيَتَلَفَّ
 خَيْرَهُ وَسَرَّهُ وَتَدَبَّرَ حَالَهُ . وَمَصِيرَهُ وَمَالَهُ . هَلَكَ هَلَكَ الأَبَدِ . وَلَمْ يَشْرُ
 بِهِ أَحَدٌ . فَأَخَذَ يُفَكِّرُ فِي وَجْهِ الحَلَاصِ . وَالتَّفَصِّيِّ مِنْ شَرِّكَ الأَقْتِنَاصِ .
 ثُمَّ قَالَ لِلْوَزِيرِ النَّاصِحِ الحَبِيرِ : أَيُّهَا الرِّفِيقُ الشَّفِيقُ . وَالنُّصُوحُ الصَّدِيقُ .
 جَزَاكَ اللهُ خَيْرًا . وَكَفَاكَ ضِيمًا وَضِيرًا . إِنِّي قَدْ فَكَّرْتُ فِي شَيْءٍ يَنْفَعُ
 نَفْسِي وَيُخَيِّبُنِيهَا . وَيُدْفَعُ شَرَّ هَذِهِ البَلِيَّةِ الَّتِي وَقَعَتْ فِيهَا . وَلَمْ يَبْقَ جِهَةٌ
 مُخْلِصٌ . مِنْ هَذَا المُنْقَصِ . إِلَّا الطَّرِيقُ وَاحِدٌ . وَسَبِيلٌ غَيْرُ مُتَعَاهِدٍ . وَهُوَ
 أَنْ تَأْخُذَ طَائِفَةٌ مِنَ البَنَانِيِّينَ . وَجَمَاعَةٌ مِنَ المُهَنْدِسِيِّينَ وَالتَّجَارِينِ .
 فَتَأْمُرُهُمْ أَنْ يَبْنُوا لِنَاهُنَاكَ مَدِينَةً . وَيُشِيدُوا لِنَافِيهَا أَمَاكِنَ مَكِينَةً .
 وَتَحَازِنَ وَحَوَاصِلَ . وَمَتَلَاهَا مِنْ الزَّادِ المُتَوَاصِلِ . مِنَ المَأْكَلِ الطَّيِّبَةِ .
 وَالْأَطْعَمَةِ وَالْأَشْرَبَةِ اللَّذِيذَةِ المُسْتَعْدَبَةِ . وَلَا تَعْفَلْ عَنِ الإِرْسَالِ . وَلَا
 تُجِيزِ الإِهْمَالَ وَالْإِهْمَالَ . فِي الظَّهِيرَةِ وَالْأَسْحَارِ وَالعُدُوِّ وَالْأَصَالِ . إِذْ

أَوْقَاتِنَا مَحْدُودَةٌ. وَأَنْفَاسِنَا مَعْدُودَةٌ. وَسَاعَةٌ تُتَمَّي مِنْهَا غَيْرُ مَرْدُودَةٍ.
 بِحَيْثُ إِذَا نَقَلْنَا مِنْ هَذِهِ الدِّيَارِ. وَطَرِحْنَا فِي تِلْكَ الْمَهَامِهِ وَالْفَقَارِ. وَجَفَانَا
 الْأَصْحَابُ. وَتَخَلَّى الْأَخْلَاقَنَا وَالْأَحْبَابُ. وَأَنْكَرْنَا الْمَعَارِفُ وَالْأَوْلَادُ.
 وَاحْتَوَشْنَا فِي تِلْكَ الْبِيدَاءِ. فَنُونَ الدَّاءِ. نَحْدُ مَا نَسْتَعِينُ بِهِ عَلَى إِقَامَةِ
 الْأَوْدِ. مُدَّةَ إِقَامَتِنَا فِي ذَلِكَ الْبَلَدِ. فَأَجَابَ بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ. وَاخْتَارَ
 مِنَ الْبَنَائِينَ جَمَاعَةً. وَأَحْضَرَ الْمَرَآكِبَ. وَقَطَعَ الْبَحْرَ إِلَى ذَلِكَ الْجَانِبِ.
 وَجَمَلَ الْمَلِكُ يَدَهُمْ بِالْآلَاتِ وَالْأَدْوَاتِ. عَلَى عَدَدِ الْأَنْفَاسِ وَمَدَى
 السَّاعَاتِ. إِلَى أَنْ أَنْهَى الْبِنَاوُونَ الْعِمَارَةَ. وَاكْتَمَلُوا حَوَاصِلَ الْمَلِكِ
 وَدَارَهُ. وَأَجْرُوا فِيهَا الْأَنْهَارَ. وَغَرَسُوا فِيهَا الْأَشْجَارَ. فَصَارَتْ تَأْوِي
 إِلَيْهَا الْأَطْيَارُ. وَيَتَرَنَّمُ فِيهَا الْبُيُوتُ وَالْمَزَارُ. وَغَدَّتْ مِنْ أَحْسَنِ
 الْأَمْصَارِ. وَبَنَوْا حَوَالَيْهَا الضِّيَاعَ وَالْقُرَى. وَزَرَعُوا مِنْهَا الْوَهَادَ
 وَالْقُرَى. ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَيْهَا مَا كَانَ عِنْدَهُ مِنَ الْخَزَائِنِ. وَنَفَاسِ الْجَوَاهِرِ
 وَالْمَعَادِينِ. وَجَهَّزَ الْخُدَمَ وَالْحَشَمَ. وَضَوَّفَ الْأَسْتِعْدَادَاتِ مِنَ النِّعَمِ.
 فَمَا انْقَضَتْ مُدَّةُ مُلْكِهِ. وَدَنَّتْ أَوْقَاتُ هَلِكِهِ. إِلَّا وَتَفَسَّهُ إِلَى مَدِينَتِهِ
 تَأَقَّتْ. وَرُوحُهُ إِلَى مُشَاهَدَتِهَا أَشْتَاقَتْ. وَهُوَ مُسْتَوْفِزٌ لِلرَّجُلِ. وَرَابِضٌ
 لِلنُّهُوضِ وَالنَّحْوِيلِ. فَلَمَّا تَكَمَّلَ لَهُ فِي الْمَلِكِ الْعَامُ. لَمْ يَشْعُرْ إِلَّا وَقَدْ
 أَحَاطَ بِهِ الْخَاصُّ وَالْعَامُّ. مِمَّنْ كَانَ يَفْدِيهِ بِرُوحِهِ. مِنْ خَادِمِهِ وَنُصُوحِهِ.
 وَمَنْ كَانَ سَامِعًا لِكَلِمَتِهِ. مِنْ أَعْيَانِ خَدَمِهِ وَحَشَمِهِ. وَقَدْ تَجَرَّدُوا الْجَذْبَةَ
 مِنَ السَّرِيرِ. وَزَرَعَ مَا عَلَيْهِ مِنْ لِبَاسِ الْحَرِيرِ. وَمَشَوْا عَلَى عَادَتِهِمُ الْقَدِيمَةِ.

وَسَلْبُوهُ تَمَلَّكَتْهُ الْعَظِيمَةُ . وَزَالَتِ الْحِشْمَةُ . وَالْكَلِمَةُ وَالْحُرْمَةُ . وَشَدُّوا
 وَنَاقَهُ وَذَهَبُوا بِهِ إِلَى الْحَرَّاقَةِ وَوَضَعُوهُ . وَقَدْ رَبَطُوهُ فِي الْمَرْكَبِ
 الَّذِي هَيَّأُوهُ . وَأَوْصَلُوهُ إِلَى ذَلِكَ الْبَرِّ مِنَ الْبَحْرِ . فَمَا وَصَلَ إِلَيْهِ إِلَّا
 وَقَدْ أَقْبَلَتْ خَدْمُهُ عَلَيْهِ . وَتَمَثَّلَتْ طَوَائِفُ الْحَشَمِ وَالنَّاسِ لَدَيْهِ . وَدَقَّتْ
 الْبَشَائِرُ لِقَدَمِهِ . وَحَلَّ فِي سُورِهِ الْمُقِيمِ وَنِعْمِهِ . وَاسْتَمَرَّ فِي أُمَّتِ سُورٍ .
 وَاسْتَقَرَّ فِي أَوْفَرِ حُبُورٍ (ملخص عن فاكهة الخلفاء لابن عرشاه)

نُجْحَةٌ

من كشف الامرار عن حكم الطيور والازهار لابن غانم المقدسي

المقدمة

١١٧ لَقَدْ أَخْرَجَنِي الْهَكَرُ يَوْمًا لِأَنْظُرَ مَا أَحَدَتْهُ أَيْدِي الْقَدَمِ فِي
 الْحَدَثِ . وَأَوْجَدْتُهُ الْحِكْمَةَ الْبَالِغَةَ لَا لِلْعَبَثِ . فَأَتَيْتُ إِلَى رَوْضَةٍ قَدْ
 رَقَّ أَدِيمُهَا . وَرَاقَ لَسِيمُهَا . وَتَمَّ طَيْبُهَا . وَغَنَى عُنْدَلِيهَا . وَتَحَرَّكَتْ عِيدَانُهَا .
 وَتَمَايَلَتْ أَعْصَانُهَا . وَتَبَلَبَلَتْ بِلَالِهَا . وَتَسَلَّسَلَتْ جَدَاوِلُهَا . وَتَسَرَّحَتْ
 أَنْهَارُهَا . وَتَضَوَّعَتْ أَقْطَارُهَا . وَتَمَثَّلَتْ أَزْهَارُهَا . وَصَوَّتَ هَزَارُهَا .
 قُلْتُ : يَا لَهَا مِنْ رَوْضَةٍ مَا أَهْنَاهَا . وَخَلْوَةٍ مَا أَصْفَاهَا . فَيَا لَيْتَنِي
 اسْتَضَجَبْتُ صَدِيقًا حَمِيمًا . يَكُونُ لِي طَيْبِ حَضْرَتِي نَدِيمًا . فَيَأْتِي لِسَانِي
 الْحَالِ . فِي الْحَالِ . أُرِيدُ نَدِيمًا أَحْسَنَ مِنِّي . أَوْ مُجِيبًا أَفْضَحَ مِنِّي .
 وَلَيْسَ فِي حَضْرَتِكَ شَيْءٌ إِلَّا وَهُوَ نَاطِقٌ بِلِسَانِ حَالِهِ . مُنَادٍ عَلَى نَفْسِهِ
 بِدُنُو أَرْحَامِهِ . فَاسْتَمِعْ لَهُ إِنْ كُنْتَ مِنْ رِجَالِهِ

أَمْ تَرَّ أَنْ تَسِيمَ الصَّبَا لَهُ نَفْسٌ تَشْرُهُ صَاعِدُ
 فَطَوْرًا يَنُوحُ وَطَوْرًا يَفُوحُ كَمَا يَفْعَلُ الْقَائِدُ الْوَاجِدُ
 وَسَكَبُ الْعَمَامِ وَنَدْبُ الْحَمَامِ إِذَا مَا شَكَا غَضْنَهُ الْمَائِدُ
 وَنُورُ الصَّاحِ وَنُورُ الْأَقَاحِ وَقَدْ هَزَّهُ الْبَارِقُ الرَّائِدُ
 وَوَأَى الرَّبِيعِ بِمَعْنَى بَدِيعِ يُتْرَجِمُهُ وَرَدَّهُ الْوَارِدُ
 وَكُلُّ لِأَجْلِكَ مُسْتَنْبِطٌ لِمَا فِيهِ نَفْعُكَ يَا جَادُ
 وَكُلُّ لِأَلَانِهِ ذَاكِرٌ مُقَرٌّ لَهُ شَاكِرٌ حَامِدُ
 وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ وَاحِدُ

إشارة التسيم

١١٨ فَأَوْلُ مَا سَمِعْتَ هَمَمَةَ التَّسِيمِ . يَتَرَمُّ بِصَوْتِهِ الرَّخِيمِ . يَقُولُ
 بِإِسَانٍ حَالِهِ . مُفْصِحًا عَنِ سَقَمِهِ وَأَتَجَالِهِ : أُنَالِينَ الْأَعْطَافِ . هَبِينُ
 الْأَنْعَاطِ . سَرِيعُ الْأَثْلَافِ . يَعْتَرِفُ بِطُغْيِ دَوُو الْأَلْطَافِ . وَلَوْ لَا
 وَجُودِي فِي الْجَوِّ لَجَافَ . وَلَا تَظُنَّ أَنَّ اخْتِلَافَ أَهْوَاءِي . سَبَبُ
 إِنْغَوَاءِي . بَلْ اخْتَلَفَ فِي الْأَنْصُولِ الْأَرْبَعِ . لِمَا هُوَ أَصْلَحُ لَكَ وَأَنْفَعُ .
 فَأَهْبُ فِي الرَّبِيعِ شَمَالًا فَاتَّقِ الْأَشْجَارَ . وَأَعْدِلْ فَصَلِّ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ .
 وَأَهْبُ فِي الصَّيْفِ صَبَا فَأَنْبِي الثَّمَارَ . وَأَصْفِي الْأَشْجَارَ . وَأَهْبُ فِي
 الْحَرِيفِ جَنُوبًا فَتَأْخُذْ كُلَّ ثَمْرَةٍ حَدَّ طَيْبِهَا . وَتَسْتَوِي حَقَّ تَرْكِيهَا .
 وَأَهْبُ فِي الشِّتَاءِ دَبُورًا لِيخْفَ عَنْ كُلِّ شَجَرَةٍ حَمَلَهَا . وَيَجْفَ وَرَقَهَا
 وَيَبْقَى أَصْلَهَا . فَأَنَا الَّذِي تَنْمُو فِي الثَّمَارِ . وَتَرْهَوِي الْأَزْهَارُ .

وَسَلْسَلِي يَ الْأَنْهَارُ . وَتَلْقُحُ الْأَشْجَارُ

اشارة الورد

١١٩ ثُمَّ سَمِعْتُ إِشَارَةَ الشَّحَارِيدِ بِأَفْئَانِهَا . وَالْأَزَاهِيرِ فِي تَلَوْنِ أَلْوَانِهَا .
إِذْ قَامَ الْوَرْدُ يُخْبِرُ عَنْ طِيبِ وَرُودِهِ . وَيَعْرِفُ بِعَرَفِهِ عَنْ شُهُودِهِ .
وَيَقُولُ أَنَا الضَّيْفُ الْوَارِدُ بَيْنَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ . أَزُورُ زِيَارَةَ الطَّيْفِ .
فَأَعْتَمُوا وَقْتِي فَالْوَقْتُ سَيْفٌ . . . فَأَنَا الزَّارِزُ وَأَنْتَ الْمَزُورُ . وَالطَّمَعُ
فِي بَقَاءِ زُورٍ . ثُمَّ مِنْ عَلَامَةِ الدَّهْرِ الْمَكْدُورِ . وَالْعَيْشِ الْمَمْرُورِ .
أَنْبِي حَيْثُ مَا نَبَتْ دَائِرُ الْأَشْوَالِكِ تَرَاخِينِي . وَتَجَاوِرُنِي . فَأَنَا بَيْنَ
الْأَدْعَالِ مَطْرُوحٌ . وَبَيْنَ الشُّوكِيِّ مَجْرُوحٌ . وَهَذَا دَمِي عَلَى مَا عِنْدِي
يُلُوحٌ . فَهَذَا حَالِي وَأَنَا أَشْرَفُ الْوَرَادِ . وَالطَّفُ الْأُورَادِ . فَمَنْ ذَا الَّذِي
سَلِمَ مِنَ الْأَنْكَادِ . وَمَنْ صَبَرَ عَلَى مَرَارَةِ الدُّنْيَا صَدَّ بَلَّغَ الْمَرَادِ . فَيُنَمَّا
أَنَا أَرْفَلُ فِي حُلْلِ النَّصَارَةِ . إِذْ أَقْتَطَقْتَنِي أَيْدِي النَّظَّارَةِ . فَأَسَلَمْتَنِي
مَنْ بَيْنَ الْأَزَاهِيرِ . إِلَى ضَيْقِ الْقَوَارِيدِ . فَيَذَابُ جَسَدِي . وَتُحْرَقُ
كَبِدِي . وَيَمْزَقُ جِلْدِي . وَيَهْطَرُ دَمْعِي النَّدِي . فَلَا يُقَامُ بِأُودِي :
فَإِنْ غِيَتُ جِسْمًا كُنْتُ بِالزُّوجِ حَاضِرًا . فَفُرِّي سِوَاءُ إِنْ تَأَمَّلْتَ وَالْبَعْدُ
وَبِاللَّهِ مَنْ أَصْحَى مِنَ النَّاسِ قَائِلًا . كَأَنَّكَ مَا الْوَرْدِ إِذْ ذَهَبَ الْوَرْدُ

اشارة المرسين

١٢٠ فَلَمَّا سَمِعَ الْمَرْسِينَ كَلَامَ الْوَرْدِ . قَالَ قَدْ بَاحَ السَّيْمُ بِسِرِّهِ .
وَلَشَرَّ السَّحَابِ عَمُودَ دُرِّهِ . وَتَضَوَّعَ الْبَهْلُ بِدُخْرِهِ . وَتَبَهَّرَجَ الرَّبِيعُ

بِقَلَانِدِ قَفْرِهِ . وَخَلَعَ الْوَرْدُ عِذَارَهُ . وَتَحَبَّ عَنِ الرَّوْضِ الْأَنْبِقِ
 أَزْهَارَهُ . فَهَمَّ بِنَاتِقِ تَفْرَجِ . وَتَبَّهَ بِجُسْنِنَا وَتَبَهَّرَجَ . فَأَيَّامَ السَّرُورِ نَحْتَسِبُ .
 وَأَوْقَاتَهُ بِأَسْرِهِا نَحْتَسِبُ . فَلَمَّا سَمِعَ الْوَرْدُ كَلَامَ الْمُرْسِيِّنِ . قَالَ لَهُ :
 يَا أَمِيرَ الرَّيَاحِينَ . بَلِّسَ مَا قُلْتَ . وَلَوْ جَمَعَ بِكَ الْغَضَبُ مَا صُلْتَ . فَقَدْ
 تَزَلْتَ عَنِ شَيْمِ الْأَمْرَاءِ . بَعْدَ مَا مَلَكَ الصَّوَابَ مِنَ الْأَرَاءِ . فَمَنْ
 الْمُصِيبُ إِذَا زَلَّتْ . وَمَنْ الْهَادِي إِذَا ضَلَّتْ . تَأْمُرُ بِاللَّهِ وَعِنْدَكَ .
 وَتُحَرِّضُ عَلَى النَّزْهِ جُنْدَكَ . وَأَمِيرُ الرَّعِيَّةِ . صَاحِبُ الْفِكْرَةِ الرَّدِيَّةِ .
 فَلَا يُفْجِكُ حُسْنُكَ . إِذَا تَمَّ أَيْلُ غَضُوكَ . وَأَخْضَرَ أَوْرَاقَكَ . وَأَكْرَمَ
 أَعْرَاقَكَ . فَأَيَّامَ الشَّبَابِ سَرِيعةُ الزَّوَالِ . دَارِسةُ الطَّلَالِ . كَالطَّيْفِ
 الطَّارِقِ . وَالْحَيَالِ الْمَارِقِ . وَكَذَلِكَ الشَّبَابُ . أَخْضَرَ الْجِلْبَابِ وَالثِّيَابِ .
 مُخْتَلِفُ الْأَجْنَاسِ . كَأَخْتِلَافِ الْحَيَوَانِ بَيْنَ النَّاسِ . فَمِنْهَا مَا يُشْمُ
 وَيَذْبُلُ . وَيُحْوَلُ خِطَابُهُ وَيُنْقَلُ . وَتَطْرُقُهُ حَوَادِثُ الْأَيَّامِ . وَيَعُودُ
 مَطْرُوحًا عَلَى الْأَكْوَامِ . وَمِنْهَا مَا يُؤْكَلُ ثِمَارُهُ . وَتُجَدُّ فِي النَّاسِ
 آثَارُهُ . وَالسَّالِمُ مِنَ النَّارِ أَقْلُهُ . وَإِيَّاكَ وَالْإِعْتِرَارَ . فِي هَذِهِ الدَّارِ .
 فَإِنَّمَا أَنْتَ قَرِيبةٌ لِأَسَدِ الْحِمَامِ . وَبَعْدُ فَقَدْ تَصَيَّحْتَ وَالسَّلَامُ

إشارة الترجس

١٢١ فَاجَابَهُ التَّرْجِسُ مِنْ خَاطِرِهِ . وَهُوَ نَاطِرٌ لِنَاطِرِهِ فَقَالَ : أَنَا
 رَقِيبُ الْقَوْمِ وَشَاهِدُهُمْ . وَسَمِيرُهُمْ وَمُنَادِيهِمْ . وَسَيِّدُ الْقَوْمِ خَادِمُهُمْ .
 أَعْلِمُ مَنْ لَهُ هِمَّةٌ . كَيْفَ تَكُونُ شُرُوطُ الْخِدْمَةِ . أَشَدُّ لِلْخِدْمَةِ وَسَطِي .

وَأَوْثِقْ بِالْعَزِيمَةِ شُرْطِي . وَلَا أزالُ وَأَقْفَعَالِي قَدَمٍ . وَكَذَلِكَ وَظِيفَةٌ
 مِنْ حَدَمٍ . لَا أَجْلِسُ بَيْنَ جُلَاسِي . وَلَا أَرْفَعُ إِلَى التَّدِيمِ رَاسِي . وَلَا
 أَمْنَعُ الطَّالِبَ طَيْبَ أَنْفَاسِي . وَلَسْتُ لِهَيْدٍ مَنْ وَصَّانِي بِنَاسِي . وَلَا
 عَلَيَّ مِنْ قَطْعِنِي قَاسِي . وَكَاسِي بَصْفُوهُ لِي كَاسِي . بُنِي عَلَيَّ قَضْبُ
 الزُّرْمُدِ أَسَاسِي . وَجَبِلَ مِنَ اللَّجِينِ وَالْعَسْجِدِ لِيَّاسِي . أَتَمَعُّ تَقْصِيرِي
 فَأَطْرُقُ إِطْرَاقَ التَّجَلِّ . وَأَفَكِّرُ فِي مَصِيرِي فَأُحْدِقُ لِهَجُومِ الْأَجَلِ .
 فَأِطْرَاقِي اعْتِرَافٌ بِتَقْصِيرِي . وَإِطْلَاقِي نَظَرٌ إِلَى مَا فِيهِ مَصِيرِي :

قُتُّ مِنْ ذَلِّ عَلَيَّ قَدَمِي مُطْرَقًا بِالرَّاسِ مِنْ زَلِّي
 لَمْ يَكُنْ فِي الْقَادِمِينَ عَدَا نَافِعِي عَلَمِي وَلَا عَمَلِي
 مُقْلَتِي إِنْسَانَهَا أَبَدًا قَطُّ لَا يَرْتَدُّ مِنْ وَجَلِي
 عَجَلًا فِي خِيفَةٍ وَكَذَا خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلِ

اشارة البان

١٢٢ فَلَمَّا نَظَرَ الْأَشْجَارُ إِلَى طَرْبِ الْبَانَ بَيْنَهُمْ . وَتَمَّائِلِهِ دُونَهُمْ . لَا مَوْهَ
 عَلَى كَثْرَةِ تَمَّائِلِهِ . وَعَنْفُوهُ عَلَى عَجَابِهِ بِشَمَائِلِهِ . فَتَمَّائِلَ هُنَالِكَ الْبَانَ .
 وَقَالَ : قَدْ ظَهَرَ عُدْرِي وَبَانَ . فَمَنْ ذَا يُلُومُنِي عَلَى تَمَّائِلِ أَغْصَانِي .
 وَاهْتِرَازِ أَرْكَانِي . وَأَنَا الَّذِي بَسَطْتُ لِي الْأَرْضَ مَطَارِفَهَا . وَأَضْهَرْتُ
 لِي الرِّيَاضَ زَخَارِفَهَا . وَأَهْدَيْتُ لِي نَسَمَاتِ الْأَشْجَارِ لَطَائِفَهَا وَظَرَائِفَهَا .
 فَإِذَا رَأَيْتُ سَاعَةَ نُشُورِ أَمْوَاتِ النَّبَاتِ قَدْ اقْتَرَبَتْ . وَرَأَيْتُ الْأَرْضَ
 قَدْ اهْتَرَّتْ وَرَبَّتْ . وَحَانَ وَرُودٌ وَرُدِّي . فَأَنْظُرُ إِلَى الْوَرْدِ وَقَدْ وَرَدَ .

وَالِى الْبُرْدِ وَقَدْ شَرِدَ . وَالِى الزَّهْرِ وَقَدْ انْقَدَ . وَالِى الْحَبِّ وَقَدْ انْعَمَدَ .
 وَالِى النُّعْنَ الْيَابِسِ وَقَدْ كَسِيَ بَعْدَ مَا انْجَرَدَ . وَالِى اخْتِلَافِ
 الْمَطَاعِمِ وَالْمَشَارِبِ وَقَدْ اتَّحَدَ . فَأَعْلَمُ أَنَّ صَانِعَهَا وَاحِدٌ أَحَدٌ .
 وَصَاحِبُهَا صَمَدٌ . وَمَوْجِدُهَا بِالْقُدْرَةِ قَدْ انْفَرَدَ . فَلَا يَفْتَمِرُ إِلَى أَحَدٍ . وَلَا
 يَسْتَعْنِي عَنْهُ أَحَدٌ . وَلَا يُشَارِكُهُ فِي مُلْكِهِ أَحَدٌ . فَهَذَا لِكَ تَمَّ يَأْتِ قُدُودِي .
 طَرَبًا بِطِيبِ شُهُودِي . وَتَبَلَّتْ بِلَابِلِ سُعُودِي . عَلَى تَحْرِيكِ عُودِي .
 ثُمَّ تَدْرِكُنِي عِنَايَةٌ مَعْبُودِي . فَأَفَكِّرُ فِي عَدَمِ وُجُودِي . وَفَوَاتِ
 مَقْصُودِي . فَأَنْعَطِفُ عَلَى الْوَرْدِ فَأَخِيرُهُ بِوُرُودِي . وَأَخْلَعُ عَلَيْهِ مِنْ
 بُرُودِي . وَأَسْتَحْبِرُهُ أَيْنَ مَقْصَدِي وَوُرُودِي . فَقَالَ لِي : وَجُودُكَ
 كَوُجُودِي . وَرُكُوعُكَ كَسُجُودِي . أَنْتَ بَحْضَرَةٌ قُدُودِكَ . وَأَنَا بَحْجَمْرَةٌ
 خُدُودِي . فَهَلُمَّ تَجَمَّلْ فِي النَّارِ وَقُودِكَ وَوَقُودِي . قَبْلَ نَارِ خُلُودِكَ
 وَخُلُودِي . فَقُلْتُ لَهُ : إِذَا صَحَّ الْإِتْلَافُ . وَرَضِيَتْ لِنَفْسِكَ بِالتَّلَافِ .
 فَلَيْسَ لِلْخِلَافِ خِلَافٌ . فَتُخْطَفُ عَلَى حُكْمِ الْوِفَاقِ . وَتُخْطَفُ مِنْ بَيْنِ
 الرِّفَاقِ . فَتُصْعَدُ أَنْفَاسُنَا بِالْإِحْتِرَاقِ . وَتُقَطَّرُ دُمُوعُنَا بِالْإِشْفَاقِ . فَإِذَا
 فِينَا عَلَى صُورِ أَشْبَاحِنَا . بَقِيْنَا بِمَعَانِي أَرْوَاحِنَا . فَشَتَّانَ بَيْنَ غُدُونَا وَوَرَوَاحِنَا

إشارة البنفسج

١٢٣ قَتْنَفَسَ الْبِنْفَسِجِ تَنْفَسَ الصُّعْدَاءِ . وَتَأَوَّهُ تَأَوَّهُ الْبَعْدَاءِ .
 وَقَالَ : طُوبَى لِمَنْ عَاشَ عَيْشَ السُّعْدَاءِ . وَمَاتَ مَوْتَ الشُّهْدَاءِ . إِلَى
 كَمْ أَذُوبُ بِالذُّبُولِ كَدًّا . وَأَكْتَسِي بِالنُّحُولِ أُنُوبًا جُدًّا . أَقْتَنِي

الأيام فما أطالت لي أمداً . وغيرتني الأحكام فما أبقت لي جلداً
 ولا جلداً . فما أقصر ما قضيت عيشاً رعداً . وما أطول ما بقيت يابساً
 مجرداً . وجملة خضولي . أنني أؤخذ أيام خضولي . فأقطع من أضولي .
 وأمنع من وضولي . وكلم ممن يتقوى على ضعفي . ويعسف بي مع ترفي
 ولطفي وظرني . فيتنعم بي من حضرني . ويستخيلني من نظرني .
 ثم لا ألبث إلا يوماً أو بعض يوم . حتى أسام بأجنس سوم . ويعاد
 علي بعد الشناء باللوم . فأمسي مما لقيت ممعوكاً . وبأيدي الحوادث
 معروكاً . فإذا أصبحت يابساً . ومن النصارة آسأ . أخذني أهل المعاني .
 من هو للحكم يعاني . فتفشس في الأوزام الفاشية . وتلين الألام
 القاسية . وتلطف في الطبايع العاتية . وتدفع بدواني الأدواء
 العادية . فالتاس ممتعون بإيسوي ورطبي . جاهلون بعظم خطبي .
 عافلون عما أودع بي من حكم ربي . وإني لمن يتدبرني عبرة لمن
 اعتبر . وتذكرة لمن أذكر . وفي مزدجر لمن أزدجر :

ولقد عجبت من البسفسج إذ عدا يحكي بأوراق على أغصانه
 جيشاً طوارفه الزرجد رصعت أحجاراً ياقوت على خرصانه
 فكأنما أعداؤه بجلادة شيلت رؤوسهم على عيدانه

اشارة للزمام

١٢٤ فلما رأى الخزام . ما يكابده الزهر من القيد واللاتزام .
 فمنها ما يضام . ويثتر بعد النظام . وباللثمن النجس يسام . قال : ما

لي وَالزَّحَامَ . لَا أَعَاشِرُ اللَّيَّامَ . وَلَا أَسْمَعُ قَوْلَ اللُّوَامِ . وَأَلْزِمْتُ مِنْ
 بَيْنِ الْأَزْهَارِ . أَنْ لَا أَجَاوِرَ الْأَنْهَارَ . وَلَا أَقِفَ عَلَى شَفَا جُرْفِ هَارٍ .
 أُرَافِقُ أَوْحَشَ فِي النَّفَارِ . وَأَسْكُنُ الْبَرَارِيَّ وَالْقَفَارَ . أَحِبُّ الْحُلُوتَ .
 وَأَسْتَوِطِنُ الْفُلُوتَ . فَلَا أَزَاحِمُ فِي الْحَافِلِ . وَلَا تَقْطِنِي أَيْدِي
 الْأَسَافِلِ . وَلَا أُحْمِلُ إِلَى اللَّاعِبِ وَالْهَازِلِ . لَكِنِّي بَعِيدٌ عَنِ الْمَنَازِلِ .
 تَجِدُنِي فِي أَرْضِ نَجْدٍ نَازِلِ . رَضِيتُ بِالْبَرِّ الْقَسِيعِ . وَقَعِمْتُ بِمَجَاوِرَةِ
 النَّعَارِ وَالسَّجِيعِ . تَعَبْتُ بِبَشْرِي الرَّيْحِ . فَتَحْمَلُنِي إِلَى ذَوِي التَّمْطِيسِ .
 وَأَتَسْبِجُ . لَا يَلْشَقْنِي إِلَّا مَنْ لَهُ ذَوْقُ صَحْحِجٍ . وَشَوْقُ صَرِيحٍ . وَهُوَ
 عَلَى زَهْدِ الْمَسِيعِ . وَصَبْرِ الذَّبِيعِ . فَأَنَا رَفِيقُ السَّيَاحِ فِي الْعُدُورِ
 وَالرَّوَاحِ . فَلَا أَحْضَرُ عَلَى مُنْكَرٍ . وَلَا أَجْلِسُ عِنْدَ مَنْ يَشْرَبُ وَيَسْكُرُ .
 فَأَنَا الْحُرُّ الَّذِي لَا يَبَاعُ فِي الْأَسْوَاقِ . وَلَا يُتَادَى عَلَيَّ بِالنَّفَاقِ فِي
 سُوقِ النِّفَاقِ . وَلَا يَنْظُرُنِي إِلَّا مَنْ شَمَّرَ عَنِ سَاقٍ . وَرَكِبَ جَوَادِ
 الْعَزِيمَةِ وَسَاقٍ . فَلَوْ رَأَيْتَنِي فِي الْبُؤَادِي . وَالنَّسِيمِ يَهِيمُ بِي فِي كُلِّ
 وَادِي . أُعْطِرُ الْبَادِي . بِعِطْرِي الْبَادِي . وَأُرْوِحُ النَّادِي . بِبَشْرِي
 النَّادِي . إِنْ عَرَّضَ بِذِكْرِي الْحَادِي . حَنَّ إِلَيَّ كُلُّ رَاحٍ وَعَادِي

إشارة الشقيق

١٢٥ قَتَنَسَ الشَّقِيقُ بَيْنَ نُدْمَانِهِ . وَهُوَ مُضَرَّجٌ بِدِمَائِهِ . وَأَسْتَوَى
 عَلَى سَاقِهِ وَوَتَبَ . وَقَالَ : يَا لِلَّهِ الْعَجَبُ . مَا بَالَ لُونِي بَاهِي . وَحُسْنِي
 زَاهِي . وَقَدْرِي بَيْنَ الرِّيَاحِينَ وَاهِي . فَلَا أَحَدٌ بِي بُاهِي . وَلَا نَاطِرٌ

إِلَى شَاهِي . فَلَيْتَ شِعْرِي مَا الَّذِي اسْقَطَ جَاهِي . أَرْفُلُ فِي ثَوْبِي
 الْقَانِي . وَأَنَا مَدْحُوضٌ عِنْدَ مَنْ يَلْقَانِي . فَلَا أَنَا فِي الْحَضْرَةِ حَاضِرٌ .
 وَلَا يُشَارُ إِلَيَّ بِالنَّوَظِرِ . وَلَا أَصَاحُ بِالنَّخْرِ . وَمَا بَرِحْتُ فِي عَدَدِ
 الرِّيَاحِينَ آخِرَ . فَأَنَا طَرِيدٌ عَنْ صَحْبِي . بَعِيدٌ عَنْ قَرْنِي . وَمَا أَظُنُّ
 ذَلِكَ إِلَّا مِنْ سَوَادِ قَلْبِي . فَلَمَّا رَأَيْتُ بَاطِنِي مَحْشُوعًا بِالذُّنُوبِ . وَقَلْبِي
 مُسْوَدًّا بِالْعُيُوبِ . عَلِمْتُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَنْظُرُ إِلَى الصُّورِ وَلَكِنْ
 يَنْظُرُ إِلَى الْقُلُوبِ . فَكَانَ عِجَابِي بِأَثْوَابِي سَبَبًا لِحِجَابِي عَنْ ثَوَابِي .
 فَكُنْتُ كَالرَّجُلِ الْمُنَافِقِ الَّذِي حَسُنَتْ سِيرَتُهُ . وَقُبِحَتْ سِرَّتُهُ .
 وَرَاقَ فِي الْمُنْظَرِ سَمِيئُهُ . وَقَلَّ فِي الْخَبْرِ قِيمَتُهُ . وَلَوْ صَلَحَ قَائِي نَصَلَحَ
 أَمْرِي . وَلَوْ شَاءَ رَبِّي لَطَابَ بَيْنَ الْخَلَائِقِ ذِكْرِي . وَفَاحَ بَيْنَ
 الْأَزَاهِيرِ نَشْرِي . لَكِنَّ الطَّيْبُ لَا يَفُوحُ إِلَّا مِنْ يَطِيبُ . وَعَلَامَاتُ
 الْقَبُولِ لَا تَلُوحُ إِلَّا عَلَى مَنْ رَضِيَ عَنْهُ الْحَبِيبُ :

أَنَا قَلْبِي قَدْ سَوَّدْتُهُ ذُنُوبِي وَقَضَى لِي مُعَذِّبِي بِشَقَائِي
 مَنْ رَأَى يَظُنُّ خَيْرًا وَلَكِنْ خَالِقِي عَالِمٌ بِأَنِّي مُرَائِي
 قَدْ تَحَسَّنْتُ مَنَظَرًا وَلِبَاسًا وَرَزَايَا مَحْشُوعَةٌ بِحَشَائِي
 وَاحْيَائِي إِذَا سُنْتُ وَمَا لِي مِنْ جَوَابٍ وَاتَّحَلَّيْتُ وَاحْيَائِي
 لَوْ كَشَفْتَ السُّتُورَ عَنْ سُوءِ حَالِي لَرَأَيْتَ السُّرُورَ لِلْأَعْدَاءِ

اشارة السحاب

١٢٦ فَلَمَّا حَسُنَ الْعِتَابُ . وَطَابَ فَصْلُ الْخُطَابِ . دَمَعَ السَّمْحَابُ .

فَأَنْبَسَطَ وَسَاحَ فِي فَسِجِ الرَّحَابِ . وَقَالَ : سُبْحَانَ اللَّهِ أَيْنَكَرُ فَضْلِي
عَلَيْكُمْ . وَأَنَا أَلْبَاعِثُ طَلِي وَوَبِلِي إِلَيْكُمْ . وَهَلْ أَنْتُمْ إِلَّا أَطْفَالُ
جُودِي . وَسَلُّ وَجُودِي . كَمْ مَلَأْتُ الْبَرَّ بَرًّا بِبِرِّي . وَالْبَجْرَ ذُرًّا
بِدَرِّي . فَلَمْ يَزَلْ تُدِي دَرِّي عَلَيْهِ دَرَارًا . وَمَزِيدُ بِرِّي إِلَيْهِ مِدْرَارًا .
فَإِذَا أَنْقَضْتَ أَيَّامَ الرِّضَاعِ وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا الْفَطَامُ . أَقْطَعُ تُدِي عَنْهُ
فَيُصْبِحُ لِأَهْلِ الدُّنْيَا حُطَامًا . فَكَيْفَ بَعَثَهُ فِي السِّكَابِ عِبْرَاتِي .
وَأَشُورَهُ فِي بَيْتِ قَطْرَاتِي . فَالْكُلُّ فِي الْحَقِيقَةِ أَطْفَالِي . وَلَوْ أَعْتَرَفُوا
بِحَقِّي لَكَانُوا مِنْ الْجَوِّ أَطْفَالِي

إشارة الهزار

١٢٧ (قَالَ) : قَيْنَا أَنَا مُضْعٌ لِنَادِمَةٍ أَزْهَارِهَا . عَلَى حَاقَاتٍ أَنْهَارِهَا .
إِذْ صَاحَتْ فَصَاحَةٌ أَطْيَارِهَا مِنْ أَوْكَارِهَا . فَأَوَّلُ مَا صَوَّتَ الْهَزَارُ .
وَنَادَى عَلَى نَفْسِهِ بِخَلْعِ الْعِذَارِ . وَبَاحَ بِمَا يُكَاتِمُهُ مِنَ الْأَمْرَارِ . وَقَالَ
بِلِسَانِ حَالِهِ : أَنَا الْهَائِمُ الْهَمَّانُ . الصَّادِي الظَّمَانُ . إِذَا رَأَيْتُ فَصَلَ
الرَّبِيعِ قَدْ حَانَ . وَمَنْظَرَهُ الْبَدِيعِ قَدْ آنَ . تَجِدُنِي فِي الرِّيَاضِ قَرْحَانَ .
وَفِي الْغِيَاضِ أَرْدَدُ الْأَلْحَانَ . أَغْنِي وَأَطْرِبُ فَإِنَّا بِنَعْمَتِي طَرْبَانَ .
وَمَنْ لَشَوْتِي سَكْرَانُ . فَإِذَا زَمَزَمَ النَّسِيمُ وَصَفَّتْ أَوْرَاقُ الْأَغْصَانِ .
أَرْقِصُ عَلَى الْعِيدَانِ . فَكَيْفَ أَنَا الزَّهْرُ وَالنَّهْرُ لِي عِيدَانُ . وَأَنْتَ
مُحْسَبُنِي فِي ذَلِكَ عَابِثًا . لَا وَاللَّهِ وَلَسْتُ بِالْيَمِينِ حَائِثًا . وَإِنَّمَا
أَنْوَحُ حَرْبًا لِأَطْرِبًا . وَأَبُوحُ تَرْحًا لِأَقْرَحًا . لِأَنِّي مَا وَجَدْتُ رَوْضَةً

إِلَّا تَبَلَّبْتُ عَلَى بَلْبَاهَا . وَلَا زُهَّةَ إِلَّا نُحْتُ عَلَى اضْغَىٰ آلِهَاتِهَا . وَلَا
خُضْرَةَ إِلَّا بَكَيْتُ عَلَى زَوَالِهَا . لِأَنِّي مَا رَأَيْتُ صَفْوَةً إِلَّا تَكَدَّرَتْ .
وَلَا عَيْشَةً حُلْوَةً إِلَّا تَمَرَّتْ . فَفَرَّاتُ فِي مِثَالِ الْعِرْفَانِ . كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا
فَان . فَكَيْفَ لَا أَنْوَحُ . عَلَى حَالِ يُحْوَلُ . وَوَقْتُ يَدُولُ . وَعَيْشُ
يَزُولُ . وَوَصَلَ عَنْ قَرِيبِ مَفْصُولِ . وَهَذِهِ الْجُمْلَةُ مِنْ شَرْحِ حَالِي
تُعْنِي عَنِ الْفُصُولِ :

حَدِيثُ ذَلِكَ الْجَمِيِّ رُوِيَ وَرِجَائِي فَلَا تَلْمِئَنِي إِذَا كَرَّرْتُ الْحَاثِي
رَوْضَ بِهِ الرَّاحُ وَالرَّيْحَانُ قَدْ جُمِعَا وَحَضْرَةٌ مَا لَهَا فِي حُسْنِهَا ثَانِي
مِنْ أَيْضِ يَبْقَى أَوْ أَصْفَرَ فَفَعِ أَوْ أَخْضَرَ رَقِيقٌ أَوْ أَحْمَرُ قَانِي
وَالْأَنْسُ دَانٍ وَتَمَلُّ الْوَصَلِ مُجْتَمِعٌ هَذَا هُوَ الْعَيْشُ إِلَّا أَنَّهُ قَانِي

اشارة الباز

١٢٨ فَنَادَى الْبَازُ . وَهُوَ فِي مَيْدَانِ الْبَرَازِ . وَيَحْكُ لَقَدْ صَفَرَ جُرْمُكَ .
وَكَبَّرَ جُرْمُكَ . وَقَدْ أَقْلَمْتَ بِتَغْرِ يَدِكَ الطَّيْرَ . وَإِطْلَاقُ لِسَانِكَ
يُجْلِبُ إِلَيْكَ الضَّيْرَ . وَمَا يُفْضِي بِكَ إِلَى خَيْرٍ . أَوْ مَا عَلِمْتَ أَنَّ مَا
يُهْلِكُ الْإِنْسَانَ إِلَّا عَثْرَاتُ اللِّسَانِ . فَلَوْلَا لَقَلَقَةُ لِسَانِكَ . مَا أَخَذْتَ
مِنْ بَيْنِ أَقْرَانِكَ . وَحَبِسْتَ فِي صَيْقِ الْأَقْفَاصِ . وَسَدَّ عَلَيْكَ بَابُ
الْحُلَاصِ . وَهَلْ ذَلِكَ إِلَّا مَا جَنَاهُ عَلَيْكَ لِسَانُكَ . فَاقْتَضِعْ بِهِ بَيَانُكَ .
فَلَوْ أَهْتَدَيْتَ بِسِمْتِي . وَاقْتَدَيْتَ بِصِمْتِي . لَبَرِثْتَ مِنَ الْمَلَامَةِ . وَعَلِمْتَ
أَنَّ الصَّمْتَ رَفِيقُ السَّلَامَةِ . أَلَمْ تَرِنِي لَزِمْتُ الصَّمُوتَ . وَأَلْفَتْ

السُّكُوتَ . فَكَانَ الْعَمْتُ جَمَالِي . وَلَزُومُ الْأَدَبِ كَمَالِي . أَفْتَضْتُ
 مِنَ الْبَرِّيَّةِ جَبْرًا . وَجَلَيْتُ إِلَى بِلَادِ الْغُرَبَةِ قَهْرًا . فَلَا بِالسَّرِيرَةِ نُجْتُ .
 وَلَا عَلَى الْأَطْلَالِ نُحْتُ . بَلْ أَدَبْتُ حِينَ غُرَبْتُ . وَقَرَّبْتُ حِينَ
 جُرَبْتُ . وَأَمْتَحْتُ حِينَ أَمْتَحْتُ . وَعِنْدَ الْإِمْتِحَانِ . يُكْرَمُ الْمَرْءُ أَوْ
 يِهَانُ . فَلَمَّا رَأَى مُودِّي تَخْلِيظَ الْوَقْتِ . خَافَ عَلَيَّ مِنَ الْمَقْتِ . فَكَمَّ
 بَصْرِي بِكُمَّةٍ : لَا تَمُدَّنْ عَيْنِكَ . وَعَقْدَ لِسَانِي بِعُقْدَةٍ : لَا تُحْرِكْ بِهِ
 لِسَانَكَ . وَقَيْدِي بِقَيْدٍ : لَا تَمْسُ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا . فَأَنَا فِي وَإِنَّا فِي
 لَا أَتَأَلَّمُ . وَمِمَّا الْآفِي لَا أَتَكَلَّمُ . فَلَمَّا كُمِمْتُ وَأَدَبْتُ . وَجُرَبْتُ
 وَهَدَبْتُ . اسْتَصْحَنِي مُودِّي لِإِرْسَالِي إِلَى الصَّيْدِ . وَزَالَ عَنِّي ذَلِكَ
 الْقَيْدُ . فَأَطَقْتُ وَأُرْسَلْتُ . فَأَرْفَعْتَ الْكُمَّةَ عَنِّي . حَتَّى أَصْلَحْتُ
 مَا بَيْنَهُ وَبَيْنِي . فَوَجَدْتُ الْمُلُوكَ خُدَامِي . وَكَفَّمَهُمْ تَحْتَ أَقْدَامِي :

أَمْسَكْتُ عَن فَضْلِ الْكَلَامِ لِسَانِي وَكَفَفْتُ عَن نَظْرِ الدُّنَا إِنْسَانِي
 مَا ذَلِكَ إِلَّا أَنْ قَرَبَ مَنِيَّتِي لِزُخَارِفِ اللَّذَاتِ قَدْ أَنْسَانِي
 أَدَبْتُ آدَابَ الْمُلُوكِ وَعَلِمْتُ رُوحِي هُنَاكَ صَنَائِعَ الْإِحْسَانِ
 أُرْسَلْتُ مِنْ كَفِّ الْمُلُوكِ مُجَرَّدًا وَجَعَلْتُ مَا أْبَغِيهِ نُصْبَ عِيَانِي
 حَتَّى ظَفَرْتُ وَنَلْتُ مَا أَمَلْتُهُ ثُمَّ اسْتَجَيْتُ إِلَيْهِ حِينَ دَعَانِي
 هَذَا لَعْمَرِي رَسْمُ كُلِّ مَكْلَفٍ بِوِظَائِفِ التَّسْلِيمِ لِلْإِيمَانِ

إشارة للحمام

١٢٩ (قَالَ) : فَيِنَّمَا أَنَا مُسْتَفْرَقٌ فِي لَذَّةِ كَلَامِهِ . مُعْتَبِرٌ بِمِجْكَمِهِ

وَأَحْكَامِهِ . إِذْ رَأَيْتُ أَمَامَهُ حَمَامَةً . قَدْ جَعَلَتْ طَوْقَ الْعُبُودِيَّةِ فِي عُنُقِهَا
 عَلَامَةً . فَقُلْتُ لَهَا : حَدِّثِي عَن ذَوْقِكِ وَشَوْقِكِ . وَأَوْضِحِي لِي مَا
 الْحِكْمَةُ فِي تَطْوِيسِ طَوْقِكِ . فَقَالَتْ : أَنَا الْمَطْوُوقَةُ بِطَوْقِ الْأَمَانَةِ .
 الْمُقَدَّمَةُ بِتَقْلِيدِ الصِّيَانَةِ . نُدِبْتُ لِجَمَلِ الرِّسَائِلِ . وَتَبَلَّغْتُ الْوَسَائِلِ
 لِلرِّسَائِلِ . وَلَكِنِّي أَخْبِرُكَ عَنِ الْقِصَّةِ الصَّحِيحَةِ . فَإِنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةَ .
 مَا كُلُّ طَائِرٍ أَمِينٌ . وَلَا كُلُّ حَافِيٍّ يَصْدُقُ فِي الْيَمِينِ . وَلَا كُلُّ
 سَائِلِكٍ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ . وَإِنَّمَا الْخُصُوصُ بِجَمَلِ الْأَمَانَةِ جُنْسِي .
 فَيُشْتَرَى بِالْخَيْرِ بِحِج . وَيَعْرِفُ الطَّرِيقَ بِالتَّدْرِيجِ . فَأَقُولُ : حَمَلُونِي
 فَأَجَلِ كُتُبَ الْأَسْرَارِ . وَلَطَائِفَ الرِّسَائِلِ وَالْأَخْبَارِ . فَاطِيرُ وَعَقْلِي
 مُسْتَطِيرُ . حَاتِفًا مِنْ جَارِحِ جَارِحِ . حَازِرًا مِنْ سَائِحِ سَائِحِ . جَارِعًا
 مِنْ صَائِدِ ذَائِحِ . فَأَهَاجِرُ . وَأُكَايِدُ الظَّمَا فِي الْهَوَاجِرِ . وَأَطْوِي
 عَلَى الطَّوَى فِي الْحَاجِرِ . فَلَوْ رَأَيْتُ حَبَّةَ قَمْحٍ مَعَ شِدَّةِ جُوعِي رَجَعْتُ
 عَنْهَا . فَأَرْتَفِعُ خَشْيَةً مِنْ كَيْفِ قَمْحٍ مَدْفُونٍ . أَوْ شَرِكٍ يُعِينِي عَن
 تَبَلُّغِ الرِّسَالَةِ فَأَنْقَلِبُ بِصَفْقَةِ الْمُنْبُونِ . فَإِذَا وَصَلْتُ . وَفِي مَأْمَنِي
 حَصَلْتُ . أَدَيْتُ مَا حَمَلْتُ . وَعَمِلْتُ مَا عَلِمْتُ . فَمَهْلِكُ طَوْقَتُ .
 وَبِالْبِشَارَةِ حُلِفْتُ . وَأَنْقَلِبُ إِلَى شُكْرِ اللَّهِ عَلَى مَا وَفَّقْتُ .

أَيَارَبِّي وَصَلْتُمْ أَوْ هَجَرْتُمْ فَعَبْدُكُمْ عَلَى حِفْظِ الْأَمَانَةِ
 مُقِيمٌ لَا يُذْخِرُهُ عَذُولٌ وَلَا يَنْبِي مُعْتَبَهُ عِنَانَهُ
 حَمَلْتُ لِأَجْلِكُمْ مَا لَيْسَ تَقْوَى أَوْ جِبَالُ الشَّمِّ تَحْمِلُهُ رِزَانَهُ

وَحَفِظُ الْعَهْدِ مَا وَفَاهُ حُرٌّ وَطَوْقُهُ فَتَى إِلَّا وَرَآنَهُ

إشارة الخُطاف

١٣٠ (قَالَ): فَيَيْنَمَا نَحْنُ نَتَذَاكُرُ أَوْصَافَ الْأَشْرَافِ. وَأَشْرَافَ
 الْأَوْصَافِ. إِذْ نَظَرْتُ إِلَى خُطَافٍ. وَهُوَ بِأَلَيْتٍ قَدْ طَافَ. فَقُلْتُ:
 مَالِي أَرَاكَ لَلَيْتِ لَازِمًا. وَعَلَى مُوَالَسَةِ الْإِنْسِ عَازِمًا. فَلَوْ كُنْتُ فِي
 أَمْرِكَ حَازِمًا. لَمَا فَارَقْتُ أَبْنَاءَ جَنَسِكَ. وَرَضَيْتَ فِي الْبُيُوتِ بِجَنَسِكَ.
 ثُمَّ إِنَّكَ لَا تَنْزِلُ إِلَّا فِي الْمَنَازِلِ الْعَامِرَةِ. وَالْمَسَاكِينِ الَّتِي هِيَ بِأَهْلِهَا
 عَامِرَةٌ. فَقَالَ: يَا كَشِيفَ الطَّيْعِ. يَا ثَقِيلَ السَّمْعِ. اسْمِعْ تَرْجَمَةَ حَالِي.
 وَكَيْفَ عَنِ الطَّيْرِ أُرْحَمَالِي. إِنَّمَا فَارَقْتُ أُمَّثَالِي. وَعَاشَرْتُ غَيْرَ أَشْكَالِي.
 وَأَسْتَوَطَنْتُ السُّفُوفَ. دُونَ الشَّعَابِ وَالْكَهُوفِ. لِتَفْضِيلَةِ الْغُرَبَةِ.
 وَلِزُومِ الْإِدَابِ الصَّحْبَةِ. صَحِبْتُ مَنْ لَيْسَ مِنِّي لِأَكُونَ غَرِيبًا.
 وَجَاوَزْتُ خَيْرًا مِنِّي لِأَحْرَزَ بَيْنَهُمْ نَصِيبًا. فَأَعِيشْ عَيْشَ الْغُرَبَاءِ. وَأَفُوزَ
 بِصُحْبَةِ الْأَدْبَاءِ. وَالْغَرِيبُ مَرْحُومٌ فِي غُرَبَتِهِ. مَلْطُوفٌ بِهِ فِي صُحْبَتِهِ.
 فَقَصَدْتُ الْمَنَازِلَ. غَيْرَ مُضِرٍّ بِالنَّازِلِ. أَبْتَنِي بَيْتِي مِنْ حَافَاتِ الْأَنْهَارِ.
 وَأَكْتَسِبُ قُوَّتِي مِنْ سَاحَاتِ الْقِفَارِ. فَلَسْتُ لِلْجَارِ كَمَنْ جَارَ. وَلَا لِأَهْلِ
 الدَّارِ كَالْغَدَّارِ. بَلْ أَحْسِنُ جَوَارِي مَعَ جَارِي. وَلَيْسَ مِنْهُمْ رَسْمٌ
 جَارِي. أَكْثَرُ سَوَادِهِمْ. وَلَا اسْتَطَعِمُ زَادَهُمْ. فَرَهْدِي فِيمَا فِي أَيْدِيهِمْ.
 هُوَ الَّذِي حَبَبَنِي إِلَيْهِمْ. فَلَوْ شَارَكْتَهُمْ فِي قُوَّتِهِمْ. لَمَا بَقِيَتْ مَعَهُمْ فِي
 بُيُوتِهِمْ. فَأَنَا شَرِيكُهُمْ فِي أُنْدِيَتِهِمْ. لَا فِي أَعْدِيَتِهِمْ. مُزَاحِمُهُمْ فِي

أَوْقَاتِهِمْ . لَا فِي أَقْوَاتِهِمْ . مُكْتَسِبٌ مِنْ أَخْلَاقِهِمْ . لَا مِنْ أَرْزَاقِهِمْ .
 مُتَّهَبٌ مِنْ حَالِهِمْ . لَا مِنْ مَالِهِمْ . مُقْتَسِبٌ مِنْ بَرِّهِمْ . لَا مِنْ بُرِّهِمْ .
 رَاغِبٌ فِي حَبِّهِمْ . لَا فِي حَبِّهِمْ . مُقْتَدِيًا بِقَوْلِهِ : إِزْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبَّكَ
 اللَّهُ . وَازْهَدْ فِيمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ يُحِبَّكَ النَّاسُ . قَالَ فَقُلْتُ : لِلَّهِ دَرَكٌ
 لَقَدْ عِشْتَ سَعِيدًا . وَمِيرْتَ سَيْرًا حَمِيدًا . وَوَقَفْتَ أَمْرًا رَشِيدًا .
 وَقُلْتَ قَوْلًا سَدِيدًا . فَلَا أَطْلُبُ عَلَى مَوْعِظَتِكَ مَزِيدًا .

اشارة اليوم

١٣١ (قَالَ) : فَنَادَانِي الْيَوْمُ . وَهُوَ مُنْقَرِدٌ فِي الْحَرْابِ مَهْمُومٌ . أَيُّهَا
 الصَّدِيقُ الصَّادِقُ . وَالْحِلُّ الْمُرَافِقُ . لَا تَكُنْ بِمَقَالَةِ الْخَطَّافِ وَائِثِقًا . وَلَا
 لِفِعْلِهِ مُوَافِقًا . فَإِنَّهُ إِنْ سَلِمَ مِنْ شَيْءٍ زَادَهُمْ . فَمَا سَلِمَ مِنْ زُرِّهِ فَرَجَهُمْ
 وَأَعْيَادِهِمْ . وَتَكَثِيرِ سَوَادِهِمْ . وَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّ مِنْ كَثَرِ سَوَادِ قَوْمٍ فَهُوَ
 مِنْهُمْ . وَلَوْ صَحِبَهُمْ سَاعَةً كَانَ مَسْئُولًا عَنْهُمْ . وَقَدْ فَهِمْتَ أَنَّ مُبْتَدَأَ
 التَّقْرِيبِ مِنْ آفَاتِ التَّخْلِيطِ . وَالْحُلْطَةِ غَلْطَةٌ . وَأَوَّلُ السَّيْلِ نَقْطَةٌ .
 وَأَعْلَمُ أَنَّ السَّلَامَةَ فِي الْعِزَّةِ . فَمَنْ وَلِيَهَا فَلَا يَخَافُ عِزَّةً . فَهَلَّا اسْتَسَنَّ
 بِسُنَّتِي . وَتَأَسَّى بِوَحْدَتِي . وَاعْتَرَلَ الْمَنَازِلَ وَالنَّازِلَ . وَزَهَدَ فِي الْمَاكِلِ
 وَالْأَكِيلِ . أَلَا تَرَانِي لَا أَشَارِكُهُمْ فِي مَنَازِلِهِمْ . وَلَا أَجَالِسُهُمْ فِي
 مَجَالِسِهِمْ . وَلَا أَسَاكِينُهُمْ فِي مَسَاكِينِهِمْ . وَلَا أَرَاغِمُهُمْ فِي أَمَاكِينِهِمْ . بَلِ
 اخْتَرْتُ الدَّائِرَ مِنَ الْجُدْرَانِ . وَرَضَيْتُ بِالْحَرْابِ عَنِ الْعُمَرَانِ . فَسَلِمْتُ
 مِنَ الْأَنْكَادِ . وَأَمِنْتُ شَرَّ الْحَسَادِ . وَلَمْ أَزَلْ عَنِ الْأَحْبَابِ وَحِيدًا .

وَمِنَ الْقُرْنَاءِ قَرِيدًا . وَعَنِ الْأَثْرَابِ بَعِيدًا شَرِيدًا . فَمَنْ كَانَ مَسْكِنَهُ
 التُّرَابَ . كَيْفَ يَسَاكِنُ الْأَثْرَابَ . مَنْ عَلِمَ أَنَّ الْعُمَرَ وَإِنْ طَالَ قَصِيرٌ .
 وَأَنَّ كَلًّا إِلَى الْفَنَاءِ يَصِيرُ . بَاتَ عَلَى خَشْنِ الْحَصِيرِ . وَأَفْطَرَ عَلَى قُرْصِ
 الشَّعِيرِ . وَرَضِيَ مِنَ الدُّنْيَا بِالْيَسِيرِ . وَعَلِمَ أَنَّ قَرِيبًا فِي الْجَنَّةِ وَقَرِيبًا فِي
 السَّعِيرِ . أَنَا نَظَرْتُ إِلَى الدُّنْيَا وَخَرَّابَهَا . وَإِلَى الْآخِرَةِ وَأَقْتَرَابَهَا .
 وَإِلَى الْقِيَامَةِ وَحَسَابَهَا . وَإِلَى النَّفْسِ وَآكْتِسَابَهَا . فَشَغَانِي التَّفَكُّرُ فِي
 حَالِي . عَنِ مَنْزِلِي الْحَالِي . وَأَذْهَبَنِي مَاعِي وَمَالِي . وَأَذْهَبَنِي عَنْ أَهْلِي
 وَمَالِي . وَأَهْمَنِي صِحَّتِي وَأَعْتَلَالِي . عَنِ الْقُصُورِ الْعَوَالِي . فَجَلًّا الْيَقِينَ
 عَنْ بَصَرِ بَصِيرَتِي كُلِّ شُبْهَةٍ . فَعَلِمْتُ أَنَّ لَأَفْرُصَةَ تَدْوُمٍ وَلَا تَرْهَةَ .
 وَأَنَّهُ كُلُّ شَيْءٍ ذَهَابٌ إِلَّا وَجْهَهُ . فَعَرَفْتُ مَنْ هُوَ . وَمَاعَرَفْتُ مَا هُوَ .
 وَحَيْثُ كُنْتُ فَلَا أَرَى إِلَّا هُوَ . فَإِذَا نَطَقْتُ فَلَا أَقُولُ إِلَّا هُوَ . (قَالَ) :
 فَأَخَذَتْ مَوْعِظَتَهُ يَجْمَعُ قَلْبِي . وَخَلَعْتُ عَنِّي مَلَابِسَ عَجْبِي

إشارة الدرّة

١٣٢ (قَالَ) وَبَيْنَمَا أَنَا فِي هَذِهِ الْحَالِ إِذْ صَاحَتِ الدَّرَّةُ مِنْ عَمَلِ عَمَلِي
 فَهُوَ مَسْعُودٌ . وَمَنْ حَذَا حَذْوِي فَهُوَ مَوْعُودٌ بِدَارِ الْخُلُودِ . الْآتِرَانِي لِمَا عَلَتْ
 هِمَّتِي وَسَمَّتْ عَزِيمَتِي . كَيْفَ غَلَّتْ قِيَمَتِي . فَلَمْ أَرْضَ لِنَفْسِي . مَا يَرْتَضِيهِ
 أَبْنَاءُ جِنْسِي . لِكَيْنِي نَظَرْتُ إِلَى الْوُجُودِ . وَمَا فِيهِ مَوْجُودٌ قَرَأْتُ آدَمَ
 وَبَنِيهِ مِنْ دُونِ الْكُلِّ هُوَ الْمَصُودُ . خَلَقَ اللَّهُ الْكَائِنَاتِ مِنْ أَجْلِهِمْ
 وَخَلَقَهُمْ مِنْ أَجْلِهِ . فَوَصَلَ حَبْلَهُمْ بِحَبْلِهِ . وَفَعَلَ مَعَهُمْ مَا هُوَ مِنْ أَهْلِهِ .

فَلِذَلِكَ زَامَتْهُمْ فِي كَلَامِهِمْ . وَشَارَكْتَهُمْ فِي طَعَامِهِمْ . فَاتَّشَبَهَ بِهِمْ .
وَإِنْ لَمْ أَكُنْ مِنْهُمْ . وَأَخْلَقْتُ بِهِمْ وَأَخَاطِبُهُمْ وَلَا أَرْغَبُ عَنْهُمْ . فَغَلَّتْ
قِيَمَتِي . إِذْ عَلَتْ هِمَّتِي . فَأَحْلَوْنِي مَحَلَّ النَّدِيمِ . وَالْفَ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ
السَّمِيعُ الْعَلِيمُ . فَذَكَرُوكُمْ كَمَا يَذْكُرُونَ . وَأَشْكُرُكُمْ كَمَا يَشْكُرُونَ :

إِخْتَبِرْ حَالِي تَجِدْنِي مِنْ أَصْحَابِ النَّاسِ مَخْبِرٌ
أَنَا قَدْ أَحْيَيْتُ قَوْمًا شَرَفُوا مَعْنَى وَمَنْظَرَ
كَبُرُوا قَدْرًا وَذِكْرًا فَهُمْ أَزْكَى وَأَظْهَرُ

(قَالَ) فَلَمَّا سَامَ نَفْسَهُ بِهَذَا السُّومِ . وَجَاسَ فِي صَدْرِ مَجَالِسِ الْقَوْمِ .
فَقُلْتُ مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ . أَلْبَهَائِمُ فِي الْيَقْظَةِ وَأَنَا فِي النَّوْمِ . فَهَلِي لَا
أَزَاجِمُ عَلَى أَبْوَابِ ذِي الْمَرَا حِمِ . لَعَلَّهُ يُوهَبُ مَرْحُومٌ لِرَاحِمِ . وَيُقَالُ :
مَرْحَبًا بِالْقَادِمِ . هَا قَدْ وَهَبْنَا الْجَنَابَةَ لِلنَّادِمِ .

اشارة الديك

١٣٣ (قَالَ) فَقُلْتُ : تَأَلَّهَ لَقَدْ قَارَ أَهْلُ الْخَلَوَاتِ . وَامْتَارَ أَهْلُ
الْصَّلَوَاتِ . وَمُنِعَ مِنَ الْجَوَارِ أَهْلُ الْعَقَلَاتِ . فَعِنْدَ ذَلِكَ نَادَى الدِّيكُ .
كَمْ أَنْادِيكَ . وَأَنْتِ فِي تَعَامِيكَ وَتَعَاثِيكَ . جَعَلْتَ الْأَذَانَ لِي
وَرِظْفَةً . أَوْ قِطْبَةً مِنْ كَانَ نَائِمًا كَالْحَيْفَةِ . وَأَبْشَرُ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ
تَضَرُّعًا وَخَيْفَةً . وَفِي إِشَارَةِ لَطِيفَةٍ . أَصْفَقَ بِجَنَاحِي بِشْرًا لِلْقِيَامِ .
وَأَعْلَنُ بِالصَّبَاحِ تَلْبِيهَا لِلنِّيَامِ . فَتَصْفِيقُ الْجَنَاحِ . بِشْرِي بِالنَّجَاحِ . وَتَرْدِيدُ
الصَّبَاحِ . دُعَاءُ لِلْفَلَاحِ . لَا أُخِلُّ بِوَرِظْفَتِي لَيْلًا وَلَا نَهَارًا . وَلَا أُغْفَلُ عَنْ

وزدي سراً ولا إجهاراً . قسمت وظائف الطاعات . على جميع الساعات .
 فأمتر ساعة . إلا ولي فيها وظيفة طاعة . في تعرف المواقيت . ولا
 تغلو قيمتي ولو اشتريت باليواقيت . فهذا حالي . مع قيامي على عيالي .
 وإشفاقي على أطفالي . فأنا بين الدجاج . أقنع بالأجاج . ولا أختص
 دونهم بحبة . ولا أخرج دونهم بشربة . وهذه حقيقة أحمه . إن
 رأيت حبة دعوتهم إليها . ودلتهم عليها . فمن شأني الإيتار . إذا
 حصل القطار . ثم إني طوع لأهل الدار . أصبر لهم على سوء الجوار .
 يذبحون أفرأخي . وأنا لهم كالليل المواخي . ويتهبون أتباعي . وأنا في
 نفعهم ساعي . فهذا شمة أوصافي . وسخية أنصافي . والله لي كافي .
 يذكر الله يدفع كل خوف ويدنو الخير ممن يرتجيه
 ولكن أين من يصني ويدري معاني ما أقول ومن يعيه

إشارة البط

١٣٤ (قَالَ) فَتَادَى الْبَطُّ . وَهُوَ فِي الْمَاءِ يَنْقُطُ . وَقَالَ : يَا مَنْ بَدَيْ
 هَمَّتْهُ انْحَطَّ . لَا أَنْتَ مَعَ الطَّيْرِ فَتَرَقِي . وَلَا تَسْلَمُ مِنَ الصَّيْرِ فَتَبْقِي .
 فَأَنْتَ كَأَمَلْتِ لَا أَرْضًا تَقْطَعُ . وَلَا لَزُومَكَ فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ يَنْقَعُ .
 سُفُوطَ نَفْسِكَ أَلْفَاكَ عَلَى الْمَزَابِلِ . وَوُقُوفَكَ عِنْدَ الطَّلِّ حَجَبَكَ عَنِ
 الْوَابِلِ . وَمَارَبِحٍ فِي الْمَتَابِرِ مِنْ لَمْ يَنْقَطِ الْمُرَاجِلِ . وَلَا يَنْظُرُ بِالْجَوَاهِرِ
 مَنْ هُوَ وَاقِفٌ بِالسَّاحِلِ . فَلَوْ ثَبَتَ تَمَكُّنُكَ . وَقَوِيَ يَقِينُكَ . لَطَرَّتْ فِي
 الْهَوَاءِ . وَمَشَيْتَ عَلَى الْمَاءِ . أَلَمْ تَرِنِي كَيْفَ مَلَكَتْ هَوَايَ . فَمَلَكَتْ

عَالِي الْمَاءِ وَالْهَوَاءِ . فَأَنَا فِي الْبَرِّ سَائِحٌ . وَفِي الْبَحْرِ سَائِحٌ . وَفِي الْهَوَاءِ
 سَارِحٌ . وَقَدْ جَعَلْتُ الْبَحْرَ مَرْكَزَ عِزِّي . وَمَعْدِنَ كِتْرِي . فَأُغْوَصُ فِي
 صَفَاءِ تَلَالِيهِ . فَأَجْتَلِي جَوَاهِرَ لَأَلِيهِ . وَأَطْلُعُ فِيهِ عَلَى حِكْمِهِ
 وَمَعَانِيهِ . وَلَا يَعْرِفُ ذَلِكَ إِلَّا مَنْ يُعَانِيهِ . فَمَنْ وَقَفَ عَلَى سَاحِلِهِ . لَمْ
 يَظْفَرْ إِلَّا بِزَبَدِهِ وَأَجَاغِهِ . وَمَنْ لَمْ يَحْذَرْ مِنْ دَوَاحِلِهِ وَجَلَاغِهِ . غَرِقَ
 فِي مُتَلَاظِمِ لَحْجِهِ وَأَمْوَاجِهِ . فَالْسَّعِيدُ مَنْ رَكِبَ قَارِبَ قُرْبَاتِهِ . وَرَفَعَ
 قَلْبَهُ تَضَرُّعَاتِهِ . مُتَعَرِّضًا لِنَسَمَاتِ نَفْحَاتِهِ . مَاذَا لَبَانَ رَجَائِهِ بِجَذْبَاتِهِ .
 ثُمَّ قَطَعَ كَثَائِفَ ظُلُمَاتِهِ . فَوَصَلَ إِلَى مَجْمَعِ بَحْرِي ذَاتِهِ وَصَفَائِهِ .
 فَهَذَا لَكَ يَقَعُ عَلَى عَيْنِ حَيَاتِهِ . فَيَرُدُّ مِنْ عَذْبِهِ وَفِرَاتِهِ :

يَا طَالِبًا لِلْمَعَالِي مَهْرُ الْمَعَالِي عَالِي
 قَدِمَ فَأَوْلُ نَقْدِ مُعْجَلِ الْأَجَالِ
 مَا اسْتَعَذَبَ الْمَوْتَ إِلَّا مَنْ ذَاقَ ذَوْقَ الرِّجَالِ
 حِمَاهُ دُونَ الْوَصَالِ حِمَاهُ حَيْدَ النَّصَالِ
 كَذَا الْقُصُورُ الْعَوَالِي حَفَّتْ بِسَمْرِ الْعَوَالِي
 وَالشَّهْدُ دُونَ جَنَاهُ لَدَغُ كَحْدِ النَّبَالِ
 قَدْ طَافَ حَوْلَ حِمَاهُ ذَوُو الْجُدُودِ الْعَوَالِي
 وَصَابَرُوا فِي هَوَاهُ عَلَيْهِ مَرُّ النَّكَالِ
 صَامُوا وَبِالذِّكْرِ قَامُوا فِي مُظْلِمَاتِ اللَّيَالِي
 إِنْ كُنْتَ بَطَّالًا فَاتْرُكْ مَنَازِلَ الْأَبْطَالِ

إشارة النحل

١٣٥ (قَالَ): فَتَادَتِ النُّحْلَةَ: يَأْتِيهَا مِنْ نُحْلَةٍ. مَا صَحَّ فِي رِوَايَتِهَا رَحْلَةٌ.
 فَالْعَارِفُ مَنْ ظَهَرَ مَعْنَاهُ. وَقِيلَ دَعَاوَهُ. وَعَلِمَ صَفَاءَ بِيرِهِ مِنْ نَجْوَاهُ.
 وَمَنْ مَحَا حَقِيقَةَ دَعَاوِهِ. ثَبَّتَ حَقِيقَةَ مَعْنَاهُ. فَلَا تَقُلْ قَوْلًا يُبْطِلُهُ فِعْلَكَ.
 وَلَا تَرْبُ فَرَعًا يَنْفُضُهُ أَصْلُكَ. أَلَا تَرَانِي لِمَا طَابَ مَطْعَمِي وَصَفَا مَشْرَبِي.
 كَيْفَ رُفِعَتْ رُتَيْبِي. وَعَلَا مَنْصِبِي. وَكَمَلْ أَدْبِي. لَوْلَا أَنِّي أَكَلْتُ
 الْحَلَالَ. وَلَزِمْتُ أَشْرَفَ الْحَلَالِ. حَتَّى صِرْتُ كَالْحَلَالِ. أَسْلُكَ سُبُلَ
 رَبِّي ذُلًّا. وَأَشْكُرُ مِنْ نِعْمِهِ فُضُولًا وَجَمَلًا. أَبْتَنِي الْمُبَاحَ. الَّذِي لَيْسَ
 عَلَى أَكْلِهِ مِنْ جُنَاحٍ. فَاجْعَلْ فِي الْجِبَالِ بُيُوتِي. وَمِنْ مَبَاحِ الْأَشْجَارِ
 قُوتِي. أَبْتَنِي بُيُوتًا يُجْمَزُ كُلُّ صَانِعٍ عَنْ تَأْسِيسِهَا. وَيُخَيَّرُ أَقْلِيدُسُ فِي
 حَلِّ شَكْلِ تَسْدِيسِهَا. ثُمَّ اسْقُطْ عَلَى الزَّهْرِ وَالثَّمْرِ. فَلَا أَكُلْ ثَمْرَةً.
 وَلَا أَهْشَمْ زَهْرَةً. بَلْ أَتَنَاوَلْ مِنْهَا شَيْئًا عَلَى هَيْئَةِ الطَّلِّ. فَاتَّغَدَى بِهِ
 قَانِعَةً وَإِنْ قَلَّ. ثُمَّ أَعُوذْ إِلَى عَشِي. وَقَدْ صَفَا كَدْرُ عَيْشِي. فَاشْتِغَلْ
 فِي وَكْرِي بِفِكْرِي وَذِكْرِي. وَأَخْلِصْ لِمَوْلَايَ شُكْرِي. وَلَا أَفْتَرِ عَنْ
 الذِّكْرِ. وَلَا أَغْفُلْ عَنِ الشُّكْرِ. قَدْ أَنْجَعَ عَلَمِي وَعَمَلِي. شَمِعِي وَعَسَلِي.
 فَالْتَّمِعْ ثَمْرَةَ الْعِلْمِ الْمُنْقُولِ. وَالْعَسَلْ ثَمْرَةَ الْعَمَلِ الْمَقْبُولِ. فَالْتَّمِعْ لِلضِّيَاءِ.
 وَالْعَسَلْ لِلشِّفَاءِ. فَإِذَا آتَانِي فَاصِدٌ يَسْتَضِي بِضِيَاءِي. وَإِنْ آتَانِي
 عَلِيلٌ يَسْتَشْفِي بِشِفَائِي. فَلَا أَذِيقُهُ حَلَاوَةَ نَفْعِي. حَتَّى أُجْرِعَهُ مَرَارَةَ
 لَسْعِي. وَلَا أَنِيلُهُ شَهْدِي. إِلَّا بَعْدَ مَكَابِدَةِ جَهْدِي. فَإِنْ اقْتَصَصَهُ

مَنِي قَهْرًا . أَحَامِي عَنْهُ جَهْرًا . وَأَدَافِعُ عَنْهُ بَرُوحِي . وَأَقُولُ يَا رُوحُ رُوحِي .
 ثُمَّ أَقُولُ لِمَنْ جَنَانِي . وَأَسْتَخِرُ جِنِّي مِنْ جِنَانِي . أَنْتَ يَا جَانِي . عَلَيَّ
 جَانِي . فَإِنْ كُنْتَ لِلرُّمُوزِ تُعَانِي . فَقَدْ رُمِزْتَ لَكَ فِي مَعَانِي . إِنَّكَ لَا
 تَصِلُ إِلَى وَصَالِي . حَتَّى تَصْبِرَ عَلَى حَدِّ نِصَالِي :

إِصْبِرْ عَلَى صِرِّ هَجْرِي إِنْ رُمْتَ مَنِي وَصَالَا
 وَأَتْرُكْ لِأَجْلِ هَوَايَ مَنْ صَدَّ جَهْلًا وَصَالَا
 وَمُتْ إِذَا شِئْتَ تَحْيَا وَأَسْتَجِبْ لِأَجَالَا
 إِنْ كُنْتَ مَعْنَى تَمَعْنَى فَقَدْ ضَرَبْتَ مِثَالَا
 فَإِنْ فَهِمْتَ رُمُوزِي إِقْدَمْ وَإِلَّا فَالَا

اشارة الشمع

١٣٦ (قَالَ) : فَسَمِعَ النَّحْلُ اسْتِغَاثَةَ شَمْعِهِ . فَأَصْعَى إِلَيْهِ بِسَمْعِهِ . فَإِذَا هُوَ
 يَحْتَرِقُ بِالنَّارِ . وَيَبْكِي بِأَذْمَعِ غَزَارٍ . وَيَقُولُ : أَيُّهَا النَّحْلُ أَمَا يَكْفِينِي . أَنْ
 رُمِيتُ مِنْكَ بِبَيْتِي . وَفَرَّقَ النَّهْرُ مَا بَيْنَكَ وَبَيْنِي . فَأَنْتَ فِي الْوُجُودِ
 أَبِي . وَفِي الْإِبْجَادِ سَبِي . فَأَفْرَدْتُ عَنْكَ بِنَجْرِي . أَنَا وَالْعَسَلُ
 شَقِي . وَهُوَ أَخِي وَرَفِي . فَيَدْنَانِي مَجْتَمَعَانِ . وَفِي قَرَارِنَا مُلْتَمَانِ .
 إِذْ فَرَّقَتْ بَيْنَنَا يَدُ النَّارِ وَرَمْتَنَا بَعْدَ الدَّارِ . وَشَطَّ مَا بَيْنَنَا الْمَزَارُ .
 فَأَفْرَدَتْ عَنْهُ وَأَفْرَدَتْ عَنِّي . وَبَدَتْ مِنْهُ وَبَانَ مِنِّي . ثُمَّ سَلَطَتْ عَلَيَّ النَّارُ .
 وَلَمْ أَكُنْ مِنْ أَهْلِ الْأَوْزَارِ . فَكَيْدِي تَحْتَرِقُ . وَجَسَدِي تَحْتَرِقُ .
 وَأَهْلُ الْمَعْرِفَةِ يَسْتَضِيئونَ بِنُورِ إِشْرَاقِي . فَأَنَا فِي إِشْرَاقٍ وَإِحْرَاقٍ .

وَدَمَعُ مَهْرَاقٍ . قَائِمٌ فِي الْحِدْمَةِ عَلَى سَاقٍ . أَجْمَلُ ضَرَرِي وَضَرِي .
 وَأَحْرَقُ نَفْسِي لِأَشْرَقَ عَلَى غَيْرِي . فَأَنَا مُعَذَّبٌ بِشَرِّي . وَغَيْرِي مُسْتَمِعٌ
 بِخَيْرِي . فَكَيْفَ أَلَامٌ عَلَى أَصْفَرَارِي . وَدُمُوعِي الْجَوَارِي . ثُمَّ تَقْصِدُنِي
 الْأَوْبَاشُ . مِنْ الْقَرَّاشِ . يُرِيدُونَ إِطْفَاءِي . وَإِذْهَابَ أَضْوَائِي . فَأَحْرِقُهُ
 مَكْفَأَةً لِقَعْلِهِ . وَلَا يَحْيِقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ . فَلَوْ مَلَأْتِ الْأَرْضُ
 فَرَّاشًا لَكُنْتُ مِنْهُمْ بِأَمَانٍ . وَلَوْ مَلَأْتِ أَوْبَاشًا لَمَا أَطْفَؤُوا نُورَ الْإِيمَانِ .
 يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْتِي الرَّحْمَانُ . وَهَذَا رَمَزٌ لِمَنْ
 تَعْنَاهُ بَيَانٌ :

قَدْ أَتَى يَا نُورَ عَيْنِي مِنْكَ نُورٌ أَيُّ نُورٍ
 فَهْدَايَ وَضَلَالِي بِكَ يَا كُلَّ سُرُورِي
 لَمْ يُطِقْ كُلُّ عَذُولٍ فِيكَ يَزِمِينِي بِزُورِي
 وَكَذَا كُلُّ هَوَاءٍ لَمْ يُطِقْ إِطْفَاءَ نُورِي

إشارة الغراب

١٣٧ (قَالَ) : فَيَنِينًا أَنَا فِي نَشْوَةِ هَذَا الْعِتَابِ . وَلَذَّةِ هَذَا الشَّرَابِ .
 إِذْ سَمِعْتُ صَوْتَ غُرَابٍ . يَتَعَقُّ بِتَفْرِيقِ الْأَتْرَابِ . وَيَبُوحُ نَوْحَ الْمُصَابِ .
 وَيَبُوحُ مَا يَجِدُهُ مِنَ الْإِلِيمِ الْعَذَابِ . وَقَدْ لَيْسَ مِنَ الْحِدَادِ جِلْبَابِ .
 وَرَضِي مِنَ بَيْنِ الْعِبَادِ بِتَسْوِيدِ الثِّيَابِ . فَقُلْتُ : أَيُّهَا النَّادِبُ لَقَدْ
 كَدَّرْتَ مَا كَانَ صَافِيًا . وَمَرَّرْتَ مَا كَانَ حُلُومًا شَافِيًا . فَمَا لَكَ لَمْ تَرَلْ فِي
 الْبُكُورِ سَاعِيًا . وَعَلَى الرَّبُوعِ نَاعِيًا . وَإِلَى الْيَمِينِ دَاعِيًا . إِنْ رَأَيْتَ سَمَلًا

مُجْتَمِعًا أَنْذَرْتَ بِشَتَاتِهِ . وَإِنْ شَاهَدْتَ قَصْرًا عَالِيًا بَشَرْتَ بِدُرُوسِ
 عَرَصَاتِهِ . فَأَنْتَ لَدَى الْخَلِيطِ الْمَعَاشِرِ أَشْأَمُ مِنْ قَاشِرٍ . وَعِنْدَ اللَّيْبِ
 الْحَازِرِ . الْأَمُّ مِنْ جَادِرٍ . فَنَادَانِي بِلِسَانِ رَجُلٍ الْقَصِيحِ . وَأَشَارَ بِعُنْوَانِ
 حَالِهِ الصَّرِيحِ . وَيَحْكُ أَنْتَ لَا تُفَرِّقُ بَيْنَ الْحَسَنِ وَالْقَصِيحِ . وَقَدْ
 تَسَاوَى لَدَيْكَ الْعَدُوُّ وَالصَّيْحُ . لَا بِالْكِنَايَةِ تَفْهَمُ وَلَا بِالتَّصْرِيحِ .
 كَانَ الْمَوَاعِظُ فِي أذُنِكَ رِيحٌ . وَكَلَامُ الْمَوَاعِظِ فِي سَمْعِ هَوَاكَ كَالنَّبِيحِ .
 أَمَا تَذَكُرُ رِيحِيكَ مِنْ هَذَا الْفَيْحِ الْقَصِيحِ . إِلَى ظَلَمَةِ الْقَبْرِ وَضِيقِ
 الضَّرِيحِ . أَمَا بَلَغَكَ مَا جَرَى عَلَى أَبِيكَ آدَمَ وَهُوَ يُنَادِي عَلَى نَفْسِهِ
 وَيَصِيحُ . أَمَا تَعْتَبِرُ بِنُوحٍ نُوحٍ . وَهُوَ يَبْكِي وَيَنُوحُ . عَلَى دَارٍ لَيْسَ بِهَا
 أَحَدٌ مُسْتَرِيحٌ . أَمَا تَقْتَدِي بِصَبْرِ الذَّبِيحِ . أَمَا يَكْفِيكَ مَا تَمَّ عَلَى دَاوُدَ حَتَّى
 بَكَى بِقَلْبِهِ الْقَرِيحِ . أَمَا تَهْتَدِي بِرُحْمَةِ الْمَسِيحِ . أَيُّ جَمْعٍ لَمْ يَفَرِّقْ . أَيُّ
 شَمَلٍ لَمْ يَتَمَرَّقْ . أَيُّ صَفْوٍ لَمْ يَتَكَدَّرْ . أَيُّ حُلُوٍ لَمْ يَتَمَرَّرْ . أَيُّ أَمَلٍ لَمْ
 يَقْطَعَهُ الْأَجَلُ . أَيُّ تَذَبِيرٍ لَمْ يُبْطِلْهُ التَّقْدِيرُ . أَيُّ بَشِيرٍ لَمْ يُعِقِبْهُ
 نَذِيرٌ . أَيُّ يَسِيرٍ . مَا عَادَ عَسِيرٌ . أَيُّ حَالٍ . مَا حَالَ . أَيُّ مَقِيمٍ مَا
 زَالَ . أَيُّ مَالٍ . عَنِ صَاحِبِهِ مَا مَالَ . أَيْنَ ذَوُو الْعُمُرِ الطَّوِيلِ . أَيْنَ
 ذَوُو الْمَالِ الْجَزِيلِ . أَيْنَ ذَوُو الْوُجْهِ الْجَمِيلِ . أَمَا قَرَضَهُمُ الْمَوْتُ حِيَلًا
 بَعْدَ جِيلٍ . أَمَا سَوَى فِي الثَّرَى بَيْنَ الْعَبْدِ الدَّلِيلِ . وَالْمَوْلَى الْجَلِيلِ .
 أَمَا هَتَفَ بِالْمَتَمِّعِ بِدُنْيَاهُ قُلُ : مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ . فَكَيْفَ تَلُومُنِي عَلَى
 نَوَاحِي . وَتَسْتَشْمُ بِصِيَاحِي . فِي مَسَائِي وَصَبَاحِي . وَلَوْ عَلِمْتَ أَيُّهَا

الألاجي . بما فيه صلاحك وصلاحِي لا لَشَحْتِ بوشاجي . ووافقتني في
 سوادِ جناحي . وأجبتني بالنواح . من سائر النواحي . لكن أهلك لهوك .
 وحجبتك عجبك وزهوك . وها أنا أعرف النازل . بخراب المنازل .
 وأحذر الأكل . غصة المأكِل . وأبشر الرّاحل . بقرب الرّاحل .
 وصديقك من صدقك . لا من صدقك . ومن عدلك . لا من
 عدرك . ومن بصرك . لا من نصرك . ومن وعظك . فقد أيقظك .
 ومن أنذرك . فقد حذرك . ولقد أنذرتك يسوادي . وحذرتك
 بتردادي . وأسمعتك نداءي في النّادي . ولكن لا حياة لمن تُنادي .
 أنوح على ذهاب العمر مِنِّي وحيي أن أنوح وأن أنادي
 وأندب كلما عاينت ركبا حدا بهم لوشك البين حادي
 يعنّفني الجهول إذا رأيي وقد أليست أثواب الحداد
 فقلت له أتعظ بلسان حالي فإني قد تصحنت بأجتهداي
 وها أنا كالحطيب وليس بدعا على الخطباء أثواب السواد
 ألم ترني إذا عاينت ربعا أنادي بالنوى في كل وادي
 أنوح على الطلول فلم يجبني بساحتها سوى خرس الجماد
 وأكثر في نواحيها نواحي من البين المقت للعود
 تيقظ يا ثقل السمع وأفهم إشارة ما تشير به القوادي
 فما من شاهد في الكون إلا عليه من شهود الغيب بادي
 فكم من رايح فيها وعاد يُنادي من دنو أو يعاد

لَقَدْ أَسْمَعْتُ لَوْ نَادَيْتُ حَيًّا وَلَكِنْ لَأَحْيَاةُ لِمَنْ أُنَادِي

اشارة المدهد

١٣٨ (قَالَ) فَلَمَّا كَدَّرَ عَلَيَّ الْغُرَابُ وَقَتِي . وَحَدَّرَنِي مَقْتِي .
 إِنصَرَفْتُ مِنْ حَضْرَتِي . إِلَى خَلْوَةِ فِكْرَتِي . فَهَتَفَ بِي هَاتِفٌ مِنْ
 سَمَاءِ فِطْرَتِي . أَيُّهَا السَّامِعُ مَنْطِقِ الطَّيْرِ . الْمُنْتَاسِفُ عَلَى قَوَاتِ الْخَيْرِ .
 تَأَلَّهَ لَوْ صَغَتِ الضَّمَايِرُ . لَفَدَّتِ الْبَصَايِرُ . وَاهْتَدَى السَّارِبُ . وَمَا ضَلَّ
 الْحَايِرُ . وَلَوْ طَابَتِ الْخَوَاطِرُ . لَبَانَتِ الْأَمَارِبُ . وَلَوْ شُرِحَتِ السَّرَائِرُ
 لَطَهَّرَتِ الْبَشَائِرُ . وَلَوْ أَنْشُرِحَتِ الصُّدُورُ . لَطَهَّرَ لَكَ النُّسُورُ . وَلَوْ
 أَرْتَفَعَتِ السُّتُورُ . لَأُنْكَشَفَ الْمُسْتُورُ . وَلَوْ طَهَّرَتِ الْقُلُوبُ . لَطَهَّرَتِ
 سَرَائِرُ الْغُيُوبِ . وَلَوْ خَلَعَتِ ثِيَابَ الْإِعْجَابِ . لَرُفِعَ لَكَ الْحِجَابُ . وَلَوْ
 غِيبَتَ عَنْ عَالَمِ الْغَيْبِ . لَشَاهَدَتَ عَالَمِ الْغَيْبِ . وَلَوْ قَطَعَتِ الْعَلَائِقُ .
 لَأُنْكَشَفَتِ لَكَ الْحَقَائِقُ . وَلَوْ خَالَفَتِ الْعَادَةُ . لَمَّا أَنْقَطَعَتِ عَنْكَ الْمَادَّةُ .
 وَلَوْ تَجَرَّدَتِ عَنِ الْإِرَادَةِ . لَوَصَلَتِ إِلَى رُتْبَةِ السِّيَادَةِ . وَلَوْ مِلَّتَ عَنْ
 هَوَاكَ لَمَالَ بِكَ إِلَيْهِ . وَلَوْ فَارَقَتْ أَبَاكَ جَمْعَكَ عَلَيْهِ . وَلَوْ بَعُدَ عَنْكَ
 لَوَجَدْتَ الزُّلْمَى لَدَيْهِ . وَلَكِنَّكَ مَسْجُونٌ فِي سِجْنِ طَبِيعِكَ . مَقِيدٌ بِمَقِيدِ
 مَا لَوْفِكَ . مُتَشَاغِلٌ بِشَوَائِلِ نَفْسِكَ . مُتَعَلِّقٌ بِجِبَالِ خِيَالِ حِسِّكَ . قَدْ
 أَرْمَمْتَكَ بِرُودَةِ عَزْمِكَ وَأَحْرَقْتَكَ حَرَارَةَ حِرْصِكَ . وَأَثَقَلْتِكَ نُحْمَةً
 بَطْرِكَ . وَأَسْتَعْمَمْتَكَ عُفُونَهُ رُعُونَتِكَ . وَرَسَمْتَكَ وَسَاوِسُ شَهْوَتِكَ .
 فَأَنْتَ بَارِدُ الْهَمَّةِ . مُقْعَدُ الْعَزْمَةِ . جَامِدُ الْفِكْرَةِ . فَاسِدُ الْقِطْرَةِ . كَثِيرُ

الْحَيَّرَةِ. قَدْ أُنْعَسَ ذَوْقُ فَهْمِكَ . قَرَأْتَ الْحَسَنَ فَبِحَا . وَأَقْبَحَ حَسَنًا .
 أَلَا تَرَى إِلَى الْهُدْهِدِ حِينَ حَسَّتْ سِيرَتَهُ . وَصَفَتْ سَرِيرَتَهُ . كَيْفَ
 نَفَدَتْ بَصِيرَتَهُ . فَتَرَاهُ يُشَاهِدُ بِالنَّظَرِ . مَا تَحْجِبُهُ الْأَرْضُ عَنْ سَائِرِ
 الْبَشَرِ . فَيَرَى فِي بَطْنِهَا الْمَاءَ النَّجَّاجَ . كَمَا تَرَاهُ أَنْتَ فِي الرَّجَّاجِ . وَيَقُولُ
 بِصِحَّةِ ذَوْقِهِ وَصِدْقِهِ : هَذَا عَذْبُ فِرَاتٍ وَهَذَا مَلْحٌ أُجَّاجٌ . وَيَقُولُ : أَنَا
 الَّذِي أُوتِيتُ مَعَ صِغَرِ الْجِثْمَانِ . مَا لَمْ يُوْتَهُ سَلِيمَانُ . فَإِنْ كُنْتَ بِمَنْ
 يَقْبَلُ نَضْحِي . فَحَسِّنْ سِيرَتَكَ . وَأَصْفِرْ سَرِيرَتَكَ . وَطَيِّبْ أَخْلَاقَكَ .
 وَرَاقِبْ خَلَاقَكَ . وَتَادِبْ بِأَحْسَنِ الْأَدَابِ . وَلَوْ أَنَّهَا مِنَ الدَّوَابِّ .
 فَإِنَّهُ مَنْ لَمْ يَأْخُذْ إِشَارَتَهُ مِنْ صَرِيرِ الْبَابِ وَطَبِيزِ الذُّبَابِ . وَتَبِيعَ
 الْكَلَابِ . وَحَشَرَاتِ التُّرَابِ . وَيَفْهَمَ مَا يُشِيرُ بِهِ مَسِيرُ السَّحَابِ .
 وَمَلْعُ السَّرَابِ . وَضِيَاءُ الضَّبَابِ . فَلَيْسَ مِنْ ذَوِي الْأَلْبَابِ

اشارة الكلاب

١٣٩ (قَالَ) قَيْدِنَا أَنَا مُسْتَعْرِقٌ فِي لَذَّةِ الْخِطَابِ . مُنْصِتٌ لِلْجَوَابِ .
 إِذْ نَادَانِي كَلْبٌ عَلَى الْبَابِ . يَأْمُطُ مِنَ الْمَزَابِلِ مَا يَسْقُطُ مِنَ الْبَابِ .
 فَقَالَ : يَا مَنْ هُوَ مِنْ وَرَاءِ الْحِجَابِ . يَا مُخْجُوبًا عَنِ الْمُسَبِّبِ بِالْأَسْبَابِ .
 يَا مُسَبِّبًا لِثِيَابِ الْإِعْجَابِ . تَادِبْ بِأَدَابِي . فَإِنَّ فِعْلَ الْجَمِيلِ دَائِي .
 وَسُسْ نَفْسَكَ بِسِيَاسَتِي . وَاسْتَمِعْ مَا أَقُولُ لَكَ مِنْ فِرَاسَتِي . وَمَا عَلَيْكَ
 مِنْ خَسَاسَتِي . فَإِنِّي إِنْ كُنْتُ فِي الصُّورَةِ حَقِيرًا . تَجِدُنِي فِي الْمَعْنَى
 قَعِيرًا . لَا أَرَاكَ وَقَفًا عَلَى أَبْوَابِ سَادَتِي . غَيْرَ رَاقِبٍ فِي سِيَادَتِي . فَلَا

أَتَعْبِيرُ عَنْ عَادَتِي . وَلَا أَقْطَعُ عَنْهُمْ مَادَّتِي . أَطْرَدُ فَأَعُودُ . وَأَضْرَبُ
 وَلَسْتُ بِالْحَتُودِ . وَأَنَا حَافِظٌ لِلْوَدِّ بَاقٍ عَلَى الْمُهُودِ . أَقُومُ إِذَا كَانَ
 الْأَنَامُ رُقُودًا . وَأَصُومُ وَالْحَيَوَانَ تَمْدُودًا . وَلَيْسَ لِي مَالٌ مَعْدُودٌ . وَلَا
 سِمَاطٌ تَمْدُودٌ . وَلَا رِبَاطٌ مَعْهُودٌ . وَلَا مَقَامٌ مَحْمُودٌ . إِنْ أُعْطِيتُ شَكَرْتُ .
 وَإِنْ مَنِيتُ صَبِرْتُ . لَا أَرَى فِي الْأَفَاقِ شَاكِيًا . وَلَا عَلَى مَافَاتِ
 بَاكِيًا . إِنْ مَرَضْتُ فَلَا أَعَادُ . وَإِنْ مِتُّ فَلَا أُحْمَلُ عَلَى أَعْوَادٍ . وَإِنْ غَبْتُ
 فَلَا يُقَالُ لِيْتَهُ عَادَ . وَإِنْ فُقِدْتُ فَلَا تَبْكِينِي الْأَوْلَادُ . وَإِنْ سَافَرْتُ
 فَلَا أَسْتَصْحِبُ الزَّادَ . لَا مَالٌ لِي يُورَثُ . وَلَا عَقَارٌ فَيُخْرِثُ . إِنْ فُقِدْتُ
 فَلَا يُبْكِي عَلَيَّ . وَإِنْ وُجِدْتُ فَلَا يُنْظَرُ إِلَيَّ . وَأَنَا مَعَ ذَلِكَ أَحُومُ حَوْلَ
 حِمَاهِمُ . وَأَدُومُ عَلَى وِفَاهِهِمْ . عَاكِفٌ عَلَى مَزَابِلِهِمْ . قَانِعٌ بِطَلَبِهِمْ دُونَ وَابِلِهِمْ .
 فَإِنْ أَعْجَبَكَ خِلَالِي فَتَمَسَّكَ بِأَذْيَالِي . وَتَعَلَّقَ بِجِبَالِي . وَإِنْ أَرَدْتَ
 وِفَاقِي . فَتَخَلَّقْ بِأَخْلَاقِي :

وَتَعَلَّمَ حِفْظَ الْمَوَدَّةِ مِنِّي	وَتَمَسَّكَ إِلَى الْعُلَى بِجِبَالِي
أَنَا كَلْبٌ حَقِيرٌ قَدِرٌ وَلَكِنْ	لِي قَلْبٌ خَالٍ مِنَ الْإِدْعَالِ
أَحْفَظُ الْجَارَ فِي الْجَوَارِ وَدَائِي	أَنْ أَحَامِي عَلَيْهِمْ فِي اللَّيَالِي
وَتَرَانِي فِي كُلِّ عُسْرٍ وَيُسْرٍ	صَابِرًا شَاكِرًا عَلَى كُلِّ حَالٍ
لَا يُبَالِي عَلَيَّ إِنْ مِتُّ جُوعًا	أَوْ سَقَمْتَنِي الْأَيَّامُ مَرَّ النَّكَالِ
لَا يَرَانِي إِلَّا إِلَهُ أَشْكُو لِحَلْقِي	إِذْ عَلَى اللَّهِ فِي الْأُمُورِ اتِّكَالِي
أَجْمَلُ الضَّمِيمِ فِيهِ صَوْنًا لِعِرْضِي	وَفِرَارًا مِنْ مَرْدَلِ السُّوَالِ

فَخِلَالِي عَلَى خَسَاسَةِ قَدْرِي فِي الْمَعَالِي يَفْتَنُ كُلَّ خِلَالٍ

اشارة للجمل

١٤٠ فَقَالَ الْجَمَلُ: أَيُّهَا الرَّاعِبُ فِي السُّلُوكِ . إِلَى مَنَازِلِ الْمُلُوكِ . إِنْ
 كُنْتَ تَعَلَّمْتَ مِنَ السُّكْبِ زُهْدًا وَفَقْرًا . فَتَعَلَّمَ مِنِّي جَلْدًا وَصَبْرًا .
 فَإِنَّ مِنْ تَوَسَّدَ الْفَقْرَ . وَجَبَّ عَلَيْهِ مُعَانِقَةُ الصَّبْرِ . فَإِنَّ الْفَقِيرَ الصَّابِرَ .
 مَعْدُودٌ مِنَ الْأَكْبَارِ . هَا أَنَا أَحْمِلُ الْأَحْمَالَ الثَّقَالَ . وَأَقْطَعُ الْمَرَاحِلَ
 الطُّوَالَ . وَأَكْبَادُ الْأَهْوَالِ . وَأَصْبِرُ عَلَى مَرِّ النِّكَالِ . وَلَا يَبْتَرِينِي
 فِي ذَلِكَ مَالٌ . وَلَا أَصُولُ صَوْلَةَ الْأَرْدَالِ . بَلْ أَنْقَادُ لِطِفْلِ الصَّمِيرِ .
 وَلَوْ شِئْتُ لَأَسْتَصَعَبْتُ عَلَى الْأَمِيرِ الْكَبِيرِ . فَأَنَا الدَّلُولُ . الَّذِي
 لِلْأَثْقَالِ حَمُولٌ . وَفِي الْأَحْمَالِ ذُمُولٌ . وَلَسْتُ بِالْحَائِنِ وَلَا بِالْمَوْلُ . وَلَا
 بِالصَّائِلِ عَنِ الْمُضُولِ . وَلَا بِالْمَائِلِ عَنِ الْقُفُولِ . أَقْطَعُ فِي الْوُحُولِ .
 مَا تَعَجَّرُ عَنْهُ الصَّنَائِدُ الْفُحُولُ . وَأَصَابِرُ فِي ظَهْمِ الْهَوَاجِرِ وَفِي الْحَاجِرِ لَا
 أَحُولُ . فَإِذَا قَضَيْتُ حَقَّ صَاحِبِي . وَبَلَغْتُ مَآرِبِي . أَلْقَيْتُ حَبْلِي عَلَى
 عَارِبِي . وَذَهَبْتُ فِي الْبُؤَادِي . أَكْتَسَبُ مِنَ الْمُبَاحِ زَادِي . وَإِنْ
 سَمِعْتُ صَوْتَ الْحَادِي . سَأَمْتُ إِلَيْهِ قِيَادِي . وَأَوْصَلْتُ فِيهِ سَهَادِي .
 وَمَدَدْتُ عُنُقِي لِبُلُوعِ مُرَادِي . فَإِنْ ضَلَّتْ فَالدَّلِيلُ هَادِي . وَإِنْ
 زَلَّتْ أَخَذْتُ بِيَدِي مِنْ إِلَيْهِ أَنْقِيَادِي . فَأَنَا الْمُسْتَعْرُ لَكُمْ بِإِشَارَةِ
 وَتَحْمِيلِ أَثْقَالِكُمْ . فَلَا أَزَالُ بَيْنَ رِحْلَةٍ وَمَقَامٍ . حَتَّى أَصِلَ إِلَى
 ذَلِكَ الْمَقَامِ

اشارة الفرس

١٤١ فَقَالَ الْقَرَسُ أَيُّهَا الْفَقِيرُ الصَّابِرُ . الطَّالِبُ سُبُلَ الْمَاءِ . تَعْلَمُ
مِنِّي حُسْنَ الْأَدَبِ . وَصِدْقَ الطَّلَبِ . لِبُلُوغِ الْأَرَبِ . هَا أَنَا أَحْمِلُ
مُبَاهِلِي . عَلَى كَاهِلِي . فَأَجْتَهِدُ فِي السَّيْرِ . وَأَنْطَلِقُ بِهِ كَالطَّيْرِ . أَهْجُمُ
هُجُومَ اللَّيْلِ . وَأَقْتَحِمُ اقْتِحَامَ السَّيْلِ . فَإِنْ كَانَ طَالِبًا أَدْرَكَ بِي طَلَبَهُ .
وَبَلَغَ بِي أَرَبَهُ . وَإِنْ كَانَ مَطْلُوبًا قَطَعْتُ عَنْ طَالِبِهِ سَبَبَهُ . وَجَعَلْتُ
أَسْبَابَ الرَّدَى عَنْهُ مُحْجَبَةً . فَلَا يَدْرِكُنِي إِلَّا الْعَبَارُ . وَلَا يَسْمَعُنِي
إِلَّا الْأَخْبَارُ . فَإِنْ كَانَ الْجَمَلُ هُوَ الصَّابِرَ الْعَجْرَبَ . فَأَنَا الشَّاكِرُ
الْمُقَرَّبُ . وَإِنْ كَانَ هُوَ الْمُتَقَصِّدَ اللَّاحِقَ . فَأَنَا الْعَجْتَهْدُ السَّابِقُ .
فَإِذَا كَانَ يَوْمُ اللَّقَاءِ . وَأَوَّانُ الْمُلتَقَى . أَقْدَمْتُ إِقْدَامَ الْوَالِهِ . وَسَبَقْتُ
ضَرْبَ نِبَالِهِ . وَذَلِكَ مُتَخَلِّفٌ لِثِقَلِ أَحْمَالِهِ . مُعَاقٌ لِتَفْتِيشِ مَا فِي رِحَالِهِ .
وَرَأَيْتُ شَمَّ حُقُوقًا لَا يَسْتَوْفِيهَا إِلَّا أَكْلُ مُوَفِّ . وَطَرِيقًا لَا يَقْطَعُهَا إِلَّا
كُلُّ مُخَفِّ . فَلِذَلِكَ سَمَّرْتُ عَنْ سَاقِ . وَتَصَمَّرْتُ لِيَوْمِ السَّبَاقِ .
وَقُلْتُ لِمَنْ أَسْكَرَهُ الطَّيْشُ فَمَا أَفَاقَ . وَغَرَّهُ الْعَيْشُ الَّذِي قَدْ رَاقَ : مَا
عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ . فَيَا مَنْ هُوَ عَنِ الْمُرَادِ مَرْدُودٌ . وَفِي الطَّرَادِ
مَطْرُودٌ . هَا لَا نَظَرْتَ إِلَى الْوُجُودِ . وَفَهِمْتَ الْمَقْصُودَ . وَأَقَمْتَ عَلَى
نَفْسِكَ الْحُدُودَ . وَأَوْتَقْتِ جَوَارِحَكَ بِالْقُبُودِ . وَذَكَرْتَ الْأَجَلَ
الْمَحْدُودَ . وَالنَّفْسَ الْمَعْدُودَ . وَخَشِيتِ الْيَوْمَ الْمَوْعُودَ . هَا أَنَا لَمَّا أَوْتَقْتُ
سَائِسِي قَيْدِي . أَمِنْ قَائِدِي كَيْدِي . فَكَمْ أَكَلُ سَائِسِي مِنْ صَيْدِي .

وَكَمْ لِي عَلَى مُسَابِقِي مِنْ أَيْدِي . أَوْثَقْتُ بِشَكَالِي . كَيْلًا أَصُولَ عَلَيَّ
 أَشْكَالِي . وَأَخَذْتُ بِعَنَانِي . كَيْلًا أَذْهَبَ إِلَى غَيْرِ مَا عَنَانِي . وَأَجَلْتُ
 بِلِحَايِي . لَيْلًا يَفْسُدُ عَلَيَّ نِظَامِي . وَأَلْزَمْتُ بِحِزَامِي . خَشِيَةَ مَنْ
 عَقَلْتِي عَنْ قِيَامِي . وَنُعَلْتُ بِالْحَدِيدِ أَقْدَامِي . كَيْلًا أَكِلَ عِنْدَ أَقْدَامِي .
 فَأَنَا الْمَوْعُودُ بِالنَّجَاةِ . الْمَعْدُودُ لِلْجَاهِ . الْمَشْدُودُ لِلسَّلَامَةِ . الْمَقْصُودُ
 بِالْكَرَامَةِ . وَالْخَيْرُ مَعْقُودٌ بِنَوَاصِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ . خُلِقْتُ مِنْ
 الرِّيحِ . وَالْهَمْتُ التَّقْدِيسَ وَالتَّسْبِيحَ . وَمَا بَرِحَ ظَهْرِي عِزًّا . وَبَطْنِي
 كِتْرًا . وَصُحْبَتِي حِرْزًا . فَكَمْ رَكَضْتُ فِي مِيدَانِ وَمَا أَبَدَيْتُ عَجْزًا .
 فَكَمْ كَسَيْتُ فِي السَّبَاقِ حِرْزًا . وَكَمْ حَزَرْتُ أَهْلَ التَّفَاقِ حِرْزًا . فَكَمْ
 أَخَلَيْتُ مِنْهُمْ الْآفَاقَ فَهَلْ تُحْسِنُ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا .
 (فَجَاوَبْتُهُ) تَاللَّهِ لَقَدْ حَوَيْتَ مِنَ الْخِلَالِ أَجْمَلَهَا . وَمِنَ الْفِعَالِ أَكْمَلَهَا

إشارة دود القز

١٤٢ فَقَالَ دُودَةُ الْقَزِّ: تَاللَّهِ لَيْسَتْ الْفُحُولِيُّةُ بِالصُّورِ وَالْهِيَ اِكِلِ .
 وَلَا الرَّجُولِيُّةُ بِتَرْكِ الْمَشَارِبِ وَالْمَأْكِلِ . وَلَا الْإِيثَارُ . بِبَدْلِ
 الْبَثَارِ . إِنَّمَا الْجُودُ لِمَنْ جَادَ بِمَوْجُودِهِ . وَآثَرَ بِحَيَاتِهِ وَوُجُودِهِ . فَإِنْ
 كَانَتْ خِصَالُ الْخَيْرِ مَعْدُودَةً . فَأَجَلَهَا مَعَ دُودَةٍ . أَنَا فِي الدُّودِ
 كَدُودَةٌ . وَلَا أَهْلُ الْوَيْدِ وَدُودَةٌ . أَنَا الْمُتَوَالِدَةُ مِنْ غَيْرِ وَالِدٍ وَلَا
 مَوْلُودَةٌ . أُؤْخَذُ فِي الْبِدَايَةِ بَرًّا . كَمَا يَأْخُذُ الزَّرَاعُ بَدْرًا . فَإِذَا تَمَّتْ
 أَيَّامُ حَمَلِي . وَأَذَنْتِ الْقُدْرَةُ بِمَجْمَعِ سَمَلِي . إِنْ فَصَلَ عَن ذَلِكَ الْحَمْلِ

نَسَلِي . وَحَصَلَ مِنْ ذَلِكَ الْفَصْلَ وَصَلِي . فَأَنْظَرُ فِي يَوْمِ مِيلَادِي .
 فَلَا أَرَى لِي أَبَا وَلَا أُمَّ . وَلَا خَالًا وَلَا عَمًّا . فَكَتَفَنِي أَيْدِي الرِّجَالِ
 وَالنِّسَاءِ . بِالتَّرْبِيَةِ فِي الصَّبَاحِ وَالْمَسَاءِ . وَأَمَحَى عَنِ تَحَالِيطِ الْأَغْذِيَةِ
 حَائِدًا . وَلَا أَطْعَمُ إِلَّا غَدَاءً وَاحِدًا . فَإِذَا تَمَّ حَوْلِي . وَبَدَتْ قُوَّتِي
 وَحَوْلِي . بَادَرْتُ إِلَى شُكْرِ مَنْ أَنْعَمَ عَلَيَّ . وَمُكَافَأَةَ مَنْ أَحْسَنَ إِلَيَّ .
 فَأَشْرَعُ فِي عَمَلٍ مَا يَصْلُحُ لِلْإِنْسَانِ . قِيَامًا بِتَأْمُورٍ : هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ
 إِلَّا الْإِحْسَانُ . فَأَبْتَدِرُ مِنْ غَيْرِ دَعْوَى . وَلَا إِظْهَارِ شُكْوَى . فَأَلْسُجُ
 بِالْهَامِ التَّدْبِيرِ . مَا يَعْجُزُ عَنْهُ أَهْلُ التَّدْبِيرِ . فَأَسِيلُ مِنْ لُعَابِي . مَا
 أَشْكُرُ عَلَيْهِ بَعْدَ ذَهَابِي . وَأَسْتَخْرِجُ مِنْ صَنْعَةِ صَانِعِي مَلَائِسَ . تُرِينُ
 الْأَلْبَاسَ . فَالْمُلُوكُ تَفْتَخِرُ بِخَزْيِي . وَالسَّلَاطِينُ تَتَنَافَسُ فِي أَرْدِيَةِ
 قَرْيِي . فَأَنَا أَجْمَلُ الْمَطَارِفِ . وَأَرْهَجُ الزَّخَارِفِ . فَإِذَا كَافَيْتُ مَنْ
 أَحْسَنَ إِلَيَّ . وَأَدَيْتُ شُكْرَ مَا وَجَبَ لَهُ عَلَيَّ . جَعَلْتُ بَيْتِي الْمَسْجُوحَ
 قَبْرِي . وَفِي طَيْهِ لَشْرِي . فَأَضِيقُ عَلَيَّ حَبْسِي . وَأَهْلِكُ نَفْسِي بِنَفْسِي .
 وَأَمْضِي إِلَى رَمْسِي . كَمْضِي أَمْسِي . فَأَنَا الَّذِي أَجُودُ بِخَيْرِي . وَأَبَالِغُ
 فِي نَفْعِ غَيْرِي . وَأَنَا الْمُعَذِّبُ بِضَيْرِي . ثُمَّ مِنْ نَكْدِ هَذِهِ الدَّارِ .
 الْمَجْبُولَةِ عَلَى الْأَكْدَارِ . أَنِّي أَتَلَيْتُ بِحَرِيقِ النَّارِ . وَحَسَدِ الْجَارِ .
 وَقَدِ اعْتَدَى عَلَيَّ ظَلَمًا وَجَارًا . وَهُوَ هَذِهِ الْعَنْكَبُوتُ . الْمُخْصُوصَةُ بِأَوْهَنِ
 الْبُيُوتِ . تُجَاوِرُنِي وَتُجَاوِرُنِي . وَتَقُولُ : لِي نَسِجٌ وَلَكَ نَسِجٌ . وَأَمْرِي
 وَأَمْرُكَ مَرِيحٌ . فَقُلْتُ لَهَا : وَيْحَكَ أَنْتِ لِنَسِجِكَ شَبَكَةُ الذُّبَابِ . وَمَجْمَعٌ

لِلتَّرَابِ . وَأَنَا نَسِجِي زِينَةَ الْكَوَاعِبِ الْأَتْرَابِ . أَمَا قَدْ ضُرِبَ بَضْعُكَ
 الْمَثَلُ . وَأَيْنَ الْكُحْلُ مِنَ الْكُحْلِ . وَأَيْنَ الْبَدْرُ مِنَ النَّجْمِ إِذَا أَقْلَ

إشارة العنكبوت

١٤٣ فَقَالَتِ الْعَنْكَبُوتُ . إِنْ كَانَ بَيْتِي أَوْهَنَ الْبَيْتِ . وَحَبْلِي
 مَبْتُوتٌ . فَإِنَّ فَضْلِي عَلَيْكَ فِي سِجْلِ الذِّكْرِ مَشْبُوتٌ . أَمَا أَنَا فَمَا لِأَحَدٍ عَلَيَّ
 مِنْهُ . وَلَا لِأُمَّ عَلَى حَنَّةٍ . مِنْ حِينَ أَوْلَدْتُ سَمْعُ لِنَفْسِي أَبْيَاتٍ . فِي
 جَمِيعِ الْأَوْقَاتِ . فَأَوْلُ مَا أَقْصِدُ زَاوِيَةَ الْبَيْتِ . وَإِنْ كَانَ خَرَابًا فَهُوَ
 أَحْسَنُ مَا أَوَيْتُ . فَأَقْصِدُ الزَّوَايَا . لِمَا فِيهَا مِنَ الْحَيَاةِ . وَلِمَا فِي سِرِّهَا مِنْ
 التُّكْتِ الْحَفَايَا . فَأَلْقِ لِعَامِي عَلَى حَافَتِهَا . حَذْرًا مِنْ الْخَلْطَةِ وَأَقْلَبْهَا . ثُمَّ
 أَفْرِدْ مِنْ طَافَاتِ عَزْلِي خَيْطًا دَقِيقًا . مُنْكَسًّا فِي الْهَوَاءِ رَقِيقًا . فَاتَّعَقَ
 بِهِ مُسْبَلَةً يَدِي . مُنْسَكَةً بِرِجْلِي . فَيَظُنُّ الْغَيْرُ بِتِلْكَ الْحَالَةِ . أَنَّ بِي
 مَيْتَ لَا حَيَاةَ . فَتَمُرُّ الذُّبَابَةُ فَأَخْتَطِفُهَا بِجَبَائِلِ كَيْدِي . وَأُودِعُهَا فِي
 شَبَكَةِ صَيْدِي . وَأَنْتِ أَيُّهَا الْغَدَارَةُ . الَّتِي بَزَخَتْ فِيهَا غَرَارَةٌ . إِنَّمَا جُعِلَتْ
 زِينَةٌ لِنَاقِصَاتِ الْعُقُولِ . وَهِيَ لِلصَّبِيَّانِ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ مَعْقُولٌ . وَقَدْ
 حُرِّمَتْ عَلَى الرِّجَالِ الْعُقُولِ . لِأَنَّ حُسْنَكَ عَنْ قَرِيبٍ يَحُولُ . وَمَا لَكَ
 فِي الْحَقِيقَةِ مُحْضُولٌ . وَلَا إِلَى الطَّرِيقَةِ وَضُولٌ . فَأَوْجِحْ مَحْرُومَ حُرْمِ السُّوْلِ :

أَيُّهَا الْمَعْجَبُ فَحْرًا بِمَهَاصِيرِ الْبَيْتِ
 قَارِضَ فِي الدُّنْيَا بَثُوبٍ وَمِنَ الْعَيْشِ بَقُوتِ
 وَاتَّخِذْ بَيْتًا ضَعِيفًا مِثْلَ بَيْتِ الْعَنْكَبُوتِ

ثُمَّ قُلْ يَا نَفْسِ هَذَا بَيْنَ مَثَوَاكِ فَمَوْقِي

اشارة النملة

١٤٤ قَالَتِ النَّمْلَةُ: إِذَا مَا رَمَاكَ الدَّهْرُ بَمَرْمِي فَمَنْ لَهُ . وَتَعَلَّمْ مِنِّي قُوَّةَ الْإِسْتِعْدَادِ . وَتَحْصِيلِ الزَّادِ . لِيَوْمِ الْمَعَادِ . وَانْظُرْ إِلَى غُرَّةِ عَزْمِي . وَصِحَّةِ حَزْمِي . وَتَأَمَّلْ كَيْفَ شَدَّتْ يَدُ الْقُدْرَةِ لِلْحَدَمَةِ وَسَطِي . فَأَوَّلَ مَا فَتَحْتُ عَيْنِي مِنَ الْعَدَمِ . رَأَيْتُنِي وَاقِفَةً عَلَى الْقَدَمِ . لِأَكُونَ مِنْ جَلَّةِ الْحَدَمِ . ثُمَّ كَلَّفْتُ بِجَمْعِ الْمَوْوَنَةِ . بِتَيْسِيرِ الْمَعُونَةِ . ثُمَّ أُعْطِيتُ قُوَّةَ الشَّمِّ مِنْ بَعْدِ الْقَرَايِخِ . مَا لَا يَدْرِيكَهُ الْعَالِمُ الرَّاسِخُ . فَأَذْبَرُ مَا أَذْخَرَهُ مِنَ الْحَبِّ لِقَوْتِي . فِي بُيُوتِي . فَيُلْهِمُنِي فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى . أَنْ أَقْسِمَ الْحَبَّةَ نِصْفَيْنِ بِالسَّوَى . فَإِنْ كَانَتِ الْحَبَّةُ كَرْبُرَةً . فَلَهَا حِكْمَةٌ مُدْبِرَةٌ . وَهُوَ أَنْ أَفْلَقَهَا أَرْبَعَ فَلَقَ فَإِنهَا إِذَا انْفَلَقَتْ نِصْفَيْنِ نَبَّتْ . وَإِنْ قُطِعَتْ أَرْبَعًا انْقَطَعَتْ . وَإِنْ خِفْتُ عَلَيْهَا فِي الشِّتَاءِ عُفُونَةَ الْأَرْضِ أَنْ تَضُرَّهَا . أَخْرَجْتُهَا فِي يَوْمِ شَامِسٍ فَخَفَّفَهُ الشَّمْسُ بِحَرِّهَا . فَلَا يَزَالُ ذَلِكَ دَائِي . وَأَنْتَ تَظُنُّ أَنَّهُ أَرْدَى بِي . وَتَعْتَقِدُهُ فِي نَفْصَا . وَأَنْهَمَا كَا عَلَى الدُّنْيَا وَحِرْصَا . كَلَّا كَلَّا لَوْ عَلِمْتَ حَقِيقَةَ أَمْرِي . لَأَقَمْتَ فِي ذَلِكَ عَذْرِي . وَلَا رَتَفَعُ عِنْدَكَ قَدْرِي . فَكُلْ نَمْلَةً تَجْتَهِدُ فِي سَيْرِهَا . وَتَحْصِيلِ خَيْرِهَا . لِنَفْعِ غَيْرِهَا . مُتَعَرِّضَةً لِلْهَلَاكِ . وَمَصَايِدِ الْأَشْرَاكِ . فَاِمَّا أَنْ تَهْلِكَ عَطَشًا أَوْ جُوعًا . أَوْ تَقَعَ فِي مَفَازَةٍ فَلَا تَجِدُ رُجُوعًا . تُحْتَطِفُهَا ذُبَابَةٌ . أَوْ تَطَّأَهَا دَابَّةٌ . فَتَلْقِي مَا فِي أَيْدِيهَا بَيْنَ

أَيْدِيهِمْ . فَتَقْسِمُهُ بِالسُّوِيَّةِ عَلَيْهِمْ مِنْ غَيْرِ خُصُوصٍ . وَلَا حَظًّا مَنقُوصٍ

إشارة العنقا.

١٤٥ (قَالَ السَّيِّحُ) : لَكُمْ الْإِشَارَةُ . يَا أَهْلَ الْإِشَارَةِ . إِنْ قَهَمْتُمْ رَمَزَ
هَذِهِ الْعِبَارَةَ . فَأَنْصُوا بِضَرْبِ هَذِهِ الْأَمْثَالِ الْمُسْتَعَارَةِ . (قِيلَ) أَجْتَمَعَ
الطُّيُورُ وَقَالُوا : لَا بَدَلْنَا مِنْ مَلِكٍ نَعْرِفُ لَهُ وَنَعْرِفُ بِهِ . فَهَلَمُوا نَنْطَلِقَ فِي
طَلَبِهِ . وَنَسْتَمِسُّكَ بِسَبَبِهِ . وَنَعِشُ فِي ظِلِّهِ . وَنَقْتَصِمُ بِجَبَلِهِ . وَقَدْ بَأَعْنَا
أَنْ يَجْزَا أَرْضَ الْبَحْرِ مَلِكًا يُقَالُ لَهُ عُنْقَاءُ مُغْرِبٍ . قَدْ تَقَدَّ حَكْمُهُ فِي الْمَشْرِقِ
وَالْمَغْرِبِ . فَهَلَمُوا بِنَا إِلَيْهِ . مُتَوَكِّلِينَ عَلَيْهِ . فَقِيلَ لَهُمْ إِنَّ الْبَحْرَ عَمِيقٌ
وَالطَّرِيقَ مَضِيقٌ . وَالسَّبِيلَ سَحِيقٌ . وَبَيْنَ أَيْدِيكُمْ جِبَالٌ شَاهِقَةٌ .
وَبِحَارٌ مَغْرَقَةٌ . وَنِيرَانٌ مَحْرِقَةٌ . وَلَا سَبِيلَ لَكُمْ إِلَى الْإِتِّصَالِ . وَتَوَوَّ
تَقَطَّعَتِ الْأَوْصَالُ . فَدُونَ وَصَالِهِ حَدُّ النَّصَالِ . فَأَقْنِ فِي أَوْكَارِكُنَّ .
فَإِنَّ الْعَجْزَ مِنْ شَانِكُنَّ . وَالْمَلِكَ غَنِيٌّ عَنْكَ . وَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ
الْعَالَمِينَ . قَالُوا : صَدَقْتَ وَلَكِنْ مُنَادِي الطَّلَبِ يُنَادِي : فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ .
فَطَارُوا بِأَجْنِحِهِ . وَتَفَكَّرُوا فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ . صَابِرِينَ عَلَى
ظَهْمِ الْهَوَاجِرِ . بِإِشَارَةٍ : وَمَنْ يَخْرُجُ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا . فَسَلْكَنَ سَبِيلًا عَدْلًا .
إِنْ أَخَذْنَ ذَاتَ الْيَمِينِ أَرْمَتَهُنَّ بُرُودَةُ الرَّجَاءِ . وَإِنْ عَدَلْنَ ذَاتَ
الشِّمَالِ أَحْرَقَتَهُنَّ حَرَارَةُ الْخُوفِ . فَهَمَّ بَيْنَ سَبَاقٍ . وَخَلَاقٍ وَمُخَاقٍ .
وَتَلَّاشٍ وَأَحْتِرَاقٍ . وَتَعَاشٍ وَأَسْتِغْرَاقٍ . وَبُعْدٍ وَأَفْتِرَاقٍ . حَتَّى وَصَلَ
كُلُّ مِنْهُمُ إِلَى جَزِيرَةِ الْمَلِكِ وَقَدْ سَقَطَ رِيشُهُ . وَتَكَدَّرَ عَيْشُهُ .

وَتَضَاعَفَ نُحُولُهُ. وَزَادَ ذُبُولُهُ. فَوَصَلُوا إِلَيْهِ خِمَاصًا. بَعْدَ مَا كُنَّ بَطَانًا.
 وَجِئَتْهُ فِرَادَى بَعْدَ أَنْ فَارَقْنَ أَوْطَانًا. فَلَمَّا أَنْ وَصَلُوا إِلَى جَزِيرَةِ الْمَلِكِ
 وَجَدُوا فِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ. ثُمَّ قَالُوا: نَحْنُ لَا نَزِيدُ إِلَّا
 الْمَلِكَ الَّذِي خَرَجْنَا مِنْ أَجْلِهِ عَلَى الْحَاجِرِ. وَقَطَعْنَا إِلَيْهِ كُلَّ حَاجِرٍ.
 وَصَبَرْنَا عَلَى ظَمَأِ أَهْوَاجٍ. ثُمَّ لَا نَسْتَعْلُ بِالْمَلَائِسِ وَالْمَلَاخِرِ. قَوَا الَّذِي لَا
 إِلَهَ إِلَّا هُوَ. لَا نَزِيدُ إِلَّا هُوَ. ثُمَّ قَالَ لَهُمُ الْمَلِكُ: وَيُحْكَمُ لِأَيِّ شَيْءٍ
 جِئْتُمْ. وَبِأَيِّ شَيْءٍ أَتَيْتُمْ. قَالُوا: أَتَيْنَاكَ بِنِلَاقَةِ الْعَيْدِ. وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ
 مَا نَزِيدُ. فَقَالَ لَهُمُ: ارْجِعُوا مِنْ حَيْثُ جِئْتُمْ. فَأَنَا الْمَلِكُ شِدْتُمْ أَوْ أَيْدِيكُمْ.
 وَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنْكُمْ. قَالُوا: سَيِّدِي أَنْتَ الْغَنِيُّ وَنَحْنُ الْفُقَرَاءُ.
 وَأَنْتَ الْغَزِيرُ وَنَحْنُ الْأَذَلُّ. وَأَنْتَ الْقَوِيُّ وَنَحْنُ الضُّعْفَاءُ. فَبِأَيِّ قُوَّةٍ
 تَرْجِعُ وَقَدْ ذَهَبَ قُوَانَا. وَنَحَلَّ عَرَانَا. وَأَضْمَلَّ وَجُودُنَا مِمَّا اعْتَرَانَا.
 فَقَالَ لَهُمُ الْمَلِكُ: وَعِزِّي وَجَلَالِي إِذَا صَحَّ أَفْتِقَادُكُمْ. وَتَبَّتْ أَنْكِسَارُكُمْ.
 فَعَلِيَّ الْفَجَائِزُكُمْ. انْطَلِقُوا قَدَاوُوا الْعَلِيلَ. فِي ظِلِّ الظَّلِيلِ. وَقِيلُوا فِي خَيْرِ
 مَقِيلٍ. فَحَصَلُوا حَيْثُ وَصَلُوا. فَلَمَّا حَضَرُوا نَظَرُوا. فَإِذَا الْحُجُبُ قَدْ رُفِعَتْ.
 وَالْأَحْبَابُ قَدْ جُمِعَتْ. وَشَاهَدُوا مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ:

يَا قَلْبُ بُشْرَاكَ أَيَّامُ الرِّضَا رَجَعَتْ وَهَذِهِ الدَّارُ لِلْأَحْبَابِ قَدْ جُمِعَتْ
 أَمَا تَرَى نَفْحَاتِ الْحَيِّ قَدْ عِبَّتْ أَنْفَاسَهَا وَبُرُوقِ الْقُرْبِ قَدْ لَمَعَتْ
 قَعَشَ هَنِيئًا بَوْضَلٍ غَيْرِ مُتَفَصِّلٍ مَعَ مَنْ نَحِبُ وَنَحْبُ الْهَجْرِ قَدْ رُفِعَتْ
 وَأَنْظُرْ جَمَالَ الَّذِي مِنْ أَجْلِ رُؤْيَتِهِ قُلُوبُ عِبَادِهِ فِي حُبِّهِ أَنْصَدَعَتْ

الباب السابع في الزكوة والادب

مدح مختلف العلوم

١٤٦ قَدْ مَدَحَ أَبُو عَثْمَانَ الْجَاحِظُ أَنْوَاعَ الْعُلُومِ وَذَمَّهَا بِأَعْيَانِهَا مُعْرَبًا
عَنْ قُدْرَتِهِ عَلَى الْكَلَامِ وَبُعْدِ شَأْوِهِ فِي الْبَلَاغَةِ . وَحِينَ سُئِلَ عَنِ الْأَثَرِ
فَقَالَ : هُوَ أَخْبَارُ الْمَاضِينَ . وَأَنْبَاءُ الْعَايِرِينَ . وَقِصَصُ الْمُرْسَلِينَ . وَآدَابُ
الدُّنْيَا وَالِدِينِ . وَمَعْرِفَةُ الْقَرُصِ وَالنَّافِلَةِ وَالشَّرِيعةِ وَالسَّنَةِ . وَالْمُصَلِّحَةِ
وَالْمُفْسِدَةِ وَالنَّارِ وَالْجَنَّةِ . إِلَى صَاحِبِهِ تَشَدُّ الرِّجَالُ . وَحَوْلَهُ يَعْتَكِفُ
الرِّجَالُ . وَيَسِيرُ بِهِ ذِكْرُهُ فِي الْبُلْدَانِ . وَيَبْقَى أَتَمُّهُ عَلَى مَرِّ الزَّمَانِ .
قِيلَ : فَأَلْفَقَهُ . قَالَ : فِيهِ عِلْمُ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ . وَبِهِ تَعْرِفُ الشَّرَائِعَ
وَتُقَامُ الْحُدُودُ وَالْأَحْكَامُ . وَهُوَ عِصْمَةٌ فِي الدُّنْيَا وَزِينَةٌ فِي الْآخِرَةِ .
يَخْطُبُ لِصَاحِبِهِ فَضْلَ الْأَعْمَالِ . وَيَجْلَعُ عَلَيْهِ ثُوبَ الْجَمَالِ . وَيَلْبَسُهُ
الْفَنَى وَيَبْلِغُهُ مَرْتَبَةَ الْقَضَا . قِيلَ : فَالْكَلَامُ . قَالَ : عِيَارُ كُلِّ صِنَاعَةٍ .
وَزِمَامُ كُلِّ عِبَارَةٍ . وَقِسْطَاسُ يُعْرَفُ بِهِ الْقَضْلُ وَالرَّجْحَانُ . وَمِيزَانُ
يُعْلَمُ بِهِ الزِّيَادَةُ وَالنَّقْصَانُ . وَكَبِيرٌ يُمَيِّزُ بِهِ الْخَاصَّ وَالْعَامَّ . وَالْخَالِصُ
وَالْمَشُوبُ . وَيُعْرَفُ بِهِ الْإِبْرِيذُ وَالسَّتُوقُ . وَيُنْظَرُ بِهِ الصَّفْوُ وَالْكَدْرُ .
وَسَلْمٌ يَرْتَقِي بِهِ إِلَى مَعْرِفَةِ الصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ . وَيُوصَلُ بِهِ إِلَى الْحَقِيرِ
وَالْحَظِيرِ . وَأَدَلَّةٌ لِلتَّفْصِيلِ وَالْتَحْصِيلِ . وَإِدْرَاكُ الدَّقِيقِ وَالْجَلِيلِ . وَآلَةٌ

لإظهار الغامض المشتبه. وأداة لكشف الخفي الملتبس. وبه تعرف
 ربوبية الرب وحمية الرسل. ويحترز به من شبهات المقالات. وفساد
 التأويلات. وبه تدفع مضلات الأهواء. والتحل. وتبطل تأويلات
 الأديان والمثل. وينزه عن عبوة التقليد وعمه التردد. قيل:
 فالفلسفة. قال: أداة الضامر وآلة الخواطر. ونتائج العقل وأدلة
 لمعرفة الأجناس والعناصر. وعلم الأعراض والجواهر. وعمل
 الأشخاص والصور. واختلاف الأخلاق والطباع والسجيا والفرارز.
 قيل: فالنجوم. قال: معرفة الأهله ومقادير الأظلة. وسموت البلدان.
 وإقدام الزوال في كل وقت وزمان. وعلم ساعات الليل والنهار في
 الزيادة والنقصان. وأمارات الغيوث والأمطار. وأوقات سلامة
 الزرع والتمار. قيل: فالطب. قال: سانس الأبدان والمنه على
 طبائع الحيوان. وبه يكون حفظ الصحة. ومرة العلة. والوقوف على
 المنافع والمضار. والإبانه عن خبايا الأسرار. وعلم يضطر إليه الخاص
 والعام. ويفتقر إليه الناس والأنعام. ولا يستغني عنه الصغير والكبير.
 ويحتاج إليه الحخير والخطير. قيل: فالنحو. قال: يبسط من العبي
 اللسان. ويجري من الحصر البيان. وبه يسلم من هجمة اللعن وتحريف
 القول. وهو آلة لصواب المنطق وتسيديد كلام العرب. قيل:
 فالحساب. قال: علم طبيعي لا خلاف عليه. وأضطراري لا مطعن
 فيه. ثابت الدلالة صاب المقالة. واضح البرهان شديد البنيان.

سَالِمٌ مِنَ الْمُنَاقِضَةِ خَالَ مِنَ الْمَعَارِضَةِ . حَاكِمٌ يَقْطَعُ الْخِلَافَ . مُوَدِّيٌّ إِلَى
 الْإِنْصَافِ وَالْإِتِّصَافِ . وَبِهِ حِفْظُ الْأَعْمَالِ . وَنِظَامُ الْأَمْوَالِ . وَوِقَامُ
 أُمُورِ الْمُلُوكِ وَالتَّجَارِ . وَنَبَاتُ قَوَانِينِ الْبِلَادِ وَالْأَمْصَارِ . قِيلَ :
 فَالْعَرُوضُ . قَالَ : مِيزَانُ الشَّعْرِ وَعِيَارُ النَّظْمِ . وَرَائِضُ الطَّبَعِ وَسَائِسُ
 الْفَهْمِ . وَبِهِ يُعْرَفُ الصَّحِيحُ مِنَ الْمَرِيضِ . وَفَلَكَ عَلَيْهِ مَدَارُ الْفَرِيضِ .
 قِيلَ : فَالْحُطُّ . قَالَ : لِسَانُ الْيَدِ وَلَهْجَةُ الصَّمِيرِ . وَوَحْيُ الْفِكْرِ وَنَاقِلُ
 الْخَبْرِ . وَحَافِظُ الْأَثَرِ . وَعَمْدَةُ الدِّينِ وَالِدُنْيَا . وَلِقَاحُ اللَّفْظِ وَالْمَعْنَى . فِهَذَا
 آخِرُ مَا حَكِيَ عَنِ الْجَلِاحِظِ فِي مَدْحِ الْعُلُومِ (طرائف اللطائف)

ابو تمام والنبي وابو عبادة البجلي

١٤٧ قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ : لَقَدْ وَقَفْتُ مِنَ الشَّعْرِ عَلَى كُلِّ دِيْوَانٍ وَجَمُوعٍ .
 وَأَنْفَدْتُ شَطْرًا مِنْ الْعُمَرِ فِي الْحَفُوظِ مِنْهُ وَالسَّمْعِ . فَأَلْقَيْتُهُ بَحْرَ الْأَيُوقِفِ
 عَلَى سَاحِلِهِ . وَكَيْفَ يَنْتَهِي إِحْصَاءُ قَوْلٍ لَمْ تُحْصَ أَسْمَاءُ قَائِلِهِ . فَعِنْدَ
 ذَلِكَ أَقْصَرْتُ مِنْهُ عَلَى مَا تَكْتَفُرُ قَوَائِدُهُ . وَتَشَعَّبَ مَقَاصِدُهُ . وَمَنْ أَكُنَّ يَمُنُّ
 أَخَذَ بِالتَّقْلِيدِ وَالتَّسْلِيمِ . فِي اتِّبَاعِ مَنْ قَصَرَ نَظْرَهُ عَلَى الشَّعْرِ الْقَدِيمِ . إِذِ
 الْمُرَادُ مِنَ الشَّعْرِ إِنَّمَا هُوَ إِيدَاعُ الْمَعْنَى الشَّرِيفِ . فِي اللَّفْظِ الْجَزَلِ
 اللَّطِيفِ . فَتَمَّتْ وَجَدْتُ ذَلِكَ فَكُلُّ مَكَانٍ خَمِيتُ فَهُوَ بَابِلُ . وَقَدْ
 أَكْنَيْتُ مِنْ هَذَا شِعْرَ أَبِي تَمَّامِ حَيْبِ بْنِ أَوْسٍ وَأَبِي عِبَادَةَ الْوَلِيدِ
 وَأَبِي الطَّيِّبِ الْمُتَنَبِّيِّ . وَهُمُ الْوَلَاءُ الْثَلَاثَةُ هُمْ لَاتُ الشَّعْرِ وَعِزَّاهُ وَمَنَاةُ .
 الَّذِينَ ظَهَرَتْ عَلَى أَيْدِيهِمْ حَسَنَاتُهُ وَمُسْتَحْسَنَاتُهُ . وَقَدْ حَوَتْ أَشْعَارُهُمْ

غَرَابَةُ الْمُجَدِّدِينَ وَفَصَاحَةُ الْقُدَمَاءِ . وَجَمَعَتْ بَيْنَ الْأَمْثَالِ السَّائِرَةِ
 وَحِكْمَةِ الْحُكَمَاءِ . وَأَمَّا أَبُو تَمَّامٍ فَإِنَّهُ رَبُّ مَعَانٍ . وَصَيْقَلُ أَلْبَابٍ وَأَذْهَانٍ .
 قَدْ شَهِدَ لَهُ بِكُلِّ مَعْنَى مُبْتَكِرٍ . لَمْ يَمِشْ فِيهِ عَلَى أَثَرٍ . فَهُوَ غَيْرُ مُدَافِعٍ
 عَنِ مَقَامِ الْإِعْرَابِ . الَّذِي بَرَزَ فِيهِ عَلَى الْأَضْرَابِ . وَلَقَدْ مَارَسَتْ مِنْ
 الشُّعْرِ كُلِّ أَوَّلٍ وَأَخِيرٍ . وَلَمْ أَقُلْ مَا أَقُولُهُ إِلَّا بِتَغْيِيرٍ . فَمَنْ حَفِظَ شِعْرَ
 الرَّجُلِ وَكَشَفَ عَنْ غَامِضِهِ . وَرَاضَ فِي كَرِهِ بِرَاضِيهِ . أَطَاعَتْهُ أَعْيُنُهُ
 الْكَلَامِ . وَكَانَ قَوْلُهُ فِي الْبَلَاغَةِ مَا قَالَتْهُ حَذَامٌ . فَخَذَّ مِنِّي فِي ذَلِكَ
 قَوْلَ حَكِيمٍ . وَتَعَلَّمَ فَفُوقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٍ . وَأَمَّا أَبُو عَبَادَةَ الْجُبَيْرِيُّ
 فَإِنَّهُ أَحْسَنَ فِي سَبْكِ اللَّفْظِ عَلَى الْمَعْنَى . وَأَرَادَ أَنْ يَشْعُرَ فَعَنَى . وَلَقَدْ
 حَاذَرَ طَرَفِي الرَّقَّةَ وَالْحِزْبَ الَّتِي عَلَى الْإِطْلَاقِ . فَيَنِينًا يَكُونُ فِي شَطَلِفِ نَجْدٍ
 حَتَّى يَنْشَبَتْ بِرَيْفِ الْعِرَاقِ . وَسَيْلَ أَبُو الطَّيِّبِ الْمُتَنَبِّيِّ عَنْهُ وَعَنْ أَبِي تَمَّامٍ
 وَعَنْ نَفْسِهِ فَقَالَ : أَنَا وَأَبُو تَمَّامٍ حَكِيمَانِ . وَالشَّاعِرُ الْجُبَيْرِيُّ . وَلَعَمْرِي إِنَّهُ
 أَنْصَفَ فِي حُكْمِهِ . وَأَعْرَبَ فِي قَوْلِهِ هَذَا عَنْ مَتَانَةِ عَالِمِهِ . فَإِنَّ أَبَا
 عَبَادَةَ آتَى فِي شِعْرِهِ بِالْمَعْنَى الْمَقْدُودِ مِنَ الصَّخْرَةِ الصَّمَاءِ . فِي اللَّفْظِ
 الْمَصُوغِ مِنْ سَالِسَةِ الْمَاءِ . فَأَدْرَكَ بِذَلِكَ بَعْدَ الْمَرَامِ . مَعَ قُرْبِهِ إِلَى
 الْأَفْهَامِ . وَمَا أَقُولُ إِلَّا أَنَّهُ آتَى فِي مَعَانِيهِ بِأَخْلَاطِ الْعَالِيَةِ . وَرَقِي فِي
 دِيبَاجَةِ لَفْظِهِ إِلَى الدَّرَجَةِ الْعَالِيَةِ . وَأَمَّا أَبُو الطَّيِّبِ الْمُتَنَبِّيُّ فَإِنَّهُ أَرَادَ
 أَنْ يَسْلُكَ مَسْلَكَ أَبِي تَمَّامٍ فَصَصَّرَتْ عَنْهُ خَطَاهُ . وَلَمْ يُعْطِهِ الشُّعْرُ مِنْ
 قِيَادِهِ مَا أَعْطَاهُ . وَلَكِنَّهُ حَظِيَ فِي شِعْرِهِ بِالْحُكْمِ وَالْأَمْثَالِ . وَأَخْتَصَّ

بِالْبِدَاعِ فِي وَصْفِ مَوَاقِفِ الْقِتَالِ • وَأَنَا أَقُولُ قَوْلًا لَسْتُ فِيهِ
 مُتَأَمِّنًا • وَلَا مِنْهُ مُتَلَمِّمًا • وَذَلِكَ أَنَّهُ إِذَا خَاضَ فِي وَصْفِ مَعْرَكَةٍ كَانَ
 لِسَانُهُ أَمْضَى مِنْ نِصَالِهَا • وَأَشَجَعَ مِنْ أَبْطَالِهَا • وَقَامَتْ أَقْوَالُهُ لِلسَّامِعِ
 مَقَامَ أفعالِهَا • حَتَّى نَظُنُّ الْقَرِيقَيْنِ قَدْ تَقَابَلَا • وَالسَّلَاحَيْنِ قَدْ تَوَاصَلَا •
 وَطَرِيقُهُ فِي ذَلِكَ تَضَلُّ بِسَالِكِهِ • وَتَقُومُ بِعُذْرٍ تَارِكِهِ • وَلَا شَكَّ أَنَّهُ
 كَانَ يَشْهَدُ الْحُرُوبَ مَعَ سَيْفِ الدُّوَلَةِ فَيَصِفُ لِسَانُهُ مَا آدَاهُ إِلَيْهِ
 عِيَانُهُ • وَمَعَ هَذَا فَإِنِّي رَأَيْتُ النَّاسَ عَادِلِينَ فِيهِ عَنِ السَّنَنِ الْمُتَوَسِّطِ •
 فَإِمَّا مَفْرَطٌ فِي وَصْفِهِ وَإِمَّا مَفْرَطٌ • وَهُوَ وَإِنْ أَنْفَرَدَ بِطَرِيقِ صَارَ أَبَا
 عُذْرِهِ • فَإِنَّ سَعَادَةَ الرَّجُلِ كَانَتْ أَكْثَرَ مِنْ شِعْرِهِ • وَعَلَى الْحَقِيقَةِ فَإِنَّهُ
 خَاتِمُ الشُّعْرَاءِ • وَمَهْمَا وَصَفَ بِهِ فَهُوَ فَوْقَ الْوَصْفِ وَفَوْقَ الْإِطْرَاءِ • وَلَقَدْ
 صَدَقَ فِي قَوْلِهِ مِنْ أَبْيَاتٍ يَمْدَحُ بِهَا سَيْفَ الدُّوَلَةِ :

لَا تَطْلُبَنَّ كَرِيمًا بَعْدَ رُؤْيَتِهِ إِنَّ الْكِرَامَ بِأَسْحَاهُمْ يَدَا حُتْمُوا
 وَلَا تَبَالِ بِشِعْرٍ بَعْدَ شَاعِرِهِ قَدْ أَفْسَدَ الْقَوْلُ حَتَّى أَجْمَدَ الصَّمْمُ
 وَلَمَّا تَأَمَّلْتُ شِعْرَهُ بَعَيْنِ الْمُعْدَلَةِ الْبَعِيدَةِ عَنِ الْهَوَى • وَعَيْنِ
 الْمَعْرِفَةِ الَّتِي مَا ضَلَّ صَاحِبُهَا وَمَا غَوَى • وَجَدْتُهُ أَفْسَامًا خَمْسَةً • وَخَمْسُ
 مِنْهَا فِي الْعُلَايَةِ الَّتِي أَنْفَرَدَ بِهَا • وَخَمْسُ مِنْ جَيْدِ الشُّعْرِ الَّذِي يُشَارِكُهُ
 فِيهِ غَيْرُهُ • وَخَمْسُ مِنْهُ مِنْ مُتَوَسِّطِ الشُّعْرِ • وَخَمْسُ دُونَ ذَلِكَ •
 وَخَمْسُ فِي الْعُلَايَةِ الْمُتَهَمِّقَةِ الَّتِي لَا يُعْبَأُ بِهَا • وَعَدَمَهَا خَيْرٌ مِنْ وُجُودِهَا •
 وَلَوْ لَمْ يَقُلْهَا أَبُو الطَّيِّبِ لَوْفَاهُ اللَّهُ شَرَّهَا • فَإِنَّهَا هِيَ الَّتِي أَلْبَسَتْهُ لِبَاسَ

المَلَامُ . وَجَمَعَتْ عِرْضَهُ شَارَةَ لِسِهَامِ الْأَقْوَامِ . وَلسَائِلِ هُنَا أَنْ يَسَالَ
 وَيَقُولُ : لَمْ عَدَلْتُ إِلَى شِعْرِ هَوْلَاءِ الثَّلَاثَةِ دُونَ غَيْرِهِمْ . فَأَقُولُ : إِنِّي
 لَمْ أَعْدِلُ إِلَيْهِمْ اتِّفَاقًا وَإِنَّمَا عَدَلْتُ نَظْرًا وَأَجْتِهَادًا . وَذَلِكَ أَنِّي وَقَفْتُ
 عَلَى أَشْعَارِ الشُّعْرَاءِ قَدِيمِهَا وَحَدِيثِهَا حَتَّى لَمْ يَبْقَ دِيْوَانُ إِشَاعِرٍ مُفْلِقٍ يَثْبُتُ
 شِعْرُهُ عَلَى الْمَحْكِ إِلَّا وَعَرَضْتُهُ عَلَى نَظْرِي . فَلَمْ أَجِدْ أَجْمَعٍ مِنْ دِيْوَانِ
 أَبِي تَمَّامٍ وَأَبِي الطَّيِّبِ لِمَعَانِي الدَّقِيقَةِ وَلَا أَكْثَرَ اسْتِخْرَاجًا مِنْهَا لِلطَّيِّفِ
 الْأَغْرَاضِ وَالْمُقَاصِدِ . وَلَمْ أَجِدْ أَحْسَنَ تَهْدِيًّا لِلْأَلْفَاطِ مِنْ أَبِي عِبَادَةَ
 وَلَا أَنْفَسَ دِيْبَاجَةً وَلَا أَبْهَجَ سَبْكًا . فَأَخَّرْتُ دَوَائِبَهُمْ لِأَسْتَمِ الْهَامَا
 عَلَى مَخَاسِنِ الطَّرْفَيْنِ مِنَ الْمَعَانِي وَالْأَلْفَاطِ . وَلَمَّا حَفِظْتُهَا أَلَيْتُ مَا
 سِوَاهَا مَعَ مَا بَقِيَ عَلَى خَاطِرِي مِنْ غَيْرِهَا (المثل السائر لابن الاثير)

وصف القلم

١٤٨ قَالُوا : الْقَلَمُ أَحَدُ اللِّسَانِينَ وَهُوَ الْمُخَاطَبُ لِلْعُيُوبِ . بِسْرَارِ
 الْقُلُوبِ . عَلَى لُغَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ مِنْ مَعَانٍ مَعْقُولَةٍ . بِحُرُوفٍ مَعْلُومَةٍ . مُتَبَايِنَاتِ
 الصُّورِ مُخْتَلِفَاتِ الْجِهَاتِ . لِقَاحِهَا التَّفَكُّيرُ وَنَتَاجِهَا التَّدْبِيرُ . تَحْرُسُ
 مُنْفَرِدَاتٍ . وَتَنْطِقُ مُزْدَوِجَاتٍ . بِأَلْأَصْوَاتِ مَسْمُوعَةٍ وَلَا أَلْسُنِ مُخَدَّوَةٍ
 وَلَا حَرَكَاتِ ظَاهِرَةٍ . خَلَقَ قَلَمٌ حَرْفَ بَارِيهِ . قَطَّعَهُ لِيَتَعَلَّقَ الْمِدَادُ فِيهِ
 وَأَرْهَفَ جَانِبِيهِ لِيَرُدَّ مَا أَنْشَرَ عَنْهُ إِلَيْهِ وَشَقَّ رَأْسَهُ لِيَحْتَسِبَ الْمِدَادُ
 عَلَيْهِ . فَهَذَا لِكَ اسْتِمْدَادِ الْقَلَمِ بِشِقِّهِ وَنَثَرِ فِي الْقُرْطَاسِ بِحِطِّهِ حُرُوفًا
 أَحْكَمَهَا التَّفَكُّرُ وَأَوَّلَى الْأَسْمَاعِ بِهَا الْكَلَامُ الَّذِي سَدَّاهُ الْعَقْلُ وَالْحَمَةُ

اللِّسَانُ وَنَهْسَةُ الْأَهْوَاتِ وَقَطْعَتُهُ الْأَسْنَانُ وَلَفْظَتُهُ الشَّفَاهُ وَوَعْمَتُهُ
 الْأَسْمَاعُ عَنِ انْحَاءِ شَيْءٍ مِنْ صِفَاتٍ وَأَسْمَاءٍ . قَالَ الْبُخْتَرِيُّ :
 طِعَانٌ بِأَطْرَافِ الْقَوَائِي كَأَنَّهُ طِعَانٌ بِأَطْرَافِ الْقِنَا الْمُتَكْسِرِ
 ١٤٩ قَالَ بَعْضُ الْكُتَّابِ يَصِفُ مُحَبَّرَةً :

وَلَقَدْ مَضَيْتُ إِلَى الْتَحَدِّثِ آيِفًا وَإِذَا بِحَضْرَتِهِ ظِبَاءٌ رُتِعَ
 وَإِذَا ظِبَاءُ الْإِنْسِ تَكَبُّ كُلِّ مَا يُبْلِي وَتَحْفَظُ مَا يَقُولُ وَتَسْمَعُ
 يَتَجَادِبُونَ الْحَبِيرَ مِنْ مَلْمُومَةٍ بِيضَاءٍ تَحْمِلُهَا عَلَائِقُ أَرْبَعٍ
 مِنْ خَالِصِ الْبَلُورِ غَيْرَ لَوْنِهَا فَكَأَنَّمَا سَمِجٌ يُلُوحُ وَيَلْمَعُ
 إِنْ نَكَسُوهَا لَمْ تَسِلْ وَمَلِيكُهَا فِيمَا حَوْتُهُ عَاجِلًا لَا يَطْمَعُ
 وَمَتَى أَمَلُوهَا لِرَشْفِ رِضَائِهَا آدَاهُ فُوهَا وَهِيَ لَا تَمْنَعُ
 وَكَأَنَّمَا قَلْبِي يَضُنُّ بِسِرِّهِ أَبَدًا وَيَكْتُمُ كُلَّ مَا يُسْتَوَدَعُ

وصف الخط

١٥٠ سئل بعض الكُتَّابِ عَنِ الْخَطِّ مَتَى يَسْتَحِقُّ أَنْ يُوصَفَ بِالْجُودَةِ .
 قَالَ : إِذَا اعْتَدَلَتْ أَقْسَامُهُ . وَطَالَتْ أَلْفُهُ وَوَلَامُهُ . وَأَسْتَقَامَتْ سَطُورُهُ .
 وَضَاهَى صُعُودُهُ حُدُورُهُ . وَتَفَتَّحَتْ عِيُونُهُ . وَلَمْ تَشْتَبِهْ رَأُوهُ وَنُونُهُ .
 وَأَشْرَقَ قِرْطَاسُهُ . وَأَظْلَمَتْ أَنْفَاسُهُ . وَلَمْ تَخْتَفِ أَجْنَاسُهُ . وَأَسْرَعَ إِلَى
 الْعُيُونِ تَصَوُّرُهُ . وَإِلَى الْعُقُولِ تَثْمَرُهُ . وَقُدِّرَتْ فُصُولُهُ . وَأَنْدَجَّتْ
 أُصُولُهُ . وَتَنَاسَبَ دَقِيقُهُ وَجَلِيلُهُ . وَخَرَجَ مِنْ نَمَطِ الْوَرَّاقِينَ . وَبَعْدَ عَنِ
 تَصْنَعِ الْعُحْبَرِيِّينَ . وَقَامَ لِصَاحِبِهِ مَقَامَ النَّسَبَةِ وَالْحَالِيَةِ (للقيرواني)

قصيدة ابن البواب في وصف صناعة الخط

١٥١

يَا مَنْ يُرِيدُ إِجَادَةَ التَّخْرِيرِ وَرَوْمَ حُسْنِ الْخَطِّ وَالنَّصِيرِ
إِنْ كَانَ عَزَمَكَ فِي الْكِتَابَةِ صَادِقًا فَأَرْغَبْ إِلَى مَوْلَاكَ فِي التَّسِيرِ
أَعِدْ مِنْ الْأَقْلَامِ كُلِّ مُثَقِّفٍ صُلبَ يَصُوغُ صِيَاغَةَ التَّخْيِيرِ
وَإِذَا عَمَدَتْ لِيَرِيهِ فَتَوَخَّهْ عِنْدَ الْقِيَاسِ بِأَوْسَطِ التَّقْدِيرِ
أَنْظُرْ إِلَى طَرَفِيهِ فَاجْعَلْ بَرِيهَ مِنْ جَانِبِ التَّدْقِيقِ وَالتَّخْصِيرِ
وَأَجْعَلْ لِحَلْفَتِهِ قَوَامًا عَادِلًا يَخْلُو عَنْ التَّطْوِيلِ وَالتَّقْصِيرِ
وَالشَّقَّ وَسَطَهُ لِيَبْقَ بَرِيهَ مِنْ جَانِبِيهِ مُشَاكِلَ التَّقْدِيرِ
حَتَّى إِذَا اتَّقَنْتَ ذَلِكَ كُلَّهُ إِتْقَانَ طَبِّ بِالْمُرَادِ خَيْرِ
فَأَصْرِفْ لِرَأْيِ الْقَطِّ عَزَمَكَ كُلَّهُ فَالْقَطُّ فِيهِ جَمَلَةٌ التَّدْبِيرِ
لَا تَطْمَعَنَّ فِي أَنْ أَبُوحَ بِسِرِّهِ إِنِّي أَضِنُّ بِسِرِّهِ الْمُسْتَوْرِ
لَكِنَّ جَمَلَةً مَا أَقُولُ بِأَنَّهُ مَا يَبِينُ تَحْرِيفِي إِلَى تَدْوِيرِ
وَأَلِقْ دَوَاتِكَ بِالذَّخَانِ مُدْبِرًا بِالْحَلِّ أَوْ بِالْحِصْرِ الْمَعْصُورِ
وَأَضِفْ إِلَيْهِ مَغْرَةً قَدْ صَوْلَتْ مَعَ أَصْفَرِ الزَّرْنِيجِ وَالْكَافُورِ
حَتَّى إِذَا مَا خَمَرْتَ فَأَعْمِدِي إِلَى الْوَرَقِ النَّقِيِّ النَّاعِمِ الْخُبُورِ
فَاكْنِسْهُ بَعْدَ الْقَطْعِ بِالْمِعْصَارِ كِي يَبْأَى عَنِ التَّشْعِيثِ وَالتَّعْبِيرِ
ثُمَّ اجْعَلِ التَّمْثِيلَ دَائِبَكَ صَابِرًا مَا أَذْرَكَ الْمَأْمُولَ مِثْلُ صُبُورِ
إِبْدَأْ بِهِ فِي اللَّوْحِ مُنْتَضِيًا لَهُ عَزَمًا تُجَرِّدُهُ عَنِ التَّشْمِيرِ
لَا تُخْجَلَنَّ مِنَ الرَّدِيِّ نُحْطُهُ فِي أَوَّلِ التَّمْثِيلِ وَالتَّسْطِيرِ

فَأَلْمُرُ يُصَبُّ ثُمَّ يَرْجَعُ هِنًا وَأَرْبَ سَهْلٍ جَاءَ بَعْدَ عَسِيرٍ
 حَتَّى إِذَا أَدْرَكَتْ مَا أَفْلَتَهُ أَصْحَبَتْ رَبَّ مَسْرَةً وَجُورٍ
 فَأَشْكُرُ إِلَهَكَ وَأَتَّبِعُ رِضْوَانَهُ إِنَّ إِلَهَهُ يُحِبُّ كُلَّ شَاكِرٍ
 وَأَرْغَبُ لِكَفِّكَ أَنْ تُحِطَّ بِنَانِهَا خَيْرًا تُخَلِّفُهُ بِدَارٍ غُرُورٍ
 فَمَجِيعُ فِعْلٍ الْمَرْءُ يَلْقَاهُ عَدَا عِنْدَ التَّلَقَاءِ كِتَابِهِ الْمَشُورِ

في الادب وتربية الصغار

١٥٢ كَتَبَ أَبُو الْفَضْلِ هِبَةُ اللَّهِ إِلَى أَبِي عَلِيٍّ مُدْرَسٍ أَنَّهُ :
 أَبَا عَلِيٍّ هُوَ الدَّهْرُ الْحَوُونُ وَمَا يُحِطُّ بِجَدْوَاهُ إِلَّا الْجَاهِلُ الْعَمْرُ
 إِنِّي لِأَشْكُرُ مَا أَوْلَيْتَ مِن حَسَنِ حَتَّى أَرَى وَبِهِ أَسْمُو وَأَفْتَحُرُ
 وَلَوْ أَرَدْتُ مُكَافَاةَ عَلِيٍّ مِثْنِ أَسَدِيَّتِهَا لَتَقَضَى دُونَهَا الْعَمْرُ
 عَهِدْتُ فَضْلَكَ لَا يَحْتَاجُ تَذْكَرَةً وَحَسَنَ رَأْيِكَ مَا فِي نَفْعِهِ ضَرَرُ
 رَاجِعٌ سَدَادِكَ فِيهِ فَهَوَ إِنْ سَمَحْتَ بِهِ اللَّيَالِي عَلَى أَحْدَانِهَا وَزُرُ
 وَأَحْفَظُ لَهُ حَقَّ آبَاءٍ وَمَعْرِفَةٍ مَضَتْ بِتَاكِيدِهَا الْآيَامُ وَالْعَصْرُ
 وَأَوْلِهِ مِنْكَ قَسْطًا مِنْ مُلَاحَظَةٍ فَمَا يُرَى لَكَ فِي إِهْمَالِهِ عُدْرُ
 فَإِنَّهُ نَبْعَةٌ طَابَتْ مَنَابِتُهُ صُبُّ عَلَى الْعَجْمِ مَا فِي عُودِهِ خَوْرُ
 مُغْرَى بِمَا زَادَ فِي قَدْرٍ وَمَنْزِلَةٍ وَمَا تَبَدَّى لَهُ فِي خَدِّهِ شَعْرُ
 دَلَائِلُ نُجَبَاتٍ عَنِ مُجَابِتِهِ كَالنَّارِ تُخْبِرُ عَنِ ضَوْضَائِهَا الشَّرْرُ
 مِنْ مَعَشَرَ حَلَّتِ الْعُلْيَاءُ بَيْنَهُمْ يَبْدُ شُكْرُهُمْ فُخْرًا إِذَا شَكَرُوا
 ١٥٣ قَالَ لِسَانَ الدِّينِ فِي تَرْبِيَةِ الْوَالِدِ : أَحْسِنِ آدَابَهُمْ . وَأَجْعَلِ

الْحَيْرَ دَائِبِهِمْ . وَخَفَ عَلَيْهِمْ مِنْ إِشْفَاقِكَ وَحَنَانِكَ . أَكْثَرَ مِنْ غِلْظَةِ
 جَنَانِكَ . وَآكْتَمَ عَنْهُمْ مَيْلَكَ . وَأَفِضَ فِيهِمْ جُودَكَ وَنَيْلَكَ . وَأَيْبَهُمْ عَلَى
 حُسْنِ الْجَوَابِ . وَسَبَقَ لَهُمْ خَوْفَ الْجَزَاءِ عَلَى رَجَاءِ الثَّوَابِ . وَعَلِمَهُمْ
 الصَّبْرَ عَلَى الضَّرَائِرِ . وَالْمُهَلَّةَ عِنْدَ اسْتِخْفَافِ الْجَرَائِرِ . وَخَذَهُمْ بِحُسْنِ
 السَّرَائِرِ . وَحَيَّبَ إِلَيْهِمْ مِرَاسَ الْأُمُورِ الصَّعْبَةِ الْمِرَاسِ . وَحُسْنَ
 الْأَصْطِنَاعِ وَالْإِحْتِرَاسِ . وَالْإِسْتِكْتِنَارَ مِنْ أَوْلِي الْمَرَائِبِ وَالْمَعْلُومِ .
 وَالسِّيَاسَاتِ وَالْحُلُومِ . وَالْمَقَامِ الْمَعْلُومِ . وَكَرَّةِ إِلَيْهِمْ مَجَاسَةِ الْمُلْهَيْنِ .
 وَمُصَاحَبَةِ السَّاهِينِ . جَاهِدْ أَهْوَاءَهُمْ عَنْ عُقُولِهِمْ . وَحَذِرِ الْكُذِبَ
 عَلَى مَقُولِهِمْ . وَرَشِّحْهُمْ إِذَا آنَسْتَ مِنْهُمْ رُشْدًا أَوْ هَدْيًا . وَأَرِضْهُمْ
 مِنَ الْمُوَازَرَةِ وَالْمُشَاوَرَةِ تَدْيًا . لِيُتَرِّبَهُمْ عَلَى الْإِعْتِيَادِ وَتَحْمِلَهُمْ عَلَى
 الْإِزْدِيَادِ . وَرِضْهُمْ رِيَاضَةَ الْجِيَادِ . وَاحْذِرْ عَلَيْهِمُ الشَّهَوَاتِ فَهِيَ
 دَاوُهُمْ . وَأَعْدَاؤُكَ فِي الْحَقِيقَةِ وَأَعْدَاؤُهُمْ . وَتَدَارِكُ الْخَلْقَ الذَّمِيمَةَ كُلَّ
 مَا نَجَمَتْ . وَأَقْدَعُهَا إِذَا هَجَمَتْ . قَبْلَ أَنْ يَظْهَرَ تَضَعِيفُهَا . وَيَتَوَى ضَعِيفُهَا :
 إِنْ أَلْغُصُونَ إِذَا قَوْمَتَهَا أَعْتَدْتَ . وَلَنْ تَلِينَ إِذَا قَوْمَتَهَا أَلْغُصُ
 وَإِذَا قَدَرُوا عَلَى التَّدْبِيرِ . وَتَشَوْفُوا لِلْحَعْلِ الْكَبِيرِ . فَإِيَّاكَ أَنْ
 تُوْطِنَهُمْ فِي مَكَانِكَ جُهْدَ امْكَانِكَ . وَفَرِّقَهُمْ فِي بِلْدَانِكَ تَفْرِيقَ
 عُبْدَانِكَ . وَاسْتَعْمِلَهُمْ فِي بُعُوثِ جِهَادِكَ . وَالنِّيَابَةِ عَنْكَ فِي سَبِيلِ
 اجْتِهَادِكَ . وَأَنْظِرْ إِلَيْهِمْ بِأَعْيُنِ الثَّقَاتِ . فَإِنَّ عَيْنَ الثَّقَةِ . تُبْصِرُ مَا لَا
 تُبْصِرُ عَيْنُ الْمُحِبَّةِ وَالْمَلْمَةِ

(للقري)

الباب الثامن في السيف والقلم

١٥٤ فَأَخْرَجَ صَاحِبُ سَيْفٍ صَاحِبَ قَلَمٍ فَقَالَ صَاحِبُ الْقَلَمِ : أَنَا
أَقْتُلُ بِالْأَعْرَابِ وَأَنْتَ تَقْتُلُ عَلَى خَطَرٍ وَصَرِيحِ الْأَقْلَامِ . أَشَدُّ مِنْ صَلِيلِ
الْحُسَامِ . فَقَالَ صَاحِبُ السَّيْفِ : الْقَلَمُ خَادِمُ السَّيْفِ إِنْ تَمَّ مُرَادُهُ وَإِلَّا
فَأَلَى السَّيْفِ مَعَادُهُ . أَمَا سَمِعْتَ قَوْلَ أَبِي تَمَّامٍ :

السَّيْفُ أَصْدَقُ إِنْبَاءٍ مِنَ الْكُتُبِ فِي حَدِّهِ الْحَدَّ بَيْنَ الْحَدِّ وَاللَّعِبِ
بِيضُ الصَّفَاحِ لِأَسْوَدِ الصَّخَائِفِ فِي مُتُونِهِنَّ جَلَاءُ الشُّكِّ وَالرَّيْبِ
قَالَ أَبُو الطَّيِّبِ الْمُتَنَبِّيُّ :

حَتَّى رَجَعْتُ وَأَقْلَامِي قَوَائِلُ لِي أَحْمَدُ لِلسَّيْفِ لَيْسَ أَحْمَدُ لِلْقَلَمِ
الْكُتُبُ بِنَا أَبَدًا بَعْدَ الْكِتَابِ بِهِ فَإِنَّا نَحْنُ لِلْأَسْيَافِ كَالْخُدَمِ
وَقَالَ ابْنُ الرَّوْمِيِّ فِي تَفْضِيلِ الْقَلَمِ عَلَى السَّيْفِ :

لَعَمْرُكَ مَا السَّيْفُ سَيْفُ الْكَمِيِّ بِأَخْوَفٍ مِنْ قَلَمِ الْكَاتِبِ
لَهُ شَاهِدٌ إِنْ تَأَمَّلْتَهُ ظَهَرَتْ عَلَى سِرِّهِ الْغَائِبِ
أَدَاةُ النِّيَّةِ فِي جَانِبِهِ فَمِنْ مِثْلِهِ رَهْبَةُ الرَّاهِبِ
سِنَانُ النِّيَّةِ فِي جَانِبِ وَحْدُ النِّيَّةِ فِي جَانِبِ
أَلَمْ تَرَى فِي صَدْرِهِ كَالسِّنَانِ وَفِي الرِّدْفِ كَالْمُرْهَفِ الْقَاضِبِ
١٥٥ قَالَ الصَّوَلِيُّ أَنَشَدَنِي ظَلَمَةَ بَنِ عُبَيْدِ اللَّهِ فِي الْقَلَمِ :

وَإِذَا أَمَرَ عَلَى الْمَهَارِقِ كَفَّهُ بِأَنَامِلٍ يَحْمِلْنَ سَخْتًا مُرْهَفًا
 مُتْقَاصِرًا مُتَطَاوِلًا وَمُقَصِّصًا وَمَوْصِلًا وَمُشْتَتًا وَمَوْلًا
 تَرَكَ الْعُدَاةَ رَوَاجِفًا أَحْشَاوَهَا وَقَلَاعَهَا قَلَمًا هُنَالِكَ رُجْفًا
 كَالْحَيَّةِ الرَّقْشَاءِ إِلَّا أَنَّهُ يَسْتَنْزِلُ الْأَرْوَى إِلَيْهِ تَلْفُظًا
 يَدْرِي بِهِ قَلَمًا يُخْجِ لُعَابَهُ فَيَعُودُ سَيْفًا صَارِمًا وَمُثَقَّفًا
 وَقَالَ فِيهِ أَيْضًا مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الْأَصْبَهَانِي :

أَخْرَسُ يُنِيكَ بِإِطْرَاقِهِ عَنِ كُلِّ مَا شِئْتَ مِنَ الْأَمْرِ
 يَذْرِي عَلَى قِرْطَاسِهِ دَمْعَةً يُبْدِي بِهَا السِّرَّ وَمَا يَذْرِي
 يَرَى أَسِيرًا فِي دَوَاةٍ وَقَدْ أَطْلَقَ أَقْوَامًا مِنَ الْأَسْرِ
 أَخْرَقَ لَوْ لَمْ تَبْرِهْ لَمْ يَكُنْ يَرْشُقُ أَقْوَامًا وَلَمْ يُبْرِي
 كَأَلْبَجْرِ إِذْ يُجْرِي وَكَاللَّيْلِ إِذْ يَغْشَى وَكَالْصَّارِمِ إِذْ يَفْرِي
 وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ جَرَّارٍ :

أَهَيْفُ مَشُوقٌ بِتَجْرِيكِهِ يَحْلُ عَقْدَ السِّرِّ إِعْلَانُ
 لَهُ لِسَانٌ مُرْهَفٌ حَذُّهُ مِنْ رِيْقَةِ الْكُرْسُفِ رِيَانُ
 تَرَى بَسِطَ الْفِكْرِ فِي نَظْمِهِ سَخْصًا لَهُ حُدٌّ وَجَمَانُ
 كَأَنَّمَا يَسْعَبُ فِي إِثْرِهِ ذِيْلًا مِنَ الْحِكْمَةِ سَحْبَانُ
 لَوْلَاهُ مَا قَامَ مَنَارُ الْهُدَى وَلَا سَمَا لِلْمَلِكِ دِيْوَانُ

فصل في التفاوت بين مراتب السيف والقلم في الدول

١٥٦ إَعْلَمَ أَنَّ السَّيْفَ وَالْقَلَمَ كِلَاهُمَا آلَةُ لِصَاحِبِ الدَّوْلَةِ يَسْتَعِينُ

بها على أمره . إلا أن الحاجة إلى السيف في أول الدولة مادام أهلها
 في تمهيد أمرهم أشد من الحاجة إلى القلم إذ القلم في تلك الحال خادم
 فقط مُنفذ للحكم السلطاني . والسيف شريك في المعونة . وكذلك
 في آخر الدولة حيث تضعف عصيتها ويقل أهلها بما ينالهم من الهرم .
 فتحتاج الدولة إلى الاستظهار بأرباب السيوف وتقوى الحاجة إليهم
 في حماية الدولة والمدافعة عنها . كما كان الشأن أول الأمر في تمهيدها .
 فتكون للسيف منزلة في الحالتين على القلم . ويكون أرباب السيف
 حينئذ أوسع جاهاً وأكثر نعمة وأسنى إقطاعاً . وأما في وسط الدولة
 فيستغني صاحبها بعض الشيء عن السيف . لأنه قد تمهد أمره ولم
 يبق همه إلا في تحصيل ثمرات الملك من الجباية والضبط والمباهاة
 الدول وتنفيد الأحكام . والقلم هو المعين له في ذلك فتعظم الحاجة
 إلى تصرفه وتكون السيوف مهملة في مضاجع عودها . إلا إذا نابت
 نائبة أودعت إلى سد فرجة وما سوى ذلك فلا حاجة إليها .
 فيكون أرباب الأقلام في هذه الحالة أوسع جاهاً وأعلى رتبة وأعظم
 نعمة ورتوة . وأقرب من السلطان مجلساً وأكثر إليه تردداً . وفي
 خلواته محياً . لأنه حينئذ آتته التي بها يستظهر على تحصيل ثمرات ملكه
 والنظر في أعطافه وتتميف أطرافه والمباهاة بأحواله . ويكون الوزراء
 حينئذ وأهل السيوف مستغني عنهم مبعدين عن ناظر السلطان حذرين
 على أنفسهم من بوادره . وفي معنى ذلك ما كتبه أبو مسلم

لِلْمَنْصُورِ حِينَ أَمَرَهُ بِالْقُدُومِ : أَمَا بَعْدُ فَإِنَّهُ بِمَا حَفِظْنَاهُ مِنْ وَصَايَا
الْفَرَسِ : أَخَوْفُ مَا يَكُونُ الْوُرْزَاءُ إِذَا سَكَنَتِ الدَّهْمَاءُ . سُنَّةُ اللَّهِ فِي
عِبَادِهِ وَالسَّلَامُ
(مقدمة ابن خلدون)

١٥٧ قَالَ ابْنُ الرُّومِيِّ :

إِنْ يَخْدُمُ الْقَلَمُ السَّيْفَ الَّذِي خَضَعَتْ لَهُ الرِّقَابُ وَدَانَتْ خَوْفَهُ الْأُمَمُ
فَأَمُوتُ وَأَمُوتُ لَا شَيْءَ يُقَابِلُهُ مَا زَالَ يَتَّبِعُ مَا يَجْرِي بِهِ الْقَلَمُ
يَذَا قَضَى اللَّهُ لِلْأَقْلَامِ مَذْبُورِيَّتَ أَنْ السُّيُوفَ لَهَا مَذْأَرْهَفَتْ خَدَمُ

١٥٨ قَالَ حَيْبُ فِي قَلَمِ ابْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ الزِّيَّاتِ وَأَحْسَنَ :

لَكَ الْقَلَمُ الْأَعْلَى الَّذِي بَسَنَانِهِ تُصَابُ مِنَ الْمَرْءِ السُّكْلَى وَالْمَفَاصِلُ
لَهُ الْجُلُوتُ الْأَلَاءُ لَوْلَا تَحْيِيهَا لَمَّا أَحْتَفَلْتَ لِلْمَلِكِ تِلْكَ الْأَحْوَافِلُ
لُعَابُ الْأَفَاعِي الْقَائِلَاتِ لِعَابُهُ وَأَرِي الْجَنَى أَشْتَارَتَهُ أَيْدِي عَوَاسِلُ
لَهُ دِيْمَةٌ طَلٌّ وَكَيْنٌ وَقَعْمَا بِأَثَارِهِ فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ وَأَيْلُ
فَصِيحٌ إِنْ اسْتَنْطَقْتَهُ وَهُوَ رَاكِبٌ وَأَعْجَمٌ إِنْ خَاطَبْتَهُ وَهُوَ رَاجِلُ
إِذَا مَا امْتَطَى الْخُمْسَ الطَّافِ وَأَفْرِغَتْ عَلَيْهِ شِعَابُ الْفِكْرِ وَهِيَ حَوَافِلُ
أَطَاعَتُهُ أَطْرَافُ الْقَنَا وَتَقَوَّضَتْ لِنَجْوَاهُ تَقْوِيضَ الْحِيَامِ الْجَحَافِلُ
إِذَا اسْتَعْذَرَ الذَّهْنَ الذَّكِيَّ وَأَقْبَلَتْ أَعَالِيهِ فِي الْقِرْطَاسِ وَهِيَ أَسَافِلُ
وَقَدْ رَفَدْتَهُ الْخُنْصِرَانَ وَسَدَدَتْ ثَلَاثَ نَوَاجِيهِ الثَّلَاثَ الْأَنَامِلُ
رَأَيْتَ جَلِيلًا شَأْنَهُ وَهُوَ مَرْهَفٌ ضَنِيٌّ وَسَمِينًا خَطْبَهُ وَهُوَ نَاجِلُ

١٥٩ قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ الْبُسْتِيُّ :

إِذَا أَفْخَرَ الْأَبْطَالُ يَوْمًا يَسْفِيهِمْ وَعَدُوهُ مِمَّا يَكْسِبُ الْمَجْدَ وَالْكَرَمَ
كَتَفَى قَلَمَ الْكُتَابِ فَخَرًّا وَرَفَعَةً مَدَى الدَّهْرِ أَنَّ اللَّهَ أَقْسَمَ بِالْقَلَمِ
لِأَبِي الْفَرَجِ بْنِ الدَّهَّانِ

قَوْمٌ إِذَا أَخَذُوا الْأَقْلَامَ مِنْ قَصَبٍ ثُمَّ اسْتَمَدُوا بِهَا مَاءَ الْمُنْيَاتِ
تَالُوا بِهَا مِنْ أَعَادِيهِمْ وَإِنْ بَعُدُوا مَا لَا يُنَالُ بِحَدِّ الْمَشْرِفِيَّاتِ
فِي شَرَفِ الْكُتَابِ

١٦٥ الْكُتَابُ عِمَادُ الْمَلِكِ وَأَرْكَانُهُ . وَعَيْونُهُ الْمُبْصِرَةُ وَأَعْوَانُهُ . وَبِهَاءِ
الدُّوْلِ وَنِظَامِهَا . وَرُؤُوسُ الرِّئَاسَةِ وَقَوَامِهَا . مَلَائِسُهُمْ فَخِرَةٌ . وَمَحَاسِنُهُمْ
بَاهِرَةٌ . وَشِمَائِلُهُمْ لَطِيفَةٌ . وَنُفُوسُهُمْ شَرِيفَةٌ . مَدَارُ الْحَلِّ وَالْعَقْدِ
عَلَيْهِمْ . وَمَرَجُّ التَّصَرُّفِ وَالتَّدْبِيرِ إِلَيْهِمْ . بِهِمْ تُحَلَّى الْعَوَاطِلُ . وَتَبْسِمُ
تُغُورُ الْمَعَالِقُ . مَجَالِسُهُمْ بِالْقَضَائِلِ مَعْمُورَةٌ . وَبِنَدَاهُمْ أَنْدِيَةُ الْقُصَادِ
مَعْمُورَةٌ . يَهْدُونَ إِلَى الْأَسْمَاعِ أَنْوَاعَ الْبَدِيعِ . وَيَزْهَوْنَ الْأَحْدَاقَ فِي
حَدَائِقِ التَّوَشِيحِ وَالتَّوَشِيحِ . هُمْ أَهْلُ الْبِرَاعَةِ وَاللَّسَنِ . وَسَيِّئُهُمْ لَفُ
الْقَبِيحِ وَكُشْرُ الْحَسَنِ . يَمِيلُونَ إِلَى الْقَوْلِ بِمُوجِبِ الْمَدْحِ . وَلَا يَمِيلُونَ
مِنْ مَرَاجِعَةِ الرَّاعِيَيْنِ فِي الْمُنْحِ . دَائِبُهُمْ اسْتِخْدَامُ النَّاسِ بِالْمَعْرُوفِ .
وَعَدَمُ التَّوَرِيَةِ عَنِ الْعَالِي وَالْمَلْهُوفِ . يُجِلُّونَ الْكَبِيرَ . وَيُجِلُّونَ الصَّغِيرَ .
وَلَا يُجِلُّونَ بِمِرَاعَةِ النَّظِيرِ . لَهُمْ إِلَى الْخَيْرِ رُجُوعٌ وَالتَّنِفَاتُ . وَبِالْجُمْلَةِ
فَقَدْ حَازُوا جَمِيعَ جَمِيلِ الصِّفَاتِ :

كَتَبْتَ قَوْلًا أَنْ هَذَا مُحَلَّلٌ وَذَلِكَ حَرَامٌ قِسْتُ خَطِّكَ بِالسَّخْرِ

فَإِنْ كَانَ زَهْرًا فَهَوَّ صُنْعُ سَحَابَةٍ وَإِنْ كَانَ دُرًّا فَهَوَّ مِنْ لُجَّةِ الْبَحْرِ
 بِأَيْدِيهِمْ أَقْلَامٌ . تَحْتَلِسُ بِلُطْفِهَا الْأَحْلَامَ . صَافِيَةُ الْجَوَاهِرِ . زَاهِيَةٌ
 الْأَزَاهِرِ . لَيْثَةُ الْأَعْطَافِ . نَاعِمَةُ الْأَطْرَافِ . تَبْكِي وَهِيَ مُبَسَّسَةٌ .
 وَتَسْكُتُ وَهِيَ بِمَا يُطْرِبُ السَّمْعَ مَتَكَلِّمَةٌ . قَدِ اعْتَدَلَتْ قُدُودُهَا .
 وَأَشْرَقَتْ فِي سَمَاءِ الْبِرَاعَةِ سُعُودُهَا . أَسَيْتُهَا مُرَهَقَةٌ . وَمَطَارِفُهَا مُمَوَّقَةٌ .
 تَجْتَهِدُ فِي خِدْمَةِ الْبَارِي . وَتُبْدِي مِنْ دُرْرِهَا مَا يَفْضَحُ الدَّرَارِي .
 تَمِيسُ فِي وَشِي أَيْرَادِهَا . وَتَشْرَحُ الصُّدُورَ بَعْدُوبَةٍ إِيْرَادِهَا . كَشَّاتٌ
 عَلَى شَطُوطِ الْأَنْهَارِ . وَتَعَلَّمَتِ اللَّحْنَ مِنْ إِعْرَابِ الْأَطْيَارِ . طَوِيلَةٌ
 الْأَنْيَابِ . تَسْلُبُ الْقُلُوبَ بِحُسْنِ الْأَسَالِيبِ . تُدْهِشُ النَّاطِرَ وَتُحْجِلُ
 الْعَامِلَ . وَلَا تَرْضَى بِأَمْتَاءٍ غَيْرِ الْأَنْوَالِ . أَلْسِنَاعَةٌ كَامِنَةٌ فِي مُهْجَتِهَا .
 وَالْفَصَاحَةُ جَارِيَةٌ عَلَى لَهْجَتِهَا . تَبْهَرُ بِالنَّضَارَةِ نَوَاطِرَ الْبِهَارِ . وَتُطْرِرُ
 بِاللَّيْلِ أَرْدِيَةَ النَّهَارِ . إِنْ قَالَتْ لَمْ تَتْرُكْ مَقَالًا لِقَابِلِ . وَإِنْ صَالَتْ
 رَجَعَتْ السُّيُوفُ مُسْتَتْرَةً بِأَذْيَالِ الْحَمَائِلِ . سَجَدَتْ لِلطَّرْسِ فَرَفَعَتْ إِلَى
 أَعْلَى الرُّتَبِ . وَحَلَّتْ وَسَبَقَتْ فَسُمِّيَتْ بِالْقَصَبِ (لكمال الدين الحلبي)

١٦١ إِعْتَمَدْنَا وَهَبَ بِقَلَمِ صُلبٍ فَصَرَ الْقَلَمُ فِي يَدِهِ فَأَنْشَدَ :

إِذَا مَا أَلْتَقَيْنَا وَأَتَضَّنَا صَوَارِمًا يَكَادُ يُصِمُّ السَّامِعِينَ صَرِيرُهَا
 تَسَاقَطَ فِي الْقِرطَاسِ مِنْهَا بَدَائِعُ كَمَثَلِ الْأَلَايِ نَظْمُهَا وَتَبِيرُهَا
 تَقُودُ آيَاتِ الْبَيَانِ بِفِطْنَةٍ وَيَكْشِفُ عَنْ وَجْهِ الْبَلَاغَةِ نُورُهَا
 تَنْظُلُ الْمُنَايَا وَالْعَطَايَا شَوَارِعًا تَدُورُ بِمَا شِئْنَا وَتَمْضِي أُمُورُهَا

الباب التاسع في اللطائف

وزير المأمون والشاعر

١٦٢ كَانَ أَبُو عَبَّادٍ الرَّازِيُّ وَزِيرُ الْمَأْمُونِ شَدِيدَ الْحِدَّةِ سَرِيعَ
الغَضَبِ . رَبَّمَا اغْتَاظَ مِنْ بَعْضِ مَنْ يَكُونُ بَيْنَ يَدَيْهِ قَرْمَاهُ بِدَوَاتِهِ
أَوْ شَتْمَهُ فَأَنْفَسَ . فَدَخَلَ إِلَيْهِ الْغَالِي الشَّاعِرُ وَأَنْشَدَهُ :

لَمَّا أَتَخْنَا بِالْوَزِيرِ رِكَابَنَا مُسْتَعْصِمِينَ بِجُودِهِ أَعْطَانَا
ثَبَّتَ رَحًا مَلِكِ الْإِمَامِ ثَابِتٍ وَأَفَاضَ فِينَا الْعَدْلَ وَالْإِحْسَانَ
يَقْرِي الْوُفُودَ طَلَاقَةً وَسَاحَةً وَالنَّاكِثِينَ مُهِنْدًا وَسِنَانَا
مَنْ لَمْ يَزَلْ لِلنَّاسِ غَيْثًا مُرْعَا مُتَحَرِّقًا فِي جُودِهِ مِعْوَانَا
فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى قَوْلِهِ فِي جُودِهِ وَقَفَ وَأَزِيحَ عَلَيْهِ . وَصَارَ يَكْرُرُ
فِي جُودِهِ مِرَارًا . حَتَّى صَجَرَ أَبُو عَبَّادٍ وَغَلَبَتْ عَلَيْهِ السُّودَاءُ فَقَالَ :
يَا شَيْخُ قُلْ : قَرْنَا نَا أَوْ صَفَعْنَا وَخَلَصْنَا . فَصَحَّكَ جَمِيعٌ مَنْ كَانَ بِالْمَجْلِسِ
وَذَهَبَ غَيْظُهُ هُوَ أَيْضًا فَصَحَّكَ مَعَ النَّاسِ . وَأَتَمَّ الْغَالِي قَافِيَتَهُ
بِقَوْلِهِ مِعْوَانَا . ثُمَّ وَصَلَهُ الْوَزِيرُ (لابن الطقطقي)

١٦٣ قَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ فِي ظَلَمِ الدُّنْيَا :

عَبَّتْ عَلَى الدُّنْيَا بِتَقْدِيمِ جَاهِلٍ وَتَأْخِيرِ ذِي لُبٍّ فَأَبَدَتْ لِي الْعُذْرَا
بُنُو الْجَهْلِ أَبْنَانِي وَأَمَّا الْوَالِدُ النَّهْيُ فَإِنَّهُمْ أَبْنَاءُ ضَرَّتِي الْأُخْرَى

قَالَ آخِرُ فِي الشُّكْرِ :

لَقَدْ أَصَحَّتْ خِلَالَ أَبِي حُصَيْنٍ
كَسَانِي طَلَّ وَأَبْلِهَ وَأَوَى
وَكَذْتُ كَرَوْضَةَ سَقَيْتُ سَحَابًا
قَالَ أَبُو تَمَّامٍ :

إِذَا كُنْتَ مِنْ كُلِّ الطَّبَاعِ مُرَكَّبًا
قَأْنْتَ إِلَى كُلِّ الْقُلُوبِ حَيْبُ
قَالَ آخِرُ فِي قَلَّةِ الْمُرُوءَةِ :

مَرَزْتُ عَلَى الْمُرُوءَةِ وَهِيَ تَبْكِي
فَقَالَتْ كَيْفَ لَا أَبْكِي وَأَهْلِي
قَالَ الْبَهَاءُ زُهَيْرٌ فِي الْمَوَدَّةِ :

حَفِظْتَ لَكُمْ ذَاكَ الْوَدَادَ وَصُنْتَهُ
فَمَا هُوَ مَخْتَوْمٌ لَكُمْ بِخِتَامِ
فَلَا تُنْكِرُوا طِيبَ النَّسِيمِ إِذَا سَرَى
إِلَيْكُمْ فَذَلِكَ الطَّيِّبُ فِيهِ سَلَامِي

مروان بن ابي حفصة وجعفر البرمكي

١٦٤ دَخَلَ مَرْوَانَ بْنَ أَبِي حَفْصَةَ عَلَى جَعْفَرِ بْنِ يَحْيَى فَأَنشَدَهُ :

أَبْرًا فَمَا تَرَجُّو الْحِيَادَ حَلِاقَهُ
أَبُو الْفَضْلِ سَبَّاقُ الْأَضَامِيمِ جَعْفَرُ
وَزِيرٌ إِذَا نَابَ الْحِلَافَةَ حَادِثٌ
أَشَارَ بِمَا عَنْهُ الْحِلَافَةُ تَصَدَّرُ
فَقَالَ جَعْفَرُ : أَنَشِدْنِي مَرِئَتَكَ فِي مَعْنَى بِنِ زَائِدَةَ فَأَنشَدَهُ :
أَقْنَا بِالْيَمَامَةِ أَوْ لَسِينَا
مُقَامًا لَا يُزِيدُ بِهِ زَوَالَا
وَقَدْ ذَهَبَ النَّوَالُ فَلَانُوَالَا

وَكَانَ النَّاسُ كُلُّهُمْ يَمَعْنُ إِلَى أَنْ زَارَ حُفْرَتَهُ عِيَالًا
 حَتَّى فَرَّغَ مِنَ الْقَصِيدَةِ وَجَعَفَ يُرْسِلُ دُمُوعَهُ عَلَى خَدَّيْهِ . فَقَالَ :
 هَلْ أَنَابَكَ عَلَى هَذِهِ الْمُرْتَبَةِ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ وَوَلَدِهِ . قَالَ : لَا .
 قَالَ : فَلَوْ كَانَ مَعْنٍ حَيَاتِمٌ سَمِعَهَا مِنْكَ كَمْ كَانَ يُثَبِّكُ عَلَيْهَا . قَالَ :
 أَرْبَعِمِائَةَ دِينَارٍ . قَالَ : فَإِنَّا كُنَّا نَنْظُرُ أَنَّهُ لَا يَرْضَى لَكَ بِذَلِكَ وَقَدْ
 أَمَرْنَا لَكَ عَنْ مَعْنٍ رَحِمَهُ اللَّهُ بِالضَّعْفِ مِمَّا ظَنَنْتَهُ وَزِدْنَاكَ مِثْلَ
 ذَلِكَ . فَأَقْبِضْ مِنَ الْخَازِنِ أَلْفًا وَسِتْمِائَةَ دِينَارٍ قَبْلَ أَنْ تُخْرَجَ . فَقَالَ
 مَرْوَانَ يُذَكِّرُ جَعْفَرًا وَمَا سَمِعَ بِهِ عَنْ مَعْنٍ :

نَفَحْتَ مُكَافِئًا عَنْ جُودِ مَعْنٍ لَنَا فِيمَا تَجُودُ بِهِ سِبْجَالًا
 فَجَعَلْتَ الْعَطِيَّةَ يَا ابْنَ يَحْيَى لِنَادِيهِ وَلَمْ تُرِدِ الْإِطَالَا
 فَكَفَأَ عَنْ صَدَى مَعْنٍ جَوَادُ بِأَجُودِ رَاحَةٍ بَدَلْتَ نَوَالًا
 بَنَى لَكَ خَالِدٌ وَأَبُوكَ يَحْيَى بِنَاءً فِي الْمَكَارِمِ لَنْ يُنَالَا
 كَانَ الْبَرْمَكِيُّ إِكْلًا مَالٍ تَجُودُ بِهِ يَدَاهُ يُفَادُ مَالَا

الصلوات والصلوة

١٦٥ وَمِمَّا يُسْتَحْسَنُ مِنْ تَجْنِيسِ الصَّلَاتِ وَالصَّلَاةِ حِكَايَةُ أَحْمَدَ بْنِ
 الْمُدِيرِ . وَكَانَ إِذَا مَدَحَهُ شَاعِرٌ وَلَمْ يَرْضَ شِعْرَهُ قَالَ لِغَلَامِهِ : امْضُ
 بِهِ إِلَى الْمَسْجِدِ فَلَا تُفَارِقُهُ حَتَّى يُصَلِّيَ مِائَةَ رَكْعَةٍ ثُمَّ خَلِّهِ . فَتَحَامَاهُ
 الشُّعْرَاءُ إِلَّا الْأَفْرَادَ الْعَجِيدُونَ . فَجَاءَ الْحُسَيْنُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْبَصْرِيُّ
 فَاسْتَأْذَنَهُ فِي النَّشِيدِ . فَقَالَ : أَعَرَفْتَ الشَّرْطَ . قَالَ : نَعَمْ وَأَنْشُدْ :

أَرَدْنَا فِي أَبِي حَسَنٍ مَدِيحًا كَمَا بِالْمَدْحِ تُنَجِّعُ الْوَلَاةُ
فَقُلْنَا أَكْرَمُ الثَّقَلَيْنِ طَرًّا وَمَنْ كَفَّاهُ دُجَلَةٌ وَالْفَرَاتُ
فَقَالُوا يَقْبَلُ الْمِدْحَاتِ لَكِنْ جَوَائِزُهُ عَلَى الْمَدْحِ الصَّلَاةُ
فَقُلْتُ لَهُمْ وَمَا تُعْنِي صَلَاتِي عِيَالِي إِنَّمَا تُعْنِي الزَّكَاةُ
فَأَمَّا إِذْ أَبِي إِلَّا صَلَاتِي وَعَاقِبَتِي الصُّومُ وَالشَّاعِلَاتُ
فَيَأْمُرُ لِي بِكَسْرِ الصَّادِ مِنْهَا لَعَلِّي أَنْ تُشَطِّبَنِي الصَّلَاتُ
فَتَضْلِعُ لِي عَلَى هَذَا حَيَاتِي وَيَضْلِعُ لِي عَلَى هَذَا أَلْمَاتُ

فَصَحِيحٌ وَأَسْتَظَرُّهُ وَأَمْرٌ لَهُ مِائَةٌ دِينَارٍ (للشريشي)

١٦٦ حَدَّثَ الصَّوَلِيُّ قَالَ: وُلِدَ لِلْهَادِي وَوَلَدٌ فِي أَوَّلِ يَوْمٍ وَلِي الْخِلَافَةَ
فَدَخَلَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ فَأَنشَدَهُ:

أَكْثَرَ مُوسَى غَيْظَ حُسَّادِهِ وَزَيْنَ الْأَرْضِ بِأَوْلَادِهِ
وَجَاءَنَا مِنْ صُلَيْهِ سَيِّدٌ أَصِيدُ فِي تَقْطِيعِ أَجْدَادِهِ
فَاكْتَسَتِ الْأَرْضُ بِهِ بَهْجَةً وَأَسْتَبَشَرَ الْمَلِكُ بِمِيلَادِهِ
وَأَبْتَسَمَ الْمُنْبَرُ عَنْ فَرْحَةٍ عَلَتْ بِهَا ذِرْوَةٌ أَعْوَادِهِ
كَأَنِّي بَعْدَ قَلِيلٍ بِهِ بَيْنَ مَوَالِيهِ وَقُوَادِهِ
فِي تَحْفَلٍ تَحْتَقُّ رَايَاتُهُ قَدْ طَبَّقَ الْأَرْضَ بِأَجْنَادِهِ

فَأَمْرٌ لَهُ مُوسَى بِأَلْفِ دِينَارٍ وَكَانَ سَاخِطًا عَلَيْهِ فَرَضِي عَنْهُ (الاعاني)

معن بن زائدة والثلاث جوار

١٦٧ كَانَ مَعْنُ بْنُ زَائِدَةَ فِي بَعْضِ صُيُودِهِ فَعَطِشَ فَلَمْ يَجِدْ مَعَ

غَلْمَانِهِ مَاءً • فَيَدْنَاهُ كَذَلِكَ وَإِذَا بَثَلَتْ جَوَارٍ قَدْ أَقْبَلْنَ حَامِلَاتٍ
ثَلَاثَ قُرْبٍ فَسَقَيْنَهُ • فَطَلَبَ شَيْئًا مِنَ الْمَالِ مَعَ غَلْمَانِهِ فَلَمْ يَجِدْهُ • فَدَفَعَ
لِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ عَشْرَةَ أَسْهُمٍ مِنْ كِنَانَتِهِ نُصُولًا مِنْ ذَهَبٍ •
فَقَالَتْ إِحْدَاهُنَّ : وَيَلَكُنَّ لَمْ تَكُنْ هَذِهِ الشَّمَائِلُ إِلَّا لِمَعْنِ بْنِ زَائِدَةَ •
فَلْتَقُلْ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْكُنَّ شَيْئًا مِنَ الْآيَاتِ • فَقَالَتِ الْأُولَى :

يُرَكَّبُ فِي السِّهَامِ نُصُولَ تَبْرِ وَيُرْمِي لِلْعَدَى كَرَمًا وَجُودًا
فَلِلْمَرْضَى عِلَاجٌ مِنْ جِرَاحٍ وَأَكْفَانٌ لِمَنْ سَكَنَ الْخُودًا
وَقَالَتِ الثَّانِيَةُ :

وَمُحَارِبٍ مِنْ فَرَطِ جُودِ بَنَانِهِ عَمَّتْ مَكَارِمُهُ الْأَقَارِبَ وَالْعَدَى
صَيَّغَتْ نُصُولُ سِهَامِهِ مِنْ عَسَجِدٍ كَيْ لَا يُفَوِّتَهُ التَّقَارِبُ وَالنَّدَى
وَقَالَتِ الثَّلَاثَةُ :

وَمِنْ جُودِهِ يُرْمِي الْعُدَاةَ بِأَسْهُمٍ مِنْ الذَّهَبِ الْإِبْرِيضِ صَيَّغَتْ نُصُولَهَا
لِيُنْفِقَهَا الْمَجْرُوحُ عِنْدَ دَوَانِهِ وَيَشْتَرِي الْأَكْفَانَ مِنْهَا قَتِيلَهَا

الحسين بن الضحاک عند التوركل

١٦٨ حَدَّثَ الصَّوْلِيُّ قَالَ : كَانَ لِلْحُسَيْنِ بْنِ الصَّحَّاحِ ابْنٌ يُسَمَّى مُحَمَّدًا
لَهُ أَرْزَاقٌ فَمَاتَ فَفَطَعَتْ أَرْزَاقُهُ • فَقَالَ يَحْسَابُ التُّوَكِّلِ وَيَسْأَلُهُ أَنْ
يَجْعَلَ أَرْزَاقَ ابْنِهِ الْمُتَوَكِّي لِزَوْجَتِهِ وَأَوْلَادِهِ :

إِنِّي أَتَيْتُكَ شَافِعًا بُوَيْي عَهْدِ الْمُسْلِمِينَ
وَشَبِيهَكَ الْمُعْتَرِّ أَوْ جَهْ شَافِعٍ فِي الْعَالَمِينَ

يَا بْنَ الْخَلَّافِ الْأَوَّلِينَ وَيَا أَبَا الْمُنَآخِرِينَ
 إِنَّ ابْنَ عَبْدِكَ مَاتَ وَأَيَّامُ تَحْتَرِمُ الْقَرِينَا
 وَمَضَى وَخَلَفَ صَبِيَّةً بِعَرَاصِهِ مُتَلَدِّينَا
 وَهَيَّرَ عَبْرَى خِلَافٍ أَقَارِبِ مُسْتَعْبِرِينَا
 أَصْبَحْنَا فِي رَيْبِ الْحَوَا دَيْتٍ يُحْسِنُونَ بِكَ الظُّنُونَا
 قَطَعَ الْوَلَاةَ جِرَايَةَ كَانُوا بِهَا مُسْتَسْكِينَا
 فَأَمَّنْ بِرِدِّ جَمِيعِ مَا قَطَعُوهُ غَيْرَ مُرَاقِبِينَا
 أَعْطَاكَ أَفْضَلَ مَا تَوَمَّلُ أَفْضَلُ الْمُتَفَضِّلِينَا
 (قَالَ): فَأَمَرَ الْمُتَوَكَّلُ لَهُ بِمَا سَأَلَ فَقَالَ يَشْكُرُهُ:

يَا خَيْرَ مُسْتَخْلَفٍ مِنْ آلِ عَبَّاسٍ إِسْمًا وَلَيْسَ عَلَى الْأَيَّامِ مِنْ بَاسٍ
 أَحْيَيْتَ مِنْ أَمَلِي نِضْوًا تَعَاوَرَهُ تَعَاقَبُ الْيَأْسِ حَتَّى مَاتَ بِالْيَأْسِ

الباهلي والرشيدي

١٦٩ قَدِمَ عَلَى الرَّشِيدِ أَعْرَابِيٌّ مِنْ بَاهِلَةَ وَعَلَيْهِ جُبَّةٌ حَبْرَةٌ وَرِدَاةٌ
 يَمَانٌ قَدْ شَدَّهُ عَلَى وَسَطِهِ ثُمَّ ثَنَاهُ عَلَى عَاتِقِهِ . وَعِمَامَةٌ قَدْ عَصَبَهَا عَلَى
 فُؤْدِيهِ . وَأَرْحَى لَهَا عَذَبَةً مِنْ خَلْفِهِ فَمَثَلَ بَيْنَ يَدَيْ الرَّشِيدِ . فَقَالَ :
 سَعِيدُ يَا أَعْرَابِيُّ خُذْ فِي شَرَفِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ . فَأَنْدَقَ فِي شِعْرِهِ .
 فَقَالَ الرَّشِيدُ : يَا أَعْرَابِيُّ أَسْمَعُكَ مُسْتَحْسِنًا وَأَنْكُرُكَ مُتَّهَمًا . فَقُلْنَا
 بَيْتَيْنِ فِي هُدَيْنِ يَعْني مُحَمَّدًا الْأَمِينَ وَعَبْدَ اللَّهِ الْمَأْمُونِ أَبْتِيهِ وَهَمَّا
 حِقَاقَاهُ . فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ حَمَلْتَنِي عَلَى الْوَعْرِ الْقَرْدِدِ . وَأَرْجَعْتَنِي

عَلَى السَّهْلِ الْحَدَرِ رَوْعَةُ الْخِلَافَةِ وَبَهْرُ الدَّرَجَةِ وَنُفُورُ الْقَوَائِي عَلَى
الْبُدَيْيَةِ . فَأَرُوذِي تَتَأَلَّفُ لِي نَوَافِرُهَا وَيَسْكُنُ رَوْعِي . قَالَ : قَدْ
فَعَلْتُ وَجَعَلْتُ أَعْتَدَارَكَ بَدَلًا مِنْ أَمْحَانِكَ . قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
نَفَسْتَ الْخِنَاقَ . وَسَهَلْتَ مَيْدَانَ السَّبَاقِ . فَأَنْشَأَ يَقُولُ :

بَنَيْتَ لِعَبْدِ اللَّهِ ثُمَّ مُحَمَّدٍ ذُرِّيَّةَ الْإِسْلَامِ فَأَخْضَرَ عَمُودَهَا
بِهَا طُنْبَاهَا بَارَكَ اللَّهُ فِيهِمَا وَأَنْتَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَمُودَهَا
فَقَالَ الرَّشِيدُ : بَارَكَ اللَّهُ فِيكَ فَسَلْ وَلَا تَكُنْ مَسْتَلْتِكَ دُونَ إِحْسَانِكَ .
قَالَ : الْهَيْدَةَ . فَأَمَرَ لَهُ بِمِائَةِ نَاقَةٍ وَسَبْعِ جَلْعٍ (لابن عبد ربه)
١٧٠ قَالَ الْبُسْتِيُّ يَعْتَذِرُ :

أَسَأْتُ إِلَى نَفْسِي وَطَأَمَنْتُ مِنْ قَدْرِي فَحَكَّمْ عَنِّي أَخْلَافَكَ الْعَرِيَّ فِي قَهْرِي
فَمَا الْعَقْلُ إِلَّا خَاتَمٌ أَنْتَ فَصُّهُ وَعَفْوُكَ نَفْسُ الْقَصِّ فَأَخْتِمْ بِهِ عُذْرِي
١٧١ وَقَالَ أَيْضًا فِي رِسَالَةٍ أَتَتْهُ مِنْ بَعْضِ أَصْحَابِهِ :

مَا إِنْ سَمِعْتُ بُوَارٍ لَهُ ثَمْرٌ فِي الْوَقْتِ يَتَمَعُّ بِتَمَعِ الْمَرْءِ وَالْبَصْرَا
حَتَّى أَتَانِي كِتَابٌ مِنْكَ مُبْتَسِمًا عَنْ كُلِّ لَفْظٍ وَمَعْنَى أَشْبَهَ الدَّرْرَا
وَكَانَ لَفْظُكَ فِي آلَايِهِ زَهْرًا وَكَانَ مَعْنَاكَ فِي أَثْنَانِهِ ثَمْرًا
تَسَابَقًا فَاصَابَا بِالْقَصْدِ فِي طَلْقِ اللَّهِ مِنْ ثَمْرٍ قَدْ سَابَقَ الزُّهْرَا
١٧٢ وَقَالَ وَهُوَ مِنْ أَجْمَلِ مَا قِيلَ فِي بَابِ الشُّكْرِ :

أَقُولُ وَخَيْرُ الْقَوْلِ مَا لَا يَشُوبُهُ رَبَّنَا وَخَيْرُ النَّاسِ مَنْ هُوَ صَادِقُ
رُكْبٍ مِنْ شُكْرِي وَيَرْكُ صُورَةَ فَيْرُكِّي يِي حِي وَشُكْرِي نَاطِقُ

١٧٣ وَقَالَ يَعْتَدِرُ إِلَى ابْنِ أَبِي نُحْمَدٍ الْمُوصِلِيَّ وَقَدْ حُجِبَ عَنْ بَابِهِ :
 قَدْ جِئْتُ مُعْتَدِرًا وَالْعُقُومُنْ شِيمُكَ فَأَمَّهْدُ لِعُدْرِي مَقِيلًا فِي ذُرَى كَرَمِكَ
 وَإِنْ أَرَدْتُ جَعَلْتُ الْحَدَّ وَاسِطَةً حَتَّى يَكُونَ شَفِيعًا لِي إِلَى قَدَمِكَ

علي بن الحليل وزيد بن الزيد

١٧٤ وُلِدَ لِيَزِيدَ بْنِ مَزِيدِ بْنِ قَاتَانَةَ عَلِيُّ بْنُ الْحَلِيلِ فَقَالَ : أَسْتَمِعُ أَيُّهَا
 الْأَمِيرُ تَهْنِئَةً بِالْفَارِسِ الْوَارِدِ . فَتَبَسَّمَ وَقَالَ : هَاتِ . فَأَنْشَدَهُ :

يَزِيدُ يَا ابْنَ الصَّيْدِ مِنْ وَائِلٍ أَهْلُ الرِّئَاسَاتِ وَأَهْلُ الْمَعَالِ
 يَا خَيْرَ مَنْ أَنْجَبَهُ وَالِدٌ لِيَهْنِكَ الْفَارِسُ لَيْثُ النَّزَالِ
 جَاءَتْ بِهِ غَرَاهُ مَيْمُونَةٌ وَالسَّعْدُ يَبْدُو فِي طُلُوعِ الْهَلَالِ
 عَلَيْهِ مِنْ مَعْنٍ وَمِنْ وَائِلٍ سِيمَا تَبَاشِيرٍ وَسِيمَا جَلَالِ
 وَاللَّهُ يُبْقِيهِ لَنَا سَيِّدًا مُدَافِعًا عَنَّا صُرُوفَ اللَّيَالِ
 حَتَّى تَرَاهُ قَدْ عَلَا مِنْبَرًا وَقَاضٍ فِي سُؤَالِهِ بِالنَّوَالِ
 وَسَدَّ ثَغْرًا فَكَفَى شَرَّهُ وَقَارِعَ الْأَبْطَالِ تَحْتَ الْعَوَالِ
 كَمَا كَفَفْنَا ذَلِكَ آبَاؤُهُ فَيَحْتَذِي أَفْعَالَهُمْ عَنِ مِثَالِ

فَأَمَرَ لَهُ عَنْ كُلِّ بَيْتٍ بِالْفِ دِينَارٍ (الانغاني)

١٧٥ قَالَ عَلِيُّ بْنُ ظَافِرٍ : خَرَجَ الْمُعْتَصِمُ بْنُ صَادِحٍ صَاحِبُ الْمَرْيَةِ
 يَوْمًا عَلَى بَعْضِ مَنَازِلِهِ . فَحَلَّ بِرَوْضَةٍ قَدْ سَفَرَتْ عَنْ وَجْهِهَا الْبُهَيْجُ .
 وَتَنَفَّسَتْ عَنْ مَسْكِنِهَا الْأَرْبِيجُ . وَمَاسَتْ مَعَاطِفُ أَعْصَانِهَا . وَتَكَالَتْ
 بِلَالِيهِ الطَّلَّ أَجْيَادُ قُضْبَانِهَا . فَتَشَوَّقَ إِلَى الْوَزِيرِ أَبِي طَالِبِ بْنِ غَانِمِ .

أَحَدُ وُزَرَاءِ دَوْلَتِهِ . وَسُيُوفِ صَوْلَتِهِ . فَكَتَبَ إِلَيْهِ بَدِيهًا فِي وَرِيْقَةٍ
كَرْتَبَ يُعْوِدُ مِنْ شَجَرَةٍ :

أَقْبِلْ أَبَا طَالِبٍ إِلَيْنَا وَأَسْفُطْ سُفُوطَ النَّدَى عَلَيْنَا

فَتَحْنُ عَمْدُ بَغِيْرِ وَنَسْطِي مَا لَمْ تَكُنْ حَاضِرًا لَدَيْنَا

١٧٦ أَخْبَرَنَا أُمِيَّةُ بِنْتُ عَبْدِ الْعَزِيْزِ قَالَ : كُنْتُ مَعَ الْحَسَنِ بْنِ

بَادِيْسٍ بِالْمَهْدِيَّةِ فِي الْمَيْدَانِ وَقَدَرَمِي بِالنُّشَابِ فَصَنَعَتْ فِيهِ بَدِيهًا :

يَا مَلِكًا قَدْ حُلِقَتْ كَعْفُهُ لَمْ تَدْرِ إِلَّا الْجُودَ وَاللَّبَاسَا

إِنَّ النَّجْمَ الزُّهْرَ مَعَ بَعْدِهَا قَدْ حَسَدَتْ فِي قُرْبِكَ النَّاسَا

كَمَا تَمَنَّى الْبَدْرُ لَوْ أَنَّهُ أَضْحَى لِنُشَابِكَ بُرْجَاسَا

١٧٧ سَخَطَ الْفَضْلُ بْنُ الرَّبِيعِ عَلَى ابْنِ سِيَّابَةَ فَأَسْتَرْضَاهُ فَأَمْتَعَ .

فَكَتَبَ إِلَيْهِ ابْنُ سِيَّابَةَ بِهَذِهِ الْآيَاتِ :

إِنْ كَانَ جُرْمِي قَدْ أَحَاطَ بِجُرْمَتِي فَأَحِطْ بِجُرْمِي عَفْوِكَ الْمَأْمُولَا

فَكَمْ أُرْتَجَيْتُكَ فِي الْآتِي لَا يُرْتَجَى فِي مِثْلِهَا أَحَدٌ فَنَاتُ السُّوَلَا

وَضَلَلْتُ عَنْكَ فَلَمْ أَجِدْ لِي مَذْهَبَا وَوَجَدْتُ حِلْمَكَ لِي عَلَيْكَ دَلِيَلَا

هَبْنِي أَسَاتُ وَمَا أَسَاتُ أَقْرُوكِي يَزْدَادُ عَفْوُكَ بَعْدَ طَوْلِكَ طُولَا

فَالْعَفْوُ أَجْمَلُ وَالْفَضْلُ بَأْمَرِي لَمْ يَعْدَمِ الرَّاجُونَ مِنْهُ جَمِيَلَا

فَلَمَّا قَرَأَهَا الْفَضْلُ دَمَعَتْ عَيْنَاهُ وَرَضِيَ عَنْهُ (بدائع البداهة للازدي)

١٧٨ وَشِي بَابُنِ سَيِّدٍ عِنْدَ أَبِي جَعْفَرٍ فَجَاقَاهُ فَكَتَبَ إِلَيْهِ :

وَلَا عُرْوَانَ تَعْفُوا وَأَنْتَ ابْنُ مَنْ عَدَا يُعْوِدُ عَفْوًا عَنِ كِبَارِ الْجَرَائِمِ

لَكُمْ آلَ عَمَّارٍ بَيُوتٌ رَفِيعَةٌ نُشِيدُ مِنْ كَسْبِ الثَّنَاءِ بَدَعَانِمِ
 إِذَا نَحْنُ أَذِنَبْنَا رَجَوْنَا ثَوَابَكُمْ وَلَمْ نَقْتَسِعْ بِالْعَفْوِ دُونَ الْمَكَارِمِ
 وَإِنَّكَ فَرَعٌ مِنْ أَصُولِ كَرِيمَةٍ وَلَا تَلِدُ الْأَزْهَارَ غَيْرَ الْكَمَاثِمِ
 وَإِنِّي مَظْلُومٌ لَزُورِ سَمِعَتُهُ وَقَدِجْتُ أَرْجُو الْعَفْوِ فِي زِيِّ ظَالِمِ
 فَمَقَاعَتُهُ وَقَرَبَهُ إِلَيْهِ وَوَصَلَهُ (الذخيرة لابن بسام)

كَتَبَ ابْنُ خُرُوفٍ لِبَعْضِ الرُّؤَسَاءِ :

يَا مَنْ حَوَى كُلَّ مُجْدٍ بِجَدِّهِ وَبِجَدِّهِ
 أَتَاكَ نَجْلُ خُرُوفٍ فَأَمَّنْ عَلَيْهِ بِجَدِّهِ

١٧٩ كَتَبَ آخَرُ إِلَى بَعْضِ الْوُجُوهِ :

تَبَسَّمَ الْفَرْعَنْ أَوْصَافِكُمْ فَسَرَى مِنْ طِيبِ عَرَفِكُمْ رِيحٌ فَأَحْيَانَا
 فَمِنْ هُنَاكَ عَشِقْنَاكُمْ وَلَمْ نَزْكَمْ وَالْأَذُنُ تَعْشِقُ قَبْلَ الْعَيْنِ أَحْيَانَا
 ١٨٠ لِأَبِي الْوَلِيدِ مِمَّا يُكْتَبُ عَلَى قَوْسٍ :

إِنِّي إِذَا رُفِعَتْ سَمَاةٌ عَجَّاجَتِي وَالْحَرْبُ تَعْتَدُ بِالرَّدَى وَتَقُومُ
 وَتَرُّهُ وَالْأَبْطَالُ فِي جَنَابَتِهَا وَالْمَوْتُ مِنْ فَوْقِ النُّفُوسِ بِحُومِ
 مَرَقَتْ لَهُمْ مَنَا الْخُتُوفُ كَأَنَّمَا نَحْنُ الْأَهْلَةُ وَالسِّيَهَامُ نُجُومِ

١٨١ . قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ زُرْقُونِ :

يَا مَعْدِنَ الْفَضْلِ وَطُودَ الْحِجْيِ لَا زِلْتَ مِنْ بَحْرِ الْعَلَى تَعْتَرِفُ
 عَبْدُكَ بِالْبَابِ فَضْلٌ مُنْعَمًا يَدْخُلُ أَوْ يَصِيرُ أَوْ يَنْصَرِفُ

١٨٢ كَتَبَ ابْنُ هُدَيْلٍ الْفَزَارِيُّ لِلْغَنِيِّ بِاللَّهِ سُلْطَانَ ابْنِ الْحَطِيبِ :

لَيْسَ يَا مَوْلَايَ لِي مِنْ جَارٍ إِذْ عَدَا قَلْبِي مِنَ الْبُلُوَى جُذَاذَا
 غَيْرُ صَكِّ أَحْمَرَ تَكْتُبُ لِي فِيهِ يَمَّاكَ أَعْتَبَاءُ صَمْعٌ هَذَا
 ١٨٣ سَلَّمَ عَلَى الْمُتَنَبِّيِّ بَعْضُ أَصْحَابِهِ قَلَمٌ يَرُدُّ. فَقَالَ مُعْتَذِرًا:

إِذْ كُنْتُ حِينَ لَقَيْتَنِي مُتَوَجِّعًا لِتَغْيِيكِ
 فَشَفَعْتُ عَنْ رَدِّ السَّلَامِ وَكَانَ شُغْلِي عَنْكَ بِكَ

١٨٤ سَأَلَ الْحُجَّاجُ ابْنَ الْقَرِيْبَةِ قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنْ أَوَّلِ مَنْ نَطَقَ
 بِالشُّعْرِ. فَقَالَ: آدَمُ وَهُوَ حِينَ قَتَلَ قَايِنَ أَخَاهُ هَابِيلَ فَأَنشَدَ:

تَغَيَّرَتِ الْبِلَادُ وَمَنْ عَلَيْهَا فَوَجَّهُ الْأَرْضِ مُغَيَّرٌ قَبِيحٌ
 تَغَيَّرَ كُلُّ ذِي طَعْمٍ وَلَوْنٍ وَلَمْ يَرُ فِي الدُّنْيَا شَيْءٌ مَلِيحٌ
 بَكَتْ عَيْنِي وَحَقَّ لَهَا التَّبَاكِي وَجَفَنِي بَعْدَ أَحْبَابِي قَرِيحٌ
 فَأَجَابَهُ إِبْلِيسُ عَلَى قَوْلِهِ:

تَوَّحَّ عَلَى الْبِلَادِ وَمَنْ عَلَيْهَا وَيَا تَرْدُوسِ صَاقَ بِكَ الْفَسِيحُ
 وَكُنْتَ بِهِ وَعِرْسَكَ فِي نَعِيمٍ مِنَ الدُّنْيَا وَقَلْبَكَ مُسْتَرِيحُ
 فَمَا زَالَتْ مُكَائِدَتِي وَمَكْرِي إِلَى أَنْ فَاتَكَ الثَّمَنُ الرَّبِيحُ
 ١٨٥ لِلْأَمِيرِ أَبِي الْقَفَّحِ بْنِ أَبِي الْقَفَّحِ الْمَعْرِيِّ فِي الْمَرْقِصِ:

أَبَا صَالِحٍ أَشْكُو إِلَيْكَ نَوَابِيَا عَرَّتَنِي كَمَا يَشْكُو النَّبَاتُ إِلَى الْقَطْرِ
 لِيَنْظُرَ نَحْوِي نَظْرَةً لَوْ نَظَرْتَهَا إِلَى الصَّخْرِ فَجُرَّتِ الْعُيُونُ مِنَ الصَّخْرِ
 وَفِي الدَّارِ حَلْفِي صَبِيهٌ قَدَّرَ كَهْمَهُ يُطْلُونَ إِطْلَالَ الْقِرَاحِ إِلَى الْوَكْرِ
 جَنَيْتُ عَلَى رُوْحِي بِرُوْحِي جِنَايَةً فَأَثَقْتُ ظَهْرِي بِالَّذِي خَفَّ مِنْ ظَهْرِي

١٨٦ لِنَاجِ الدِّينِ بْنِ أَبِي الحَوَارِيِّ فِي المَرْقِصِ :

وَوَاللَّهِ مَا أَخْرَبْتُ عَنْكَ مَدَانِحِي لِأَمْرِ سِوَى أَنِّي عَجَزْتُ عَنِ الشُّكْرِ
وَقَدْ رَضْتُ فِكْرِي مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ فَمَا سَاعَ أَنْ أَهْدِي إِلَى مِثْلِكُمْ شِعْرِي
فَإِنْ لَمْ يَكُنْ دُرًّا فَتِلْكَ نَقِصَةٌ وَإِنْ كَانَ دُرًّا كَيْفَ يَهْدِي إِلَى النَّجْرِ
١٨٧ كَتَبَ ابْنُ وَضَّاحِ المُرْسِيِّ لِرَبِّيسٍ قَطَعَ عَنْهُ إِحْسَانَهُ فَقَطَعَ مَدْحَهُ :

هَلْ كُنْتُ إِلَّا طَائِرًا بَشَانِكُمْ فِي دَوْحِ مَجْدِكُمْ أَقَوْمٌ وَأَقْعُدُ
إِنْ تَسْلُبُونِي رِيَشَكُمْ وَتَقْلَصُوا عَنِّي ظِلَالِكُمْ فَكَيْفَ أُعْرِدُ

١٨٨ كَتَبَ الحَمْدَانِيُّ إِلَى القَاضِي أَبِي حَصِينٍ عِنْدَ مَسِيرِهِ إِلَى الرِّقَّةِ :

يَا طُولَ شَوْقِي إِنْ كَانَ الرَّحِيلُ عَدَا لَأَفْرَقَ اللهُ فِيمَا بَيْنَنَا أَبَدَا
يَأْمَنُ أَصَافِيهِ فِي قُرْبٍ وَفِي بُعْدٍ وَمَنْ أَخَالَصُهُ إِنْ غَابَ أَوْ شَهِدَا
رَاعَ الفِرَاقُ فَوَادَا كُنْتُ تَوْنُسُهُ وَزَادَ بَيْنَ الجُفُونِ الدَّمْعَ وَالسَّهْدَا
لَا يُبْعِدُ اللهُ مُخْصَا لَا أَرَى أَنَسَا وَلَا تَطِيبُ لِي الدُّنْيَا إِذَا بَعْدَا
أَضْحَى وَأَضْحَيْتُ فِي سِرِّي وَعَلَنَ أَعْدَهُ وَالِدَا إِذْ عَدَنِي وَوَلَدَا
مَا زَالَ يَنْظُمُ فِي الشُّعْرِ مُجْتَهِدَا فَضْلًا وَأَنْظُمُ فِيهِ الشُّعْرَ مُجْتَهِدَا
حَتَّى اعْتَرَفْتُ وَعَزَّتِي فَضَائِلُهُ وَقَاتَ سَبْقًا وَحَارَ الفُضْلُ مُنْفَرِدَا
إِنْ قَصَرَ الجُهْدُ عَنِ إِدْرَاكِ غَايَتِهِ فَأَعْذَرُ النَّاسَ مَنْ أَعْطَاكَ مَا وَجَدَا
لَا يَطْرُقُ النَّازِلُ المُحْذَرُ سَاحَتَهُ وَلَا تَمُدُّ إِلَيْهِ الحَادِثَاتُ يَدَا
أَبَقَى لَنَا اللهُ مَوْلَانَا وَلَا بَرَحَتْ أَيَّامُنَا أَبَدًا فِي ظِلِّهِ جُدَا

البابُ العاشِرُ في المَدِيحِ

بلعاء بن قيس وبنو هاشم

١٨٩ قَالَ بَلْعَاءُ بْنُ قَيْسٍ: أَلْعَرَبُ كَأَلْبَدَنِ وَقُرَيْشٌ رُوحُهَا. وَقُرَيْشٌ رُوحٌ وَبَنُو هَاشِمٍ سِرُّهَا وَلِبْنَاهَا. وَمَوْضِعُ عَايَةِ الدِّينِ وَالْدُنْيَا مِنْهَا. وَهَاشِمٌ مَلِخُ الْأَرْضِ وَزِينَةُ الدُّنْيَا. وَحَيُّ الْعَالَمِ وَالسَّنَامُ الْأَصْحَمُ. وَالكَاهِلُ الْأَعْظَمُ. وَبَابُ كُلِّ جَوْهَرٍ كَرِيمٍ وَسِرُّ كُلِّ غَضْرٍ شَرِيفٍ. وَالطَّيْنَةُ الْيَبِضَاءُ وَالْمَغْرِسُ الْمُبَارَكُ وَالنِّصَابُ الْوَلِيْتُقُ وَمَعْدِنُ الْفَهْمِ وَيَبُوعُ الْعِلْمِ. وَتَمَّالَانُ ذُو الْهَضَابِ فِي الْحِلْمِ وَالسَّيْفِ. الْحَسَامُ فِي الْعَزْمِ مَعَ الْأَنَاءِ وَالْحَزْمِ وَالصَّفْعِ عَنِ الْحَزْمِ وَالْقَصْدُ بَعْدَ الْمَعْرِفَةِ وَالصَّفْحُ بَعْدَ الْمَقْدَرَةِ. وَهُمْ الْأَنْفُ الْمَقْدَمُ. وَالسَّنَامُ الْأَكْرَمُ. وَكَأَلْمَاءِ الَّذِي لَا يُنَجِّسُهُ شَيْءٌ. وَكَأَلشَّمْسِ الَّتِي لَا تُخْفَى بِكُلِّ مَكَانٍ. وَكَأَلذَّهَبٍ لَا يُعْرَفُ بِالنَّقْصَانِ. وَكَأَلنَّجْمٍ لِلْحَيْرَانِ وَالْبَارِدِ لِلظَّمَانِ (للقيرواني)

مدح المأمون

١٩٠ قَالَ ابْنُ أَبِي طَاهِرٍ: دَخَلَ الْمَأْمُونُ بَعْدَ دَفْتَقَانِهِ وَجُوهَ أَهْلِيهَا. فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنْهُمْ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِي مَقْدَمِكَ. وَزَادَ فِي نِعْمَتِكَ وَشُكْرِكَ عَنِ رَعِيَّتِكَ. تَقَدَّمْتَ مِنْ قَبْلِكَ. وَأَتَيْتَ مَنْ بَعْدَكَ. وَأَيَسَّتْ أَنْ يُعَايِنَ مِثْلَكَ. أَمَا فِيمَا مَضَى فَلَا نَعْرِفُهُ. وَأَمَا

فِيمَا بَقِيَ فَلَا تَرْجُوهُ . فَتَحْنُ جَمِيعًا نَدْعُو لَكَ وَنُثْنِي عَلَيْكَ . خَصْبَ لَنَا
 جَنَابِكَ وَعَذَابَ ثَوَابِكَ . وَحَسَنَاتِ نَظَرَتِكَ . وَكَرَمَاتِ مَقْدَرَتِكَ .
 جَبْرَتِ الْفَقِيرِ . وَفِكَكَتِ الْأَسِيرِ . وَالْخَيْرُ بِنَفْسِكَ . وَالشَّرُّ بِسَاحَةِ
 أَعْدَانِكَ . وَالنَّصْرُ مُنَوِّطٌ بِلِوَائِكَ . وَالْخِذْلَانُ مَعَ الْوَيْةِ حُسَادِكَ .
 وَالْبِرُّ فِعْلِكَ . قَدْ طَحَّخَ عَدُوَّكَ غَضَبِكَ . وَهَزَمَ مَقَابِلَهُمْ مَشْهَدِكَ .
 وَسَارَ فِي النَّاسِ عَدْلُكَ . وَشَسَعَ بِالنَّصْرِ ذِكْرُكَ . وَسَكَنَ قَوَارِعَ
 الْأَعْدَاءِ ظَفْرُكَ . الذَّهَبُ عَطَاؤُكَ . وَالذَّوَاةُ رَمْزُكَ . وَالْأَوْرَاقُ لِحْظُكَ
 وَأَطْرَافُكَ
 (لابن عبد ربّه)

مدح مقامات الحريري

١٩١ إني لم أَر في كتب العربية والآداب . ولا في تصانيف
 العجم والعرب . كتابا أحسن تأليفا . وأعجب تصنيفا . وأغرب ترصيفا .
 وأشمل للعجائب العربية . وأجمع للغرائب الأدبية . وأكثر تضمنا
 لأمثال العرب . ونكت الآداب . من المقامات التي أنشأها الإمام
 جمال العصر . وكمال الدهر . أبو محمد القايم بن علي الحريري
 البصري برّد الله مضجعه . وطبّ مخرجمه . إن شاء فخرًا . وكتابا
 باهرا . وتصنيفا عجبا مُعْجِزا . وتأليفا عزيزا مُعْوزا . نعم كتابٌ بديع .
 له قدر رفيع . قد تمت حسناته . ودلت على الإعجاز آياته . هذا
 وما أخرج مقبول النظام . مُتداولا فيما بين الأنام . أكب أبناء زماننا
 على تحصيله . ووظفوا على تفهم جملة وتفصيله . غير أن أكثرهم زبما

خَبَطُوا فِيهِ خَبَطَ عَشْوَاءُ . إِذَا وَقَعُوا مِنْهُ فِي مُغْضَلَةٍ عَمِيَاءُ . وَلَا يَهْتَدُونَ
إِلَى سِوَاءِ السَّبِيلِ . بَلْ يَتَرَدَّدُونَ فِي تِيهِ بِلَا دَلِيلٍ ... (المطرزي)

١٩٢ قَالَ الْبَرَعِيُّ فِي إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْحَكَمِيِّ :

إِلَى صَارِمِ الدِّينِ الْقَتِيِّ ابْنِ مُحَمَّدٍ رَمَتْ بِي مَقَادِيرُ جِرَتِ وَخُطُوبُ
وَحَطَّتْ بِي الْأَمَالُ فِي خَيْرِ مَنْزِلٍ لَدَى خَيْرِ مَنْ يَلُوبِي إِلَيْهِ أَدِيبُ
فَوَافَيْتُ أَعْلَى النَّاسِ نَفْسًا وَمَنْصِبًا وَأَخْصَبَ رَبْعًا وَالزَّمَانَ جَدِيبُ
هُوَ الْكُوْزُ الْقِيَاضُ فِي آلِ فَارِحٍ بِهِ الْعَيْشُ يَحْلُو وَالزَّمَانَ يَطِيبُ
عَمَامٌ يِعْمُ الْخَلْقَ ظِلًّا فَتَانًا لِكُلِّ مِنَ الرَّاجِينَ فِيهِ نَصِيبُ
عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ جِئْتُكَ زَائِرًا وَشَأْنِي وَقِيَتَ الشَّائِنِينَ عَجِيبُ
أَوْمَلُ مِنْكَ الْبِرَّ وَالْبِرُّ وَاسِعٌ وَارْجُو نَدَاكَ الْجَمَّ وَهُوَ قَرِيبُ
فَقَسَمَ بِي وَعَامِلَنِي بِمَا أَنْتَ أَهْلُهُ فَإِنَّ رَجَائِي فِيكَ لَيْسَ يَخِيبُ
وَصُنْ مَاءً وَجْهِي عَنِ زَمَانٍ مُعَانِدٍ وَصَلْ حَبْلَ أَنْسِي فَأَلْغَرِيبُ غَرِيبُ
وَدَمَّتْ مَنَارَ الدِّينِ مَا لَاحَ بَارِقُ وَمَا أَهْتَرُ غُصْنُ فِي الْأَرَاكِ رَطِيبُ
وَلَا زِلْتَ مَأْمُومِي وَعَوْنِي وَبَصْرَتِي عَلَى نَائِبَاتِ الدَّهْرِ حِينَ تَنْوِبُ

١٩٣ حَدَّثَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُدِيرِ قَالَ : مَرِضَ الْمُتَوَكَّلُ مَرَضَةً خَيفَ
عَلَيْهِ مِنْهَا . ثُمَّ عُوْنِي وَأُذِنَ لِلنَّاسِ فِي الْوُضُوءِ إِلَيْهِ فَدَخَلُوا عَلَيَّ
طَبَقَاتِهِمْ كَأَفَّةٍ . وَدَخَلْتُ مَعَهُمْ فَلَمَّا رَأَيْتُ اسْتَدْنَانِي حَتَّى قُمْتُ وَرَاءَ
الْقَنْعِ وَنَظَرَ إِلَيَّ مُسْتَنْطِقًا فَأَنْشَدَنِي :

يَوْمَ أَنَا بِالسُّرُورِ فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الْكَبِيرِ

أَخْلَصْتُ فِيهِ شُكْرَهُ وَوَفَّيْتُ فِيهِ بِالْأَنْدُورِ
 لَمَّا أَعْتَلَّتْ تَصَدَّعَتْ شَعْبُ الْقُلُوبِ مِنَ الصُّدُورِ
 مِنْ بَيْنِ مَلْتَبِ الْقَوَا دِ وَبَيْنِ مُكْتَبِ الصَّيْرِ
 يَا عُدِّي لِلدِّينِ وَالْدُنْيَا وَلِلْخَطْبِ الْخَطِيرِ
 كَانَتْ جُوفِي رِزَّةً أَوْ أَمَاقِ بِالْأَمْعِ الْغَزِيرِ
 لَوْ لَمْ أُمَّتْ جِزَعًا لَعَمَّ رُكَّ إِنِّي عَيْنُ الصُّبُورِ
 يَوْمِي هُنَاكَ كَأَلْسِنَةٍ وَسَاعِي مِثْلُ الشُّهُورِ
 يَا جَعْفَرُ الْمُتَوَكَّلِ أَوْ مَالِي عَلَى الْبَدْرِ الْمُنِيرِ
 الْيَوْمَ عَادَ الدِّينُ غَضَّ مِ الْعُودِ ذَا وَرَقِ نَضِيرِ
 وَالْيَوْمَ أَصْبَحْتَ الْخِلَافَةَ وَهِيَ أَرَسَى مِنْ ثَيْرِ
 قَدْ حَالَفَتْكَ وَعَاقَدَتْكَ عَلَى مُطَاوَلَةِ الدُّهُورِ

فَقَالَ الْمُتَوَكَّلُ لِلْفَتْحِ: إِنَّ إِبْرَاهِيمَ يَنْطِقُ عَنْ نَيْبَةٍ خَالِصَةٍ وَوَدِّحْتُمْ
 وَمَا قَضَيْنَا حَقَّهُ. فَتَقَدَّمَ بِأَنْ يُجْمَلَ إِلَيْهِ السَّاعَةَ خَمْسُونَ أَلْفَ دِرْهَمٍ.

١٩٤ مَدْحُ مُطِيعِ بْنِ إِيَّاسٍ مَعْنَى بْنِ زَائِدَةَ بِقَصِيدَتِهِ الَّتِي أَوْلَاهَا:

أَهْلًا وَسَهْلًا بِسَيِّدِ الْعَرَبِ ذِي الْغُرَرِ الْوَاضِحَاتِ وَالنُّجُبِ
 فَتَى زَرَارٍ وَكَهْلَاهَا وَأَخِي أَلْجُودِ حَوَى عَانِيَهُ مِنْ كَتَبِ
 جَاءَ الَّذِي تُفْرَجُ الْأُمُومُ بِهِ حِينَ يَلْزُقُ الْوَضِينَ بِالْحَقَبِ
 شَهْمٌ إِذَا الْحَرْبُ شَبَّ دَائِرُهَا أَعَادَهُ عَوْدَةً عَلَى الْقُطْبِ
 يُظْفِي نِيرَانَهَا وَيُوقِدُهَا إِذَا خَبَّتْ نَارُهَا بِلا حَطَبِ

لَيْتُ بِمُحَمَّدٍ قَدْ حَمَى أَجْمَاً فَصَارَ مِنْهَا فِي مَنَزَلٍ أَشْبِ
 شِبْلَاهُ قَدْ أَزْيَا بِهِ فَهَمَا شِبْهَاهُ فِي جَدِّهِ وَفِي لَعِبِ
 قَدْ وَمَقَا شَكَلَهُ وَسِيرَتَهُ وَأَحْكَمَا مِنْهُ أَكْرَمَ الْأَدَبِ
 نِعَمَ الْفَتَى تُقْرَنُ الصَّعَابُ بِهِ عِنْدَ تَجَائِي الْخُصُومِ لِلرُّكْبِ
 تَرَى لَهُ الْجَلْمَ وَالنَّهْيَ خُلُقًا فِي صَوْلَةٍ مِثْلَ جَاحِمِ اللَّهَبِ
 سَيْفُ الْإِمَامِينَ ذَاكَ وَذَا إِذَا قَلَّ بُنَاةُ الْوَفَاءِ وَالْحَسْبِ
 ذَا هَوَادَةٍ لَا يُخَافُ نَبَوْتَهَا وَدِينُهُ لَا يُشَابُ بِالرَّيْبِ
 فَلَمَّا سَمِعَهَا مَعْنُ قَالَ لَهُ: إِنْ شِئْتَ مَدَحْنَاكَ كَمَا مَدَحْنَا . وَإِنْ
 شِئْتَ أَثْبَتْنَاكَ . فَاسْتَحْيَا مُطِيعٌ مِنْ اخْتِيَارِ الثَّوَابِ عَلَى الْمُدِيحِ وَهُوَ مُخْتِاجٌ
 إِلَى الثَّوَابِ فَأَنْشَأَ :

ثَنَا مِنْ أَمِيرِ خَيْرٍ كَسَبَ إِصَابِ نِعْمَةٍ وَأَخِي ثَرَاءِ
 وَلَكِنَّ الزَّمَانَ بَرَى عِظَامِي وَمَا مِثْلُ الدَّرَاهِمِ مِنْ دَوَاءِ
 فَصَنُوكَ مَعْنُ حَتَّى اسْتَلَقِي . وَقَالَ: لَقَدْ لَطَفْتَ حَتَّى تَخَلَّصْتَ مِنْهَا .
 صَدَقْتَ لَعَمْرِي مَا مِثْلُ الدَّرَاهِمِ مِنْ دَوَاءِ . وَأَمَرَ لَهُ بِثَلَاثِينَ أَلْفَ
 دِرْهَمٍ وَخَلَعَ عَلَيْهِ وَحَمَلَهُ .
 (الاعاني)

١٩٥ قَالَ الْبُسْتِي يُمَدِحُ آلَ فَرِيعُونَ :

بَنُو فَرِيعُونَ قَوْمٌ فِي وُجُوهِهِمْ نُورُ الْهُدَى وَضِيَاءُ السُّودِّ الْعَالِي
 كَأَنَّمَا خَلَقُوا مِنْ سُودِّ وَعُلَا وَسَارُّ النَّاسِ مِنْ طِينٍ وَصَلَّصَالِ
 مَنْ تَلَقَّ مِنْهُمْ تَقَلَّ هَذَا أَجْلُهُمْ شَانَا وَأَسْمَحُهُمُ بِالنَّفْسِ وَالْمَالِ

يَا سَائِلِي مَا الَّذِي حَصَلَتْ عِنْدَهُمْ
 أَفَادِي الْمَلِكِ الْمَيْمُونِ طَارُهُ
 وَأَشْتَقُّ مِنْ حَقِّهِ بِحَرَاطَمِي وَطَمَا
 فَإِنْ أَكُنْ سَاكِتًا عَنْ شُكْرِ أَنْعَمِهِ
 دَعِ السُّؤَالَ وَقُمْ فَأَنْظُرْ إِلَى حَالِي
 عِزًّا وَأَبْسَنِي سِرْبَالَ إِقْبَالِ
 حَبَابُهُ فَوْقَ أَفْكَارِي وَأَمَالِي
 فَإِنَّ ذَلِكَ لِيَجْزِي لَّا لِإِعْقَالِي
 ١٩٦ وَقَالَ فِي أَبِي نَضْرٍ :

أَبَا نَضْرٍ نَصْرَتْ عَلَى الْأَعَادِي
 بِرَأْيِ يَهْرَمِ الْجَيْشِ اللَّهُمَّ
 وَصَرَتْ لِكُلِّ ذِي فَضْلٍ إِمَامًا
 وَعَزَمَ مُنْجِلُ السِّيفِ الْحَسَامًا
 ١٩٧ قَالَ أَبُو تَمَّامٍ يَمْدَحُ أَبَا الْحَسَنِ مُوسَى بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ :

إِنْ يَكُنْ فِي الْأَرْضِ شَيْءٌ حَسَنٌ
 مَا يُبَالُونَ إِذَا مَا أَفْضَلُوا
 فَهُوَ فِي دُورِ بَنِي عَبْدِ الْمَلِكِ
 مَا بَقِيَ مِنْ مَالِهِمْ أَوْ مَا هَلَكَ
 عَقَلَتْ أَلْسِنُهُمْ عَنْ قَوْلٍ لَّا
 فَهِيَ لَّا تَعْرِفُ إِلَّا هُوَ لَكَ
 مِنْهُمْ مُوسَى جَوَادٌ مَا جِدُّ
 لَّا يَرَى مَا لَمْ يَهَبْ مِمَّا مَلَكَ
 زَيْنُوا الْأَرْضَ كَمَا قَدْ زَيْنَتْ
 بِنَجْمِ اللَّيْلِ آفَاقُ الْفَلَكَ
 ١٩٨ قَالَ خَالِدُ بْنُ جَعْفَرٍ يَمْدَحُ أَبَا عَمْرٍو أَحْمِيَةَ بْنَ الْجَلَّاحِ :

إِذَا مَا أَرَدَتْ الْعِزَّ مِنْ آلٍ يَثْرِبِ
 بَنَى فِي الْعُلَى وَالْفَخْرِ وَالْمَجْدِ مَنْزِلًا
 فَسَادَ أَبَا عَمْرٍو أَحْمِيَةَ يَسْمَعُ
 لَهُ فَوْقَ أَكْنَافِ السَّمَاءِ كَيْنِ مَوْضِعُ
 وَإِنْ هَزَّ فِي يَوْمِ الْكُرْبِيَّةِ سَيْفُهُ
 رَأَيْتَ شُعَاعَ الْمَوْتِ فِي السِّيفِ يَمْعُ
 وَإِنْ وَهَبَتْ كَفَاهُ وَالْمَيْتُ هَاطِلٌ
 يَدُومُ عَطَاهُ وَالسَّحَابُ تُقْلَعُ
 وَيَأْمَنُ فِي أَيْبَاتِهِ كُلُّ خَائِفٍ
 وَيَسْبَعُ مِنْ نِعْمَاهُ مَنْ لَيْسَ يَسْبَعُ

مَنَابٍ فِي الْجُلُوحِ كَانَتْ قَدِيمَةً فَسَارَ عَلَيْهَا وَابْنُهُ يَتَّبِعُ
 ١٩٩ قَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ يَمْدَحُ ابْنَ أَبِي دُوَادٍ:

تَرَكَ الْمَتَابِرَ وَالسَّرِيحَ تَوَاضِعًا وَلَهُ مَنَابِرٌ لَوْ يَشَاءُ وَسَرِيحٌ
 وَلِغَيْرِهِ يُجِبِي الْخِرَاجُ وَإِنَّمَا يُجِبِي إِلَيْهِ حَمَامِدٌ وَأَجُورٌ

٢٠٠ قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ الْكُورَانِيُّ يَمْدَحُ الْأَمِيرَ يُوسُفَ بْنَ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ:

إِنَّ الْإِمَامَ هُوَ الطَّيِّبُ وَقَدْ شَفَى عِلْلَ الْبَرِيَاءِ ظَاهِرًا وَدَخِيلًا
 حَمَلَ الْبَسِيطَةَ وَهِيَ تَحْمِلُ شَخْصَهُ كَالرُّوحِ يُوجَدُ حَامِلًا مَحْمُولًا

٢٠١ قَالَ أَبُو بَكْرٍ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ فِي الْمَدْحِ:

قَدْ هَزَزْنَاكَ فِي الْمَكَارِمِ غَضًا وَأَسْتَلَمْنَاكَ فِي التَّوَابِ رُكْنًا
 وَوَجَدْنَا الزَّمَانَ قَدْ لَانَ عِطْفًا وَتَأْتِي فِئَلًا وَأَشْرَقَ حُسْنًا

فَإِذَا مَا سَأَلْتَهُ كَانَ سَمْعًا وَإِذَا مَا هَزَزْتَهُ كَانَ لَدْنَا
 أَنْتَ مَا السَّمَاءُ أَخْصَبَ وَادِيهِ وَرَقَّتْ رِيَاضُهُ فَأَنْتَجَمْنَا

رَزَعَتْ بِي إِلَى وَدَادِكَ نَفْسٌ قَلَمًا اسْتَصْحَبَتْ سِوَى الْفَضْلِ خِدْنَا
 ٢٠٢ قَالَ ابْنُ النَّبِيِّ يَمْدَحُ صَاحِبَ الدِّينِ يُوسُفَ بْنَ أَيُّوبَ:

هُوَ الْعَادِلُ الظَّلَامُ لِلْمَالِ وَالْعَدِي خَزَائِنُهُ قَدْ أَقْفَرَتْ وَدِيَارُهَا
 كَرِيمٌ لَهُ نَفْسٌ تَجُودُ بِمَاحُوتٍ وَأَعْجَبُ شَيْءٍ بَعْدَ ذَلِكَ أَعْتَذَرُهَا

حُسَامٌ لَهُ حَدٌّ يَرُوعُ مِضَاؤُهُ وَصَفْحَةٌ صَفَحَ لِلذُّنُوبِ أَعْتَقَرُهَا
 لَهُ رَاحَةٌ فِي السَّلَامِ تَجْنِي جَنَانَهَا وَيَوْمَ هِيَاجِ الْحَرْبِ تَوْقَدُ نَارَهَا

أَنَامِلُهُ طَوْرًا غُصُونٌ نَوَاضِرٌ وَطَوْرًا سَيْوفٌ دَامِيَاتُ شِفَارُهَا

٢٠٣ قَالَ النَّبِيفَةُ يَمْدَحُ عَسَانَ حِينَ ارْتَحَلَ مِنْ عِنْدِهِمْ رَاجِعًا :
 لَا يُبْعِدُ اللَّهُ حَيْرَانَا تَرَكْتُهُمْ مِثْلَ الْمَصَابِيحِ تَجَلَوْا لَيْلَةَ الظُّلَمِ
 هُمْ الْمُلُوكُ وَأَبْنَاؤُ الْمُلُوكِ لَهُمْ فَضْلٌ عَلَى النَّاسِ فِي اللَّأْوَاءِ وَالنَّعَمِ
 أَحْلَامُ عَادٍ وَأَجْسَادُ مُطَهَّرَةٌ مِنَ الْمُعَقَّةِ وَالْأَقَاتِ وَالْأَثَمِ
 ٢٠٤ دَخَلَ شَاعِرٌ عَلَى الْمَلِكِ الْوَاتِقِ وَقَالَ لَهُ :

إِنِّي رَأَيْتُكَ سَيِّدِي فِي مَجْلِسِ قَعْدِ الْمُلُوكِ بِحَافَتَيْهِ وَقَامُوا
 فَكَانَتْكَ الدَّهْرُ الصُّوْلُ عَلَيْهِمْ وَكَانَتْهُمْ مِنْ حَوْلِكَ الْأَيَّامُ
 فَقَالَ : أَحْسَنْتَ كَمْ أَمَلْتُ أَطْلُبُ مَا تَشَاءُ . قَالَ : يَا مَوْلَايَ
 يَدُكَ بِالْعَطِيَّةِ أَوْسَعُ مِنْ لِسَانِي بِالْمَسْئَلَةِ . فَوَهَبَهُ أَلْفَ دِينَارٍ وَخَطَعَ عَلَيْهِ
 ٢٠٥ قَالَ ابْنُ نُبَاتَةَ فِي الْمَلِكِ الْمُؤَيَّدِ صَاحِبِ حِمَاةٍ :

لَنَا مَلِكٌ قَدْ قَاسَمْتَنَا هِبَاتَهُ فَتَرُّ الْعَطَامَنُ وَنَظْمُ الثَّنَائِنَا
 يُذَكِّرُنَا أَخْبَارَ مَعْنِ بُجُودِهِ وَنُثْشِي لَهُ لَفْظًا فَيُنْشِي لَنَا مَعْنَى
 ٢٠٦ وَأَحْسَنُ مَا سَمِعَ فِي الْقَسَمِ عَلَى الْمُدْحِ قَوْلُ الشَّاعِرِ :

حَلَقْتَ يَمْنَ سَوَى السَّمَاءِ وَشَادَهَا وَمَنْ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ بِلَيْتَيْنِ
 وَمَنْ قَامَ فِي الْمُعْقُولِ مِنْ غَيْرِ رُؤْيَةٍ بَأْتَبَتْ مِنْ إِدْرَاكِ كُلِّ عِيَانِ
 لَمَّا حَلَقْتَ كَفَّاكَ إِلَّا لِارْبَعِ عَمَائِلَ لَمْ تَعْقِلْ لَهْنَ نَوَانِي
 لِتَقْيِيلِ أَفْوَاهِهِ وَإِعْطَاءِ نَائِلِ وَتَقْلِبِ هِنْدِي وَحَبْسِ عِنَانِ
 ٢٠٧ قَالَ شَرَفُ الدِّينِ الْقَيْرَوَانِيُّ :

جَاوَزَ عَلِيًّا وَلَا تَحْفَلُ بِجَادَتِهِ إِذَا دَرَعْتَ فَلَا تَسْأَلُ عَنِ الْأَسْلِ

سَلَّ عَنْهُ وَأَنْطَقَ بِهِ وَأَنْظَرَ إِلَيْهِ تَحِيَّةً مِلَّةَ السَّمَاعِ وَلَا فَوَاهٍ وَالْمَقْلُ
 ٢٠٨ قَالَتْ الْخُنْسَاءُ فِي أُخِيهَا وَقَدْ أَرَادَتْ مُسَاوَاتَهُ بِأَبِيهِ مَعَ مِرَاعَاةِ
 حَقِّ الْوَالِدِ بِيَزَادَةَ مَدْحٍ لَا يَتِمُّصُ بِهِ حَقُّ الْوَالِدِ :

جَارَى أَبَاهُ فَأَقْبَلَا وَهَمَا يَتَعَاوَرَانِ مَلَأَةً الْفَخْرِ
 وَهَمَا وَقَدْ بَرَزَا كَأَنَّهُمَا صَفْرَانٌ قَدْ حَطَّ عَلَى وَكْرٍ
 بَرَقَتْ صَفِيحَةٌ وَجْهٍ وَالِدِهِ وَمَضَى عَلَى غُلُوَانِهِ يَجْرِي
 أَوْلَى فَأَوْلَى أَنْ يُسَاوِيَهُ لَوْلَا جَلَالُ السِّنِّ وَالْكِبَرِ

٢٠٩ قَالَ زُهَيْرٌ بِنُ أَبِي سَلَمَى فِي بَنِي سِنَانٍ :

قَوْمٌ أَبُوهُمْ سِنَانٌ حِينَ تَسْتَبِيهِمْ طَابُوا وَطَابَ مِنَ الْأَوْلَادِ مَا وَلَدُوا
 لَوْ كَانَ يَتَعَدُّ فَوْقَ الشَّمْسِ مِنْ كَرَمٍ قَوْمٌ يَا بَلِيهِمْ أَوْ مُجْدِيهِمْ قَعَدُوا
 وَقَالَ يَمْدَحُ هَرَمَ بْنَ سِنَانٍ :

وَأَبْيَضَ قِيَاضٍ يَدَاهُ عِمَامَةٌ عَلَى مُعْتَقِيهِ مَا تُقْبُ قَوَاضِيَهُ
 تَرَاهُ إِذَا مَا جَنَّتْهُ مُتَرَلِّلاً كَأَنَّكَ تُعْطِيهِ الَّذِي أَنْتَ سَائِلُهُ
 أَخُو ثِقَةٍ لَا تُتْلَفُ أَحْمَرُ مَالُهُ وَلَكِنَّهُ قَدْ يُتْلَفُ أُمَالٌ نَائِلُهُ

٢١٠ قَالَ أَعَشَى قَيْسٍ يَمْدَحُ الْأَسْوَدَ بْنَ الْمُنْذِرِ أَخَا النُّعْمَانَ :

أَنْتَ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ أَلْفٍ مِنَ النَّاسِ إِذَا مَا كَبَتْ وَجُوهَ الرِّجَالِ
 قَرَعُ نَبْعٍ يَهْتَرُ فِي غُصْنِ الْمُجْدِ غَزِيرُ اللَّهِ عَظِيمُ الْجَمَالِ
 فَإِذَا مِنْ عَصَاكَ أَصْبَحَ مَخْرُؤُ نَاوَكِبِ الَّذِي يُطِيعُكَ عَالِ

٢١١ قَالَ عُرْوَةُ بْنُ الْوَرْدِ :

لَوْ كَانَتْ الرِّيحُ حَقًّا تَحْمِلُ الْخَبْرَا
إِلَى الشُّجَاعِ الَّذِي مَا سَلَّ صَارِمُهُ
لَيْتُ يُلَاقِي رِجَالَ الْحَرْبِ مُقْتَدِرَا
يَا حَامِيَا عَبَسَ قَدْ بَنَيْنَا عَلَى وَجَلِ
لَقَدْ رَجَوْنَاكَ عِنْدَ الْخُطْبِ تُدْرِكُنَا
٢١٢ قَالَ عَلِيُّ بْنُ جَبَلَةَ يَمْدَحُ أَبَا ذَلْفٍ وَكَانَ قَتَلَ قُرْقُورَ فِي الْحَرْبِ:

إِمْتَدِخْ مِنْ وَائِلِ رَجُلَا
الْمَنَآيَا فِي مَنَاقِبِهِ
مَلِكٌ تَتَدَى أَنَامِلُهُ
مُسْتَهْلٌ عَنِ مَوَاهِبِهِ
إِنَّمَا الدُّنْيَا أَبُو ذَلْفٍ
فَإِذَا وَلَّى أَبُو ذَلْفٍ
يَا دَوَاءَ الْأَرْضِ إِنْ فَسَدَتْ
كُلُّ مَنْ فِي الْأَرْضِ مِنْ عَرَبٍ
مُسْتَعِيرٌ مِنْكَ مَكْرُمَةٌ
وَزُخُوفٍ فِي صَوَاهِلِهِ
قُدَّتْهُ وَالْمَوْتُ مُكْتَمِنٌ
زُرَّتْهُ وَالْخَيْلُ عَائِسَةٌ
خَارِجَاتٍ تَحْتَ رِيَائَتِهَا

عَصَرَ الْأَفَاقَ فِي عُصْرِهِ
وَالْعَطَايَا فِي ذَرَا حَجْرِهِ
كَأَنْبِلَاجِ النَّوَى عَنْ مَطْرِهِ
كَأَنْبِسَامِ الرُّوضِ عَنْ زَهْرِهِ
بَيْنَ بَادِيِهِ وَتَحْتَضِرِهِ
وَأَتَى الدُّنْيَا عَلَى أَثَرِهِ
وَمُدِيلَ الْبَيْتِ مِنَ عُصْرِهِ
بَيْنَ بَادِيِهِ إِلَى حَضْرِهِ
يَكْتَسِبُهَا يَوْمَ مُفْتَحِرِهِ
كَصِيَاحِ الْحَشْرِ فِي أَثَرِهِ
فِي مَذَاكِبِهِ وَمُسْتَجِرِهِ
تَحْمِلُ الْبُؤْسَ عَلَى عَقْرِهِ
كَخُرُوجِ الطَّيْرِ مِنْ وَكْرِهِ

وَلِشَرْقُورٍ أَدْرَتْ رَحًا لَمْ تَكُنْ تَرْتَدُّ فِي فِكْرِهِ
 قَدْ تَأَنَيْتَ الْبَقَاءَ لَهُ فَأَبَى ائْتَمُّومُ مِنْ قَدْرِهِ
 فَلَمَّا أُنْشِدَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي جَبَلَةَ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ اسْتَحْسَنَهَا أَبُو دُؤْلَفَ
 وَسَرَّ بِهَا وَأَمَرَ لَهُ بِعَائِنَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ
 ٢١٣ أَخْبَرَ عَلِيُّ بْنُ سُلَيْمَانَ الْأَخْفَشُ قَالَ: بَيْنَمَا أَبُو دُؤْلَفَ يَسِيرُ مَعَ
 أَخِيهِ مَعْقِلٍ وَهَمَّا إِذْ ذَاكَ بِالْعِرَاقِ إِذْ مَرَّ بِأَمْرَاتَيْنِ تَتَمَاشِيَانِ .
 فَصَالَتْ إِحْدَاهُمَا لِصَاحِبَتِهَا: هَذَا أَبُو دُؤْلَفَ . قَالَتْ: وَمَنْ أَبُو دُؤْلَفَ .
 قَالَتْ الَّذِي يَقُولُ فِيهِ الشَّاعِرُ: (إِنَّمَا الدُّنْيَا أَبُو دُؤْلَفَ) . (قَالَ):
 فَاسْتَعْبَرَ أَبُو دُؤْلَفَ حَتَّى جَرَى دَمْعُهُ . قَالَ لَهُ مَعْقِلٌ: مَا لَكَ يَا أَخِي
 تَبْكِي . قَالَ: لِأَنَّي لَمْ أَقْضِ حَقَّ عَلِيِّ بْنِ جَبَلَةَ
 ٢١٤ قَالَ آخِرُ فِي الْمُدْحِ:

أَهْلُ بَانَ يُسَعَى إِلَيْهِ وَيُدْتَجَى وَيُذَارَ مِنْ أَقْصَى الْبِلَادِ عَلَى الرَّجَا
 فَلَقْدَ عَدَا بِالْمَكْرُمَاتِ مَقْلَدًا وَمَوْسِحًا وَمُخْتَمًا وَمُتَوَجًّا
 ٢١٥ قَالَ الْمُتَنَبِّيُّ يُمْدِحُ سَيْفَ الدَّوْلَةِ:

صَاقَ الزَّمَانَ وَوَجَّهَ الْأَرْضَ عَنْ مَلِكٍ مِلَّ الزَّمَانَ وَمِلَّ السَّهْلَ وَالْجَبَلَ
 وَتَحَنُّنُ فِي جَدَلٍ وَالرُّومُ فِي وَجَلٍ وَالْبُرُّ فِي شُغْلٍ وَالنَّجْرُ فِي تَحْجَلٍ
 ٢١٦ وَقَالَ أَيْضًا:

يَا أَكْرَمَ النَّاسِ أَخْلَافًا وَأَوْفَرَهُمْ عَمَلًا وَأَسْبَقَهُمْ فِيهِ إِلَى الْأَمَدِ
 أَصْبَحْتَ أَفْضَلَ مَنْ يَمْشِي عَلَى قَدَمٍ بِالرَّأْيِ وَالْعَقْلِ لَا بِالْبَطْشِ وَالْجَلْدِ

لَنْ ضَعُفَتْ وَأَضْنَاكَ السَّقَامُ فَلَمْ يَضْعَفْ قُوَى عَقْلِكَ الصَّافِي وَلَمْ يَمِدْ
لَوْ كَانَ أَفْضَلُ مَا فِي الْخَلْقِ بَطْشُهُمْ دُونَ الْعُقُولِ لَكَانَ الْفَضْلُ لِلْأَسَدِ
٢١٧ قَالَ عُمَارَةُ الْيَمِينِيُّ :
(ابن خلكان)

يَا لِسَانَ الزَّمَانِ لَقَطَا وَمَعْنَى وَرَبِيعَ الْأَنَامِ كَفَا وَمَعْنَى
تَعْتَلِي كَوْكَبًا وَتَشْرُقُ شَمْسًا وَتَحَايِي لَيْثًا وَتَنْهَلُ زُرْنَا
٢١٨ قَالَ آخَرُ :

إِذَا حَلَّتْ بِأَرْضٍ وَهِيَ مُجْدِبَةٌ قَلِيلَةُ الْغَيْثِ لَمْ يَخْطُرْ بِهَا السَّارِي
فَلَيْسَ تَرَحَّلُ إِلَّا وَهِيَ مُعْشِبَةٌ كَأَنَّكَ أَنْتَ فِيهَا رَحْمَةُ الْبَارِي
٢١٩ قَالَ أَبُو الْفَرَجِ الْبَيْهَقِيُّ فِي سَيْفِ الدَّوْلَةِ بْنِ حَمْدَانَ :

نَدَاكَ إِذَا ضَنَّ الْقَمَامُ غَمَامٌ وَعَزَمَكَ إِنْ فَلَ الْهَسَامُ حَسَامٌ
فَهَذَا يُنْبِئُ الرِّزْقَ وَهُوَ مُنْعٌ وَذَلِكَ يَرُدُّ الْجَيْشَ وَهُوَ لَهَامٌ
وَمَنْ طَلَبَ الْأَعْدَاءَ بِالْمَالِ وَالطَّبِي وَبِالسَّعْدِ لَمْ يَبْعُدْ عَلَيْهِ مَرَامٌ
٢٢٠ قَالَ أَبُو الْفَتْحِ الْبُسْتِيُّ فِي تَجَلُّبِ بَعْضِ الْأَمْرَاءِ :

فَتَى جَمَعَ الْعُلَمَاءَ عِلْمًا وَعِفَّةً وَجُودًا وَبَأْسًا لَا يُفِيقُ فَوَاقَا
كَمَا جَمَعَ التُّفَاحَ شَكْلًا وَبَهْجَةً وَرَأْمِحَةً مَحْبُوبَةً وَمَدَاقَا
٢٢١ قَالَ عُمَارُ بْنُ الْحَسَنِ يَمْدَحُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ لَهَيْعَةَ :

إِذَا سَارَ عَبْدُ اللَّهِ مِنْ مَرَوْ لَيْلَةً فَقَدَّ سَارَ مِنْهَا نُورُهَا وَجَمَاهَا
إِذَا ذُكِرَ الْأَحْبَارُ مِنْ كُلِّ بَلَدَةٍ فَهُمْ أَجْمَعٌ فِيهَا وَأَنْتَ هَالِكُهَا
٢٢٢ أَنشَدَ مُحَمَّدُ بْنُ هَانِيٍّ فِي جَعْفَرِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ عَلِيٍّ :

لَوْ خَلَدَ الدَّهْرُ ذَا عِزِّ لِعِزَّتِهِ كُنْتَ الْأَحَقَّ بِتَعْمِيرِ وَتَحْلِيدِ
تَبَلَى الْكِرَامُ وَأَثَارُ الْكِرَامِ وَمَا تَرَدَّادُ فِي كُلِّ عَصْرِ غَيْرَ تَجْدِيدِ
٢٢٣ لَأَبِي الشَّيْصِ الْخَزَاعِيِّ :

عَشِقَ الْمَكَارِمَ فَهِيَ مُشْتَغِلُهَا وَالْمَكْرُمَاتُ قَلِيلَةُ الْعِشَاقِ
وَأَقَامَ سُوقًا لِلنَّهْءِ وَلَمْ تَكُنْ سُوقُ النَّهْءِ تُعَدُّ فِي الْأَسْوَاقِ
بَثَّ الصَّنَائِعَ فِي الْبِلَادِ فَاصْبَحَتْ تُجَبَّى إِلَيْهِ مَحَامِدُ الْأَفَاقِ
٢٢٤ قَالَ أَبُو حَوْتَةَ :

قَوْمٌ إِذَا أَفْتَحُوا الْعِجَاجَ رَأَيْتَهُمْ أَسَدًا وَخَلَّتْ وُجُوهُهُمْ أَفْقَارًا
لَا يَعْدِلُونَ بِرِفْدِهِمْ عَنْ سَائِلِ عَدَلِ الزَّمَانِ عَلَيْهِمْ أَوْ جَارًا
وَإِذَا الصَّرِيحُ دَعَاهُمْ لِلْمَمَةِ بَدَلُوا النُّفُوسَ وَفَارَقُوا الْأَعْمَارًا
وَإِذَا زَنَادُ الْحَرْبِ أَحْمَدَ نَارَهَا قَدَحُوا بِأَطْرَافِ الْأَيْسَةِ نَارًا
٢٢٥ قَالَ الْعَرَنْدَسُ يَمْدَحُ قَوْمًا :

هَيِّنُونَ لَيِّنُونَ أَيْسَارُ ذُؤُوكَرَمِ سَوَّاسٌ مَكْرُمَةٌ أَبْنَاءُ أَيْسَارِ
فِيهِمْ وَمِنْهُمْ يَعْدُ أَحْمَدُ مُتَلَدًا وَلَا يَعْدُ نَثَا خَزْيٍ وَلَا عَارِ
لَا يَنْطَفُونَ عَنِ الْفَحْشَاءِ إِنْ نَطَقُوا وَلَا يَمَارُونَ إِنْ مَارَوْا بِإِكْفَارِ
مَنْ تَلَقَّ مِنْهُمْ تَقَلَّ لَا قَيْتُ سَيْدِهِمْ مِثْلُ النُّجُومِ الَّتِي يَسْرِي بِهَا السَّارِي
٢٢٦ قَالَ الْحَزِينُ اللَّسِيثِيُّ فِي عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ :
هَذَا الَّذِي تَعْرِفُ الْبَطْحَاءَ وَطَأْتَهُ وَاللَّيْتُ يَعْرِفُهُ وَالْحِلَّ وَالْحَرَمَ
إِذَا رَأَتْهُ قَرِيشٌ قَالَ قَائِلُهَا إِلَى مَكَارِمِ هَذَا يَتَّبِعِي الْكُرَمَ

الباب الحادي عشر
في الفخر والحاستة

- ٢٢٧ قَالَ أَبُو بَكْرِ الْأَرَجَانِيُّ فِي بَابِ الْفَخْرِ:
 أَنَا أَشَعْرُ الْفَقْهَاءِ غَيْرِ مُدْفَعٍ فِي الْعَصْرِ أَوْ أَنَا أَفْقَهُ الشُّعْرَاءِ
 شِعْرِي إِذَا مَا قُلْتُ دَوْنَهُ الْوَرَى بِالطَّعِ لَا يَتَكَلَّفُ الْإِلْقَاءُ
 كَالصَّوْتِ فِي قَلْلِ الْجِبَالِ إِذَا عَلَا لِلسَّمْعِ هَاجَ تَجَاوَبَ الْأَصْدَاءُ
- ٢٢٨ قَالَ الْقَاضِي الرَّشِيدُ أَبُو الْحُسَيْنِ الْعَسَائِيُّ الْأَسْوَانِيُّ:
 جَلَّتْ لَدَيَّ الرَّزَايَا بَلْ جَلَّتْ هَمِّي وَهَلْ يَصُرُّ جَلَاءُ الصَّارِمِ الذِّكْرُ
 غَيْرِي يُغَيِّرُهُ عَنْ حُسْنِ سَمِيئِهِ صَرَفَ الزَّمَانَ وَمَا يَأْتِي مِنَ الْغَيْرِ
 لَوْ كَانَتْ النَّارُ لِلْيَاقُوتِ مَحْرَقَةً لَكَانَ يَسْتَبْهُ الْيَاقُوتُ بِالْحَجْرِ
 فَلَا تَغْرُنْكَ أَطْمَارِي وَفَيْتَهَا فَإِنَّمَا هِيَ أَصْدَافُ عَلَى دُرِّ
 وَلَا تَظُنَّ خَفَاءَ النَّجْمِ عَنْ صَغْرِ فَالذَّبُّ مِنْ ذَلِكَ مَحْمُولٌ عَلَى الْبَصْرِ
- ٢٢٩ قَالَ عَنَتْرُ تَهْدِدُ هَوَازِنَ وَجْشَمَ وَكَانَا قَدْ آغَارَا عَلَى دِيَارِ عَنَسِ:
 سَكَتُ فَعَرَّأْتُ عَدَائِي السُّكُوتُ وَظَنُونِي لِأَهْلِي قَدْ لَسَيْتُ
 وَكَيْفَ أَنَا مِنْ عَنِّ سَادَاتِ قَوْمِ أَنَا فِي فَضْلِ نِعْمَتِهِمْ رَبَيْتُ
 وَإِنْ دَارَتْ بِهِمْ خَيْلُ الْأَعَادِي وَنَادُونِي أَجِبْتُ مَتَى دُعَيْتُ
 بِسَيْفٍ حَدَهُ مَوْجُ الْمُنَايَا وَرَمَحَ صَدْرَهُ الْخُتْفُ الْمَمِيْتُ
 حُلَيْتُ مِنَ الْحَدِيدِ أَشَدَّ قَلْبًا وَقَدْ بَلَى الْحَدِيدُ وَمَا بَلَيْتُ

وَأَنِّي قَدْ شَرِبْتُ دَمَ الْأَعَادِي
 وَفِي الْحَرْبِ الْعَوَانَ وُلِدْتُ طِفْلاً
 فَمَا لِلرِّشْحِ فِي جِسْمِي نَصِيبٌ
 وَبِي بَيْتٌ عَلا فَلَكَ الثَّرِيَا
 ٢٣٠ وَقَالَ أَيْضًا يَفْتَحِرُ:

أَعَادِي صَرَفَ دَهْرِي لَا يُعَادِي
 وَأُظْهِرُ نَضْحَ قَوْمٍ ضَيَّعُونِي
 أَعْلَلُ بِأَلْمِي قَلْبًا عَلِيلاً
 تُعِيرُنِي الْعَدَى بِسَوَادِ جِلْدِي
 وَرَدَّتْ الْحَرْبُ وَالْأَبْطَالُ حَوْلِي
 وَخَضْتُ بِمُهْجَتِي بَحْرَ الْمَنَايَا
 وَعُدْتُ مَخْضَبًا بِدَمِ الْأَعَادِي
 وَسَنِي مَرْهَفُ الْحَدِيثِ مَاضٍ
 وَرُحْمِي مَا طَعَنْتُ بِهِ طَعِينًا
 وَلَوْلَا صَارِمِي وَسِنَانُ رُحْمِي
 ٢٣١ قَالَ عَمْرُو بْنُ مَعْدِي كَرِبَ:

فَأَعْلَمَ وَإِنْ رُدِّيتَ بُرْدَا
 وَمَنَاقِبُ أَوْرُنْ مَجْدَا
 أَعَدَدْتُ لِلْحَدَثَانِ سَا
 يَفَةٌ وَعَدَاةٌ عَلَنَدَا

نَهْدًا وَذَا شُطْبٍ يَشْدُ النَّيْضَ وَالْأَبْدَانَ قَدًّا
 وَعَلِمْتُ أَنِّي يَوْمَ ذَاكَ مُنَازِلٌ كَعَمْبًا وَنَهْدًا
 قَوْمٌ إِذَا لَبِسُوا الْحَدِيدَ تَنَمَّرُوا حَامًا وَقَدًّا
 كُلُّ أَمْرِي مُجْرِي إِلَى يَوْمِ الْهَيْبِ بِمَا اسْتَمَدَّا
 نَازَلْتُ كَنَشْتِهِمْ وَلَمْ أَرِ مِنْ زَالِ الْكَيْشِ بُدًّا
 هُمْ يَنْذِرُونَ دَيْمِي وَأَنَا ذُرٌّ إِنْ لَقِيتُ بَأَنٍ أَشَدًّا
 كَمَنْ مِنْ أَخِي لِي صَالِحٌ بِوَأْتِهِ يَيْدِي لِحَدًّا
 مَا إِنْ جَزَعْتُ وَلَا هَلَهْتُ وَلَا يَرُدُّ بُكَايَ زَنْدًا
 أَلْبَسْتُهُ أَتَوَابَهُ وَحُطِّتُ يَوْمَ حُطِّتُ جَدًّا
 أَغْنِي غَنَاءَ الذَّاهِبِيهِ نَ أَعْدُ لِلْأَعْدَاءِ عَدًّا
 ذَهَبَ الَّذِينَ أَحْبَبْتُهُمْ وَبَقِيتُ مِثْلَ السَّيْفِ فَرْدًا

٢٣٢ قال عنترة وقد خرج إلى ديار بني زبيد في طلب رأس ابن محارب:
 أَطْوِي فِيأَيِّ الْفَلَا وَاللَّيْلِ مُعْتَكِرٌ وَأَقْطَعُ الْيَدَ وَالرَّمْضَاءَ تَسْتَعِرُ
 وَلَا أَرَى مُؤَنَسًا غَيْرَ الْحَسَامِ وَإِنْ قَلَّ الْأَعَادِي غَدَاةَ الرَّوْعِ أَوْ كَثُرُوا
 فَحَادِرِي يَا سَبَاعَ الْبَرِّ مِنْ رَجُلٍ إِذَا أَنْتَضَى سَيْفَهُ لَا يَنْفَعُ الْحَذْرُ
 وَرَافِقِي تَرِي هَامًا مُفْلَقَةً وَالطَّيْرَ عَاكِفَةً تَمْسِي وَتَبْتَكِرُ
 مَا خَالِدٌ بَعْدَ مَا قَدَسِرَتْ طَالِبُهُ بِجَالِدٍ لَا وَلَا الْجِيدَاءُ تَقْفَخِرُ
 وَلَا دِيَارَهُمْ بِالْأَهْلِ أُنْسَةٌ يَا وَيُّ الْغُرَابِ بِهَا وَالذِّبُّ وَالنَّوْبُ
 ٢٣٣ وَقَالَ بَعْضُ بَنِي أَسَدٍ:

وَإِنِّي لَأَسْتَعْنِي فَمَا أَبْطَرَ الْغَنَى
 وَأَعْسِرُ أَحْيَانًا فَتَشْتَدُّ عُسْرَتِي
 وَمَا نَالَهَا حَتَّى تَجَلَّتْ وَأَسْفَرَتْ
 وَأَبْذُلُ مَعْرُوفِي وَتَصْفُو خَلِيقَتِي
 وَأَسْتَقْذُ الْمَوْلَى مِنَ الْأَمْرِ بَعْدَ مَا
 وَأَمْتَحُهُ مَالِي وَوُدِّي وَنَصْرَتِي
 وَيَغْمُرُهُ حِلْمِي وَلَوْ شِئْتُ نَالَهُ
 وَأَقْضِي عَلَى نَفْسِي إِذَا الْأَمْرُ نَابَنِي
 وَأَسْتُ بِيَدِي وَجِهَيْنِ فِيمَنْ عَرَفْتُهُ
 وَإِنِّي لَسَهْلٌ مَا تُعْبِرُ شَيْئَتِي
 ٢٣٤ وَإِعْتَرَةٌ فِي يَوْمِ الْمَصَانِعِ :

وَإِنِّي لَأَسْتَعْنِي فَمَا أَبْطَرَ الْغَنَى
 وَأَعْسِرُ أَحْيَانًا فَتَشْتَدُّ عُسْرَتِي
 وَمَا نَالَهَا حَتَّى تَجَلَّتْ وَأَسْفَرَتْ
 وَأَبْذُلُ مَعْرُوفِي وَتَصْفُو خَلِيقَتِي
 وَأَسْتَقْذُ الْمَوْلَى مِنَ الْأَمْرِ بَعْدَ مَا
 وَأَمْتَحُهُ مَالِي وَوُدِّي وَنَصْرَتِي
 وَيَغْمُرُهُ حِلْمِي وَلَوْ شِئْتُ نَالَهُ
 وَأَقْضِي عَلَى نَفْسِي إِذَا الْأَمْرُ نَابَنِي
 وَأَسْتُ بِيَدِي وَجِهَيْنِ فِيمَنْ عَرَفْتُهُ
 وَإِنِّي لَسَهْلٌ مَا تُعْبِرُ شَيْئَتِي
 ٢٣٤ وَإِعْتَرَةٌ فِي يَوْمِ الْمَصَانِعِ :

وَمَدَّ إِلَيْكَ صَرْفُ الدَّهْرِ بَاعًا
 وَدَافِعٌ مَا اسْتَطَعْتَ لَهَا دِفَاعًا
 وَلَا تَبْكُ الْمُنَازِلَ وَالْبِقَاعَا
 وَيَهْتَكُنَّ الْبِرَاقِعَ وَالْأَقَاعَا
 إِذَا مَا جَسَّ كَفْكَ وَالذِّرَاعَا
 يَرُدُّ الْمَوْتَ مَا قَالَى الزَّرَاعَا
 لَنَا بَفْعَالِنَا خَبْرًا مُشَاعَا
 وَصَيَّرْنَا النُّفُوسَ لَهَا مَتَاعَا

حِصَانِي كَانَ دَلَالُ الْمَنَايَا
 وَسَيْفِي كَانَ فِي الْهَيْجَا طَيْبًا
 أَنَا الْعَبْدُ الَّذِي خَبِرْتُ عَنْهُ
 وَلَوْ أَرْسَلْتُ رُحْمِي مَعَ جَبَانَ
 مَلَأْتُ الْأَرْضَ خَوْفًا مِنْ حُسَامِي
 إِذَا الْأَبْطَالُ فَرَّتْ خَوْفَ بَأْسِي
 ٢٣٥ وَقَالَ مُضَرَّسُ بْنُ رَبِيعٍ :

وَنَقِيمُ سَالِقَةِ الْعَدُوِّ الْأَصِيدِ
 أَنَا لَتَصْفَحُ عَنْ مجَاهِلِ قَوْمِنَا
 وَمَتَى تَخَفَ يَوْمًا فَسَادَ عَشِيرَةٌ
 نُصْلِحُ وَإِنْ نَزَّ صَالِحًا لَا نُفْسِدُ
 وَإِذَا تَوَاصَعَدَا فَلَيْسَ عَلَيْهِمْ
 مِنَّا الْحَبَالُ وَلَا نُفُوسُ الْحُسَدِ
 وَبُعِينُ فَأَعَلْنَا عَلَى مَا نَابَهُ
 حَتَّى نُبْسِرَهُ لِفِعْلِ السَّيِّدِ
 وَنَجِيبُ دَاعِيَةِ الصَّبَاحِ بِثَابِ
 عَجَلِ الرُّكُوبِ لِدَعْوَةِ الْمُسْتَجِدِ
 فَفَقُلْ شَوْكَتَهَا وَنَفْثًا حَمِيهَا
 حَتَّى تَبُوخَ وَحَمِينًا لَمْ يَبْرُدِ
 وَتَحَلُّ فِي دَارِ الْحِفَاظِ بِيُوتِنَا
 رُتِعَ الْجَمَائِلِ فِي الدَّرِينِ الْأَسْوَدِ
 ٢٣٦ وَقَالَ عَنَتْرَةُ الْعَبْسِي :

وَأَجْهَدِي فِي عِدَاوَتِي وَعِنَادِي
 أَنْتَ وَاللَّهِ لَمْ تُلْعِي بِي بَالِي
 إِنْ لِي هِمَّةٌ أَشَدُّ مِنْ الصُّخْرِ
 رِ وَأَقْوَى مِنْ رَاسِيَاتِ الْجِبَالِ
 وَحُسَامًا إِذَا ضَرَبْتُ بِهِ الدَّمَ
 رَمَحْتُ عَنْهُ الْقُرُونُ الْخَوَالِي
 وَسِنَانًا إِذَا تَعَسَفْتُ فِي اللَّيْلِ
 لِي هَدَانِي وَرَدَّيْنِي عَنْ ضَالِّي

وَجَوَادًا مَسَارَ الْإِسْرَى الْبَرْقُ وَرَاهُ مِنْ اقْتِدَاحِ النَّعَالِ
 أَذْهَمُ يَصْدَعُ الدُّجَى بِسَوَادِ بَيْنَ عَيْنَيْهِ غَرَّةٌ كَالْهَلَالِ
 يَفْتَدِينِي بِنَفْسِهِ وَأَقْدِيهِ بِنَفْسِي يَوْمَ الْقِتَالِ وَمَالِي
 وَإِذَا قَامَ سُوقُ حَرْبِ الْعَوَالِي وَتَلَطَّى بِالْمُرْهَقَاتِ الصِّقَالِ
 كُنْتُ دَلَالَهَا وَكَانَ سِنَانِي تَاجِرًا يَشْتَرِي النُّفُوسَ الْعَوَالِي
 يَا سِبَاعَ الْهَلَا إِذَا اشْتَعَلَ الْحَرْبُ بَ اتَّبِعْنِي مِنَ الْفَقَارِ الْخَوَالِي
 إِتْبِعْنِي تَرَى دِمَاءَ الْأَعَادِي سَائِلَاتٍ بَيْنَ الرَّبِّي وَالرِّمَالِ
 ثُمَّ عُودِي مِنْ بَعْدِ ذَاوِ الشُّكْرِي وَأَذْكَرِي مَا رَأَيْتَهُ مِنْ فِعَالِي
 وَخُذِي مِنْ جَمَاحِمِ الْقَوْمِ قَوَاتًا لِيْنِكَ الصِّغَارِ وَالْأَشْبَالِ
 ٢٣٧ وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ الْأَنْصَارِيُّ:

مَتَى مَا تَأْتِ يَثْرَبَ أَوْ تُرْذَهَا تَجِدْنَا نَحْنُ أَكْرَمَهَا جُدُودًا
 وَأَغْلَظَهَا عَلَى الْأَعْدَاءِ رُكْنًا وَالْيَنَاهَا لِبَانِي الْخَيْرِ عُودًا
 وَأَخْطَبَهَا إِذَا اجْتَمَعُوا لِأَمْرٍ وَأَقْصَدَهَا وَأَوْقَاهَا عُهُودًا
 إِذَا نُدِعَى لِشَارٍ أَوْ لِحَارٍ فَتَحْنُ الْأَكْثَرُونَ بِهَا عِيدًا
 مَتَى مَا نُدِعَ فِي جُشْمٍ وَعَوْفٍ تَجِدُنِي لَا أَعْمَ وَلَا وَحِيدًا
 وَحَوْطِي جَمْعُ سَاعِدَةِ بْنِ عَمْرٍو وَتِيمِ اللَّاتِ قَدْ لَبَسُوا الْحَدِيدًا
 زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ نَلْتُمُ مَلُوكًا وَزَعَمْنَا أَنَّنَا نَلْنَا عِيدًا
 وَمَا نَبْنِي مِنَ الْأَحْلَافِ وَتَرَا وَقَدْ نَلْنَا الْمُسُودَ وَالْمُسُودَا
 ٢٣٨ قَالَ أَبُو الْقَتْحِ الْبَسْتِيُّ:

وَمَحْنُ أَنَسٍ لَا نَدِيلُ لِحَائِفِ عَلَيْنَا وَلَا تَرْضَى حُكُومَةَ حَائِفِ
 مَلَكْنَا الْعَوَالِي بِالْمَعَالِي فَجَارَنَا عَزِيزٌ وَمَنْ نَكْفُلُ بِهِ غَيْرُ حَائِفِ
 وَرِثَاءَ عَنِ الْأَبَاءِ عِنْدَ اخْتِرَائِهَا صَفَائِحُ تُغْنِي عَنْ رُسُومِ الصَّحَائِفِ
 تُؤَمِّرُنَا أَسَافِنَا وَرِمَاحُنَا إِذَا لَمْ يُؤَمِّرْنَا لَوَاهِ الْخِلَافِ
 بَيْنَنَا بِأَطْرَافِ الْأَيْسَةِ كَعَبَةِ أَطَافِهَا قَسْرًا مُلُوكِ الطَّوَائِفِ
 مَنْ شَاءَ فَلْيُخْشِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَلِينْ فَمَا نَقْدُنَا إِنْ قَارَضُونَا بِزَائِفِ
 وَسَوْفَ مُجَازِي بِاللَّطَائِفِ أَهْلَهَا وَتَسْقِي زُعَافِ السَّمِّ أَهْلَ الْكُتَائِفِ
 ٢٣٩ قَالَ الْقَرِيطُ بْنُ أُنَيْفٍ يَفْتَخِرُ بِقَوْمِهِ :

قَوْمٌ إِذَا الشَّرُّ أَبْدَى نَاجِدِيهِ لَهُمْ طَارُوا وَإِلَيْهِ زَرَاقَاتٌ وَوُحْدَانَا
 لَا يَسْأَلُونَ أَخَاهُمْ حِينَ يَنْدَبُهُمْ فِي النَّابِتَاتِ عَلَى مَا قَالَ بُرْهَانَ
 لَكِن قَوْمِي وَإِنْ كَانُوا ذَوِي عَدَدٍ لَيْسُوا مِنَ الشَّرِّ فِي شَيْءٍ وَإِنْ هَانَا
 يَجْرُونَ مِنْ ظَلَمِ أَهْلِ الظُّلْمِ مَغْفِرَةً وَمِنْ إِسَاءَةِ أَهْلِ السُّوءِ إِحْسَانًا
 كَانَ رَبِّكَ لَمْ يَخْلُقْ لِحَشِيَّتِهِ سِوَاهُمْ مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ إِنْسَانًا
 فَلَيْتَ لِي بِهِمْ قَوْمًا إِذَا رَكِبُوا شَنُوا الْإِعَارَةَ فَرَسَانًا وَرُكْبَانًا
 ٢٤٠ وَلِلَّهِ عَنَرٌ حَيْثُ يَقُولُ :

أَنَا فِي الْحَرْبِ الْعَوَانِ غَيْرُ مَجْهُولِ الْمَكَانِ
 وَحَسَامِي مَعَ قَتَاتِي لِعِمَالِي شَاهِدَانِ
 إِنِّي أَطْعَمُ خَضَمِي وَهُوَ يَقْطَنُ الْجَنَانِ
 أَسَقِيهِ كَأْسَ الْمَنَايَا وَفَرَاهَا مِنْهُ دَانَ

حُلِقَ الرِّيحُ لِكَفِّي وَالْحُسَامُ الْهَنْدَوَانِي
 وَمَعِي فِي الْمَهْدِكَانَا فَوْقَ صَدْرِي يُؤْنَسَانِي
 وَإِذَا مَا الْأَرْضُ صَارَتْ وَرْدَةً مِثْلَ الدَّهَانِ
 وَالِدَمَا تَجْرِي عَلَيْهَا لَوْنَهَا أَحْمَرُ قَانِي
 فَاسْتَقِيَانِي وَأَسْمَعَانِي نَعْمَةً كَيْ تَطْرَبَانِي
 أَطِيبُ الْأَصْوَاتِ عِنْدِي حُسْنُ صَوْتِ الْهَنْدَوَانِي
 وَصَرِيدُ الرِّيحِ جَهْرًا فِي الْوَعْيِ يَوْمَ الطَّعَانِ
 وَصِيَاحُ الْقَوْمِ فِيهِ وَهُوَ لِلْأَبْطَالِ دَانِ

٢٤١ قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فِي هَمْدَانِ :

وَلَمَّا رَأَيْتُ الْخَيْلَ تَفْرَعُ بِالْعَنَا فَوَارِسَهَا حَمْرُ الْعِيُونِ دَوَامِ
 وَأَقْبَلَ رَهْجٌ فِي السَّمَاءِ كَأَنَّهُ نَعْمَامَةٌ دَجْنِ أَوْ عِرَاضُ قَتَامِ
 وَمِنْ كُلِّ حَيٍّ قَدْ أَتْنَا عَصَابَةَ ذَوُو تَجَدَاتٍ فِي الْإِلْقَاءِ كِرَامِ
 وَنَادَيْتُ فِيهِمْ دَعْوَةً فَأَجَابَنِي فَوَارِسٌ مِنْ هَمْدَانَ غَيْرُ لِنَامِ
 فَوَارِسٌ مِنْ هَمْدَانَ لَيْسُوا بِعَزَلٍ غَدَاةَ الْوَعْيِ مِنْ شَانِكَ وَسَنَامِ
 يَفُودُهُمْ حَامِي الْحَقِيقَةِ مِنْهُمْ سَعِيدُ بْنُ قَيْسٍ وَالْكَرِيمُ يُحَامِي
 حَزَى اللَّهُ هَمْدَانَ الْجِنَانَ فَإِنَّهُمْ سِهَامُ الْأَعَادِي عِنْدَ كُلِّ حِمَامِ
 مَتَى نَأْتِيهِمْ فِي دَارِهِمْ تَسْتَضِيئُهُمْ تَبَّتْ نَاعِمًا فِي غِبْطَةٍ رَطَعَامِ
 وَقَوْمٌ يُحِبُّونَ الْإِمَامَ وَهَدِيَهُ سِرَاعٌ إِلَى الْهَيْجَا بِكُلِّ حُسَامِ
 فَلَوْ كُنْتُ بَوَّابًا عَلَى بَابِ جَنَّةٍ لَقُلْتُ لَهُمْ دَانَ أَدْخَلُوا إِسْلَامِ

٢٤٢ وَمِنَ الْعَجَبِ فِي هَذَا الْبَابِ قَوْلُ مُجِيرِ الدِّينِ بْنِ تَمِيمٍ :
 لَوْ كُنْتُ تَشْهَدُنِي وَقَدْ حَمَى الْوَعَى فِي مَوْقِفِ مَا الْمَوْتُ فِيهِ بِمَعْرَلٍ
 لَتَرَى أَنَا يَبِ الْقَنَاعَةِ عَلَى يَدِي تَجْرِي دَمًا مِنْ تَحْتِ ظِلِّ الْقَسْطَلِ
 ٢٤٣ قَالَ بَدْرُ الدِّينِ بْنُ فَضْلِ اللَّهِ تَهْدَدُ تَيُورُنْكَ عَلَى لِسَانِ الظَّاهِرِ رَفُوقَ
 السِّيفِ وَالرَّمْحِ وَالنَّشَابِ قَدْ عَلِمْتُ مِنَّا الْحُرُوبَ فَسَلْ مِنْهَا تَلْيِيكَ
 إِذَا التَّقِيْنَا نَجِدُ هَذَا مُشَاهِدَةً فِي الْحَرْبِ فَأَنْبَتَ فَأَمَرَ اللَّهُ آيِكَ
 بِخِدْمَةِ الْحَرَمَيْنِ اللَّهُ شَرَفَنَا فَضَلًا وَمَلَكْنَا الْأَمْصَارَ تَلْيِيكَ
 وَبِالْجَمِيلِ وَحَلُّو النَّصْرَ عَوَدْنَا خُذِ التَّوَارِيخَ وَأَقْرَأْهَا فَتُنْيِكَ
 وَمَنْ يَكُنْ رَبُّهُ الْفَتْاحُ نَاصِرُهُ فَمَنْ يَخَافُ وَهَذَا الْقَوْلُ يَكْفِيكَ

قصيدة ابن سناء الملك في الفخر

٢٤٤

سِوَايَ بَابِ الْمَوْتِ أَوْ يَرْهَبُ الرَّدَى وَعَبِيرِي يَهْوَى أَنْ يَعْيشَ مُخَلَّدًا
 وَلَكِنِّي لَا أَرْهَبُ الدَّهْرَ إِنْ سَطَا وَلَا أَحْذَرُ الْمَوْتَ الزُّوَامَ إِذَا عَدَا
 وَلَوْ مَدَّ نَحْوِي حَادِثُ الدَّهْرِ كَهْفُهُ لَحَدَّثْتُ نَفْسِي أَنْ أَمُدَّ لَهُ يَدَا
 تَوْقُدُ عَزْمِي يَتْرُكُ الْمَاءَ جَمْرَةً وَحِيلَةَ حِلْمِي تَتْرُكُ السِّيفَ مِبْرَدًا
 وَفَرَطُ أَحْتِقَارِي لِلْإِنَامِ لِإِنِّي أَرَى كُلَّ عَارِمٍ حَلِي سُوْدُدِي سُدَى
 وَيَأْتِي إِبَانِي أَنْ يَرَانِي قَاعِدًا وَإِنِّي أَرَى كُلَّ الْبَرِيَّةِ مَقْعَدًا
 وَأَظْمَأُ إِنْ أَبْدَى لِي الْمَاءَ مِنْهُ وَلَوْ كَانَ لِي نَهْرُ الْمَجْرَةِ مَوْرَدًا
 وَلَوْ كَانَ إِذْرَاكَ الْهُدَى بَتَدَلُّ رَأَيْتُ الْهُدَى أَنْ لَا أَمِيلَ إِلَى الْهُدَى
 وَقَدْ مَا يَغْيِرِي أَصْبَحَ الدَّهْرُ أَشْيَبًا وَيِي وَيَفْضَلِي أَصْبَحَ الدَّهْرُ أَمْرَدًا

وَإِنَّكَ عَبْدِي يَا زَمَانُ وَإِنِّي
 وَمَا أَنَا رَاضٍ بِأَنِّي وَأَطَى الثَّرَى
 وَعَوَّلَيْتَ زَهْرَ النُّجُومِ مَكَانِي
 أَرَى الْخَلْقَ دُونِي إِذْ أَرَانِي فَوْقَهُمْ
 وَبَدَلُ نَوَالِي زَادَ حَتَّى لَقَدْ غَدَا
 وَبِي قَلَمٌ فِي أُنْمَلِي إِنْ هَزَزْتُهُ
 إِذَا صَالَ قُوقَ الطَّرْسِ وَقَعَ صَرِيرُهُ
 ٢٤٥ لِأَبِي الطَّحَّانِ الْقِنِّي :

وَإِنِّي مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ هُمْ هُمْ
 نُجُومٌ سَمَاءٌ كَلَّمَا غَابَ كَوْكَبٌ
 أَضَاءَتْ لَهُمْ أَحْسَابُهُمْ وَوُجُوهُهُمْ
 وَمَا زَالَ مِنْهُمْ حَيْثُ كَانُوا مَسُودٌ
 إِذَا مَاتَ مِنْهُمْ سَيِّدٌ قَامَ صَاحِبُهُ
 بَدَأَ كَوْكَبٌ تَأْوِي إِلَيْهِ كَوَاكِبُهُ
 دَجَى اللَّيْلِ حَتَّى نَظَّمَ الْجَزَعُ نَاقِبُهُ
 تَسِيرُ الْمُنَايَا حَيْثُ سَارَتْ كِتَابَتُهُ
 ٢٤٦ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ الْأَنْصَارِيُّ :

وَلَقَدْ تَقَلَّدْنَا الْعَشِيرَةَ أَمْرَهَا
 وَزُرُّوا أَبْوَابَ الْمَمْلُوكِ رِكَابَنَا
 وَنَحَاوِلُ الْأَمْرِ أَلْمَهُمْ خَطَابُهُ
 ٢٤٧ قَالَ أَبُو الْجَرَّاحِ الْبَكْرِيُّ :

إِنَّا لَتُنْبِي عَلَى مَا شَيْدَتْهُ لَنَا
 لَا يَرَقِعُ الضَّيْفُ عَيْنًا فِي مَنَازِلِنَا
 أَبَاؤُنَا أَلْعُرُّ مِنْ مُجْدٍ وَمِنْ كَرَمٍ
 إِلَّا إِلَى ضَاحِكٍ مِنَّا وَمُبْتَسِمٍ

إِنِّي إِذَا كَانَ قَوْمِي فِي أَوْرَى عِلْمًا فَإِنِّي عَلِمْتُ فِي ذَلِكَ الْعِلْمِ
٢٤٨ قَالَ الْأَدِيبُ أَبُو بَكْرٍ يَحْيَى بْنُ بَقِيٍّ مِنْ قَصِيدَةٍ لَهُ :

هُوَ الشَّعْرُ أَحْرَى فِي مَيَادِينِ سَبْقِهِ وَأَفْرَجَ مِنْ أَبْوَابِهِ كُلِّ مَبْهَمِ
وَسَلَّ أَهْلُهُ عَنِّي هَلْ أَمْتَرْتُ مِنْهُمْ بِطَبْعِي وَهَلْ عَادَرْتُ مِنْ مُرَدِّمْ
سَلَكْتُ أَسَالِيبَ الْبَدِيعِ فَأَصْبَحْتُ بِأَقْوَالِي الرَّكْبَانَ فِي الْبَيْدِ تَرْتَمِي
وَرَبَّتَا عَنِّي بِهِ كُلُّ سَاجِعٍ يُرَدِّدُهُ فِي تَجْوِهِ وَالْتَرْتَمِ
وَضَعَيْتِي قَوْمِي لِأَنِّي لِسَانِهِمْ إِذَا أَتَيْتُمُ الْأَقْوَامَ عِنْدَ التَّكَلُّمِ
وَطَالَبْنِي دَهْرِي لِأَنِّي زَنْتُهُ وَأَتَى فِيهِ غُرَّةٌ فَوْقَ آدَمِ
٢٤٩ مِنْ شِعْرِ حَسَّانَ بْنِ تَابِتٍ قَوْلُهُ :

إِنَّ الدَّوَابَّ مِنْ فِهْرٍ وَإِخْوَتَهُمْ قَدْ يَبْنُوا سُنَنًا لِلنَّاسِ تَتَّبِعُ
يَرْضَى بِهَا كُلُّ مَنْ كَانَتْ سِرِّيَّتُهُ تَقْوَى إِلَهِهِ وَبِالْأَمْرِ الَّذِي شَرَعُوا
قَوْمٌ إِذَا حَارَبُوا ضَرُّوا عَدُوَّهُمْ أَوْ حَاوَلُوا النَّفْعَ فِي أَشْيَاعِهِمْ نَفَعُوا
سَجِيَّةُ تِلْكَ مِنْهُمْ غَيْرُ مُخَدَّعَةٍ إِنْ الْخَلَائِقَ فَأَعْلَمَ شَرَّهَا الْبِدْعُ
لَوْ كَانَ فِي النَّاسِ سَبَاقُونَ بَعْدَهُمْ فَكُلُّ سَبِقٍ لِأَدْنَى سَبْقِهِمْ تَبِعُ
لَا يَرْقِعُ النَّاسُ مَا أَوْهَتْ أَكْفُهُمْ عِنْدَ الرِّقَاعِ وَلَا يُوهُونَ مَا رَقَعُوا
إِنْ سَابَقُوا النَّاسَ يَوْمًا فَازَ سَبْقُهُمْ أَوْ وَارَثُوا أَهْلَ مَجْدٍ بِالتَّدْيِ مُنِعُوا
لَا يَفْخَرُونَ إِذَا نَالُوا عَدُوَّهُمْ وَإِنْ أُصِيبُوا فَلَا ضَوْرَ وَلَا هَامَ
وَلَا يَضْنُونَ عَنْ جَارٍ بِفَضْلِهِمْ وَلَا يَمْسَهُمْ فِي مَطْمَعٍ طَمَعُ
كَأَنَّهُمْ أَفْضَلُ الْأَحْيَاءِ كُلِّهِمْ إِنْ جَدَّ بِالنَّاسِ جِدُّ الْقَوْلِ أَوْ سَمِعَ

٢٥٠ وَمَا يُسْتَجَادُ لِعَبِيدِ بْنِ الْأَبْرَصِ قَوْلُهُ :

يَا أَيُّهَا السَّائِلُ عَنْ مَجْدِنَا
 إِنْ كُنْتَ لَمْ تَسْمَعْ بِأَبَائِنَا
 سَائِلُ بِنَا حُجْرًا غَدَاةَ الْوَعَى
 قَوْمِي بِنُوذُودَانَ أَهْلُ الْحَجَى
 كَمْ فِيهِمْ مِنْ آيِدٍ سَيِّدٍ
 مِنْ قَوْلِهِ قَوْلٌ وَمَنْ فِعْلُهُ
 لَا يَحْرِمُ السَّائِلَ إِنْ جَاءَهُ
 الطَّاعِنُ الطَّعْنَةَ يَوْمَ الْوَعَى
 أَنْتَ عَنْ مَسْمَعَاتِنَا جَاهِلٌ
 فَسَلْ تُبْنَا أَيُّهَا السَّائِلُ
 يَوْمَ تَوَلَّى جَعْفَهُ الْحَافِلُ
 يَوْمًا إِذَا أَنْفَحْتَ الْحَائِلُ
 ذِي نَفْحَاتٍ قَائِلُ قَائِلُ
 فِعْلٌ وَمَنْ نَائِلُهُ نَائِلُ
 وَلَا يُعْقِي سَيْبَهُ الْعَاذِلُ
 يَذْهَلُ مِنْهُ الْبَطْلُ الْبَائِلُ

٢٥١ وَقَالَ كَتَبَ يَمْدَحُ الْأَنْصَارَ :

لَا يَشْتَكُونَ الْمَوْتَ إِنْ زَلَّتْ بِهِمْ
 وَرَبُّوهُ السِّيَادَةَ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ
 شَهَابًا ذَاتُ مَعَاقِرٍ وَأَوَارٍ
 إِنْ الْكِرَامَ هُمْ بِنُو الْأَخْيَارِ
 قَالَ الْمُتَنَبِّي :

سَيَعْلَمُ الْجَمْعُ مِمَّنْ ضَمَّ مَجْلِسُنَا
 أَنَا الَّذِي نَظَرَ الْأَعْمَى إِلَى أَدْيِي
 الْحَيْلُ وَاللَّيْلُ وَالْبَيْدَاءُ تَعْرِفُنِي
 قَالَ جَعْفَرُ بْنُ سَمْسِ الْحِلاَفَةِ :

أَنَا الذَّهَبُ الْإِبْرِيذِيُّ مَالِي آفَةٌ
 وَرُبَّ جَهَوْلٍ عَابَنِي بِمَحَاسِنِي
 سَوَى نَقْصِ تَمْيِزِ الْمَعَانِدِ فِي نَقْدِي
 وَيَقْبِضُ ضَوْءَ الشَّمْسِ فِي الْأَعْيُنِ الرَّمْدِ

الباب الثاني عشر
في الهجاء

٢٥٤ كَانَ الرَّشِيدُ أَحْمَدُ بْنُ الزُّبَيْرِ قَدْ اجْتَمَعَتْ فِيهِ صِفَاتٌ وَأَخْلَاقٌ
تَقْتَضِي أَنْ تُجُودَ مَعَانِي الْهَجَاءِ فِيهِ . مِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ أَسْوَدَ وَلَا
يَذَالُ يَدْعِي الذُّكَاةَ وَأَنْ خَاطِرُهُ مِنْ نَارٍ . فَقَالَ فِيهِ ابْنُ قَادُوسٍ :

إِنْ قُلْتَ مِنْ نَارٍ خُلِقْتُ وَفُقْتُ كُلُّ النَّاسِ فَمَا
قُلْنَا صَدَقْتَ فَمَا الَّذِي أَطْفَاكَ حَتَّى صِرْتَ فَحْمًا

٢٥٥ قَالَ ابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ فِي بَحْيِلٍ :

بِرَاعَةِ غَرَّيْنِي مِنْهَا وَمِيضُ سَنَا حَتَّى مَدَدْتُ إِلَيْهَا الْكَفَّ مُقْتَسِمًا
فَصَادَقْتُ حَجْرًا لَوْ كُنْتُ تَضْرِبُهُ مِنْ لُؤْمِهِ بَعْصًا مُوسَى لَمَا أُنْجِسًا
٢٥٦ قَالَ أَبُو نُوَّاسٍ فِي آخِرِ :

أَبُو نُوحٍ دَخَلَتْ عَلَيْهِ يَوْمًا وَقَدَّمَ بَيْنَنَا حَمًا سَمِينًا
فَلَمَّا أَنْ رَفَعْتُ يَدَيَّ سَقَانِي كُؤُوسًا نَحْرُهَا رِيحُ الْمُدَامِ
فَكَانَ كَمَنْ سَقَى الظَّمَانَ آلا وَكُنْتُ كَمَنْ تَغَدَّى فِي الْمَنَامِ
وَقَالَ أَيْضًا فِي غَيْرِهِ :

رَأَيْتُ أَبَا زُرَّارَةَ قَالَ يَوْمًا لَيْنٌ وَضِعَ الْجِيَّانُ وَوَلَّاحَ شَخْصٌ
لِحَاجِبِهِ وَفِي يَدِهِ الْحُسَامُ لِأَخْطَطِينَ رَأْسَكَ وَالسَّلَامُ

فَمَا فِي الْأَرْضِ أَقْبَحُ مِنْ خِوَانٍ عَلَيْهِ الْخُبْرُ يُخْضِرُهُ الرِّحَامُ
٢٥٧ قَالَ آخِرُ :

لَقَدْ عَثَرْتُ بِمَجْمَعِ اللَّيْلِ رَجُلِي عَلَى شَخْصٍ وَلَمْ يَكُ فِي جِسَائِي
فَقَالَ مُجَاوِبًا لِي أَنْتَ أَعْمَى فَقُلْتُ نَعَمْ وَدَوَّاسُ الْكِلَابِ
٢٥٨ قَالَ أَبُو نُوَّاسٍ فِي بَعْضِ مَنْ هَجَاهُ :

وَلَقَدْ قَتَلْتِكَ بِالْهَجَاءِ فَلَمْ تَمُتْ إِنَّ الْكِلَابَ طَوِيلَةَ الْأَعْمَارِ
٢٥٩ قَالَ جَرِيْدٌ يَهْجُو الْفَرَزْدَقَ :

وَقَدْ زَعَمُوا أَنَّ الْفَرَزْدَقَ حَيٌّ وَمَا قَتَلَ الْحَيَّاتِ مِنْ أَحَدٍ قَبْلِي
٢٦٠ قَالَ ابْنُ دُرَيْدٍ فِي نَفْطَوِيهِ :

لَوْ أُوحِيَ النَّحْوُ إِلَى نَفْطَوِيهِ مَا كَانَ هَذَا النَّحْوُ يُعْرَى إِلَيْهِ
أَحْرَقَهُ اللَّهُ بِنِصْفِ اسْمِهِ وَصَيَّرَ الْبَاقِي صُرَاخًا عَلَيْهِ
٢٦١ قَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْعَبَّاسِ الصَّوَلِيُّ فِي مَنْ هَجَرَهُ :

وَكُنْتَ أَخِي بِالذَّهْرِ حَتَّى إِذَا نَبَا نَبَوْتُ فَلَمَّا عَادُتَ مَعَ الذَّهْرِ
فَلَا يَوْمَ إِقْبَالِ عَدَدَتِكَ طَائِلًا وَلَا يَوْمَ إِدْبَارِ عَدَدَتِكَ فِي وَثْرِ
وَمَا كُنْتَ إِلَّا مِثْلَ أَحْلَامٍ نَائِمٍ كِلَا حَالَتَيْكَ مِنْ وَقَاءِ وَوَيْنِ عَدْرِ

٢٦٢ هَجَا ابْنُ خُرُوفٍ مَهْدَبَ الدِّينِ بْنِ الطَّيِّبِ :

إِنَّ الْأَعْيُرِجَ حَازَ الطِّبَّ أَجْمَعَهُ اسْتَغْفِرُ اللَّهُ إِلَّا الْعِلْمَ وَالْعَمَلَا
وَلَيْسَ بِمُجْمَلٍ شَيْئًا مِنْ غَوَامِضِهِ إِلَّا الدَّلَائِلَ وَالْأَمْرَاضَ وَالْعَمَلَا
فِي حِيلَةِ الْبُرِّ قَلَّتْ عِنْدَهُ حِيلُ بَعْدَ اجْتِهَادٍ وَيَدْرِي لِأَرْدَى حِيَلَا

الرُّوحُ يُشْكُو لِحِمَانِ الْعَلِيلِ عَلَى عِلَاتِهِ فَإِذَا مَا طَبَهُ رَحَلَا
٢٦٣ مِنْ شِعْرِ ابْنِ الْمُبَارَكِ قَوْلُهُ فِي هَجْوِ قَاضٍ:

قَدْ يَفْتَحُ الْمَرْءُ حَانُوتًا لِعَمْرِهِ وَقَدْ فَتَحَتْ لَكَ الْحَانُوتَ بِالدِّينِ
بَيْنَ الْأَسَاطِينِ حَانُوتٌ بِلَاغِقٍ تَبْتَعُ بِالدِّينِ أَمْوَالَ الْمَسَاكِينِ
صَيَّرَتْ دِينَكَ شَاهِيَةً تَصِيدُ بِهِ وَليْسَ يَفْلِحُ أَصْحَابُ الشَّوَاهِينِ
٢٦٤ مِنْ شِعْرِ أَبِي الْعَبَّاسِ يَهْجُو بَنِي الرَّبِيعِ:

بَنِي أَسَدٍ لَا تَذْكُرُوا الْفَخْرَ إِنَّكُمْ مَتَى تَذْكُرُوهُ تَكْذِبُوا وَتُحْمَقُوا
مَتَى تَسْأَلُوا فَضْلًا تَضُنُّوا وَتَجْلُوا وَبِرَائِكُمْ بِالشَّرِّ فِيهَا تَحْرُقُ
إِذَا اسْتَبَقَتْ يَوْمًا قَرَيْشٌ خَرَجْتُمْ بَنِي أَسَدٍ سَكَنَّا وَذُو أُنْجَدٍ يَسْبِقُ
تَحِيُّونَ خَلْفَ الْقَوْمِ سُودًا وَوُجُوهُكُمْ إِذَا مَا قَرَيْشٌ لِلْأَضَامِيمِ أَصْفَقُوا
وَمَا ذَاكَ إِلَّا أَنْ لِلْوَمِ طَابَعًا يَلُوحُ عَلَيْكُمْ رَسْمُهُ لَيْسَ يَخْلُقُ
٢٦٥ قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ الْكُورَانِيُّ يَذُمُّ أَهْلَ مَدِينَةِ قَاسٍ:

مَشَى اللُّومُ فِي الدُّنْيَا طَرِيدًا مُشْرَدًا يَجُوبُ بِإِلَادِ اللَّهِ شَرْقًا وَمَغْرِبًا
فَلَمَّا أَتَى قَاسًا تَلَقَّاهُ أَهْلُهَا وَقَالُوا لَهُ أَهْلًا وَسَهْلًا وَمَرْحَبًا

٢٦٦ قَالَ عَلِيُّ بْنُ الْمُرْجِ الْعَتَمِيُّ لَمَّا احْتَرَقَتْ دَارُ ابْنِ صُورَةَ بِبَصْرَةَ:
أَقُولُ وَقَدْ عَايَنْتُ دَارَ ابْنِ صُورَةَ وَالنَّارَ فِيهَا مَارِحٌ يَتَضَرَّمُ
كَذَا كُلُّ مَالٍ أَصْلُهُ مِنْ مَهَاوِشٍ فَعَمَّا قَلِيلٍ فِي نَهَائِرٍ يَغْرَمُ
وَمَا هُوَ إِلَّا كَافِرٌ طَالَ عُمُرُهُ فَجَاءَتْهُ لَمَّا اسْتَبَطَّاهُ جَهَنَّمُ

٢٦٧ قَالَ الْأَدِيبُ أَبُو بَكْرِ يَحْيَى بْنُ بَقِيٍّ لَمَّا أَنْصَرَفَ عَنِ الْمَغْرِبِ

وَقَدْ ذَمَّ عِنْدَ أَهْلِهَا مَثْوَاهُ . وَصَفَرَتْ مِنْ تَأْلِيهِمْ يَدَاهُ :

أَمْتُ فَيْكُمْ عَلَى الْإِقْتَارِ وَالْعَدَمِ لَوْ كُنْتُ حُرًّا أَيْ النَّفْسِ لَمْ أَقِمِ
وَوَلَّتْ أَبِي لَكُمْ عُدْرًا لَعَالِكُمْ تَسْتَقِظُونَ وَقَدْ نَمْتُمْ عَنِ الْكُرَمِ
فَلَا حَدِيقَتَكُمْ يُجْنِي بِهَا ثَمْرُ وَلَا سَمَاؤُكُمْ تَهْلُ بِالْدَمِيمِ
أَوْعَلْتِ فِي الْغَرْبِ الْأَقْصَى وَأَعْجَزِي نَيْلُ الرِّغَابِ حَتَّى أَتَيْتِ بِالنَّدَمِ
٢٦٨ قَالَ أَحْمَدُ الشَّاهِنِي يُعْجَبُوا أَبَا الْبَقَاءِ الصَّالِحِي السَّاجِرِ :

أَبَا الْبَقَاءِ حَلَاكَ اللَّهُ مِنْ رَجُلٍ فِيكَ الطَّيْبَةُ قَدْ قُدَّتْ مِنَ الْحَجْرِ
كَمْ يَدْعِي بِعُلُومِ النُّجُومِ مَعْرِفَةً وَلَيْسَ تَفْرُقُ بَيْنَ النُّجُومِ وَالْقَمَرِ
٢٦٩ هَجَا بَعْضُ الْمَغَارِبَةِ قَبَائِلَ الْبُرَيْرِ فَقَالَ :

رَأَيْتِ أَدَمَ فِي نَوْمِي فَقُلْتُ لَهُ أَبَا الْبُرَيْرِ إِنَّ النَّاسَ قَدْ حَكَمُوا
أَنَّ الْبُرَيْرَ نَسْلُ مِنْكَ قَالَ إِذَا حَوَاءُ طَالِقَةٌ إِنْ كَانَ مَا زَعَمُوا

الباب الثالث عشر

في اللغز

٢٧٠ لُغْزِي فِي خَاتَمِ الصَّقَدِيِّ :
وَمُسْتَدِيرُ رُوقِ الْعَيْنِ بِهَجْتِهِ كَأَنَّهُ مَلِكُ نَجْمِ الدَّجْحِيِّ فِيهِ
حُرُوفُهُ أَرْبَعٌ قَدْ رَكِبَتْ فَإِذَا مَا قُلْتُ أَوَّلَ حَرْفٍ تَمَّ بَاقِيهِ
٢٧١ قَالَ بَعْضُهُمْ مُلْغَزًا فِي قَلَمِهِ :

وَطَائِرٌ فِي وَكْرِهِ نَائِمٌ يَطِيرُ فِي الْأَرْضِ بِأَسْرَارِهِ
حَيَاتُهُ فِي قَطْعِ أَوْدَاجِهِ وَعَيْشُهُ فِي قَطْعِ مِثْقَالِهِ
يُكْرَعُ مِنْ مُسْتَنْقَعِ الْقَارِ كِي يَأْخُذَ بِالْمِنْقَارِ مِنْ قَارِهِ
٢٧٢ قَالَ ابْنُ بَصَاقَةَ مُلْغَزًا فِي الْبَيْضَةِ :

وَمَوْلُودَةٌ لَا رُوحَ فِيهَا وَإِنَّمَا لَتَقْبَلُ تَفْخَ الرُّوحِ بَعْدَ وِلَادِهَا
وَتَسْتَوْعَى الْأَقْرَانَ فِي حَوْمَةِ الْوَعَى وَلَكِنْ سُمُوًا لَمْ يَكُنْ بِمِرَادِهَا
أَرَادَ فِي الْبَيْتِ الْأَوَّلِ بَيْضَةَ الدَّجَاجَةِ وَفِي الثَّانِي بَيْضَةَ الْحَرْبِ
٢٧٣ أَنشَدَ الْإِمَامُ ابْنُ الْحَلَاوِيِّ رَجُلٌ لُغَزًا فِي شَبَابَةٍ فَقَالَ :

وَنَاطِقَةٌ خَرَسَاءٌ بَادٍ تُحْبِئُهَا تَكْفِيهَا عَشْرٌ وَعَنْهُنَّ نُخْبِرُ
يَلْذِي إِلَى الْأَسْمَاعِ رَجَعُ حَدِيثِهَا إِذَا سُدَّ مِنْهَا مُنْخَرُ جَاشٍ مُنْخَرُ

٢٧٤ كَانَ ابْنُ شَيْبٍ مُقَدِّمًا فِي حَلِّ الْأَلْغَازِ لَا يَكَادُ يَتَوَقَّفُ عَمَّا يُسْأَلُ
عَنَّهُ . فَتَقَاوَضَ أَبُو غَالِبِ بْنِ الْحَصِينِ وَأَبُو مَنْصُورٌ مُحَمَّدُ بْنُ سُلَيْمَانَ
فِي أَمْرِ ابْنِ شَيْبٍ هَذَا وَمَا هُوَ عَلَيْهِ مِنْ حَلِّ اللَّغْزِ . فَقَالَ أَبُو مَنْصُورٍ :
تَعَالَ حَتَّى نَعْمَلَ لُغَزًا مُخَالًا وَنَسْأَلَهُ عَنْهُ . فَنَظَّمَ أَبُو الْمَنْصُورِ :

وَمَا شَيْءٌ لَهُ فِي الرَّأْسِ رِجْلٌ وَمَوْضِعٌ وَجْهِهِ مِنْهُ قَفَاهُ
إِذَا غَمَّضْتَ عَيْنَكَ أَبْصَرْتَهُ وَإِنْ فَتَحْتَ عَيْنَكَ لَا تَرَاهُ
وَنَظَّمَ أَيْضًا :

وَجَارٌ هُوَ تَيَّارٌ ضَعِيفُ الْعَقْلِ ضَوَّارٌ
بِلَا لَحْمٍ وَلَا رِيشٍ وَهُوَ فِي الرَّمْزِ طَيَّارٌ

بَطْعٍ بَارِدٍ جِدًّا وَلَكِنْ كُلُّهُ نَارٌ
 وَأَنْفَذَ اللَّغْزِينَ إِلَيْهِ . فَكَتَبَ عَلَى الْأَوَّلِ : هُوَ طَيْفُ الْحَيَالِ . وَكَتَبَ
 عَلَى الثَّانِي : هُوَ الزُّبَيْقُ . فَجَاءَ إِلَيْهِ وَقَالَ : هَبِ اللَّغْزَ الْأَوَّلَ هُوَ طَيْفُ
 الْحَيَالِ وَالْبَيْتَ الثَّانِي يُسَاعِدُكَ عَلَيْهِ فَكَيْفَ تَعْمَلُ فِي الْبَيْتِ الْأَوَّلِ .
 فَقَالَ : لِأَنَّ الْمَنَامَ يُفَسِّرُ بِالْعَكْسِ لِأَنَّ مَنْ بَكَى يُفَسِّرُ لَهُ بِالصَّحْكِ .
 وَمَنْ مَاتَ يُفَسِّرُ لَهُ بِطُولِ الْحَيَاةِ . وَقَوْلُهُ فِي الثَّانِي هُوَ طَيْفَارٌ أَنَّ أَرْبَابَ
 صَنْعَةِ الْكِيمْيَاءِ يَرْمُزُونَ لِلزُّبَيْقِ بِالطَّيَّارِ وَالْفَرَّارِ وَالْآبِقِ وَمَا أَشْبَهَ
 ذَلِكَ لِأَنَّهُ يَنَابِسُ صِفَتَهُ . وَأَمَّا بَرْدُهُ فَظَاهِرٌ . وَإِلْفِرَاطِ بَرْدِهِ ثَقُلَ
 جِسْمُهُ وَجَرَمَهُ . وَكُلُّهُ نَارٌ لِسُرْعَةِ حَرَكَتِهِ وَتَشْكَالِهِ فِي انْفِرَاقِهِ وَالتَّامِهِ .
 فَأَعْجَبًا مِنْ ذِكَايِهِ وَتَوَقُّدِ عَمَلِهِ
 (لابن حجة الحموي)

٢٧٥ قَالَ الصَّفْدِيُّ فِي الْمُدَامِ :

وَمَا شَيْءٌ حَشَاهُ فِيهِ دَاءٌ وَأَوَّلُهُ وَآخِرُهُ سَوَاءٌ
 إِذَا مَا زَالَ آخِرُهُ فَجَمِعُ يَكُونُ الْحَدُّ فِيهِ وَالْمُضَاهُ
 وَإِنْ أَهْمَتَ أَوَّلُهُ فَفِعْلٌ لَهُ بِالرَّفْعِ وَالنَّصْبِ أَعْتَاهُ

٢٧٦ لِابْنِ الْمُعْتَرِي فِي شَمْعَةٍ :

صَفْرًا مِنْ غَيْرِ عِلَلٍ مَرْكُوزَةٌ مِثْلَ الْأَسَلِ
 كَأَنَّهَا عَمْرُ الْقَتَى وَالنَّارُ فِيهَا كَأَلْجَلِ

٢٧٧ لِلْحَلِيِّ فِي دُودِ الْقَرِّ :

وَمَا حَيَوَانٌ عَمَّكْسُهُ مِثْلَ طَرْدِهِ لَهُ جَسَدٌ سَبَطٌ وَلَيْسَ لَهُ قَابُ

ضَعِيفٌ وَكَمْ أَغْتَتْ مُجَاجَةً رَتَمَهُ قَتِيرًا بِهِ أَمْسَى وَمَرْبَعُهُ خَصْبٌ
يُرَى مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ طَوْرًا وَتَارَةً مِنَ الطَّيْرِ لَكِنْ ذُوْنَهُ تُسَلُّ الْحَجَبُ
شَقِيٌّ لِنَفْعِ الْغَيْرِ يَسْجِنُ نَفْسَهُ وَلَيْسَ لَهُ فِي السِّجْنِ أَكْلٌ وَلَا شَرْبٌ
٢٧٨ لِبَعْضِهِمْ فِي النَّجْرِ:

وَحَمَالٍ أَثْقَالِ الْبَرِيَّةِ قَادِرٍ وَيَخْجُزُ إِنْ حَمَلَتْهُ نِصْفَ دِرْهَمٍ
يَسِيرُ بِأَيْدِي النَّاسِ شَرْقًا وَمَغْرِبًا فَيَسْرِي بِلَا رَجْلٍ لَهُ سَيْرَ أَرْقَمٍ
٢٧٩ لِآخِرِ فِي الْفَكَرِ:

وَمَا شَيْءٌ يُجُوبُ الْأَرْضَ سَبْقًا وَيُبْصِرُ مَا أَرَادَ بِغَيْرِ عَيْنٍ
يُشَاهِدُ مَا يُرِيدُ بِلَا لُغُوبٍ وَلَا يَبْرَحُ بِلَا كَدَرٍ وَمَيْنٍ
٢٨٠ لِلْمَتْنِيِّ فِي الْحَمِيِّ:

وَزَائِرَةٌ كَانَتْ بِهَا حَيَاءٌ فَلَيْسَ تَرُودُ إِلَّا فِي الظَّلَامِ
بَدَلَتْ لَهَا الْمَطَارِفَ وَالْحَشَايَا فَعَاقَبَهَا وَبَاتَتْ فِي عِظَائِي
يَضِيقُ الْجِلْدُ عَنْ نَفْسِي وَعَنْهَا فَتُوسِعُهُ بِأَنْوَاعِ السَّقَامِ
٢٨١ وَمِنْ لَطَائِفِ مَا وَقَعَ فِي بَابِ الْأَلْغَازِ أَنَّ شَيْخَ الشُّيُوخِ بِحَمَاةٍ
كَتَبَ إِلَيَّ وَالِدِهِ مُلْفِزًا فِي بَابِ بَقْوَلِهِ:

مَا وَاقِفٌ بِالْمُخْرَجِ يَذْهَبُ طَوْرًا وَوَيْحِي
لَسْتُ أَخَافُ شَرَّهُ مَا لَمْ يَكُنْ يُمْرَجُ

فَكَتَبَ إِلَيْهِ وَالِدُهُ فِي الْجَوَابِ: ذَهَابٌ وَوَيْحِيٌّ وَخَوْفٌ وَشَرٌّ هَذَا
بَابُ خُصُومَةٍ. وَالسَّلَامُ

٢٨٢ قَالَ الْقَاضِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الظَّاهِرِ مُلغزًا فِي بَابٍ أَيْضًا:
 أَيُّ شَيْءٍ تَرَاهُ فِي الدُّورِ وَالْكَتُبِ مَجَازًا هَذَا وَذَلِكَ مُحَقَّقٌ
 هُوَ زَوْجٌ وَتَارَةٌ هُوَ فَرْدٌ وَهُوَ فِي أَكْثَرِ الْأَحْيَانِ يُطْرَقُ
 وَطَلِيقٌ فِي نَشَأَتِهِ وَلَكِنَّ بِحَدِيدٍ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ يُوتَقُ
 وَهُوَ فِي الْقَلْبِ يَسْتَوِي وَتَرَاهُ بَانَ تَصْخِيفُهُ لِمَنْ يَرْمَقُ
 فَأَجِنِي عَنْهُ بَقِيَتْ مُطَاعًا لَسْتَ فِي حَلَبَةِ الْقَضَائِلِ تَسْبَقُ

٢٨٣ قَالَ صَاحِبُ دَوَائِنِ الْإِنشَاءِ بِدِمَشْقَ الْحُرُوسَةَ مُلغزًا فِي فَاخْتَهُ:
 وَمَاطَرٌ يَهْوَى الرِّيَاضَ تَنْزَهَا وَيَسْرَحُ فِي أَفْئَانِهَا وَيَنْزِدُ
 وَفِيهِ أَخٌ إِنْ تَهْتَ عَنْهُ فَاخْتَهُ تَدُلُّ عَلَى مَا قَدْ عَنَيْتُ وَتُرْشِدُ
 هَذَا الْفَرْزُورِدُ إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ وَحَلَّهُ زَيْنُ الدِّينِ بْنُ الْعَجْمِيِّ بِقَوْلِهِ:
 أَيَّامَنْ لَهُ مُجْدٌ أَيْلٌ وَسُودٌ عَدَا دُونَ مَرَقَاهُ سِمَاكَ وَفَرَقَدُ
 تُفِيدُ يَسَارَ الْمُقْتَرِينَ يَمِينُهُ وَيُسْرَاهُ مِنْ يَمِينِ الْعِمَامَةِ أَحْوَدُ
 سُؤَالِكَ عَنْ أَنْتَى طُرُوبٍ وَلَمْ تَرَلْ عَلَى عُودِهَا فِي الرُّوضِ تَشْدُو وَتَأْشُدُ
 وَتَجْدُبُنِي بِالطُّوقِ عِنْدَ نَشِيدِهَا لِنَحْوِ التَّصَابِي لَا أُطِيقُ أَفْنَدُ
 وَمُذْبَانَ مِنْهَا الطَّرْفُ أَمْسَتْ بِعَكْسِهَا تَخَافُ الرَّدَى مِمَّنْ لَهَا يَتَرَصَّدُ
 وَإِنْ سُلِبَتْ ثَانِي الْأَخِيرِ فَإِنَّهُ عَلَى الْعَكْسِ خَافِ بِلِ يُلُوحُ وَيَشْهَدُ
 فَأَوْلَاهَا مَعَ مَا يَأْبَهُ وَطَرَفُهَا لَنَا فَاهُ بِالْمَعْنَى الَّذِي فِيهِ يُقْصَدُ
 بَقِيَتْ بَقَاءَ الدَّهْرِ عِزُّكَ بَادِخُ وَفِي مَفْرِقِ الْجُوزَا لَوَاوَكُ يُعْقَدُ
 فَخَذَهُ مَيْنَا مُغْضِيًا عَنْ إِسَاءَتِي فَإِنَّكَ لِلْإِحْسَانِ أَهْلٌ وَمُقْصَدُ

٢٨٤ وَقَالَ مُلْفِرًا فِي دُرَّةٍ :

أَيُّ شَيْءٍ مِنَ الْجَمَادَاتِ يَلْقَى وَرَاهُ مِنْ بَعْدِ ذَا حَيَوَانَا
 وَرَى ذَلِكَ الْجَمَادَ عَزِيزًا غَالِيًا مِنْهُ رَصَعُوا تَيْجَانَا
 وَرَى الرُّوحَ مِنْهُ فِي حَيَوَانِ ذِي جَنَاحٍ وَيَأْلَفُ الطَّيْرَانَا
 وَإِذَا مَا شَدَا عَلَى الْعُودِ يَوْمًا فَوْقَ دُفٍّ يُحْرِكُ الْأَغْصَانَا
 أَوْ بَدَا فِي مَقْصَصٍ فَأَبْنُ بُرْدٍ عِنْدَ أَسْجَاعِهِ يَصِيرُ مَهَانَا
 كُلُّهُ طَائِرٌ وَفِي ثُلَيْثِهِ لَكَ ذُو أَرْبَعٍ مَعَ الْعَكْسِ بَانَا
 كُلُّهُ عَاطِلٌ بِهِ تَحْمَلِي كُلُّ خَوْدٍ وَتَسْتَقِلُّ الْجَمَانَا
 وَرَاهُ عِنْدَ الْمُلُوكِ عَظِيمًا وَبَتْصِيفِهِ حَفِيرًا مَهَانَا
 عَكْسُهُ فِي تَصْحِيفِهِ زِدْ بَتَمَصُّ فَا لَمَعَى هُنَا فَكُنْ يَقْظَانَا
 وَإِذَا لَمْ تَدْرِ التَّصَاحِيفَ ذَرَّهُ لِلَّذِي فِيهِ فَهُوَ يَدْرِي الْبَيَانَا
 وَتَحْرِيفِهِ تَوَدِّبُ مَنْ شِئْتَ إِذَا كَانَ يَجْهَلُ الْعِرْقَانَا
 ثَلَاثُ دُرٍّ نَفِيسٌ وَفِي فِيهِ إِذَا جَاءَ يَضْحَبُ الْمَرْجَانَا
 لَكِنَّ الثَّلَاثُ عِنْدَهُ نِصْفٌ وَحَشْرٌ ذَبَّ عَنَّا تَصْحِيفُهُ مَا أَعْرَانَا
 وَهُوَ فِي الْبَرِّ نَافِرٌ وَإِذَا مَا حَضَرُوهُ قَدْ يَأْلَفُ الْإِنْسَانَا
 فَاقْتَرِسَهُ بِالْحَلِّ إِنْ كُنْتَ لَيْثًا فَهُوَ لَنْزُ عَنْ فَضْلِهِ قَدْ أَبَانَا
 ٢٨٥ قَالَ الْحَمَوِيُّ فِي الْقَقْصِ :

أَيُّ مَعْنَى أَعْوَادُهُ بَيْتٌ شَدُو مُرْقِصٌ مُطْرِبٌ وَبِالْقَابِ صَفَقٌ
 وَلِجَمُوعِهِ النَّبَاتِيُّ حُسْنٌ فَرَّتْ مِنْ بَعْضِهِ لِسَجِّ الْمَطُوقِ

الباب الرابع عشر
في الوصف

٢٨٦ (قَالَ أَعْرَابِيٌ يَصِفُ قَوْمًا) : هُمْ لِيُوثُ عَابَاتٍ . وَعِيُوثُ
جَدَبَاتٍ . مَا فِي عُهُودِهِمْ خَوْزٌ . وَلَا فِي صَفْوِهِمْ كَدْرٌ . وَلَا فِي
خُدُودِهِمْ صَعْرٌ . وَلَا فِي عِيُونِهِمْ خَزْرٌ . وَلَا فِي صُدُورِهِمْ وَغْرٌ . وَلَا فِي
حَدِيثِهِمْ زَوْرٌ . وَلَا فِي قَوْلِهِمْ خَلْفٌ

وصف مصر

٢٨٧ رُوِيَ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ كَتَبَ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْعَاصِ وَهُوَ
أَمِيرُ مِصْرَ : أَنَّ صِيفَ لِي مِصْرَ . فَكَتَبَ إِلَيْهِ : أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ . مِصْرُ
تُرْبَةٌ عِبْرَاءٌ . وَشَجَرَةٌ خَضْرَاءٌ . طُولُهَا شَهْرٌ . وَعَرْضُهَا عَشْرٌ . يَكْنُفُهَا جَبَلٌ
أَغْبَرٌ . وَرَمْلٌ أَعْفَرٌ . يُحِطُّ وَسَطُهَا نَهْرٌ يَمِينُ الْعَدَوَاتِ . مُبَارَكٌ
الرُّوحَاتِ . يَجْرِي بِالزِّيَادَةِ وَالنَّقْصَانِ . كَجُرْيِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ لَهُ أَوَانٌ .
تَظْهَرُ بِهِ عِيُونَ الْأَرْضِ وَيَتَأَيَّمُهَا . حَتَّى إِذَا أَصْلَحَ عِمَاجُهُ . وَتَعَظَّمَتِ
أَمْوَاجُهُ . لَمْ يَكُنْ وَصُولُ بَعْضِ أَهْلِ الْقَرْيِ إِلَى بَعْضِ الْآفِ فِي خِفَافِ
الْقَوَارِبِ . وَصِفَارِ الْمَرَائِبِ . فَإِذَا تَكَامَلَتِ تِلْكَ كَذَلِكَ نَكَصَ عَلَيَّ
عَقْبِهِ كَأَوَّلِ مَا بَدَأَ فِي شِدَّتِهِ وَطَمَاحِي جِدَّتِهِ . فَعِنْدَ ذَلِكَ يَظْهَرُ أَهْلُ مِلَّةِ
تَحْمُورَةِ يُخْرِجُونَ مِنْ كُلِّ مَحَلَّةٍ آدِلَةً . يَخْرُجُونَ بَطُونٍ أَوْدِيَّتِهِ وَرَوَائِيهِ .
يَبْذُرُونَ الْحَبَّ . يَرْجُونَ التَّمَارِينَ مِنَ الرَّبِّ لِعَبِيدِهِمْ مَا سَعَوْا مِنْ كَسْبِهِمْ .

وَيُنَالُ مِنْهُمْ مِنْ غَيْرِ حَدِّهِمْ حَتَّى إِذَا اشْرَقَ وَأَشْرَفَ سَقَاهُ مِنْ فَوْقِهِ
 النَّدَى . وَغَدَاهُ مِنْ تَحْتِهِ الثَّرَى . فَعِنْدَ ذَلِكَ يَدْرُجُ حِلَابُهُ . وَيُعْنِي ذُبَابُهُ .
 فَيُنْمَا هِيَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ دُرَّةً بِيضَاءً . إِذَا هِيَ غَبْرَةٌ سَوْدَاءً . فَإِذَا هِيَ
 زَرْجَدَةٌ خَضْرَاءً . فَمَعَالَى اللَّهِ أَلْعَالُ لِمَا يَشَاءُ . فَلَمَّا وَقَفَ عُمَرُ عَلَى كَلَامِهِ
 قَالَ : لِلَّهِ دَرَكٌ يَا ابْنَ الْعَاصِ لَقَدْ وَصَفْتَ لِي وَمَرَحْتُ لِي كَأَنِّي شَاهِدْتُهَا

وصف دابة

٢٨٨ قِيلَ اشْتَرَى رَجُلٌ دَابَّةً مِنْ دَمِيرَةَ . فَوَجَدَ بِهَا عُيُوبًا كَثِيرَةً .
 فَحَضَرَ إِلَى الْقَاضِي يَشْتَكِي حَالَهُ . وَمَا أَصَابَهُ مِنَ النِّعَمِ وَنَالَهُ . فَقَالَ لَهُ
 الْقَاضِي : مَا قِصَّتُكَ وَشَكْوَاكَ . وَمَا الَّذِي مِنَ الْهَمِّ وَالنِّعَمِ دَهَاكَ .
 فَقَالَ : أَيُّهَا الْقَاضِي . إِنِّي بِحُكْمِكَ رَاضِي . إِنَّمَتُّ مِنْ هَذَا الْفَرِيمِ .
 دَابَّةٌ اشْتَرَطَ لِي فِيهَا الصِّحَّةُ وَالسَّلَامَةُ . فَوَجَدْتُ بِهَا عُيُوبًا آعَقَبْتَنِي
 نَدَامَةً . وَقَدْ سَأَلْتُهُ رَدَّهَا فَأَبَى . وَقَالَ عِنْدَ رُؤْيَيْهِ إِيَّايَ : لَا أَهْلًا لِكَ
 وَلَا مَرَحَبًا . فَقَالَ الْقَاضِي : ابْنَ مَا بِهَا مِنَ الْعُيُوبِ . وَإِلَّا جَعَلْتِكَ عَلَى
 هَذِهِ الْحَشْبَةِ مَصْلُوبٌ . فَقَالَ : كُلُّهَا عُيُوبٌ وَذُنُوبٌ . وَهِيَ أَيُّهَا الْقَاضِي
 أَحْسُ مَرْكُوبٌ . وَأَخْسُ مَضْحُوبٌ . إِنْ رَكِبْتُهَا رَقِصْتُ . وَإِنْ نَحَسْتُهَا
 تَمَسْتُ . وَإِنْ هَمَزْتُهَا قَمِصْتُ . وَإِنْ لَكَزْتُهَا رَقِصْتُ . وَإِنْ سُقْتُهَا
 رَقِدْتُ . وَإِنْ تَرَأْتُ عَنْهَا شَرِدْتُ . تَتَطَّعُ فِي يَدَيْهَا . وَتَصُكُّ
 بِرِجْلَيْهَا . حَدْبَاءُ جَرَبَاءُ كَبَاءُ . لَا تَقُومُ حَتَّى تَحْمَلَ عَلَى الْحَشْبِ .
 وَلَا تَنَامُ حَتَّى تُكْبِلَ بِالسَّلْبِ . إِنْ قَرُبْتُ مِنَ الْجِزَارِ كَسَرْتُهَا .

وَإِنْ دَنَّتْ مِنَ الصِّغَارِ رَفَسَتْهُمْ . وَإِنْ دَارَ حَوْلَهَا أَهْلُ الدَّارِ
كَدَمْتَهُمْ . تَكْشُ عَلَى أَسْنَانِهَا . وَتَقْرِضُ فِي عِنَانِهَا . وَتَشِي فِي سَنَةِ
أَقْلٍ مِنْ يَوْمٍ . الْوَيْلُ لِرَاكِبِهَا إِنْ وَثَبَ عَلَيْهِ الْقَوْمُ . وَإِنْ رُمَتْ
تَقْدِيمَهَا تَأَخَّرَتْ . وَإِنْ لَكَزَتْهَا شَخَرَتْ وَتَخَرَّتْ . مَنْ اسْتَصْرَبَهَا
خَذَاتُهُ . وَمَنْ سَاقَهَا رَمَتْهُ . فَتَلَّتُهُ . وَمَتَى حَمَلَتْهَا فَلَا تَنْهَضُ . وَتَقْرِضُ
فِي حَبْلِهَا . وَتُجْفَلُ مِنْ ظِلِّهَا . وَلَا تَعْرِفُ مَنْزِلَ أَهْلِهَا . كِدَامَةٌ . هَجَامَةٌ .
نَوَامَةٌ . كَانَهَا هَامَةٌ . وَهِيَ فِي الدَّوَابِّ شَامَةٌ . حَرُونَةٌ . مَلْعُونَةٌ . مَجْنُونَةٌ .
تَقْلَعُ الْوَتِدَ وَتَقْرِضُ الْجَسَدَ . وَتُقْتَبُ الْكَيْدَ . وَلَا تَزْكُنُ إِلَى أَحَدٍ .
لُشْمٌ وَتَعْدُرُ وَتَعْتُرُ . وَاقْفَةُ الصَّدْرِ . مَحْلُولَةُ الظَّهِرِ . بَدَاءَةٌ الْأَذُنَيْنِ .
عَمَشَاءُ الْعَيْنَيْنِ . طَوِيلَةٌ الْأَصْبَعَيْنِ . قَصِيرَةٌ الرَّجْلَيْنِ صَيْقَةُ الْأَنْفَاسِ .
مَقْلَعَةُ الْأَضْرَاسِ . صَغِيرَةُ الرَّاسِ . كَثِيرَةُ النَّعَاسِ . مَشِيهَا قَلِيلٌ . وَجَسْمُهَا
نَحِيلٌ . وَرَاكِبُهَا عَلِيلٌ . وَهُوَ بَيْنَ الْأَعْرَاءِ ذَلِيلٌ . تُجْفَلُ مِنَ الْهَوَا . وَتَثُرُ
بِالنَّوَى . وَتُجْبَلُ بِشَعْرَةٍ . نَهَاقَةٌ شَهَاقَةٌ غَيْرُ مَطْرَاقَةٍ . وَتُحْشَرُ صَاحِبَهَا
فِي كُلِّ ضَيْقٍ . وَتُهْوَسُ عَلَيْهِ فِي الْمَكَانِ الْمَضِيقِ . وَتَقْطَعُ بِهِ فِي
الطَّرِيقِ عَنِ الصَّدِيقِ . وَتَعَضُ رُكْبَةَ الرَّفِيقِ . وَهِيَ عَدِيمَةُ التَّوْفِيقِ .
عَلَى التَّحْقِيقِ . فَإِنْ رَدَّهَا فَأَكْرَمَ جَانِبَهُ . وَإِنْ لَمْ يَرُدَّهَا فَأَضْعَغَ عَارِبَهُ . وَفَكَ
مَضَارِبَهُ . وَلَا تَحْوِجُنِي أَنْ أَضَارِبَهُ . وَالسَّلَامُ (الكنز المدفون للسيوطي)

وصف ابليس لنفسه

٢٨٩ قَالَ شَيْخُ الْعَفَّارِ الطَّعَاةِ الْمَصَالِيَتِ: إِنِّي مِنْ قَدِيمِ الزَّمَانِ.

وَبَعِيدِ الْحِدْتَانِ . أَضَلَّتْ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ . بِالْمَكْرِ وَالْخِدَاعِ وَالْوَسْوَاسِ .
 وَكَانَ مِنْ جِنْسِ بَنِي آدَمَ كَذَا وَكَذَا أَلْفَ عَالَمٍ خُدَّامِي وَمَعِي .
 وَجُنْدِي وَتَبِعِي . مِنْهُمْ زُرُوسُ الزُّهَادِ . وَعُلَمَاءُ الْعِبَادِ . وَعَلَى مَحَبَّتِي
 مَضَوْا . وَبَاتِبَاعِ أَمْرِي قَضَوْا . فَأَنَا فِتْنَةُ الْعَالَمِ . وَأَعْدَى أَعْدَاءِ بَنِي
 آدَمَ . الشَّيْطَانُ الرَّجِيمُ . وَإِبْلِيسُ الذَّمِيمُ . اسْمُ ذَاتِي . وَوَصَفُ
 صِفَاتِي . أَنَا رَأْسُ الْعَقَارِيَةِ الْمُتَمَرِّدِينَ . وَمَحَلُّ غَضَبِ رَبِّ الْعَالَمِينَ .
 خُلِقْتُ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ . وَطُبِعْتُ عَلَى إلقاءِ الْبُورِ وَالذَّمَارِ . رُجُومُ
 النَّجُومِ إِنَّمَا أُعِدَّتْ لِأَجْلِي . وَعُتَاةُ الْفُؤَادِ لَا تَصِلُ رُؤُوسَهَا إِلَى مَوَاطِئِ
 رِجْلِي . الشَّيَاطِينُ تَسْتَمِدُّ مِنْ زَوَاخِرِ مَكْرِي . وَالزَّنْدِيقُ يَتَّبِسُ مِنْ
 ضَمَائِرِ فِكْرِي . لَمْ تَمْ تَرُقْضِيَّةً مِنَ الزَّمَانِ الْعَاوِرِ إِلَّا وُلِي شِرْكَةً فِيهَا .
 وَلَا حَدَّثَتْ مِحْنَةً لِنَبِيِّ وَلَا وُلِيَّ إِلَّا وَأَنَا مُتَعَاطِيهَا . جَدِي إِبْلِيسُ .
 نَهَضَ لَجْدِي التَّمِيسُ . وَإِلَى نُحُورِ آدَمَ هَوَى . فَعَصَى رَبَّهُ فَعَوَى . وَأَنَا
 قَضَيْتُ بِالتَّسْوِيلِ . حَتَّى قَتَلَ قَايِنُ هَابِيلَ . أَنَا سَوَّلْتُ لِأَوْلَادِ يَمْقُوبَ .
 وَحَاوَلْتُ فِي قَضِيَّةِ أَيُّوبَ . وَأَنَا كُنْتُ الْعُونََ . لِهَامَانَ وَفِرْعَوْنَ .
 وَجَرَأْتُ عَلَى قَتْلِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْأَوْلِيَاءِ . وَتَوَصَّاتُ بَيْتَرِينَ الْوَسْوَاسِ .
 لِقَائِلِي الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالقِسْطِ مِنَ النَّاسِ . وَدَعَوْتُ إِلَى عِبَادَةِ الْعِجْلِ
 قَوْمَ مُوسَى . وَسَاعَدْتُ فِي التَّفْرِيقِ وَالْإِضْلَالِ بَيْنَ أُمَّةِ عِيسَى .
 وَكَمْ أَعْوَيْتُ مِنْ بُلْدَانٍ . بِمَا زَخَرَفْتُ مِنْ أَوَانٍ . وَقَدْ بَالَعْنِي عَنْ جَمْعٍ مِنْ
 مُسْتَرِقِي السَّمْعِ وَطَنَ عَلَى أُذُنِي وَوَعَاهُ خَاطِرِي . وَوَقَرَ فِي ذَهْنِي .

وَأَنَا أَشَارِفُ الثُّجُومِ . وَأَسَارِقُ الثُّجُومِ . وَأَسَاقِ الرُّجُومِ . فِي تَكْثُرِ
 الدُّعَى . بَيْنَ الْجَمَاعَاتِ وَالْجَمْعِ . وَيَظْهَرُ مِنَ الْفَتَنِ . مَا بَطَنَ . وَيَغْلِبُ مِنْ
 التَّنَارِ . وَأَهْلُ الْبُورِ وَالْحَسَارِ . أَنْوَاعُ الشُّرُورِ وَالْجِدَالِ . إِلَى حِينِ
 يَظْهَرُ الدَّجَالُ . وَتَسْتَمِرُّ إِلَيَّ هَذِهِ الْأُمُورُ . إِلَى يَوْمِ الْبُعْثِ وَالنُّشُورِ .
 وَبِالْجُمْلَةِ وَالْتَفْصِيلِ . أَنَا شَيْخُ التَّكْفِيرِ وَالتَّضَلِيلِ . وَتِلْكَ صَنَعْتِي مِنْ
 الْإِبْتِدَاءِ . وَحِرْفَتِي إِلَى الْإِنْتِهَاءِ . أَسْهَمُ مَرَامِي الْمَشُورَةِ نَافِذَةٌ فِي
 الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ . وَسُيُوفُ مَنَاشِرِي الْمُسْتَوْمَةِ قَاطِعَةٌ فِي الْأَعَاجِمِ .
 وَالْأَعَارِبِ . كَمْ لِي فِي الْأَطْرَافِ وَالْأَفَاقِ وَالْأَكْتِافِ مِنْ قَاضٍ
 وَتَائِبٍ . وَمَانِعٍ مِنَ الْخَيْرِ وَحَاجِبٍ . وَكَمْ لِي مِنْ جَائِيٍ . مَنْوُطٍ
 يَتَرَقِّقُ قُلُوبَهُمْ وَجَمَعَ سُوَيْدَانَهَا إِلَى بَابِي . وَكَمْ لِي فِي الزَّوْيَا . مِنْ
 خَبَايَا . وَفِي أَصْحَابِ الرِّوَايَاتِ . مِنْ دِرَايَاتٍ . وَفِيهِ فِي النَّادِي . فَاقَ
 الْحَاضِرَ وَالْبَادِي . يُعَلِّمُ لِي فِي الشَّيْطَنَةِ أَوْلَادِي . وَفِي الْبَيْسَةِ
 حَقْدَتِي وَأَجْنَادِي . وَبِالْجُمْلَةِ غَابَ الطَّوَائِفِ . وَأَرْبَابُ الْوُظَائِفِ .
 عَلَى بَابِ خِدْمَتِي وَاقِفٌ . وَعَلَى طَاعَةِ مَرَّاسِمِي لَيْلًا وَنَهَادًا عَاكِفٌ .
 مُتَائِي مُنَاهِمٌ . وَرِضَايَ رِضَاهُمُ . وَإِنْ خَالَفَ بَعْضَ سِرِّي تَجَوَّاهُمُ .
 إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ (ابن عربشاه)
 ٢٩٠ وَصَفَ بَعْضُ الْبُلَغَاءِ رَجُلًا فَقَالَ : إِنَّهُ بَسِيطُ الْكُفِّ . رَجَبُ
 الصَّدْرِ . مُوْطَأُ الْأَكْتِافِ . سَهْلُ الْخُلُقِ . كَرِيمُ الطَّبَاعِ . غَيْثُ
 مَعُوثٍ . وَبَحْرُ زُخُورٍ . وَضُحُوكُ السِّنِّ . بِشِيرِ الْوَجْهِ . بَادِي الْقَبُولِ .

غَيْرُ عُبُوسٍ . يَسْتَمْلِكُ بِطَلَاقَةٍ . وَيُحْيِيكَ بِبِشْرِ . وَيَسْتَدْبِرُكَ بِكَرَمٍ
 غَيْثٍ وَجَمِيلِ بَشِيرٍ . يَهْجُوكَ طَلَاقَتَهُ . وَيَرْضِيكَ بِشْرَهُ . صَحَّاحُ عَلَى
 مَا نَدَيْتَهُ . عَبْدُ اضْيِفَانِهِ . غَيْرُ مَلَا حِظٍ لِأَكِيلِهِ . بَطِينٌ مِنَ الْعَقْلِ .
 حَمِيصٌ مِنَ الْجَهْلِ . رَاجِحُ الْجَلْمِ . نَاقِبُ الرَّأْيِ . طَيِّبُ الْخُلُقِ .
 مُحْصَنُ الضَّرْبِيَةِ . مُعْطٍ غَيْرُ سَأَلٍ . كَاسٍ مِنْ كُلِّ مَكْرُمَةٍ . عَارٍ مِنْ
 كُلِّ مَلَأْمَةٍ . إِنْ سئِلَ بَدَلٌ . وَإِنْ قَالَ فَعَلَ (للقيرواني)

٢٩١ قَالَ مُجِيرُ الدِّينِ بْنِ تَمِيمٍ فِي وَصْفِ نَاعُورَةٍ :

وَنَاعُورَةٌ قَدْ أَلَيْتَ لِحْيَتَهَا مِنْ الشَّمْسِ تَوْبًا فَوْقَ أَوَّلِيهَا الْخَضِرِ
 كَطَاوُوسٍ بَسْتَانٍ تَدُورُ وَتَجَلِي وَتَنْفُضُ عَنْ أَرْيَاسِهَا بَلَلُ الْقَطْرِ
 ٢٩٢ قَالَ نُورُ الدِّينِ بْنِ سَعْدِ الأَنْدَلِسِيِّ فِي دَوْلَابِ النَّاعُورَةِ :

لِلَّهِ دَوْلَابٌ يَفِيضُ بِسَلْسَلٍ فِي رَوْضَةٍ قَدْ أَيْتَ أَفْنَاَنَا
 قَدْ طَارَحَتْهَا الْحَمَامُ بِجَوْهَا فَيُحْيِيهَا وَيَرْجِعُ الأَلْحَانَا
 فَكَأَنَّهُ دَفٌّ يَدُورُ بِعَمَدٍ يَبْكِي وَيَسْأَلُ فِيهِ عَمَّنْ بَانَ
 صَافَتْ تَجَلِّي جَفْنِهِ عَنْ دَمْعِهِ فَتَفْتَحُ أَضَاعَهُ أَجْفَانَا

٢٩٣ قَالَ ابْنُ النَّبِيِّ :

وَرَوْضَةٌ وَجَنَاتٌ أَلُورِدٌ قَدْ حَجَلَتْ فِيهَا ضَحَى وَعَيْونُ التَّرْجِسِ انْفَتَحَتْ
 تَشَاجِرُ الطَّيْرِ فِي أَفْنَاَنِهَا سَحْرًا وَمَا لَتِ الْقُضْبُ لِلتَّعْنِيقِ وَأَصْطَلَحَتْ
 وَالْقَطْرُ قَدَرَشُ تَوْبِ الدَّوْحِ حِينَ رَأَى حَمَامِرَ الزَّهْرِ فِي أَدْيَالِهِ نَفَتْ

٢٩٤ قَالَ عَلِيُّ بْنُ رُسْتَمِ المَعْرُوفِ بِابْنِ السَّاعَاتِيِّ :

وَالطَّلُ فِي سِلَكِ الْفُصُونِ كُلُّوهُ رَطْبٌ يُصَافِحُهُ النَّسِيمُ فَيَسْقُطُ
وَالطَّيْرُ تَقْرَأُ وَالغَدِيرُ صَحِيفَةٌ وَالرَّيْحُ تَكْتُبُ وَالنِّعَامُ يَنْقُطُ
٢٩٥ قَالَ ابْنُ عَبْدِ الظَّاهِرِ يَصِفُ رَوْضًا:

رَوْضٌ بِهِ أَشْيَاءٌ لَيْسَتْ فِي سِوَاهُ تُؤَلَّفُ
فَمَنْ الْهَزَارِ تَهَازَرُ وَمِنَ الْأَضْيَابِ تَتَّصِفُ
وَمِنَ النَّسِيمِ تَلَطَّفُ وَمِنَ الْغَدِيرِ تَعَطَّفُ

زهرة صفي الدين الحلبي

٢٩٦

وَرَدَ الرَّبِيعُ قَرَحَبًا يُوْرُوْدِهِ وَنُورٌ بَهْجَتِهِ وَتَوْرٌ وُورُوْدِهِ
وَبِحُسْنِ مَنْظَرِهِ وَطِيبِ نَسِيمِهِ وَأَنْبِقٌ مَابِسِهِ وَوَشْيٌ وُورُوْدِهِ
فَقَلُّ إِذَا أَفْتَحَرَ الزَّمَانُ فَإِنَّهُ يُغْنِي الْمَزَاجَ عَنِ الْعِلَاجِ نَسِيمُهُ
يَأْحَبُّ إِذَا أَزْهَرَهُ وَثَمَارُهُ وَتَجَاوُبُ الْأَطْيَارِ فِي أَشْجَارِهِ
وَالْفُصْنُ قَدْ كَسَى الْغَلَائِلَ بَعْدَ مَا نَالَ الصَّبَابَ بَعْدَ الْمَشِيبِ وَقَدِ جَرَى
وَالْوَرْدُ فِي أَعْلَى الْفُصُونِ كَأَنَّهُ وَالْوَرْدُ فِي أَعْلَى الْفُصُونِ كَأَنَّهُ
وَأَنْظَرُ لِرَجْسِهِ الْجَنِيِّ كَأَنَّهُ وَانْجَبَ لِأَذْرِيُونِهِ وَبَهَارِهِ
وَأَنْظَرُ إِلَى الْمَنْظُومِ مِنْ مَشْوَرِهِ مُتَوَعًّا بِفُصُولِهِ وَتَهْوُوْدِهِ

أَوْ مَا تَرَى النِّعَمَ الرِّقِيقَ وَمَا بَدَا
وَالسُّحْبُ تَعْقُدُ فِي السَّمَاءِ مَا تَمَّا
وَالنِّعَمُ يَحْكِي الْمَاءَ فِي جَرِيَانِهِ
فَأَبْكُرُ إِلَى رَوْضِ الصَّرَاةِ وَظِلِّهَا
٢٩٧ قَالَ أَبُو الْحَسَنِ بْنُ زُرَّارٍ فِي مَدِينَةِ وَاوَدِي آش :

وَاوَدِي الْأَشَاتِ يَهِيجُ وَجْدِي كُلَّمَا
لِللَّهِ ظِلُّكَ وَالنَّهْجُ مُسَلِّطٌ
وَالشَّمْسُ تُرَغِبُ أَنْ تَفُوزَ بِالْحِطَّةِ
وَالنَّهْرُ يَبْسِمُ بِالْحَبَابِ كَأَنَّهُ
فَلِذَلِكَ تُحَذِّرُهُ الْعُصُونُ قِيْلَهَا
٢٩٨ قَالَ مَجِيْرُ الدِّينِ بْنِ تَمِيمٍ :

مَذْقِيلٌ لِلْأَغْصَانِ إِنَّ الْوَرْدَ قَدْ
بَسَمَتْ تُغَوِّرُ الْأَفْحَوَانَ مَسْرَةً
٢٩٩ قَالَ الصَّائِي فِي تَمَعَةٍ

وَلَيْلَةٌ مِنْ مَحَاقِ الشَّهْرِ مُدْجَنَةٌ
كَلَّمْتُ نَفْسِي بِهَا الْأَدْلَاجَ مُتَطَيًّا
إِلَى حَيْبٍ لَهُ فِي النَّفْسِ مَنْزَلَةٌ
وَلَا دَلِيلَ سِوَى هَيْفَاءِ مُخْطَفَةٍ
غَضَنُ مِنَ الذَّهَبِ الْإِبْرِيذِ أَمْرٌ فِي
لَا تُنْجِمُ يَهْدِي الشَّرَى فِيهَا وَلَا الْقَمَرُ
عَزَمَ هُوَ الصَّارِمُ الْعَصْمَامَةَ الذِّكْرُ
مَا حَاطَهَا قَبْلَهُ سَمِعَ وَلَا بَصَرَ
تَهْدِي الرِّكَابَ وَجَنَحَ اللَّيْلِ مُعْتَكِرُ
أَعْلَاهُ يَأْقُوْتُهُ صَفْرًا تَسْتَعِرُ

تَأْتِيكَ لَيْلًا كَمَا يَأْتِي الْمُرِيبُ فَإِنْ لَاحَ الصَّبَاحُ طَوَّهَتْهَا دُونَهَا الْجُدْرُ
 ٣٠٠ قَالَ أَبُو الْعَلَاءِ الْمَعْرِي فِي السَّمْعَةِ أَيْضًا :

وَصَفْرَاءُ لَوْنِ التَّبْرِ مِثْلِي جَلِيدَةٍ عَلَى نُوبِ الْأَيَّامِ وَالْعَيْشَةِ الضَّنْكِ
 تُرِيكَ أَنْتَسَامًا دَائِمًا وَتَجَلَّدًا وَصَبْرًا عَلَى مَا نَابَهَا وَهِيَ فِي الْمُلْكَ
 وَلَوْ نَطَقَتْ يَوْمًا لَقَالَتْ أَظُنُّكُمْ تَحَالُونَ أَيَّ مِنْ حِذَارِ الرَّدَى أَبِي
 فَلَا تَحْسَبُوا دَمْعِي لَوْجِدٍ وَجِدْتُهُ فَقَدْ تَدَمَعُ الْأَحْدَاقُ مِنْ كَثْرَةِ الضَّنْكِ

٣٠١ كَتَبَ الصَّابِيُّ فِي وَصْفِ الْبَيْعَاءِ إِلَى ابْنِ نَصْرِ الْمَعْرُوفِ بِالْبَيْعَاءِ :

أَلْفَتَهَا صِيحَةً مَلِيحَةً نَاطِقَةً بِاللُّغَةِ الْقَصِيحَةِ
 عُدَّتْ مِنَ الْأَطْيَارِ وَاللِّسَانِ يُوهَمُنِي بِأَنَّهَا إِنْسَانُ
 تُنْهِي إِلَى صَاحِبِهَا الْأَخْبَارَا وَتَكْشِفُ الْأَسْرَارَ وَالْأَسْتَارَا
 بِكَمَا إِلَّا أَنَّهَا سَمِيعَةٌ تُعِيدُ مَا تَسْمَعُهُ طَبِيعَةٌ
 زَارَتْكَ مِنْ بِلَادِهَا الْبَعِيدَةِ وَأَسْتَوَطَنْتْ عِنْدَكَ كَالْقَعِيدَةِ
 صَيْفٌ قَرَاهُ الْجُوزُ وَالْأَرْدُ وَالضَّيْفُ فِي إِيْتَابِهِ يُعَزُّ
 رَأَهُ فِي مِتْقَارِهَا الْخَلُوقِي كَلُّوهُ يُلْقَطُ بِالْعَقِيْقِ
 تَمِيسُ فِي حَلَّتِهَا الْخَضْرَاءُ مِثْلَ الْقَتَاةِ الْعَادَةِ الْعَذْرَاءُ
 خَرِيدَةٌ خُدُورُهَا الْأَقْفَاصُ لَيْسَ لَهَا مِنْ حَبْسِهَا خَلَاصُ
 مَحْبِسُهَا وَمَا لَهَا مِنْ ذَنْبٍ وَإِنَّمَا ذَلِكَ لِقَرْطِ الْحَبِّ
 تِلْكَ الَّتِي قَلْبِي بِهَا مَشْغُوفٌ كَتَيْتُ عَنْهَا وَأَسْمَهَا مَعْرُوفُ
 يُشْرِكُ فِيهَا شَاعِرُ الزَّمَانِ الْكَاتِبُ الْمَعْرُوفُ بِالْيَانِ

ذَلِكَ عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنِ نَصْرِ تَقِيهِ نَفْسِي حَادِثَاتِ الدَّهْرِ
 ٣٠٢ قَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ يَصِفُ بَعْدَادَ بَعْدَ أَنْ حَاصَرَهَا طَاهِرُ بْنُ
 الْحُسَيْنِ وَخَرَّبَ بِنَاءَهَا :

بَكَتْ دَمًا عَلَى بَعْدَادَ لَمَّا قَعَدَتْ نَضَارَةَ الْعَيْشِ الْأَنِيقِ
 تَبَدَّلْنَا هُمُومًا مِنْ سُرُورٍ وَمِنْ سَعَةٍ تَبَدَّلْنَا بِضِيقِ
 أَصَابَتْنَا مِنَ الْحَسَادِ عَيْنٌ فَاقَتْ أَهْلَهَا بِالْمُخْنِقِ
 وَقَوْمٌ أَحْرَقُوا بِالنَّارِ قَسْرًا وَنَائِحَةً تُنُوحُ عَلَى غَرِيقِ
 وَصَائِحَةً تُنَادِي وَاصْبَاحًا وَبَاكِئَةً لِقَعْدَانِ الشَّقِيقِ
 تَقْرُ مِنْ الْحَرِيقِ إِلَى النَّهَابِ وَوَالِدَهَا يَفِرُّ إِلَى الْحَرِيقِ
 حَيَارَى هَكَذَا وَمُفَكِّرَاتٌ عَلَيْهِنَّ الْقَلَانِدُ فِي الْخُلُوقِ
 يُنَادِينَ الشَّقِيقَ وَلَا شَفِيقٌ وَقَدْ فُقدَ الشَّقِيقُ مِنَ الشَّقِيقِ
 وَمُغْتَرِبٍ قَرِيبِ الدَّارِ مُلْتَقًى بِلَا رَأْسٍ بِقَارِعَةِ الطَّرِيقِ
 تَوَسَّطَ مِنْ قِتَالِهِمْ جَمِيعًا فَمَا يَذْرُونَ مِنْ أَيِّ الْقَرِيقِ
 فَمَا وُلْدٌ يُقِيمُ عَلَى أَبِيهِ وَقَدْ فَرَّ الصَّدِيقُ مِنَ الصَّدِيقِ
 وَمَهْمَا أَنَسَ مِنْ شَيْءٍ تَوَلَّى فَإِنِّي ذَاكَرٌ دَارَ الرَّفِيقِ
 وَصَفَ صَبِيَّ الدِّينِ الْحَلِيِّ حَدِيثَةً قَالَ :

وَأَطْلَقَ الطَّيْرُ فِيهَا سَمْعَ مَنْطِقِهِ مَا بَيْنَ مُخْتَلِفٍ فِيهَا وَمُنْفِقِ
 وَالظِّلُّ يَسْرِقُ بَيْنَ الدُّوْحِ خَطْوَتَهُ وَلِلْمِيَاهِ دَيْبٌ غَيْرُ مُسْتَرْقِ
 وَقَدْ بَدَأَ الْوَرْدُ مُفْتَرًّا مَبِائِمَهُ وَالرَّجْسُ الْغَضُّ فِيهَا شَاخِصٌ لِلْحَدِيقِ

مِنْ أَحْمَرٍ سَاطِعٍ أَوْ أَخْضَرَ نَضِيرٍ أَوْ أَضْفَرَ قَاقِعٍ أَوْ أَيْضَ يَقِقٍ
 وَالسُّحْبُ تَبْكِي وَتَفْرُ الْبَرْقُ مَبْتَسِمٌ وَالطَّيْرُ تَسْبَعُ مِنْ تَيْهِ وَمِنْ أَنْقِ
 فَالطَّيْرُ فِي طَرْبٍ وَالسُّحْبُ فِي حَرْبٍ وَالْمَاءُ فِي هَرْبٍ وَالْعُضْنُ فِي قَلْقِ
 ٣٠٣ قَالَ الْقَاضِي التَّنُوخِيُّ يَصِفُ دِجْلَةَ فِي الظَّلَامِ وَالْقَمَرُ يَلْمَعُ عَلَيْهَا:
 أَحْسَنُ بِدِجْلَةَ وَالذُّجَى مُتَصَوِّبٌ وَالْبَدْرُ فِي أَفْقِ السَّمَاءِ مَغْرِبٌ
 فَكَانَهَا فِيهِ بِسَاطٍ أَرْزَقُ وَكَأَنَّهُ فِيهَا طِرَازُ مُذْهَبٌ
 ٣٠٤ وَقَالَ أَيْضًا:

كَمْ لَيْلَةٍ سَامَرْتُ فِيهَا بِدْرَهَا مِنْ فَوْقِ دِجْلَةَ قَبْلَ أَنْ تَيْغِيَا
 وَالْبَدْرُ يَجْنَحُ لِلْأَفْوَلِ كَلَّانَهُ قَدْ سَلَ فَوْقَ الْمَاءِ سَيْفًا مُذْهَبًا
 ٣٠٥ قَالَ ابْنُ الْجَزْرِيِّ فِي حَمَامَةٍ:

وَمَا نَارِحَاتُ سَاجِعَاتٍ بِسُجُوهَا تَرْمَحُ أَعْصَانُ النَّقَا وَتَرْمَحُ
 تَنُوحُ بِلَا إِلْفٍ وَقَمَلِي غَرَامَا عَلَى وَرَقِ الْأَشْجَارِ وَالطَّلُّ بِرَقْمِ
 وَتَغْرِبُ فِي الْحَانِيَا وَفُنُونَهَا فَتَغْرِبُ عَنْ أَشْجَانِيَا وَهِيَ تَجْمِ
 وَتَنْظُرُ فَرَحِيهَا قَدْ أَخْطَقْتَهُمَا كَوَاسِرُ أَطْيَارِ عَلَى الْأَفْقِ حَوْمِ
 تَرَامَتْ بِهَا أَيْدِي النَّوَى عَنْ وَكُونَهَا فَلَا عَيْشَهَا يَصْفُو وَلَا يَتَصَرَّمُ
 بِأَكْثَرِ مَنِي لَوْعَةٍ وَصَبَابَةٍ سِوَى أَنَهَا تُبْدِي الْغَرَامَ وَأَكْتَمِ
 ٣٠٦ مِنَ الْعَجِيبِ قَوْلُ بَدْرِ الدِّينِ يُوسُفَ بْنِ لَوْلُوءَ مِنْ قَصِيدَةٍ:

بَاكِرٌ إِلَى الرُّوْضَةِ لَسْتَجْلِيهَا فَتَفْرُهَا فِي الصُّبْحِ بِسَامِ
 وَاللَّتْرَجِسُ الْعُضُّ اعْتَرَاهُ الْحَيَا فَعَضَّ طَرَقًا فِيهِ أَسْقَامُ

وَبَلْبُلِ الدَّوْحِ فَصِيحٌ عَلَى الْأَيْكَةِ وَالشُّرُورُ تَمَامٌ
وَتَسْمَةُ الرِّيحِ وَفِي ضِعْفِهَا لَهَا بِنَا مَرٌ وَالْمَامُ

٣٠٧ قَالَ الشَّيْخُ أَبُو سَهْلٍ فِي وَصْفِ فَرَسٍ :

أَطْرَفُ قَاتِ طَرْفِي أَمْ شِهَابُ هَفَا كَأَلْبَرِقِ ضَرَمَهُ التَّهَابُ
أَعَارَ الصُّبْحِ صَفْحَتَهُ نِقَابًا فَقَرَّبَهُ وَصَحَّ لَنَا النِّقَابُ
إِذَا مَا أَنْقَضَ كُلَّ النَّجْمِ عَنْهُ وَصَلَّتْ عَنْ مَسَالِكِهِ السَّحَابُ
سَلِ الْأَرْوَاحَ عَنْ أَدْنَى مَدَاهُ فَعِنْدَ الرِّيحِ قَدْ يَلْقَى الْجَوَابُ

٣٠٨ قصيدة الشيخ عبد الغني النابلسي في وصف الشام

إِنْ سَامَكَ الْحَطْبُ الْمُهُولُ فَأَقْلَقَا فَأَنْزِلْ بِأَرْضِ الشَّامِ وَأَسْكُنْ جِلْفًا
تَجِدُ الْمَرَامَ بِهَا وَكُلَّ مُتَاكٍ بِلَ وَتَرَى بِهَا عِزًّا وَتَفْضُحُ مَنْطِقًا
بَلَدٌ سَمَتْ بَيْنَ الْبِلَادِ مَحَاسِنًا وَنَمَتْ بِهَا وَأَسْتَرَادَتْ رَوْنِقًا
زَادَ السُّرُورُ بِهَا لِكُلِّ مُعْرِجٍ لَاسِيًا إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ التُّقَى
إِنْ تَعَشَّقُوا وَطَنًا قَدِي أَوْلَى لَكُمْ دُونَ الْبِلَادِ بِأَنْ تَحِبَّ وَتُعَشَّقَا
خَيْرُ الْأَنْاسِ أَنْاسُهَا يَرْعُونَ أَنْوَاعَ الْوَدَادِ وَيَحْفَظُونَ الْمَوْثِقَا
هِيَ جَنَّةٌ لِلطَّائِعِينَ مُعَدَّةٌ يَتَمَتَّعُونَ وَلَا يَرُونَ بِهَا شَمًا
طَابَتْ هَوَاءٌ لِلنَّفُوسِ وَمَاوَاهَا عَذْبُ زَلَالٍ سَائِعٍ لِمَنْ أَسْتَقَى
جَلَّتْ مَحَاسِنُهَا عَنِ التَّعْدَادِ فَلَنَاتِ بِمَا يُخْتَارُ مِنْهُ وَيُنْتَقَى
يَا حُسْنَ وَادِيهَا وَطِيبَ سِمِيمِهِ قَدْ فَاحَ عَرْفُ الزَّهْرِ فِيهِ وَعَبَّاقَا
وَتَرَأَسَتْ أَطْيَارُهُ بَيْنَ الرَّبِيِّ سَحْرًا فَهَيَّجَتْ الْفَوَادِ الشِّيقَا

كَيْفَ انْحَجَّتْ يَجْرُ نَحْوَكِ مَاؤُهُ وَإِلَيْكَ يَرْكُ كُلُّ غُصْنٍ أَوْرَقًا
 يَا حَبْدًا إِشْرَاقُ مَرْجَبِهَا الَّتِي أَضْحَى غَنِيَّ أَلْهَمَ فِيهَا مُمْلَقًا
 وَتَلَاعَبَتْ فُرْسَانُهَا وَتَرَكَضَتْ مَا بَيْنَهَا تَعَلُّوْا الْحِيَادَ السُّبْقَا
 صَحَّكَتْ أَزَاهِرُهَا عَلَى أَغْصَانِهَا فَأَتَى النَّسِيمُ يُمِيلُهُنَّ وَصَفَقَا
 قَدْ دَنَدَنْتْ أَنْهَارُهَا فِي جَرِيهَا لَمَّا شَدَا ذَاكَ الْحَمَامُ وَشَقَشَقَا
 وَالصَّالِحِيَّةُ يَا لَهَا مِنْ مَنَزِلِ فِيهَا قُبُورُ الصَّالِحِينَ أُولِي التُّقَى
 وَبِهَا الْقُصُورُ الْعَالِيَاتُ تَرَخَّرَتْ مِثْلَ النَّجْمِ زَهَتْ بِكُلِّ مَنْ أَرْتَقَى
 تَسْمُو عَلَى أَطْرَافِ حَلَقٍ بِهَجَّةٍ وَطَلَاوَةٌ فِيهَا السَّرُورُ حَقَقَا
 سُقِبَتْ دِمَشْقُ الشَّامِ صَوْبَ عِمَامَةٍ أَشْفَى عَلَى غَيْطَانِهَا فَتَدَقَّقَا
 كَمْ زَهَّةٍ لِلْعَيْنِ فِيهَا قَدْ زَهَتْ وَسَرَّتْ عَلَى طَرَفِ الْهُمُومِ فَأَطْرَقَا
 مَا الْجَامِعُ الْأُمُويُّ (*) إِلَّا زَهَّةٌ فِيهَا تَرَاهُ بِالْعِبَادَةِ مُشْرِقَا

(*) ذكر ابن جبير جامع دمشق قال : هذا الجامع من أشهر جوامع الإسلام حسناً واثقاً بناه وغرابة صنعة واحتمال تسبقي وتزيين . انتدب لبنائه الوليد وبلغ الغاية في التأنيق فيه . وأثرت جدره كلها بفصوص الذهب المعروفة بالفسيفساء . وخلطت بها أنواع من الأصبغة العربية قد مثلت أشجاراً وفرعت أغصاناً منظومة بالفصوص ببدء الصنعة المعجزة وصف كل واصف . فجاء يفشي العيون وميضاً وبصيصاً . وبلغت النفقة فيه أحد عشر الف الف دينار ومائتي الف دينار . وطول هذا الجامع من الغرب إلى الشرق ذراع ثلاثمائة ذراع . وذراع في السعة من القبلة إلى الشمال مائتان ذراع . وملاطاة المتصلة بالقبلة ثلاث مستطيلة من المشرق إلى المغرب سعة كل بلاطة منها ثمان عشرة خطوة . وقد قامت البلاطات على ثمانية وستين عموداً منها ٥٤ سارية و٨ رجل واثنتان مرخمة ملصقة بالجدار الذي يلي الصحن . وأربع أرجل مرخمة ابدع ترخيم مرصعة بفصوص من الرخام ملونة قد نظمت خواتيم وصورت معمارب وأشكالاً غريبة قائمة في البلاط الأوسط . دور كل رجل منها اثنان وسبعون شبراً . ويستدير بالصحن بلاط من ثلاث جهاته سمته عشر خطاً . عدد قوائمه سبع وأربعون منها أربعة عشر رجلاً والباقي سوار.

قَدْ أَثْنَتْ صُنَاعَهُ بِنْيَانَهُ فَأَتَى الْمُرْخِيفُ زَانَهُ وَتَأَنَّقَا
 وَرَى ذُرُوسَ الْعِلَامِ فِيهِ دَائِمًا فِي كُلِّ فَنٍّ مَن تَدَاوَلُهُ رَقَى
 وَثَلَاثُ هَاتِيكَ الْمَادِينِ تَجَلِي مِثْلَ الْعَرَائِسِ قَدْ لَيْسَنَ أَلِيَمًا
 مِنْ فَوْقِهَا أَهْلُ الْأَذَانِ تَرَسَّلُوا بِرَنِّمْ يُشْجِي الْفُؤَادَ الشَّقِيَا
 وَالْعَشْرَةُ الْأَبْوَابُ لَمَّا أَنْ زَهَتْ فَتَحَتْ عَلَى الْمُشْتَقِ بَابًا مُغْلَقًا
 يَا حَبْدَكَ الصَّخْنُ أَشْرَقَ وَانْحَلَى فَعَدَا بِهِ مَاءُ الْأَسِيمِ مُرْقَرًا
 فِيهِ الصَّحَابُ رَوَائِحًا وَغَوَادِيَا مَا بَيْنَهُ وَتَجْمَعًا وَتَقَرُّقًا
 مِنْ حَوْلِهِ الْأَسْوَاقُ تُشْرِقُ فِي الدُّجَى مِثْلَ النَّهَارِ بِمَا بِهَا قَدْ عَلِمَا
 فِيهَا تَرَى مَا تَشْتَهِي وَتَلَذُّهُ وَبُيُوتٌ فَهَوَاتٍ شَدَّاهَا عَبَمَا
 هِيَ شَامِنًا أَعْلَى الْإِلَهِ مَتَارَهَا وَبِهَا أَدَامَ اللَّهُ عَيْشًا رَيْقَا
 لَمْ تَرْضَ عَيْنِي غَيْرَهَا مِنْ مَنَظَرٍ وَلِذَا تَرَى قَلْبِي بِهَا مُتَعَلِمًا

وسقف الجامع كله من خارج الواح رصاص . واعظم ما فيه قبة الرصاص المتصلة بالحراب
 وهي سامية في العواء عظيمة الاستدارة وقد استقل بها هيكل عظيم هو عماد لها يتصل من
 الحراب الى الصحن . والقبة قد اغصت الهواء فاذا استقبلتها رأيت مرأى هائلًا . ومن اي جهة
 استقبلت البلد ترى القبة في الهواء كاخا معلقة في الجو . ومدد شمساتها الزجاجية المذهبة الملونة
 اربع وسبعون . فاذا قابلتها الشمس واتصل شعاعها بها انمكس الشعاع الى كل لون منها واتصل
 بذلك بالجدار القلبي . ويتصل بالابصار منها اشعة ملونة هائلة لا تبلغ العبارة تصورها . وبعبارة
 من اعجب الحاريب الاسلامية حسنا وغرابة صنعة يتقد ذهابا كله . قد قامت في وسطه بحاريب
 صفار متصلة بمجداره تحفها سوريات مفتولات فتل الاسورة . فانها منحروطة بعضها احمر كاخا
 مرجان لم ير شيئا اجمل منها . وله اربعة ابواب وباب جبرون اعظمها وله وللغربي دهاليز
 متسعة بغضى كل دهليز منها الى باب عظيم كانت كلها مداخل للكنيسة . فبقيت على حالها
 ثم ذكر ابن جبير في الصحن عجائب من الابنية والقباب والمياه المدبرة فيه ما يطول وصفه
 واختصاره انه قال : هذا الصحن من اجمل المناظر واحسنها . والجامع اربع سقايات في كل جهة

لِلَّهِ أَيَّامٌ تَقَصَّتْ لِي بِهَا مَا زَلْتُ نَحْوَ ظِلِّهَا مُتَشَوِّقًا
 هِيَ مُتَشَايِي لَا حَاجِرٌ وَطَوِيلِعُ وَمَحَلُّ أُنْسِي لَا الْغَوِيْرُ وَلَا النَّقَا
 وَطَنِي وَأَوَّلُ مَا وَطِئْتُ بِهَا التَّرَى لَا زَالَ يَنْشِي عَنْ حِمَاهَا مُطْلَمًا
 لُدِّيَا فُؤَادٍ بِمَا بِهَا مِنْ مَعْشَرٍ إِنْ سَامَكَ الْحَطْبُ الْمَهْوُلُ فَأَقْلَمًا

سقاية وأعطسها سقاية باب جيرون . وذكر ان حول باب جيرون من الابنية الغربية ما يطول وصفه . وذكر باب جيرون فقال : يخرج من دهليز الى بلاط طويل عريض له خمسة ابواب مقوسة لها ستة اعمدة في جهة اليسار منه مشهد كبير كان فيه راس الحسين قبل ان ينقل الى القاهرة بازالته مسجد صغير لمُعمَّر بن عبد العزيز . وقد انتظمت امام البلاط ادراج يتخدر عليها الى الدهليز وهي كالحندق العظيم تتصل الى باب عظيم الارتفاع يتغير الطرف دونه سسوا . قد حَقَّتْهُ اعمدة كالجدوع طولاً وكالاطواد ضخامة وبجانبى الدهليز اعمدة قامت عليها شوارع مستديرة فيها حوائث الطَّارِين وغيرهم . وعليها شوارع مستطيلة فيها الحجر والبيوت للكرام مشرفة على الدهاليز . وفوقها سطح بيت فيه سكان الحجر والبيوت وفي وسط الدهليز حوض كبير مستدير من الرخام عليه قبة تُقَلِّبُهَا اعمدة من الرخام . وفي وسط الحوض انبوب صُفْر يَرْمِجُ المَاءَ بِقُوَّةٍ فَيَرْتَفِعُ فِي الْهَوَاءِ ازيد من القامة . وحوله انابيب صفار ترمي الماء علواً فتخرج منها كتضبان الحَيْن فَكأنها اغصان تلك الدوحة المائتة . ومنظرها ابدع من ان يوصف . وعن بين الخارج من باب جيرون في جدار البلاط الذي امامه شبه عُرْفَةٍ لها هيئة طاق كبير مستدير فيه طيقان من صُفْر وقد فتحت ابواباً صناعياً على عدد ساعات النهار ودُبرت تدابير هندسية . فعند انقضاء ساعة من النهار تسقط صنجبان من صُفْر من في بازيين من صُفْر قائمين على طاستين من صُفْر مشقوقتين فتبصر البازيين يمدان اعناقهم بالبندقيتين الى الطاستين ويقذفانها بسرعة بتدبير عجب تخيُّلُه الاوهام مخراً . فعند وقوعها يسمع لها دوي فيعودان من الاثقاب الى داخل الجدار الى العرفة ويتعلق باب تلك الساعة بلوح اصفر . فلا يزال كذلك حتى تنقضي الساعات فتتعلق الابواب كلها . ثم تعود الى حالاتها الأولى ولها بالليل تدبير آخر . وذلك ان في القوس المتعطف على الطيقان المذكورة اثني عشرة دائرة من الخاس منحرفة في كل دائرة زجاجة وخلف الزجاجة مصباح يدور به الماء على ترتيب مقدار الساعة . فاذا انقضت عم الزجاجة ضوء المصباح وافاض على الدائرة شعاعاً فلاحت دائرة محمَّرة ثم ينتقل الى الاخرى حتى تنقضي ساعات الليل . وقد وكل بها من يدبر شأنها فيعيد فتح الابواب ويسرح الصنم الى موضعه وهي التي تُنَسَى المِقَاتَةَ . ثم ذكر في دمشق عجائب ليس من غرضنا اثباتها (الشريشي)

البابُ الخامس عشر
في الحكايات

هارون بن عبد الله والفيل

٣٠٩ قَالَ الْقَزْوِينِي: كَانَ هَارُونَ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ مَوْلَى الْأَزْدِ شَجَاعًا شَاعِرًا.
وَلَمَّا حَارَبَ الْهِنْدُ الْمُسْلِمِينَ بِالْفِيلِ لَمْ يَقِفْ قُدَّامَ الْفِيلِ شَيْءٌ. وَقَدْ
رَبَطُوا فِي خُرْطُومِهِ سَيْفًا هَذَا مَا طَوِيلًا ثَقِيلًا يَضْرِبُ بِهِ يَمِينًا وَشِمَالًا لَا
يَرْفَعُهُ فَوْقَ رَأْسِ الْفِيلَيْنِ عَلَى ظَهْرِهِ وَيَضْرِبُ بِهِ. فَوَثَّ هَارُونَ وَثْبَةً
أَعْجَلَهُ بِهَا عَنِ الضَّرْبِ وَلَزِقَ بِصَدْرِ الْفِيلِ وَتَعَلَّقَ بِأَنْبِيَّهِ. فَجَالَ بِهِ
الْفِيلُ جَوْلَةً كَادَ يَخْطُبُهُ مِنْ شِدَّةِ مَا جَالَ بِهِ. وَكَانَ هَارُونَ شَدِيدَ
الْخُلُقِ رَابِطَ الْجَاشِ. فَأَعْتَمَدَ فِي تِلْكَ الْحَالَةِ عَلَى نَائِيهِ وَأَصْلُهُمَا مُجُوفٌ
فَأَنْقَلَعَتَا مِنْ أَصْلِهِمَا. وَأَذَرَ الْفِيلُ وَبَقِيَ النَّابَانِ فِي يَدَيْ هَارُونَ. وَكَانَ
ذَلِكَ سَبَبَ هَزِيمَةِ الْهِنْدِ وَعَنِمِ الْمُسْلِمُونَ. فَقَالَ هَارُونَ فِي ذَلِكَ:

مَشَيْتُ إِلَيْهِ رَادِعًا مُتَمَهَلًا وَقَدْ وَصَلُوا خُرْطُومَهُ بِجُحَامِ
فَقُلْتُ لِنَفْسِي إِنَّهُ الْفِيلُ صَارِبًا بِأَبْيَضٍ مِنْ مَاءِ الْحَدِيدِ هَذَا
فَإِنْ تَنَكَّرَ مِنْهُ فَعُدْرُكَ وَاصِحٌ لَدَى كُلِّ مَنْخُوبِ الْفَوَادِ عِبَامِ
وَلَمَّا رَأَيْتُ السِّيفَ فِي رَأْسِ هَضْبَةٍ كَمَا لَاحَ بَرَقَ مِنْ خِلَالِ غَمَامِ
فَعَافَسْتُهُ حَتَّى لَزِقْتُ بِصَدْرِهِ فَلَيْبًا هَوَى لَأَزْمَتُ أَيَّ لِزَامِ
وَعَدْتُ بِنَائِيهِ وَأَذَرَ هَارِبًا وَذَلِكَ مِنْ عَادَاتِ كُلِّ مُحَامِي

الوفاء والفضل والمعروف عند بعض الكرماء

٣١٠ حكي أَنَّهُ بَيْنَمَا كَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ جَالِسًا فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ وَعِنْدَهُ أَكْبَارُ الصَّحَابَةِ . وَأَهْلُ الرَّأْيِ وَالْإِهَابَةِ . وَهُوَ فِي الْقَضَايَا . يَحْكُمُ بَيْنَ الرَّعَايَا . إِذَا قَبَلَ شَابٌّ مِنْ أَحْسَنِ الشَّبَابِ . نَظِيفُ الْأَثْوَابِ . يَكْتَفُهُ شَابَانٌ مِنْ أَحْسَنِ الشَّبَابِ أَيْضًا . وَقَدْ جَذَبَاهُ وَسَمَّجَاهُ . وَأَوْقَفَاهُ بَيْنَ يَدَيْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَلِبَّاهُ . قَلَمًا وَقَفُّوا بَيْنَ يَدَيْهِ . نَظَرَ إِلَيْهِمَا وَإِلَيْهِ . فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ نَحْنُ أَخَوَانُ شَقِيقَانِ . جَدِيدَانِ بِاتِّبَاعِ الْحَقِّ حَقِيقَانِ . كَانَ لَنَا أَبُو شَيْخٍ كَبِيرٌ . حَسَنُ التَّدْبِيرِ . مُعْظَمٌ فِي قِبَالِهِ . مُتَزَّهُ عَنْ رَدَائِلِهِ . مَعْرُوفٌ بِقَضَائِلِهِ . رَبًّا نَا صِغَارًا . وَأَوْلَا نَا مِتْنَا غَرَارًا . كَمَا قِيلَ فِي الْمَعْنَى :

لَنَا وَالِدٌ لَوْ كَانَ لِلنَّاسِ مِثْلُهُ أَبٌ آخَرُ أَغْنَاهُمْ بِالْمُنَاقِبِ
فَخَرَجَ الْيَوْمَ إِلَى حَدِيقَةٍ لَهُ يَتَنَزَّهُ فِي أَشْجَارِهَا . وَيَقْتَطِفُ بِأَنْعِ
أَثْمَارِهَا . فَقَتَلَهُ هَذَا الشَّابُّ . وَعَدَلَ عَنْ طَرِيقِ الصَّوَابِ . فَسَأَلَكَ
الْقِصَاصَ عَمَّا جَنَاهُ . وَالْحُكْمَ فِيهِ بِمَا أَمَرَكَ اللَّهُ . قَالَ الرَّأْيِيُّ : فَظَنَرَ
عُمَرُ إِلَى الشَّابِّ . وَقَالَ لَهُ : قَدْ سَمِعْتَ فَمَا الْجَوَابُ . وَالغَلَامُ مَعَ ذَلِكَ
ثَابِتُ الْجَنَانِ . خَالَ عَنِ الْإِسْتِيْعَاشِ . قَدْ خَلَعَ ثِيَابَ الْهَلَعِ . وَزَرَ
لِبَاسَ الْجُرْعِ . فَتَبَسَّمَ عَنْ مِثْلِ الْجَمَانِ . وَتَكَلَّمَ بِأَفْصَحِ لِسَانٍ . وَحَيًّا
بِكَلِمَاتِ حِسَانٍ . ثُمَّ قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَاللَّهِ لَقَدْ وَعَيْتَا . فِي مَا أَدْعِيَا .
وَصَدَقَا . فِي مَا نَطَقَا . وَأَخْبَرَا بِمَا جَرَى . وَعَبَّرَا عَمَّا طَرَا . وَسَأْنَهِي

قَصَّتِي بَيْنَ يَدَيْكَ . وَالْأَمْرُ فِيهَا إِلَيْكَ . إَعْلَمَ أَنِّي عَرِيمٌ مِنَ الْعَرَبِ
 الْعَرَبَاءُ نَبَتْ فِي مَنَازِلِ الْبَادِيَةِ . وَصَبَحَتْ عَلَيَّ أَسْوَدُ السِّنِينَ الْعَادِيَةِ .
 فَأَقْبَلْتُ إِلَى ظَاهِرِ هَذَا الْبَلَدِ . بِالْأَهْلِ وَالْمَالِ وَالْوَلَدِ . فَأَفْضَتْ بِي
 بَعْضُ طَرَانِقِهَا . إِلَى الْمَسِيرِ بَيْنَ حَدَايِقِهَا . بِنِيَاقِ إِلَيَّ حَبِيبَاتٍ . عَلَيَّ
 عَزِيزَاتٍ . بَيْنَهُنَّ فَحْلٌ كَرِيمٌ الْأَصْلُ . كَثِيرُ النَّسْلِ . مَلِجُ الشَّكْلِ .
 حَسَنُ النَّجَاحِ . يَمِشِي بَيْنَهُنَّ كَأَنَّهُ مَلِكٌ عَلَيْهِ تَاجٌ . فَدَنَّتِ الثُّوقُ إِلَى
 حَدِيقَةٍ قَدْ ظَهَرَ مِنْ الْحَائِطِ شَجْرُهَا . فَتَنَاوَلْتَهَا بِشَفَرِهَا . فَطَرَدَتْهَا
 عَنْ تِلْكَ الْحَدِيقَةِ فَإِذَا شَيْخٌ قَدْ ظَهَرَ . وَتَسَوَّرَ الْحَائِطَ وَزَفَرَ . فِي يَدِهِ
 أَلْيُنِي حَجْرٌ . يَتَادَى كَاللَّيْثِ إِذَا خَطَرَ . فَضَرَبَ الْفَحْلَ بِذَلِكَ الْحَجْرِ
 فَأَصَابَ مَقْتَلَهُ وَأَبَادَهُ . فَلَمَّا رَأَيْتُ الْفَحْلَ سَقَطَ لِحْنِهِ وَأَنْقَابَ .
 تَوَقَّدَتْ فِي جَمْرَاتِ الْغَضَبِ . فَتَنَاوَلْتُ ذَلِكَ الْحَجْرَ بَيْنِيهِ فَضَرَبْتُهُ
 بِهِ . فَكَانَ سَبَبَ حَيْنِهِ وَلَقِي سُوءَ مُنْقَلَبِهِ . وَالْمَرءُ مَقْتُولٌ بِمَا قَتَلَ بِهِ .
 بَعْدَ أَنْ صَاحَ صَيْحَةً عَظِيمَةً . وَصَرَخَ صَرَخَةً أَلِيمَةً . فَأَسْرَعْتُ هَارِبًا
 مِنْ مَكَانِي . فَلَمْ أَكُنْ بِأَسْرَعٍ مِنْ هَذَيْنِ الشَّابِّينِ فَأَمْسَكَا بِي .
 وَأَحْضَرَانِي كَمَا تَرَانِي . قَالَ عُمَرُ : قَدْ اعْتَرَفْتَ . بِمَا اقْتَرَفْتَ . وَتَعَدَّرَ
 الْخِلَاصُ . وَوَجِبَ الْقِصَاصُ . وَلَاتَ حِينَ مَنَاصُ . فَقَالَ الشَّابُّ :
 سَمِعَا وَطَوْعَا لِمَا حَكَّمَ الْإِمَامُ . وَرَضِيَتْ بِمَا أَقْضَتْهُ شَرِيعَةُ الْإِسْلَامِ .
 وَلَكِنْ لِي أَخٌ صَغِيرٌ . كَانَ لَهُ أَبُو خَيْرٍ . حَصَّه قَبْلَ وَقَاتِهِ بِمَالِ جَزِيلٍ .
 وَذَهَبِ جَلِيلٍ . وَأَحْضَرَهُ بَيْنَ يَدَيَّ . وَسَلَّمَ أَمْرَهُ إِلَيَّ . وَأَشْهَدُ اللَّهُ

عَلِيٍّ . وَقَالَ : هَذَا لِأَخِيكَ عِنْدَكَ . فَأَحْفَظْهُ جِهْدَكَ . فَأَتَّخَذَتْ لَذَلِكَ
مَدْفِنًا . وَوَضَعَتْهُ فِيهِ وَلَا يَعْلَمُ بِهِ أَحَدٌ إِلَّا أَنَا . فَإِنْ حَكَمْتَ الْآنَ
بِقَتْلِي ذَهَبَ الذَّهَبُ . وَكُنْتَ أَنْتَ السَّبَبَ . وَطَالَ بَكَ الصَّغِيرُ بِحَقِّهِ .
يَوْمَ يَقْضِي اللَّهُ بَيْنَ خَلْقِهِ . وَإِنْ أَنْظَرْتَنِي ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ . أَقَمْتُ مِنْ
يَتَوَلَّى أَمْرَ الْعِلْمِ . وَعُدْتُ وَإِيًّا بِالذِّمَامِ . وَبِي مَنْ يَضْمِنُنِي عَلَى هَذَا
الْكَلَامِ . فَأَطْرَقَ عُمَرُ سَاعَةً ثُمَّ نَظَرَ . إِلَى مَنْ حَضَرَ . وَقَالَ :
مَنْ يَقُومُ عَلَى صَمَانِهِ . وَالْعُودِ إِلَى مَكَانِهِ . قَالَ : فَظَنَّ الْعِلْمُ إِلَى
وُجُوهِ أَهْلِ الْمَجْلِسِ النَّاطِرِينَ . وَأَشَارَ إِلَى أَبِي ذَرٍّ دُونَ الْحَاضِرِينَ .
وَقَالَ : هَذَا يَكْفُلُنِي . وَهُوَ الَّذِي يَضْمِنُنِي . فَقَالَ عُمَرُ : أَتَضْمِنُهُ يَا أَبَا
ذَرٍّ عَلَى هَذَا الْكَلَامِ . قَالَ : نَعَمْ أَضْمِنُهُ إِلَى ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ . فَرَضِي
السَّابَانَ بِضَمَانِ أَبِي ذَرٍّ . وَأَنْظَرَاهُ ذَلِكَ الْقَدْرَ . فَلَمَّا أَنْقَضَتْ مُدَّةُ
الْإِنْهَالِ . وَكَادَ وَقْتُهَا يَزُولُ أَوْ زَالَ . حَضَرَ السَّابَانَ إِلَى مَجْلِسِ عُمَرَ .
وَالصَّحَابَةَ حَوْلَهُ كَالنَّجُومِ حَوْلَ الْقَمَرِ . وَأَبُو ذَرٍّ قَدْ حَضَرَ . وَالْحَضَمُ
يُنْتَظَرُ . فَقَالَا : أَيْنَ الْغَرِيمِ يَا أَبَا ذَرٍّ . وَكَيْفَ يَرْجِعُ مِنْ قَدْفٍ . فَلَا
تَبْرَحُ مِنْ مَكَانِنَا . حَتَّى تَفِي بِضَمَانِنَا . فَقَالَ أَبُو ذَرٍّ : وَحَقَّ الْمَلِكِ
الْعِلْمُ . إِنْ أَنْقَضَى تَمَامَ الْأَيَّامِ . وَلَمْ يَحْضُرِ الْعِلْمُ . وَفِيَتْ بِالضَّمَانِ .
وَأَسَلَمْتُ نَفْسِي وَبِاللَّهِ الْمُسْتَعَانَ . فَقَالَ عُمَرُ : وَاللَّهِ إِنْ تَأَخَّرَ الْعِلْمُ
لِأَمْضِيْنَ فِي أَبِي ذَرٍّ مَا أَقْتَضَتْهُ شَرِيعَةُ الْإِسْلَامِ . فَهَمَلَتْ عِبْرَاتُ
الْحَاضِرِينَ . وَأَرْفَضَتْ زَفَرَاتُ النَّاطِرِينَ . وَعَظُمَ الصَّحِيحُ . وَتَرَايَدَ

الشَّيْخُ . فَعَرَضَ كِبَارُ الصَّحَابَةِ عَلَى السَّابِّينَ اخْتِذِ الدِّيَةَ . وَاعْتَمَامَ
 الْأَثْنِيَّةِ . فَأَصْرَأَ عَلَى عَدَمِ الْقَبُولِ . وَآيَا إِلَّا الْأَخْذَ بِثَارِ الْمُتَمَوِّلِ . فَبَيْنَمَا
 النَّاسُ يَمْجُجُونَ تَلَهُمَا لِمَا مَرَّ . وَيَصِيحُونَ تَأْسُفًا عَلَى أَبِي ذَرٍّ . إِذْ أَقْبَلَ
 الْغُلَامُ . وَوَفَّ بَيْنَ يَدَيْ الْإِمَامِ . وَسَلَّمَ عَلَيْهِ أَمَّ سَلَامٍ . وَوَجَّهَهُ بِتَهْلِيلِ
 مُشْرِقًا . وَيَتَكَلَّلُ عَرَقًا . وَقَالَ : قَدْ أَسَلَمْتُ الصَّيِّبِي إِلَى أَخْوَالِي . وَعَرَفْتَهُمْ
 خَفِيَّ أَخْوَالِي . وَأَطَّلَعْتُهُمْ عَلَى مَكَانِ مَالِهِ وَأَمْوَالِي . ثُمَّ أَقْتَحَمْتُ
 هَاجِرَاتِ الْحَرِّ . وَوَفَّيْتُ وَفَاءً الْحَرَّ الْأَعْرَبَ . فَعَجِبَ النَّاسُ مِنْ صِدْقِهِ
 وَوَفَائِهِ . وَإِقْدَامِهِ عَلَى الْمَوْتِ وَأَجْتِرَانِهِ . فَقَالَ : مَنْ غَدَرَ . لَمْ يَفَعْ عَنْهُ
 مَنْ قَدَرَ . وَمَنْ وَفَى . رَحِمَهُ الطَّالِبُ وَعَمَّا . وَتَحَقَّقْتُ أَنَّ الْمَوْتَ إِذَا
 حَضَرَ لَمْ يُبْجِ مِنْهُ أَحْتِرَاسٌ . وَبَادَرْتُ كَيْ لَا يُقَالَ ذَهَبَ الْوَفَاءُ مِنْ
 النَّاسِ . فَقَالَ أَبُو ذَرٍّ : وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَقَدْ صَيَّمْتُ هَذَا الْغُلَامَ
 وَلَمْ أَعْرِفْ مِنْ أَيِّ قَوْمٍ . وَلَا رَأَيْتُهُ قَبْلَ ذَلِكَ الْيَوْمِ . وَلَكِنَّهُ نَظَرَ إِلَيَّ
 مَنْ حَضَرَ فَقَصَّدَنِي . وَقَالَ : هَذَا يَضْمِنُنِي . فَلَمْ أَسْتَحْسِنْ رَدَّهُ . وَأَبَتْ
 الْمَرْوَةَ أَنْ تُحْتَبَ قَصْدُهُ . إِذْ لَيْسَ فِي إِجَابَةِ الْقَصْدِ مِنْ بَاسٍ . كَيْ لَا
 يُقَالَ : ذَهَبَ الْقَضَلُ مِنَ النَّاسِ . فَقَالَ السَّابِّانُ عِنْدَ ذَلِكَ : يَا أَمِيرَ
 الْمُؤْمِنِينَ . قَدْ وَهَبْنَا لِهَذَا الْغُلَامِ دَمَ آيِنَا . فَلْتُبَدَلْ وَحِشْتُهُ بِآيِنَائِي .
 كَيْ لَا يُقَالَ : ذَهَبَ الْمَعْرُوفُ مِنَ النَّاسِ . فَاسْتَبَشَرَ الْإِمَامُ . بِالْعَقْوِ
 عَنِ الْغُلَامِ . وَعَجِبَ مِنْ صِدْقِهِ وَوَفَائِهِ . وَأَسْتَعَزَّزَ مَرْوَةَ أَبِي ذَرٍّ
 دُونَ جُلْسَانِهِ . وَأَسْتَحْسَنَ اعْتِمَادَ السَّابِّينَ فِي اصْطِنَاعِ الْمَعْرُوفِ

وَأَثْنَى عَلَيْهِمَا أَحْسَنَ ثَنَاءٍ وَتَمَثَّلَ بِهَذَا الْيَتِّ :
 مَنْ يَضَعُ الْخَيْرَ لَمْ يَعْدَمْ جَوَازَهُ لَا يَذْهَبُ الْعُرْفُ بَيْنَ اللَّهِ وَالنَّاسِ
 ثُمَّ عَرَضَ عَلَيْهِمَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَصْرِفَ لهُمَا مِنْ بَيْتِ الْمَالِ دِيَّةَ
 أَبِيهِمَا . فَقَالَا : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّمَا عَفَوْنَا عَنْهُ ابْتِغَاءَ لُوجِهِ اللَّهِ . وَمَنْ
 نَيْتُهُ كَذَا . لَا يَتَّبِعُ إِحْسَانَهُ مَنْأً وَلَا أَدَى . قَالَ الرَّأْيِي : فَأَعْتَدْتُهَا
 مِنْ أَنْفَسِ الْعَجَائِبِ . وَآثَبْتُهَا فِي دِيْوَانِ الْغَرَائِبِ (للالتيدي)

جحدرد والسبع

٣١١ قِيلَ إِنْ مَجْدَرُ بْنُ رَبِيعَةَ كَانَ بَطْلًا شَجَاعًا فَاتَّكَ شَاعِرًا بَلِيغًا .
 قَعَزَ أَهْلَ الْيَمَامَةِ وَأَبَادَهُمْ فَلَبَّغَ ذَلِكَ الْحُجَّاجَ بْنَ يُوْسُفَ . فَكَتَبَ إِلَى
 عَامِلِهِ يُوجِّهُهُ بِتَغْلِبِ جَحْدَرٍ وَيَأْمُرُهُ بِالتَّوَجُّهِ إِلَيْهِ حَتَّى يَقْتُلَهُ أَوْ يَجْعَلَهُ إِلَيْهِ
 أُسِيرًا . فَوَجَّهَ الْعَامِلُ إِلَيْهِ فِتْيَةً مِنْ بَنِي حَنْظَلَةَ وَجَعَلَ لَهُمُ الْجَمَاعِلَ
 الْعَظِيمَةَ إِنْ هُمْ قَتَلُوا مَجْدَرًا أَوْ اتَّوَا بِهِ أُسِيرًا . فَوَجَّهَ الْفِتْيَةَ إِلَى طَلَبِهِ
 فَلَمَّا دَنَوْا مِنْ مَكَانِهِ أَرْسَلُوا إِلَيْهِ يَقُولُونَ إِنَّهُمْ يُرِيدُونَ الْإِنْقِطَاعَ
 إِلَيْهِ وَالْقِيَامَ بِخِدْمَتِهِ . فَوَثِقَ بِذَلِكَ مِنْهُمْ وَسَكَنَ إِلَى قَوْلِهِمْ . فَيِنَّمَا هُوَ
 مَعَهُمْ يَوْمًا إِذْ وَثَبُوا إِلَيْهِ فَشَدُّوهُ وَثَاقًا وَقَدِمُوا بِهِ إِلَى الْعَامِلِ . فَوَجَّهَهُ
 مَعَهُمْ إِلَى الْحُجَّاجِ . فَلَمَّا قَدِمُوا بِهِ عَلَيْهِ مَثَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ . قَالَ لَهُ : أَنْتَ
 مَجْدَرُ . قَالَ : نَعَمْ أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ . قَالَ : مَا جِئْتُكَ عَلَى مَا بَلَغَنِي
 عَنْكَ . قَالَ : أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ . كَلَبَ الزَّمَانَ . وَجَفْوَةَ السُّلْطَانَ .
 وَجِرَاءَةَ الْجَبَانَ . قَالَ : وَمَا بَلَغَنِي مِنْ أَمْرِكَ . قَالَ : لَوْ ابْتَلَانِي الْأَمِيرُ

وَجَعَلَنِي مَعَ الْفُرْسَانَ لَرَأَى مِنِّي مَا يُعْجِبُهُ . قَالَ الرَّاوِي : فَتَجَبَّ
 الْحِجَابُ مِنْ ثَبَاتِ عَمَلِهِ وَمَنْطِقِهِ . ثُمَّ قَالَ : يَا جَدْرُ إِنِّي قَادِفُ بَكَ فِي
 حَفَاظِ بِهَا أَسَدٌ عَظِيمٌ . فَإِنْ قَتَلْتَ كَفَانَا مَوْتِكَ . وَإِنْ قَتَلْتَهُ عَفَوْنَا
 عَنْكَ . قَالَ : أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ قُرْبَ الْقَرْحِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى . فَأَمَرَ
 بِهِ فَصَفَدُوهُ بِالْحَدِيدِ ثُمَّ كَتَبَ لِعَامِلِهِ أَنْ يَرْتَادَ لَهُ أَسَدًا عَظِيمًا وَيَحْمِلَهُ
 إِلَيْهِ . فَأَرْتَادَهُ الْعَامِلُ أَسَدًا كَرِيهًا الْمُنْظَرُ كَأَشْرَ أَخِيئًا قَدْ أَفْنَى عَامَّةَ
 الْمَوَائِي . وَأَمَرَ أَنْ يَصِيرَ فِي قَفَصِ حَدِيدٍ وَيُسْحَبَ الْقَفَصُ عَلَى عَجَلٍ .
 فَلَمَّا قَدِمَ بِهِ عَلَى الْعَجَلِ إِلَى الْحِجَابِ أَمَرَ بِهِ فَأُلْقِيَ فِي الْحَفَاظِ وَلَمْ يُطْعَمْ
 شَيْئًا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ حَتَّى جَاعَ وَأَسْتَكَبَ . ثُمَّ أَمَرَ بِجَدْرٍ أَنْ يُزِيلُوهُ إِلَيْهِ
 فَأَعطَوْهُ سَيْفًا وَأَزْلُوهُ إِلَيْهِ مُقَيَّدًا وَأَشْرَفَ الْحِجَابُ عَلَيْهِ وَالنَّاسُ حَوْلَهُ
 يَنْظُرُونَ إِلَى الْأَسَدِ مَا هُوَ صَانِعٌ بِجَدْرٍ . فَلَمَّا نَظَرَ الْأَسَدُ إِلَى جَدْرٍ
 نَهَضَ وَوَبَّ وَتَمَطَّى وَزَارَرَ نِيرَادَوِي مِنْهُ الْجِبَالَ وَارْتَاعَتْ مِنْهُ أَهْلُ
 الْأَرْضِ . فَشَدَّ عَلَيْهِ جَدْرٌ وَهُوَ يَقُولُ :

لَيْتُ وَلَيْتُ فِي جِبَالِ ضَنْكَ كِلَاهُمَا ذُوقُوهُ وَسَفْكَ
 وَصَوْلَةٍ وَبَطْشَةٍ وَفَتْكَ . إِنْ يَكْشِفِ اللَّهُ قِنَاعَ الشَّكِّ
 فَأَنْتَ لِي فِي قَبْضَتِي وَمَلِكِي

ثُمَّ دَنَا مِنْهُ وَضَرَبَهُ بِسَيْفِهِ فَفَلَقَ هَامَتَهُ . فَكَبَّرَ النَّاسُ وَاعْتَجَبَ
 الْحِجَابُ وَقَالَ : لِلَّهِ دَرَكٌ مَا أَنْجَدَكَ . ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فَأُخْرِجَ مِنَ الْحَفَاظِ وَفَكَ
 وَنَاقَهُ وَقَيَّدَهُ . وَقَالَ لَهُ : اخْتَرِ إِمَّا أَنْ تُقِيمَ عِنْدَنَا فَتُكْرِمَكَ وَنُقَرِّبَ

مَنْزَلَتِكَ . وَإِمَّا أَنْ نَأْذَنَ لَكَ فَتَلْحَقَ بِيَلَادِكَ وَنَشْرَطَ عَلَيْكَ أَنْ لَا تُحَدِّثَ مُنْكَرًا وَلَا تُؤْذِي أَحَدًا . قَالَ : بَلْ أَخْتَارُ صُحْبَتَكَ أَيُّهَا الْأَمِيرُ . فَجَهَلَهُ مِنْ سُمَارِهِ وَخَوَاصِهِ . ثُمَّ لَمْ يَلْبَثْ أَنْ وُلَّاهُ عَلَى الْيَمَامَةِ وَكَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا كَانَ .

عصيان ابرهيم بن المهدي على امير المؤمنين المأمون وما جرى له في اختفائه

٣١٢ حَكِي الْأَوَاقِدِيُّ قَالَ : إِنَّ إِبْرَاهِيمَ بْنَ الْمُهْدِيِّ أَخَا هَارُونَ الرَّشِيدِ لَمَّا آلَ أَمْرُ الْخِلَافَةِ إِلَى الْمَأْمُونِ ابْنِ أَخِيهِ هَارُونَ الرَّشِيدِ لَمْ يُبَايِعْهُ بَلْ ذَهَبَ إِلَى الرَّيِّ وَأَدْعَى فِيهَا الْخِلَافَةَ لِنَفْسِهِ . وَأَقَامَ مَالِكَهَا سَنَةً وَاحِدَةً عَشَرَ شَهْرًا وَاثْنَيْ عَشَرَ يَوْمًا وَابْنُ أَخِيهِ الْمَأْمُونُ يَتَوَقَّعُ مِنْهُ الْإِنْتِقَادَ إِلَى الطَّاعَةِ وَالْإِنْتِظَامِ فِي سَبِيلِ الْجَمَاعَةِ حَتَّى يَثْبُتَ مِنْ عَوْدِهِ . فَرَكِبَ بِحَيْلِهِ وَرَجَلِهِ وَذَهَبَ إِلَى الرَّيِّ وَحَاصَرَ الْمَدِينَةَ وَأَفْتَحَهَا وَدَخَلَهَا . قَالَ إِبْرَاهِيمُ عَنْ نَفْسِهِ : فَخِفتُ عَلَى دَمِي وَخَرَجْتُ مُسْرِعًا مِنْ دَارِي عِنْدَ الظُّهْرِ وَأَنَا لَا أَدْرِي إِلَى أَيْنَ أَوَجَّهُ . وَكَانَ الْمَأْمُونُ قَدْ جَعَلَ لِمَنْ أَنَاهُ فِي مِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ . وَفِيمَا كُنْتُ سَائِرًا فِي الطَّرِيقِ إِذَا أَنَا بِرُقَاقِي فَمَشَيْتُ فِيهِ فَوَجَدْتُهُ غَيْرَ نَافِذٍ . فَقُلْتُ : إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ إِنْ رَجَعْتُ عَلَى أَثْرِي يُرْتَابُ فِي أَمْرِي وَالشَّارِعُ غَيْرُ نَافِذٍ فَمَا الْحِيلَةُ . ثُمَّ نَظَرْتُ فَرَأَيْتُ فِي صَدْرِ الشَّارِعِ عَبْدًا أَسْوَدَ قَانِمًا عَلَى بَابِ دَارٍ . فَتَقَدَّمْتُ إِلَيْهِ وَقُلْتُ لَهُ : هَلْ عِنْدَكَ مَوْضِعٌ أَقِيمُ بِهِ سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ . فَقَالَ : نَعَمْ وَفَتَحَ الْبَابَ . فَدَخَلْتُ إِلَى بَيْتٍ نَظِيفٍ

فِيهِ حَصِيرٌ وَبِسَاطٍ وَوُسْدٌ نَظِيفَةٌ مِنْ جُلُودٍ . ثُمَّ إِنَّ الْأَسْوَدَ أَغْلَقَ عَلَيَّ
الْبَابَ وَمَضَى . فَتَوَهَّمْتُ أَنَّهُ سَمِعَ بِجَمَالَةِ الْمَأْمُونِ لِلَّذِي يَأْتِيهِ بِي وَطَمِعَ
بِالرَّبْحِ وَخَرَجَ يَدُلُّ عَلَيَّ فَبَقِيتُ أَنْتَقِلَى عَلَى جِمرِ الْغَضَا . فَيَتِمَّا كُنْتُ
أَفَكِّرُ فِي ذَلِكَ إِذْ أَقْبَلَ وَمَعَهُ حَمَلٌ حَامِلٌ كُلِّ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ خُبْزٍ
وَلَحْمٍ وَقَدْرًا جَدِيدَةً وَحِجْرَةَ نَظِيفَةً وَكِيْرَانًا جُدْدًا فَحَطَّهَا عَنْ الْحَمَلِ
وَقَالَ لَهُ : امْضِ بِخَيْرٍ . فَخَرَجَ وَأَقْفَلَ وَرَاءَهُ بَابَ الدَّارِ وَجَاءَ إِلَيَّ وَقَالَ
لِي : جَعَلْتُ فِدَاكَ يَا مَوْلَايَ إِنِّي رَجُلٌ حَجَّامٌ وَأَعْلَمُ أَنَّكَ تَتَقَدَّرُ
مِنِّي لِمَا أَتَوَّلَاهُ مِنْ مَعِيشَتِي . فَشَأْنُكَ أَنْتَ بِمَا لَمْ تَقَعْ عَلَيْهِ يَدِي . قَالَ
إِبْرَاهِيمُ : وَكُنْتُ شَدِيدَ الْجُوعِ وَلِي حَاجَةٌ عَظِيمَةٌ إِلَى الطَّعَامِ فَطَجَّتُ
لِنَفْسِي قَدْرًا لَمْ أَذْرِ فِي عُمْرِي أَنِّي أَكَلْتُ الدَّمِ مِنْهَا . فَأَمَّا قَضَيْتُ
أَرْبِي مِنَ الطَّعَامِ قَالَ لِي الْأَسْوَدُ : هَلْ لَكَ يَا مَوْلَايَ فِي شَرَابٍ
فَإِنَّهُ يَنْفِي أَلَمَ وَيُدْفَعُ أَلَمَ . فَقُلْتُ لَهُ : مَا أَكْرَهُ ذَلِكَ رَغْبَةً فِي
مُؤَانَسَتِكَ . فَضَى وَجَاءَ بِي بِقَدَحٍ وَبَدَسَتْ مِلَانُ شَرَابًا مُطِيبًا وَقَالَ
لِي : رَوْقٌ لِنَفْسِكَ مَخَافَةٌ أَنْ تَتَفَرَّزَ مِنِّي . فَنَظَرْتُ فِي الدَّسْتِ
فَرَأَيْتُ شَرَابًا فِي غَايَةِ الْجُودَةِ فَرَوَّعْتُ مِنْهُ . ثُمَّ أَتَانِي بِفَاكِهَةٍ وَأَبْقَالَ
مُخْتَلَفَةٍ . وَبَعْدَهُ قَالَ لِي : يَا مَوْلَايَ أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أَقْعُدَ فِي نَاجِيَةٍ
أَمَامَكَ وَأَتِي بِشَرَابٍ لِي فَأَشْرِبُهُ سُرُورًا بِكَ . فَقُلْتُ لَهُ : أَفْعَلْ
فَشَرِبْتُ وَشَرِبْتُ . ثُمَّ دَخَلَ إِلَى خِزَانَةِ لَهُ فَأَخْرَجَ مِنْهَا عُودًا وَقَالَ
لِي : لَيْسَ مِنْ قَدْرِي أَنْ أَسْأَلَكَ فِي الْغِنَاءِ وَلَكِنْ إِنْ أَرَدْتُ أَنْ

عَبْدَكَ يُعْنِي فَلكَ عَلُو الرَّأْيِ . فَقُلْتُ لَهُ : وَمِنْ أَيْنَ لَكَ أَيُّ أَحْسِنُ
 الْفَنَاءِ . فَقَالَ : يَا سُجَّانَ اللَّهِ . مَوْلَايَ أَشْهَرُ مِنْ أَنْ يُحْفَى أَلَسْتَ أَنْتَ
 سَيِّدِي إِبرْهِيْمَ بْنَ الْمُهْدِيِّ خَلِيفَتَنَا فِي الْأَمْسِ الَّذِي جَعَلَ الْمُأْمُونَ لِمَنْ
 دَلَّهُ عَلَيْكَ مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ . فَلَمَّا سَمِعْتُ ذَلِكَ عَظُمَ الرَّجْلُ فِي عَيْنِي
 وَثَبَّتْ مَرُوءَةٌ عِنْدِي . فَتَأَوَّلْتُ الْعُودَ وَأَصْلَحْتُهُ وَقَدَّ مَرَّ بِخَاطِرِي
 فِرَاقُ أَهْلِي وَوُلْدِي وَوَطَنِي فَغَنَيْتُ :

وَعَسَى الَّذِي أَهْدَى لِيُوسِفَ أَهْلَهُ وَأَعَزَّهُ فِي السِّجْنِ وَهُوَ أَسِيرُ
 أَنْ يَسْتَجِيبَ لَنَا وَجَمَعَ سَمَلْنَا وَاللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ قَدِيرُ
 فَاسْتَوَلَى عَلَيْهِ الطَّرْبُ الْمُفْرِطُ وَطَابَ خَاطِرُهُ وَقَالَ لِي : يَا سَيِّدِي
 وَمَوْلَايَ أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أَعْنِي مَا سَمِعَ بِخَاطِرِي وَإِنْ كُنْتُ مِنْ غَيْرِ
 أَهْلِ الصَّنَاعَةِ . فَقُلْتُ : وَهَذَا مِنْ زِيَادَةِ أَدَبِكَ وَمُرُوءَتِكَ . فَأَخَذَ
 الْعُودَ وَأَنْشَدَ :

شَكُونَا إِلَى أَحْبَابِنَا طُولَ لَيْلِنَا فَقَالُوا لَنَا مَا أَقْصَرَ اللَّيْلَ عِنْدَنَا
 وَذَلِكَ لِأَنَّ النَّوْمَ يَغْشَى عِيُونَهُمْ سَرِيعًا وَلَا يَنْشَى لَنَا النَّوْمَ أَعْيُنَا
 فَلَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَلَاقُونَ مِثْلَمَا نَلَاقِي لَكَانُوا فِي الْأَضَاجِعِ مِثْلَنَا
 قَالَ إِبرْهِيْمُ فِدَا خَاطِرِي مِنَ الطَّرْبِ مَا لَا مَزِيدَ عَلَيْهِ وَأَذْهَبَ مِنِّي
 كُلُّ مَا كَانَ بِي مِنَ الْمَلَعِ فَقُلْتُ لَهُ : لَقَدْ أَحْسَنْتَ كُلَّ الْإِحْسَانِ
 وَأَذْهَبْتَ عَنِّي أَلَمَ الْأَحْزَانِ . فَرَدَّدَنِي مِنْ هَذِهِ التَّرْهَاتِ فَأَنْشَدَ لِلسَّمْوَلِ :
 تُعِيرُنَا أَنَا قَلِيلٌ عَدِيدُنَا فَقُلْنَا لَهَا إِنْ الْكِرَامَ قَلِيلُ

قَالَ إِبْرَاهِيمُ : فَأَشْتَدَّ عَلَيَّ الطَّرَبُ وَنِمْتُ وَلَمْ أَسْتَيْقِظْ إِلَّا بَعْدَ
 الْعِشَاءِ . فَمَا وَدِدْتُ فِكْرِي فِي نَفَاسَةِ هَذَا الْحَجَّامِ وَحُسْنِ آدَابِهِ . فَكُنْتُ
 ثُمَّ أَحَدْتُ خَرِيطَةً كَانَتْ صُحْبَتِي فِيهَا دَانِيرُهَا فِيمَتِهَا . فَرَمَيْتُ بِهَا
 إِلَيْهِ وَقُلْتُ لَهُ : أَسْتَوْدِعُكَ اللَّهُ وَأَسْأَلُكَ أَنْ تَتَصَرَّفَ فِي هَذَا وَلكَ
 عِنْدِي الْمَزِيدُ إِنْ أَمِنْتُ مِنْ خَوْفِي . فَأَبَى أَخْذَهَا وَأَعَادَهَا عَلَيَّ بِعِزَّةٍ
 وَقَالَ : يَا مَوْلَايَ إِنْ الصَّعَالِيكَ مِنَّا لَا قَدَرَ لَهُمْ عِنْدَكُمْ . أَاخْذُ عَلَيَّ
 مَا وَهَبَنِيهِ الزَّمَانُ قُرْبِكَ وَحُلُولِكَ فِي مَنْزِلِي غَنِي . وَاللَّهِ لَئِنْ رَاجَعْتَنِي
 بِهَا لَا أَقْتُلَنَّ نَفْسِي . فَأَعَدْتُ الْخَرِيطَةَ إِلَى كُمِّي وَقَدْ أَثْقَلَنِي حَمَلُهَا
 وَأَنْصَرَفْتُ . وَلَمَّا أَنْتَهَيْتُ إِلَى بَابِ دَارِهِ قَالَ لِي : يَا سَيِّدِي إِنْ هَذَا
 الْمَكَانَ أَخْفَى لَكَ مِنْ غَيْرِهِ وَلَيْسَ عَلَيَّ فِي مَوْؤُنَتِكَ ثِقَلٌ فَأَقِمْ
 عِنْدِي إِلَى أَنْ يُفَرِّجَ اللَّهُ عَنْكَ . فَقُلْتُ لَهُ : بِشَرْطِ أَنْ تُتَّقِيَ مِمَّا فِي
 هَذِهِ الْخَرِيطَةِ . فَأَوْهَمَنِي الرِّضَا بِذَلِكَ الشَّرْطِ . فَأَقَمْتُ عِنْدَهُ أَيَّامًا
 عَلَى تِلْكَ الْحَالَةِ فِي الدِّعَاشِ وَهُوَ لَمْ يَصْرِفْ مِنْ الْخَرِيطَةِ شَيْئًا .
 فَتَذَمَّتُ مِنَ الْإِقَامَةِ فِي بَيْتِهِ وَأَحْسَمْتُ مِنَ التَّثْقِيلِ عَلَيْهِ . فَتَرَيْتُ
 بِيْزِي النِّسَاءَ بِالْحُفِّ وَالنَّقَابِ وَوَدَعْتَهُ وَخَرَجْتُ . فَلَمَّا صَرْتُ فِي
 الطَّرِيقِ دَاخِلَنِي مِنَ الْخَوْفِ أَمْرٌ شَدِيدٌ وَجِئْتُ لِأَعْبُرَ الْجِسْرَ وَإِذَا
 بِمَوْضِعٍ مَرشُوشٍ فَظَنَرْتَنِي جُنْدِيٌّ مِمَّنْ كَانَ يُخْدِمُنِي فَصَاحَ وَقَالَ :
 هَذَا حَاجَةُ الْمُأْمُونِ . ثُمَّ تَعَلَّقَ بِي فَمِنْ حَلَاوَةِ الرُّوحِ دَفَعْتُهُ هُوَ وَفَرَسَهُ
 فَوَقَعَا فِي ذَلِكَ الْمَرْلِقِ فَصَارَ عِبْرَةً . وَتَبَادَرَ النَّاسُ إِلَيْهِ فَأَجْتَهَدْتُ

أَنَا فِي الْمَشِي حَتَّى قَطَعْتُ الْجِسْرَ فَدَخَلْتُ شَارِعًا فَوَجَدْتُ بَابَ دَارِ
 وَامْرَأَةً واقِفَةً فِي الدَّهْلِيْزِ . فَقَالَتْ لَهَا : يَا سَيِّدَةَ النِّسَاءِ أَحْفَنِي دَمِي
 فَإِنِّي رَجُلٌ خَافٌ . فَقَالَتْ لِي : عَلَى الرَّحْبِ وَالسَّعَةِ . وَأَطْلَعَنِي إِلَى
 غُرْفَةٍ وَفَرَشَتْ لِي فِرَاشًا وَقَدَّمَتْ لِي طَعَامًا وَقَالَتْ : هَدِي رَوْعَكَ
 فَمَا عَلِمَ بِكَ مَخْلُوقٌ . فَيِنَّمَا هِيَ كَذَلِكَ إِذَا بِالْبَابِ يُطْرَقُ طَرْقًا
 عَنيفًا . فَخَرَجْتُ وَفَتَحْتُ الْبَابَ وَإِذَا بِصَاحِبِي الَّذِي دَفَعْتُهُ عَلَى الْجِسْرِ
 وَهُوَ مُشْدُوخُ الرَّأْسِ وَدَمُهُ يُسِيلُ عَلَى ثِيَابِهِ وَلَيْسَ مَعَهُ فَرَسٌ . فَقَالَتْ
 لَهُ : يَا هَذَا مَا دَهَاكَ . فَقَالَ : إِنِّي ظَفَرْتُ بِالْغَنِيِّ وَأَنْقَلْتُ مِنِّي .
 وَأَخْبَرَهَا بِمَا جَرَى لَهُ . فَأَخْرَجَتْ لَهُ عَصَابًا وَعَصَبَتْ رَأْسَهُ وَفَرَشَتْ
 لَهُ فَنَامَ عَلَيْهِ . ثُمَّ إِنِّي أَطَلَعْتُ إِلَيْهِ وَقَالَتْ : أَظُنُّكَ أَنْتَ صَاحِبُ
 الْقِضْيَةِ . فَقُلْتُ لَهَا : نَعَمْ . فَقَالَتْ : لَا بَأْسَ عَلَيْكَ وَلَا تَخَفْ . ثُمَّ
 جَدَدْتُ لِي الْكِرَامَةَ فَأَقَمْتُ عِنْدَهَا ثَلَاثًا . ثُمَّ قَالَتْ لِي : إِنِّي خَائِفَةٌ
 عَلَيْكَ مِنْ هَذَا الرَّجُلِ (وَعَنْتُ زَوْجَهَا) لِئَلَّا يَطَّلِعَ عَلَيْكَ فَيَنِمَّ بِكَ .
 فَالْأَوْلَى بِكَ أَنْ تَنَجُوَ بِنَفْسِكَ فِي خَيْرٍ . فَسَأَلْتُهَا الْمَهَلَةَ إِلَى اللَّيْلِ .
 فَقَالَتْ : لَا بَأْسَ بِذَلِكَ . فَلَمَّا جَنَّ اللَّيْلُ لَبِسْتُ زِيَّ النِّسَاءِ وَخَرَجْتُ
 مِنْ عِنْدِهَا وَأَتَيْتُ إِلَى بَيْتِ جَارِيَةِ لِي . فَلَمَّا رَأَيْتُنِي بَكَتْ وَتَوَجَّعَتْ
 وَحَدَّثَتِ اللَّهَ عَلَى سَلَامَتِي وَخَرَجَتْ وَهِيَ تُوهِمُنِي أَنَّهَا تُرِيدُ السُّوقَ
 لِلْإِهْتِمَامِ بِالضِّيَافَةِ وَظَنَنْتُ بِهَا خَيْرًا . فَمَا شَعَرْتُ إِلَّا بِإِبْرَاهِيمَ الْمُؤَصِّلِي
 قَدْ أَقْبَلَ مَجِيئِهِ وَرَجَلِهِ وَالْجَارِيَةَ مَعَهُ . فَاسْلَمْتَنِي إِلَيْهِ فَرَأَيْتُ الْمَوْتَ

عَيَانًا . فَحَمَلُونِي بِالزَّيْبِ الَّذِي أَنَا فِيهِ إِلَى الْمُأْمُونِ . فَعَقَدَ مَجْلِسًا عَامًّا
وَأَدْخَلَنِي إِلَيْهِ فَلَمَّا مَثَلْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ سَلَّمْتُ عَلَيْهِ بِالْخِلَافَةِ . فَقَالَ : لَا
سَلَمَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَلَا حَيَاكَ وَلَا رَعَاكَ . فَقُلْتُ لَهُ : مَهْلَا يَا أَمِيرَ
الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ وَبِي النَّارَ مُحْكَمًا بِالْقِصَاصِ وَلَكِنَّ الْعَفْوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى .
وَقَدْ جَعَلَكَ اللَّهُ فَوْقَ كُلِّ عَفْوٍ كَمَا جَعَلَ ذَنْبِي فَوْقَ كُلِّ ذَنْبٍ . فَإِنْ
تَقَتَّلَ فِعْدَلِكَ وَإِنْ تَعَفُّوا فَمِنْ فَضْلِكَ . ثُمَّ أُنشَدْتُ :

ذَنْبِي إِلَيْكَ عَظِيمٌ وَأَنْتَ أَعْظَمُ مِنْهُ

فَخُذْ بِحُكْمِكَ أَوْ لَا فَاصْفَحْ بِحِلْمِكَ عَنْهُ

إِنْ لَمْ أَكُنْ عِنْدَ فِعْلِي مِنَ الْكِرَامِ فَكُنْهُ

قَالَ : فَرَفَعَ الْمُأْمُونُ رَأْسَهُ وَنَظَرَ إِلَيَّ فَبَدَرْتُهُ قَائِلًا :

أَتَيْتُ ذَنْبًا عَظِيمًا وَأَنْتَ لِلْعَفْوِ أَهْلٌ

فَإِنْ عَفَوْتَ فَمَنْ وَإِنْ قَتَلْتَ فَعَدْلٌ

فَرَقَّ لِي الْمُأْمُونُ فَرَأَيْتُ وَجْهَهُ قَدْ هَشَّ وَأَسْتَرْوَحَتْ رَوَائِحُ
الرَّحْمَةِ مِنْ شَمَائِلِهِ . ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيَّ الْعَبَّاسُ وَأَخِيهِ أَبِي إِسْحَاقَ وَجَمِيعَ مَنْ
حَضَرَ مِنْ خَاصَّتِهِ وَقَالَ لَهُمْ : مَاذَا تَرَوْنَ فِي أَمْرِهِ فَكُلُّ أَشَارٍ يَقْتُلِي
إِلَّا أَنَّهُمْ اخْتَلَفُوا فِي الْقِتْلَةِ . فَقَالَ الْمُأْمُونُ لِأَحْمَدَ بْنِ أَبِي خَالِدٍ : مَا تَقُولُ
يَا أَحْمَدُ . فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنْ قَتَلْتَهُ فَقَدْ وَجَدْنَا مِثْلَكَ قَدْ قَتَلَ
مِثْلَهُ . وَإِنْ عَفَوْتَ عَنْهُ لَمْ نَجِدْ مِثْلَكَ قَدْ عَفَا عَنْ مِثْلِهِ . فَنَكَّسَ الْمُأْمُونُ
رَأْسَهُ مُطْرِقًا إِلَى الْأَرْضِ سَاعَةً . ثُمَّ رَفَعَهُ وَأُنشَدَ :

قَوْمِي هُمْ قَتَلُوا أَمِيرَ أَخِي فَأَذَارَمَيْتُ يُصِيبُنِي سَهْمِي
 (قَالَ) فَكَشَفْتُ عِنْدَ ذَلِكَ الْمَقْتَعَةَ عَنْ رَأْسِي وَكَبَّرْتُ تَكْبِيرَةً عَظِيمَةً
 فَرَحًا وَقُلْتُ: عَفَا وَاللَّهِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. فَقَالَ الْمُأْمُونُ: لَا بَأْسَ عَلَيْكَ
 يَا عَمَاهُ. فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ذَنْبِي أَعْظَمُ مِنْ أَنْ أَتَفَوَّهُ مَعَهُ بِعَذْرٍ.
 وَعَقُولُكَ أَعْظَمُ مِنْ أَنْ أَنْطِقَ مَعَهُ بِشُكْرِ وَلَكِنِّي أَقُولُ:

إِنَّ الَّذِي خَلَقَ الْمَكَارِمَ حَارَهَا فِي صُلبِ آدَمَ لِلإِمَامِ السَّابِعِ
 مُلِئَتْ قُلُوبُ النَّاسِ مِنْكَ مَهَابَةً وَتَظَلُّ تَكْلَاهُمْ بِقَلْبِ خَاشِعٍ
 فَعَفَوْتَ عَمَّنْ لَمْ يَكُنْ عَنْ مِثْلِهِ عَفْوٌ وَلَمْ يُشْفَعْ إِلَيْكَ بِشَافِعٍ
 وَرَجِمَتْ أَطْفَالًا كَأَفْرَاحِ الْقَطَا وَحَنِينَ وَالِدَةٍ بِقَلْبِ جَارِعٍ
 فَقَالَ الْمُأْمُونُ: لَا تَثْرِبَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ. وَقَدْ عَفَوْتَ عَنْكَ وَرَدَدْتَ
 عَلَيْكَ مَالَكَ وَصِيَاعَكَ بِأَجْمَعِهَا. فَقَبِلْتُ الْأَرْضَ وَأَنْشَدْتُ:

رَدَدْتَ مَالِي وَلَمْ تَجْعَلْ عَلَيَّ بِهِ وَقَبْلَ رَدِّكَ مَالِي قَدْ حَقَّتْ دَمِي
 نَأَيْتُ مِنْكَ وَقَدْ خَوَّلْتَنِي نِعْمًا هُمَا الْحَيَاتَانِ مِنْ مَوْتٍ وَمِنْ عَدَمٍ
 فَلَوْ بَدَلْتُ دَمِي أَبْنِي رِضَاكَ بِهِ وَأَمَّا لِحْتَى أَسَلَّ النَّعْلَ مِنْ قَدَمِي
 مَا كَانَ ذَلِكَ سِوَى عَارِيَةٍ رَجَعْتُ إِلَيْكَ لَوْ لَمْ تُعْرِهَا كُنْتُ لَمْ تَلَمْ
 فَإِنْ جَمَدْتُكَ مَا أَوْلَيْتَ مِنْ نِعَمٍ إِنِّي إِلَى اللُّؤْمِ أَوْلَى مِنْكَ بِالكَرَمِ
 فَقَالَ الْمُأْمُونُ: إِنَّ مِنَ الْكَلَامِ لَدَرًّا وَهَذَا مِنْهُ. ثُمَّ خَافَ عَلَيَّ وَقَالَ
 لِي: يَا عَمُّ إِنَّ أَبَا إِسْحَاقَ أَخِي وَالْعَبَّاسَ أَشَارَا عَلَيَّ بِقَتْلِكَ. فَقُلْتُ لَهُ:
 وَإِنَّمَا نَصَحَاكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ بِمَا أَنْتَ أَهْلُهُ. فَقَالَ

الْمَأْمُونُ : يَا عَمُّ لَقَدْ أَمَتَ حِمْدِي بِحَيَاةِ عُدْرِكَ . وَقَدَّعَفَوْتُ عَنْكَ
 وَلَمْ أُحْبِرْكَ مَرَارَةَ أَمْتَانِ الشَّافِعِينَ . ثُمَّ إِنَّ الْمَأْمُونَ سَجَدَ وَقَبَّلَ
 الْأَرْضَ وَرَفَعَ رَأْسَهُ وَقَالَ لِي : يَا عَمُّ أَتَدْرِي لِمَاذَا سَجَدْتُ وَقَبَّلْتُ
 الْأَرْضَ . قُلْتُ : نَعَمْ أَظُنُّهُ شُكْرًا لِلَّهِ تَعَالَى الَّذِي أَظْفَرَكَ بَعْدُ
 دَوْلَتِكَ . فَقَالَ : مَا أَرَدْتُ هَذَا وَلَكِنْ شُكْرًا لِلَّهِ تَعَالَى الَّذِي أَلْهَمَنِي
 الْعَفْوَ عَنْكَ فَمَدَّيْنِي الْآنَ حَدِيثِكَ فِي اخْتِفَانِكَ . فَشَرَحْتُ لَهُ
 صُورَةَ أَمْرِي مَعَ الْحُجَّامِ وَالْجُنْدِيِّ وَأَمْرَاتِهِ وَمَا جَرَى لِي مَعَ جَارِيَّتِي .
 فَأَمَرَ الْمَأْمُونُ بِإِحْضَارِ الْجَمِيعِ . فَدَعَا جَارِيَّتِي وَكَانَتْ مُنْتَظِرَةً لِلْجَائِزَةِ .
 فَقَالَ لَهَا : مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا فَعَلْتَ بِسَيِّدِكَ . فَقَالَتْ : الرِّغْبَةُ فِي الْمَالِ .
 فَقَالَ لَهَا الْمَأْمُونُ : أَلَيْكَ وَلَدٌ أَوْ زَوْجٌ . قَالَتْ : لَا . فَأَمَرَ بِضَرْبِهَا
 مِائَةَ سَوْطٍ وَخَلَدَ سَجْنَهَا . ثُمَّ أَحْضَرَ الْجُنْدِيَّ وَأَمْرَاتَهُ وَالْحُجَّامَ . فَسَأَلَ
 الْجُنْدِيَّ مَا حَمَلَهُ عَلَى مَا فَعَلَ . فَقَالَ : الرِّغْبَةُ فِي الْمَالِ . فَقَالَ لَهُ
 الْمَأْمُونُ : أَنْتَ يَجِبُ أَنْ تَكُونَ حَجَّامًا لِتَتَعَلَّمَ الْحُجَّامَةَ . ثُمَّ طَرَدَهُ مِنَ
 الْجُنْدِيَّةِ وَالْكَرَمِ زَوْجَتُهُ وَأَمَرَ فَأَدْخَلُوهَا قَصْرَهُ وَقَالَ : هَذِهِ أَمْرَاةُ
 عَائِلَتِكَ تَصْطَلِحُ لِلْمُهِمَّاتِ . ثُمَّ أَلْتَقَتْ إِلَى الْحُجَّامِ وَقَالَ لَهُ : لَقَدْ ظَهَرَ مِنْ
 مُرْوَاتِكَ مَا يُوجِبُ الْمُبَالَغَةَ فِي إِكْرَامِكَ . فَسَلَّمَ إِلَيْهِ دَارَ الْجُنْدِيِّ بِمَا
 فِيهَا وَخَلَعَ عَلَيْهِ وَأَعْطَاهُ رِزْقَ الْجُنْدِيِّ وَأَجْرِي لَهُ أَلْفَ دِينَارٍ فِي كُلِّ
 سَنَةٍ . فَلَمْ يَزَلْ فِي تِلْكَ النَّعْمَةِ إِلَى أَنْ تَوَفَّاهُ اللَّهُ (حديقة الافراح لليمني)

الباب السادس عشر

في الفكاهايات

٣١٣ كَتَبَ ابْنُ الْحَازِنِ الْكَاتِبُ الدِّيَنُورِيُّ إِلَى الْحَكِيمِ أَبِي
الْقَاسِمِ الْأَهْوَازِيِّ وَقَدْ فَصَدَهُ وَالْمَةُ :

رَجِمَ الْإِلَهَ مُجَدِّلِينَ سَلِيمَهُمْ مِنْ سَاعِدَيْكَ مُبَضَّعٌ مُبَضَّعٌ
فَمَصَابِئُ تَأْتِيهِمْ بِعَصَابِ لُشِرَتْ فَتَطْوِي أذْرُعًا فِي الْأَذْرُعِ
أَفْصَدْتَهُمْ بِاللَّهِ أَمْ أَفْصَدْتَهُمْ وَخَرًّا بِأَطْرَافِ الرِّمَاحِ الشَّرْعِ
دَسْتُ الْمُبَاضِعِ أَمْ كِنَانَتُهُ أَسْهُمِ أَمْ ذُو الْقَمَارِ مَعَ الْبَطِينِ الْأَتْرَعِ
عَرَّرَا بِنَفْسِي إِنْ لَقَيْتُكَ بَعْدَهَا يَا عَنَتَرَ الْعَبْسِيُّ غَيْرَ مُدْرَعِ
٣١٤ كَتَبَ بَعْضُ الظُّرَفَاءِ إِلَى صَاحِبِهِ لَهُ يَطْلُبُ خَمْرًا :

أَشْكُو إِلَيْكَ بَرَاغِيثًا بُلِيَّتُ بِهَا سُودًا إِذَا انْتَبَهَوْا فِي اللَّيْلِ لَمْ أُنْمِ
أَصِيدُ هَذَا فَيَبْقَى ذَا فَيَلْدُنِي فَيَنْقِضِي اللَّيْلُ فِي صَيْدِي وَلَدَغِيهِمْ
وَقَدْ تَقَيَّتْ أُنِّي لَيْسَ يُقْذِنِي سِوَى ابْنَةِ الْكُرْمِ يَا ابْنَ الْجُودِ وَالْكَرَمِ
إِبْعَثْ إِلَيَّ دَمَ الْعُقُودِ أَشْرِبَهَا لِكِي أَنَامَ وَلَا أَشْعُرُ بِسَفْكِ دَمِي
٣١٥ قَالَ ابْنُ الدَّرَوِيِّ فِي ابْنِ أَبِي حُصَيْنَةَ الْأَحْدَبِ :

لَا تَنْظَنَّ حُدْبَةَ الظَّهْرِ عِيَابًا فَهِيَ فِي الْحُسْنِ مِنْ صِفَاتِ الْهَلَالِ
وَكَذَلِكَ الْقِسِيِّ مُحْدُودِيَاتٌ وَهِيَ أَنْكِي مِنَ الطَّبَا وَالْعَوَالِي
وَإِذَا مَا عَلَا السَّنَامُ فَمِيهِ لِضُرُومِ الْجَمَالِ أَيُّ جَمَالِ

كُونَ اللَّهُ حَدَبَةً فِيكَ إِنْ شِئْتَ مِنْ أَلْفُضَلٍ لَا مِنْ الْإِفْضَالِ
فَأَتَتْ رُبُوبَةً عَلَى طَوْدٍ جِلْمٍ مِنْكَ أَوْ مَوْجَةً يَبْجُرُ نَوَالِ
مَا رَأَتْهَا النِّسَاءُ إِلَّا تَمَنَّتْ أَنَّهَا حَلِيَّةٌ لِكُلِّ الرِّجَالِ
٣١٦ قَالَ ابْنُ دَايِيَالٍ فِي أَحَدَبَ يُسَمَّى حَسَانَ :

قَسَمًا بِحُسْنِ قَوَامِكَ أَلْفَتَانِ يَا أَوْحَدَ الْأَمْرَاءِ فِي الْخُدْبَانِ
يَا مُشْبِهَ الْفُضْنِ الرَّطِيبِ إِذَا انْتَنَى مِنْ حَدَبَةٍ فِيمَيْسُ كَالرِّيَانِ
يَا مُخْجَلًا شَكَلَ الزَّمَانَ بِقَدَمِهِ حَاشَاكَ أَنْ تُمْرَى إِلَى نُفْصَانِ
مَا عَابَ قَامَتِكَ الْحُسُودُ جَهَالَةً إِلَّا أَجَبْتَ مَقَالَةَ بِيَانِ
هَلْ تَحْسُنُ الْحَرَكَاتُ إِلَّا أَنْ يُرَى ذُو حَدَبَةٍ فِي حَابَةِ الْمِيدَانِ
لَوْلَاكَ مَا اشْتَقْنَا قِيَابَ الْمُنْحَنِ مِنْ حَاجِرٍ وَالْتَلَّ مِنْ عُسْفَانِ
وَالْعُودُ أَحَدَبٌ وَهُوَ يَلْهِي مَطْرِبًا وَلَقَدْ سَمِعْتَ بِنَعْمَةِ الْعِيدَانِ
وَأَنْظُرْ سَفِينِ الْبَحْرِ لَوْلَا حَدَبُهُ فِي ظَهْرِهِ لَمْ يَقْوِ لِلطُّوفَانِ
وَمُدِيرُ الْإِكْسِيرِ يُدْعَى أَحَدَبًا فِي عَامِهِ وَالْقِسْطُ فِي الْمِيزَانِ
وَإِذَا اكْتَسَى الْإِنْسَانُ قِيلَ تَمَثُّلًا بِالْمَذْحِ قَامَتْ حَدَبَةُ الْإِنْسَانِ
يَفْدِيكَ فِي الْخُدْبَانِ كُلِّ مُكْرَبٍ يَمِشِي الْهُوَيْنَا مِشِيَةَ السَّرَطَانِ
مُنْجِمِ الْكُفَّيْنِ أَقْوَسَ قَدْ بَدَأَ فِي هَيْئَةِ الْمُتَخَوِّفِ الضَّعْفَانِ

الطيب والخليفة

٣١٧ يُحْكِي أَنْ فَلَاحًا حَصَلَ لَهُ شِدَّةٌ مِنْ مَرَضٍ آلَهُ وَأَصَابَ قَدَمَهُ
فَجَاءَ إِلَى طَيْبٍ وَشَكَا إِلَيْهِ الْأَلَامَ وَقَالَ: أَلَمِي فِي رِجْلِي ضَاعَفَ هَمِّي

وَأَضَعَفَ هَمِي. فَقَالَ لَهُ الطَّيِّبُ: لَا بَأْسَ يَا حَبِيبُ هَذَا إِذْ هَمَيْتُ.
 وَعِلَاجُهُ بَيْنُ. أَعْطَيْتَنِي دِينَارًا أَصِفْ لَكَ دَوَاءً شَافِيًا. فَأَعْطَاهُ مَا أَسْتَهِي
 وَأَسْتَوْصِفُهُ الدَّوَاءَ. فَقَالَ صَمَدُهُ بِمَجَّةٍ بِيضٍ كَثِيرَةٍ الْأَبْزَارِ. وَضَعَّ عَلَيْهِ
 عَسَلًا مُسَخَّنًا عَلَى النَّارِ. فَفَعَلَ ذَلِكَ فَبَرِثَ قَدَمَهُ. وَزَالَ بِالْكَلِيَّةِ أَلْمَهُ.
 فَفَكَرَ الْفَلَاحُ فِي أَمْرِ الطَّيِّبِ. وَقَوْلِهِ الْمُصِيبِ. فَرَأَى الرَّاحَةَ. فِي
 تَرْكِ الْفَلَاحَةِ. وَالِإِسْتِغَالَ بِعِلْمِ الطَّبِّ فَإِنَّهُ أَمْرٌ هَيِّنٌ يُسِيرُ. وَبِأَدْنَى
 أَمْرٍ حَقِيرٍ. يُحْصَلُ الْمَالُ الْكَثِيرُ. فَبَاعَ آتِ الْزَّرَاعَةِ. وَعَزَمَ عَلَى تَعَاطِي
 مَا فِي الطَّبِّ وَالتَّعْبِيرِ مِنَ الصَّنَاعَةِ. وَجَمَعَ كُتُبًا وَدَقَائِرَ. وَكَرَّ أَرِيْسَ مَخْرَمَةً
 مَنَازِرَ. وَوَسَّعَ أَكْمَامَهُ. وَوَضَعَ عَلَى رَأْسِهِ عِمَامَةً كَعِمَامَةِ. وَجَمَعَ عَقَاقِيرَ
 وَأُورَاقًا وَبَسَطَ بَسْطَهُ فِي بَعْضِ الْأَسْوَاقِ وَأَشَارَ عَلَى لِسَانِ مَخْبِرٍ: أَنَّ
 الْمَكَانَ الْفُلَانِيَّ فِيهِ طَيِّبٌ مُعَبَّرٌ وَهُوَ أَسْتَاذُ الزَّمَانِ وَعِلَامَةُ الْأَوَانِ.
 وَتَلَامِيذُهُ فِي الطَّبِّ حُكَمَاةُ الْيُونَانِ. وَفِي التَّعْبِيرِ ابْنُ سِيرِينَ وَكَرْمَانُ.
 وَتَصَدَّرَ كَأَبِي زَيْدٍ وَسَاسَانَ. عَامِلًا بِمَا قَالَهُ شَيْخُ الْبَيَانِ وَهُوَ:

الطَّبُّ أَهْوَنُ عِلْمٍ يُسْتَفَادُ فَطَرُ
 وَاجْعُ لَذَاكَ كَرَّارِيْسًا مَنْرَةً
 وَجَمَلَةٌ مِنْ حَشِيْشٍ مِنْ عَقَاقِيرِ
 وَضَعْ عَلَى الرَّأْسِ بَقِيَارًا تُدَوِّرُهُ
 كَقَبَةِ النَّسْرِ فِي وَزَنِ الْقَنَاطِيرِ
 وَاجْمَعْ مَعَاجِينَ مِنْ رُبِّ مَخَاطِهَا
 وَأَنْخَقْ سَفُوقًا وَكِحَالَ الْعَوَاوِيرِ
 وَسَمِّ مَا شِئْتَ مِنْ أَسْمَاءٍ مُغْرِبَةٍ
 كَالسِّنْدِ وَالْهِنْدِ وَالسَّرْحَا وَخَنْفُورِ
 هَذَا وَهَذَا أَتَى مِنْ مُلْكِ تَقْفُورِ
 وَقُلْ مِنَ الْهِنْدِ جَاهَذَا وَمِنْ عَدَنِ

وَذَا مِنَ النَّجْرِ بَحْرُ الصِّينِ مَعْدِنُهُ وَذَا مِنَ الْبَرِّ الْمَدْعُو بَيْرُورِ
 فَإِنْ رَأَيْتَ بِالْإِسْتِسْقَاءِ ذَا وَرَمٍ فَكُلُّ تَوْرَمٍ مِنْ تَسْعِ الزَّنَابِيرِ
 إِنْ أَقْشَرَ فُكُلُ بَرْدِ عَرَاهُ وَإِنْ يُحْمَمُ قُلُ حَرُّهُ وَهَجُّ التَّنَابِيرِ
 وَإِنْ أَنْكَ مَرِيضٌ لَا تُخْفُ وَأَشِرُ تَمَا تَرَى مِنْ دَوَاءِ دُونَهُ الْبُورِي
 فَإِنْ يَعِشُ قُلُ دَوَائِي كَانَ مُنْعِشُهُ وَإِنْ يُمُتُ قُلُ أَنْتَاهُ جُحْمُ مَقْدُورِ
 فَإِنْ أَصَبْتَ فُكُلَ عَلِيٍّ وَمَعْرِفَتِي وَفِي التَّخَالُفِ قُلُ ضِدُّ الْمَقَادِيرِ
 وَإِنْ رَأَيْتَ فَقِيهَا فِرٌّ مِنْهُ وَلَا تَنْطِقُ يُخَطِّتُكَ فِي جَهْلِ وَتَكْفِيرِ
 وَأَنْتَ تَحْتَاجُ فِي هَذَا وَذَلِكَ إِلَى ذَوْقٍ وَمَعْرِفَةٍ مَعَ حُسْنِ تَدْبِيرِ
 فَأَتَّقْ أَنْ زِمَامَ خَلِيفَةِ الْأَنَامِ . رَأَى فِي الْمَنَامِ . شَيْئًا هَالَهُ . وَعَيْرِ
 حَالَهُ . فَحَصَلَ لَهُ فِي رَأْسِهِ صُدَاعٌ . وَفِي فُؤَادِهِ أَوْجَاعٌ . فَسَمِعَ بِهَذَا الْمَعْبَرِ
 الْجَدِيدِ . وَأَنَّهُ أَسْتَاذٌ مُفِيدٌ . فَقَالَ : مَاذَا تَسْكُو . فَقَالَ : فِي فُؤَادِي
 أَوْجَاعٌ . وَفِي رَأْسِي صُدَاعٌ . فَقَالَ : يَا زَيْنَ مَنْ قَاخَر . أَعْطَنِي دِينَارًا
 آخَرَ . أَصِفْ لَكَ أَيْسَرَ دَوَاءٍ . يَحْضُلُ لَكَ مِنْهُ الْعَافِيَةُ وَالشِّفَاءُ .
 فَدَفَعَ إِلَيْهِ الدِّينَارَ . وَطَلَبَ مِنْهُ دَوَاءَ الدُّوَارِ . وَمَا يَقُودُهُ مِنْ أَلَمٍ .
 أَوْزَنَهُ الْوَهْجُ وَالضَّرَمُ . فَقَالَ : يَا أَبَا الْفَيْضِ . صَمَدٌ رَجُلٌ بِحُجَّةٍ بَيِّضُ .
 مُضَافًا إِلَيْهَا عَسَلٌ مُشْتَارٌ . وَلِيَكُنْ ذَلِكَ مُسْتَحْنَا بِالنَّارِ . فَاسْتَشَاطَ غَضَبًا .
 وَفَارَ كَالنَّارِ شَوَاطِئًا وَلَهَبًا . وَعَرَفَ أَنَّهُ جَاهِلٌ . وَعَنْ طُرُقِ الْعِلْمِ غَافِلٌ .
 فَأَدَبَهُ التَّادِيبُ الْبَالِغُ . وَرَدَّهُ إِلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنْ مُنَادِمَةِ السَّالِغِ . وَاسْتَمَرَ
 عَلَى كَلَاحَتِهِ . بَعْدَ رُجُوعِهِ إِلَى فِلَاحَتِهِ (فَاكِهَةُ الْخَلْفَاءِ لَابْنِ عَرَبْشَاهِ)

الفضل بن يحيى والاعرابي

٣١٨ ومما جاء من أخبار البرامكة ما رواه الأصمعي قال خرج الفضل للصيد
والقنص. وبينما هو في موكبه إذ رأى أعرابياً على ناقه قد أقبل من صدر
البرية ركض في سيرة. قال: هذا يهصدني فلا يكلمه أحد غيري.
فلما دنا الأعرابي ورأى المضارب تضرب. وأخيام تنصب. والعسكر
الكثير. والجمل الغفير. وسمع الغوغاء والصحجة ظن أنه أمير المؤمنين. فنزل
وعقل راحته وتقدم إليه وقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة
الله وبركاته. قال: أخفض عليك ما تقول. فقال: السلام عليك
أيها الأمير. قال: الآن قاربت أجلس فجلس الأعرابي. فقال له
الفضل: من أين أقبلت يا أخا العرب. قال: من قضاة. قال: من
أدناها أو من أفصاها. قال: من أفصاها. فقال يا أخا العرب: مثلك
من يهصد من ثمانية فرسخ إلى العراق لأي شيء. قال: قصدت
هؤلاء الأماجد الأتجاد الذين قد اشتهر معروفهم في البلاد. قال:
من هم. قال: البرامكة. قال الفضل: يا أخا العرب إن البرامكة
خلق كثير. وفيهم جليل وخطير. ولكل منهم خاصة وعمامة. فهل
أفرزت لنفسك منهم من اخترت لنفسك وأتيتك لحاجتك. قال:
أجل أطولهم باعاً وأسمحهم كفاً. قال: من هو. قال: الفضل
ابن يحيى بن خالد. فقال له الفضل: يا أخا العرب إن الفضل
جليل القدر عظيم الخطر. إذا جلس للناس مجلساً عاماً لم يحضر مجلسه

إِلَّا الْعُلَمَاءَ وَالْفُقَهَاءَ وَالْأَدَبَاءَ وَالشُّعْرَاءَ وَالْكَتَّابَ وَالْمُنَاطِرُونَ لِلْعِلْمِ .
 أَعْلِمُ أَنْتَ . قَالَ : لَا . قَالَ : أَفَأَدِيبُ أَنْتَ . قَالَ : لَا . قَالَ : أَفَعَارِفُ
 أَنْتَ بِأَيَّامِ الْعَرَبِ وَأَشْعَارِهَا . قَالَ : لَا . قَالَ : وَرَدَّتْ عَلَى الْفَضْلِ
 بِكِتَابٍ وَسِيْلَةٍ . قَالَ : لَا . فَقَالَ : يَا أَخَا الْعَرَبِ غَرَّتْكَ نَفْسُكَ . مِثْلَكَ
 يَقْصِدُ الْفَضْلُ بْنُ يَحْيَى وَهُوَ مَا عَرَفْتِكَ عَنْهُ مِنَ الْجَلَالَةِ . بَابِي ذَرِيْعَةٌ
 أَوْ وَسِيْلَةٌ تَقْدَمُ عَلَيْهِ . قَالَ : وَاللَّهِ يَا أَمِيرُ مَا قَصَدْتُهُ إِلَّا لِإِحْسَانِهِ
 الْمَعْرُوفِ . وَكَرَّمَهُ الْمَوْصُوفِ . وَبَيَّتَيْنِ مِنَ الشُّعْرِ قَاتَمَتَا فِيهِ . فَقَالَ
 الْفَضْلُ : يَا أَخَا الْعَرَبِ أَنْشِدْنِي الْيَتِيْنِ فَإِنْ كَانَا يَصْلِحَانِ أَنْ تَلْقَاهُ
 بِهِمَا أَشْرْتُ عَلَيْكَ بِلِقَائِهِ . وَإِنْ كَانَا لَا يَصْلِحَانِ أَنْ تَلْقَاهُ بِهِمَا بَرَّرْتُكَ
 بِشَيْءٍ مِنْ مَالِي وَرَجَعْتُ إِلَى بَادِيَتِكَ وَإِنْ كُنْتُ لَمْ تَسْتَحِقَّ بِشِعْرِكَ
 شَيْئًا . قَالَ : أَفَفْعَلْ أَيُّهَا الْأَمِيرُ . قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : فَأَبِي أَقُولُ :
 أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْجُودَ مِنْ عَهْدِ آدَمَ تَحَدَّرَ حَتَّى صَارَ يَمِيْتُصُهُ الْفَضْلُ
 وَلَوْ أَنَّ أُمَّا مَسَّهَا جُوعٌ طِفْلَهَا غَذَتْهُ بِاسْمِ الْفَضْلِ لِأَغْنَدَ الْطِفْلُ
 قَالَ : أَحْسَنْتَ يَا أَخَا الْعَرَبِ . فَإِنْ قَالَ لَكَ هَذَانِ الْيَتِيَانِ قَدِمَدَحَنَا
 بِهِمَا شَاعِرٌ وَأَخَذَ الْجَلَازَةَ عَلَيْهِمَا فَأَنْشِدْنِي غَيْرَهُمَا . فَمَا تَقُولُ . قَالَ أَقُولُ :
 قَدْ كَانَ آدَمُ حِينَ حَانَ وَقَاتُهُ أَوْصَاكَ وَهُوَ يَجُودُ بِالْحَوْبَاءِ
 بَيْنِهِ أَنْ تَرَعَاهُمْ فَرَعَيْتَهُمْ وَكَفَيْتَ آدَمَ عَوْلَةَ الْأَبْنَاءِ
 قَالَ : أَحْسَنْتَ يَا أَخَا الْعَرَبِ . فَإِنْ قَالَ لَكَ الْفَضْلُ مُمْتَحِنًا . هَذَانِ
 الْيَتِيَانِ أَخَذْتَهُمَا مِنْ أَفْوَاهِ النَّاسِ . فَأَنْشِدْنِي غَيْرَهُمَا . فَمَا تَقُولُ وَقَدْ

رَمَقَتْكَ الْأَدْبَابُ بِالْأَبْصَارِ وَامْتَدَّتِ الْأَعْنَاقُ إِلَيْكَ وَتَحْتَاجُ أَنْ تُتَاضَلَ
عَنْ نَفْسِكَ . قَالَ : إِذَنْ أَقُولُ :

مَلَّتْ جِهَابُ فُضْلِ وَرَنْ نَائِلِهِ وَمَلَّ كِتَابُهُ إِحْصَاءَ مَا يَهَبُ
وَاللَّهِ لَوْلَاكَ لَمْ يَمْدَحْ بِمَكْرُمَةٍ خَلَقَ وَلَمْ يَرْتَفِعْ بِمَجْدٍ وَلَا حَسْبُ
قَالَ : أَحْسَنْتَ يَا أَخَا الْعَرَبِ . فَإِنْ قَالَ لَكَ الْفَضْلُ هَذَا الْبَيْتَانِ
مَسْرُوقَانِ . أَتَشْدِينِي غَيْرَهُمَا . فَمَا تَقُولُ : قَالَ : إِذَنْ أَقُولُ :

وَلَوْ قِيلَ لِلْمَعْرُوفِ نَادِرِ أَخَا الْعُلَا لِنَادَى بِأَعْلَى الصَّوْتِ يَا فَضْلُ يَا فَضْلُ
وَلَوْ أَنْفَقَتْ جَدُّ وَالْكَرْمَلُ عَالِجٌ لِأَصْبَحَ مِنْ جَدِّ وَالْكَرْمَلُ نَفْدَ الرَّمْلُ
قَالَ : أَحْسَنْتَ يَا أَخَا الْعَرَبِ فَإِنْ قَالَ لَكَ الْفَضْلُ : هَذَا

الْبَيْتَانِ مَسْرُوقَانِ أَيْضًا . أَتَشْدِينِي غَيْرَهُمَا فَمَا تَقُولُ : قَالَ أَقُولُ :
وَمَا النَّاسُ إِلَّا اثْنَانِ صَبٌّ وَبَاذِلٌ وَإِنِّي لَذَاكَ الصَّبِّ وَالْبَاذِلِ الْفَضْلُ
عَلَى أَنْ لِي مِثْلًا إِذَا ذَكَرَ الْوَرَى وَلَيْسَ لِفَضْلٍ فِي سَمَاحَتِهِ مِثْلُ
قَالَ : أَحْسَنْتَ يَا أَخَا الْعَرَبِ . فَإِنْ قَالَ لَكَ الْفَضْلُ : أَتَشْدِينِي
غَيْرَهُمَا فَمَا تَقُولُ . قَالَ : أَقُولُ أَيُّهَا الْأَمِيرُ :

حَكَى الْفَضْلُ عَنْ نِيحَى سَمَاحَةِ خَالِدٍ فَقَامَتْ بِهِ التَّهْوَى وَقَامَ بِهِ الْعَدْلُ
وَقَامَ بِهِ الْمَعْرُوفُ شَرْقًا وَمَغْرِبًا وَلَمْ يَكْ لِلْمَعْرُوفِ بَعْدُ وَلَا قَبْلُ
قَالَ : أَحْسَنْتَ . فَإِنْ قَالَ لَكَ : قَدْ ضَجِرْنَا مِنَ الْقَاضِلِ وَالْمَفْضُولِ
أَتَشْدِينِي بَيْنَيْنِ عَلَى الْكِنْيَةِ لِأَعْلَى الْأِسْمِ فَمَا تَقُولُ . قَالَ : إِذَنْ أَقُولُ :
أَلَا يَا أَبَا الْعَبَّاسِ يَا وَاحِدَ الْوَرَى وَيَا مَلِكًا خَدَّ الْمُلُوكِ لَهُ نَعْلُ

إِلَيْكَ تَسِيرُ النَّاسُ شَرْقًا وَمَغْرِبًا فُرَادَى وَأَزْوَاجًا كَانَهُمْ تَحُلُّ
 قَالَ: أَحْسَنَتْ يَا أَخَا الْعَرَبِ فَإِنَّ لَكَ الْفَضْلُ. أَنْشَدْنَا غَيْرَ
 الْأَسْمِ وَالْكُنْيَةِ وَالْقَافِيَةِ. قَالَ: وَاللَّهِ لَنْ زَادَنِي الْفَضْلُ وَأَمْتَحَنَنِي
 بَعْدَ هَذَا لِأَقُولَنَّ أَرْبَعَةَ آيَاتٍ مَا سَبَقَنِي إِلَيْهِنَّ عَرَبِيٌّ وَلَا أَعْجَبِي.
 وَلَنْ زَادَنِي بَعْدَهَا لِأَجْمَعَنَّ قَوَائِمَ نَاقِيَتِي هَذِهِ وَأَجْعَلُهَا فِي فَمِّ الْفَضْلِ.
 وَلَا زَجَعَنَّ إِلَى قِضَاعَةِ خَاسِرًا وَلَا أَبَالِي. فَكَنَّسَ الْفَضْلُ رَأْسَهُ وَقَالَ
 لِلْأَعْرَابِيِّ: يَا أَخَا الْعَرَبِ أَمْتَعْنِي الْآيَاتِ الْأَرْبَعَةَ. قَالَ أَقُولُ:
 وَلَا نِيَّةَ لَأَمْتِكَ يَا فَضْلُ فِي النَّدَى فَقُلْتُ لَهَا هَلْ يَبْدَحُ اللَّوْمُ فِي النَّجْرِ
 أَتَهْنِئَ فَضْلًا عَنْ عَطَايَاهُ لِلْوَرَى فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْهَى السَّحَابَ عَنِ الْفَطْرِ
 كَانَ نَوَالِ الْفَضْلِ فِي كُلِّ بَلَدَةٍ تَحْدُرُ مَاءَ الْمُرِّ فِي مَهْمِهِ فَفَرَّ
 كَانَ وَفُودَ النَّاسِ فِي كُلِّ وَجْهَةٍ إِلَى الْفَضْلِ لِأَقْوَا عِنْدَهُ أَيْلَةَ الْقَدْرِ
 قَالَ فَأَمْسَكَ الْفَضْلُ عَنْ فِيهِ وَسَقَطَ عَلَى وَجْهِهِ ضَاحِكًا. ثُمَّ رَفَعَ
 رَأْسَهُ. وَقَالَ: يَا أَخَا الْعَرَبِ أَنَا وَاللَّهِ الْفَضْلُ بِنِجْحِي. سَلَّ مَا شِئْتَ.
 فَقَالَ: سَأَلْتُكَ يَا اللَّهُ أَيُّهَا الْأَمِيرُ إِنَّكَ لَمَوْ. قَالَ: نَعَمْ. قَالَ لَهُ:
 فَأَقِلْنِي قَالَ: أَقَالَكَ اللَّهُ أَذْكَرَ حَاجَتِكَ. قَالَ عَشْرَةَ آلَافٍ دِرْهَمٍ.
 قَالَ الْفَضْلُ: أَزْدَدْتِ بِنَا وَبِنَفْسِكَ يَا أَخَا الْعَرَبِ. تُعْطِي عَشْرَةَ آلَافٍ
 دِرْهَمٍ فِي عَشْرَةِ آلَافٍ وَأَمْرٌ يَدْفَعُ الْمَالَ. فَلَمَّا صَارَ الْمَالَ إِلَيْهِ
 حَسَدَهُ وَزِيرُ الْفَضْلِ وَقَالَ: يَا مَوْلَايَ هَذَا إِسْرَافٌ. يَا تَيْكَ جِلْفٌ مِنْ
 أَجْلَافِ الْعَرَبِ بِآيَاتٍ اسْتَرْقَهَا مِنْ أَشْعَارِ الْعَرَبِ فَخَبِزِي بِهِ هَذَا الْمَالَ.

فَقَالَ: اسْتَحَقَّهُ بِحُضُورِهِ الْيَأْمِينَ أَرْضِ قُضَاعَةَ. قَالَ الْوَزِيرُ: أَقْسَمْتُ
عَلَيْكَ إِلَّا أَخَذْتَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِكَ وَرَكَبْتَهُ فِي كَيْدِ قَوْسِكَ
وَأَوْمَأَتْ بِهِ إِلَى الْأَعْرَابِيِّ. فَإِنْ رَدَّ عَنْ نَفْسِهِ بَيْتَ مِنَ الشَّعْرِ. وَإِلَّا
فَأَسْتَمْطَفْ مَالَكَ وَيَكُونُ لَهُ فِي بَعْضِهِ كَفَايَةٌ. فَأَخَذَ الْفَضْلُ سَهْمًا
وَرَكَبَهُ فِي كَيْدِ قَوْسِهِ وَأَوْمَأَ بِهِ إِلَى الْأَعْرَابِيِّ وَقَالَ لَهُ: رُدَّ سَهْمِي
بَيْتَ مِنَ الشَّعْرِ فَأَنْشَأَ يَقُولُ:

لَقَوْسِكَ قَوْسُ الْجُودِ وَالْوَتْرُ النَّدَى وَسَهْمُكَ سَهْمُ الْغِرِّ قَارِمٍ بِهِ قَهْرِي
قَالَ فَصَحَّحَ الْفَضْلُ وَأَنْشَأَ يَقُولُ:

إِذَا مَلَكَتْ كَفِّي مَنْ أَلَا وَلَمْ أَنْلِ فَلَا تُنْسَطْ كَفِّي وَلَا نَهَضَتْ رِجْلِي
عَلَى اللَّهِ إِخْلَافَ الَّذِي قَدْ بَدَّلْتَهُ فَلَا مُبْقِي لِي بِنَجْلِي وَلَا مُتْلِفِي بَدْلِي
أَرُونِي بِنَجِيلًا نَالَ مَجْدًا بِنَجْلِهِ وَهَاتُوا كَرِيمَاتٍ مِنْ كَثْرَةِ الْبَدْلِ
ثُمَّ قَالَ الْفَضْلُ لَوَزِيرِهِ: أَعْطِ الْأَعْرَابِيَّ مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ لِقَصْدِهِ
وَشِعْرِهِ وَمِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ لِيَكْفِينَا شَرَّ قَوَائِمِ نَاقَتِهِ. فَأَخَذَ الْأَعْرَابِيُّ
أَلْمَالَ وَأَنْصَرَفَ. وَهُوَ يَبْكِي فَقَالَ لَهُ الْفَضْلُ: مِمَّ بَكَوْكَ يَا أَعْرَابِيَّ
أَسْتَقْلَالَ لِمَالِ الَّذِي أَعْطَيْتَاكَ. قَالَ: لَا وَلَكِنِّي أَبْكِي عَلَى مِثْلِكَ يَا أَكْلَهُ
الْتَرَابُ وَتَوَارِيهِ الْأَرْضُ. وَتَذَكَّرْتُ قَوْلَ الشَّاعِرِ:

لِعَمْرِكَ مَا الرِّزْيَةُ قَدْ مَالَ وَلَا فَرَسٌ يَمُوتُ وَلَا بَعِيرٌ
وَلَكِنَّ الرِّزْيَةَ قَدْ حَرَّ يَمُوتُ لِمَوْتِهِ خَلْقٌ كَثِيرٌ

ثُمَّ أَنْصَرَفَ الْأَعْرَابِيُّ مُسْرُورًا (اعلام الناس للابليدي)

الباب السابع عشر في النسك ولوار

مدينة الزهراء في الاندلس

٣١٩ كَانَ الْخَلِيفَةُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ النَّاصِرُ كَلَفًا بِعِمَارَةِ الْأَنْدَلُسِ وَإِقَامَةِ
مَعَالِمِهَا وَتَحْلِيدِ الْأَنْبَارِ الدَّالَّةِ عَلَى قُوَّةِ الْمَلِكِ وَعِزَّةِ السُّلْطَانِ . فَأَفْضَى بِهِ
الْإِغْرَاقُ فِي ذَلِكَ إِلَى أَنْ أَبْتَنَى مَدِينَةَ الزَّهْرَاءِ الْبِنَاءَ الشَّائِعَ ذِكْرَهُ
الْمُنْتَشِرَ صِيئَتُهُ . وَاسْتَفْرَعَ جِهْدَهُ فِي تَمِيمَتِهَا وَإِثْقَانِ قُصُورِهَا وَرَحْرَقَةَ
مَصَانِعِهَا . فَأَسْتَدْعَى عُرَفَاءَ الْمُهَنْدِسِينَ وَحَشَدَ بُرْعَاءَ الْبَنَائِينَ مِنْ كُلِّ قَطْرِ
قَوْقُودٍ وَعَلَيْهِ حَتَّى مِنْ بَعْدَادَ وَالْقُسْطَنْطِينِيَّةِ . ثُمَّ أَخَذَ فِي بِنَاءِ الْمُسْتَشْرَهَاتِ
وَإِنشَاءِ مَدِينَةِ الزَّهْرَاءِ الْمَوْصُوفَةِ بِالْقُصُورِ الْبَاهِرَةِ . وَأَقَامَهَا بِطَرِيقِ
الْبَلَدِ عَلَى صِفَّةِ نَهْرِ قَرْطَبَةَ . وَنَسَقَ فِيهَا كُلَّ أَقْتَدَارِ مُجِيزٍ وَنِظَامٍ .
وَكَانَ قَصْرُ الْخَلِيفَةِ مُتَاهِيًا فِي الْجَلَالَةِ وَالْفَخَامَةِ . أَطْبَقَ النَّاسُ عَلَى أَنَّهُ لَمْ
يُبْنَ مِثْلُهُ فِي الْإِسْلَامِ الْبَتَّةِ . وَمَا دَخَلَ إِلَيْهِ أَحَدٌ مِنْ سَائِرِ الْبِلَادِ النَّائِيَةِ
وَالْتَحَلَ الْمُخْتَلَفَةَ إِلَّا وَكُلُّهُمْ قَطَعَ أَنَّهُ لَمْ يَرَلْهُ شَيْبًا بَلْ لَمْ يَسْمَعْ بِهِ بَلْ لَمْ
يَتَوْهَمْ كَوْنَ مِثْلِهِ . وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ إِلَّا السُّطْحُ الْمُرْدُ الْمُسْرَفُ عَلَى
الرَّوْضَةِ الْمُبَاهِيِ بِمَجْلِسِ الذَّهَبِ وَالْقَبَّةِ . وَعَجِيبٌ مَا تَصَمَّنَهُ مِنْ إِثْقَانِ
الصَّنْعَةِ وَفَخَامَةِ الْهَمَّةِ وَحُسْنِ الْمُسْتَشْرِفِ وَرِعَاةِ الْمَلْبَسِ وَالْحَلَّةِ مَا بَيْنَ
مَرْمَرِ مَسْنُونٍ وَذَهَبِ مَصُونٍ وَعَمْدٍ كَانَمَا أَفْرِغْتَ فِي التَّوَالِبِ . وَقَتَائِلِ

لَا تُهْدَى الْأَوْهَامُ إِلَى سَبِيلِ اسْتِقْصَاءِ التَّعْبِيرِ عَنْهَا (لَكُنِّي مَثَلًا). وَكُنْتُ
 تَرَى فِي مَقْصُورَةِ الْخَلِيفَةِ بَرَكَةَ يَجْرِي الْمَاءُ فِيهَا بِنِصْفَةِ مُحْكَمَةٍ وَفِي وَسْطِهَا
 يَمُومُ أَسَدٌ عَظِيمٌ الصُّورَةِ بَدِيعِ الصَّنْعَةِ شَدِيدِ الرَّوْعَةِ. لَمْ يُشَاهَدْ أَبْهَى
 مِنْهُ فِيمَا صَوَّرَ الْمُلُوكُ فِي غَايِرِ الدَّهْرِ. مَطْبِيُّ بَدَهَبٍ إِبْرِيذٍ وَعَيْنَاهُ
 جَوْهَرَتَانِ لَهْمَا وَبَيْضٌ شَدِيدٌ. فَيَمُجُّ الْمَاءُ فِي تِلْكَ الْبَرَكَةِ مِنْ فِيهِ فَيَهْرُ
 الْمُنَاطِرُ بِحُسْنِهِ وَرَوْعَةِ مَنَظَرِهِ وَتَحَاجَةِ صَبِّهِ. فَتُسْقَى مِنْ مَجَاجِهِ جَنَانٌ هَذَا
 الْقَصْرِ عَلَى سَعْتِهَا وَيَسْتَقْبِضُ عَلَى سَاحَاتِهِ وَجَنَابَاتِهِ. وَهَذِهِ الْبَرَكَةُ
 وَتَمَثَّلَانِ مِنْ أَعْظَمِ آثَارِ الْمُلُوكِ فِي غَايِبِ الدَّهْرِ لِخِطَامَةِ بُنْيَانِهَا. وَمَا
 يَخْصُ سَائِرَ الْبِنَائِيَا فَكَانَ النَّاصِرُ قَدْ جَلَبَ إِلَيْهَا الرُّخَامَ الْأَبْيَضَ
 الْعَجْجَعِ مِنْ رِيَّةٍ وَالْأَبْيَضَ مِنْ غَيْرِهَا وَالْوَرْدِيَّ وَالْأَخْضَرَ مِنْ أَفْرِيقِيَّةٍ
 وَبَنَى فِي الْقَصْرِ الْمَجْلِسَ وَجَعَلَ فِي وَسْطِهِ الْيَسِيمَةَ الَّتِي اتَّخَفَ النَّاصِرُ
 بِهَا الْيُونُ مَلِكُ قُسْطَنْطِينِيَّةٍ. وَكَانَتْ قَرَامِدُ هَذَا الْقَصْرِ مِنْ
 الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَهَذَا الْمَجْلِسُ فِي وَسْطِهِ صَهْرِيحٌ عَظِيمٌ مَمْلُوءٌ بِالزَّبَقِ.
 وَكَانَ فِي كُلِّ جَانِبٍ مِنْ هَذَا الْمَجْلِسِ ثَمَانِيَةَ أَبْوَابٍ قَدْ انْعَقَدَتْ عَلَى حَنَائِيَا
 مِنْ الْعَاجِ وَالْأَبْنُوسِ الْمُرْصَعِ بِالذَّهَبِ وَأَصْنَافِ الْجَوْهَرِ قَامَتْ عَلَى
 سَوَارٍ مِنَ الرُّخَامِ الْمَلُونِ وَالْبَلُورِ الصَّافِي. وَكَانَتْ الشَّمْسُ تَدْخُلُ
 عَلَى تِلْكَ الْأَبْوَابِ فَيَضْرِبُ شُعَاعُهَا فِي صَدْرِ الْمَجْلِسِ وَحَيْطَانِهِ فَيَصِيرُ
 مِنْ ذَلِكَ نُورٌ يَأْخُذُ بِالْأَبْصَارِ. وَكَانَ بِنَاءُ الزَّهْرَاءِ فِي غَايَةِ الْإِتْقَانِ
 وَالْحُسْنِ وَبِهَا مِنْ الْمَرْمَرِ وَالْعَمَدِ كَثِيرٌ وَاجْرَى فِيهَا الْمِيَاءُ وَأَحْدَقَ بِهَا

الْبَسَائِنَ وَقَدْ أَتَقَنَهُ إِلَى الْغَايَةِ وَأَنْفَقَ عَلَيْهِ أَمْوَالًا طَائِلَةً . وَوَضَعَ فِي وَسْطِ الْبَحِيرَةِ قَبَّةً مِنْ زُجَاجٍ مُلَوَّنٍ مَنفُوشٍ بِالذَّهَبِ وَجَلَبَ الْمَاءَ عَلَى رَأْسِ الْقَبَّةِ بِتَدْيِيرِ أَحْكَمِ الْمُهَنْدِسِينَ . فَكَانَ الْمَاءُ يَنْزِلُ مِنْ أَعْلَى الْقَبَّةِ عَلَى جَوَانِبِهَا مُحِيطًا بِهَا وَيَتَّصِلُ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ وَكَانَتْ قَبَّةُ الزُّجَاجِ فِي غَلَالَةٍ مِمَّا سَكَبَ خَلْفَ الزُّجَاجِ لَا يَفْتَرُّ مِنَ الْجَرِيِّ وَتُوْقَدُ فِيهَا الشَّمْعُ فَيَرَى لِذَلِكَ مَنْظَرَ بَدِيعٍ . وَتَمَّ بِنَاءُ الزَّهْرَاءِ بِأَرْبَعِينَ سَنَةً (للقري)

عجائب مصر منها المقياس والاهرام والنيل

٣٢٠ قَالَ ضِيَاءُ الدِّينِ بْنِ الْأَثِيرِ فِي وَصْفِ مِصْرَ : وَلَقَدْ شَاهَدْتُ مِنْهَا بِلْدَانًا يَشْهَدُ بِفَضْلِهِ عَلَى الْبِلَادِ . وَوَجَدْتُهُ هُوَ الْمِصْرَ وَمَا عَدَاهُ فَهُوَ السَّوَادُ . فَمَارَاهُ رَأَاهُ إِلَّا مَلَأَ عَيْنَهُ وَصَدْرَهُ . وَلَا وَصَفُهُ وَاصِفُ الْأَعْلَمِ أَنَّهُ لَمْ يَقْدِرْ قَدْرَهُ . وَبِهِ مِنْ عَجَائِبِ الْأَنْثَارِ مَا لَا يَضِيطُّهَا الْعِيَانُ فَضْلًا عَنِ الْأَخْبَارِ . مِنْ ذَلِكَ الْهَرَمَانِ اللَّذَانِ هَرَمِ الدَّهْرِ وَهَمَا لَا يَهْرَمَانِ . قَدْ اخْتَصَّ كُلُّ مِنْهُمَا بِعَظَمِ الْبِنَاءِ . وَسَعَةِ الْفِنَاءِ . وَبَلَغَ مِنَ الْإِرْتِفَاعِ غَايَةَ لَا يَلْتَمِسُهَا الطَّيْرُ عَلَى بَعْدِ تَحْلِقِهِ . وَلَا يَدْرِكُهَا الطَّرْفُ عَلَى مَدَى تَحْدِيقِهِ . فَإِذَا أُضْرِمَ بِرَأْسِهِ قَبَسُ ظَنِّهِ الْمَتَامِلِ نَجْمًا . وَإِذَا اسْتَدَارَ عَلَيْهِ قَوْسُ السَّمَاءِ كَانَ لَهُ سَهْمًا . وَمِنْ عَجَائِبِ مِصْرَ الْمِقيَاسُ الَّذِي يُعْتَبَرُ فِيهِ قَدْرُ زِيَادَةِ فَيْضِ النَّيْلِ كُلِّ سَنَةٍ . وَابْتِدَاؤُهُ مِنْ شَهْرِ جَوْنَةَ وَمُعْظَمُ انْتِهَائِهِ أَغْشَتْ وَآخِرُهَا أَوَّلُ شَهْرِ الْكُؤُورِ . وَالْمِقيَاسُ عَمُودُ رِخَامٍ سُمِّيَ فِي مَوْضِعٍ يُخْصَرُ فِيهِ الْمَاءُ عِنْدَ انْتِهَائِهِ إِلَيْهِ . وَهُوَ مُفَصَّلٌ عَلَى اثْنَتَيْنِ وَعِشْرِينَ

ذِرَاعًا . وَكُلُّ ذِرَاعٍ مُفَصَّلَةٌ عَلَى أَرْبَعَةٍ وَعِشْرِينَ قِسْمًا أَفْسَامًا مُتَسَاوِيَةً
تُعْرَفُ بِالْأَصَابِعِ . فَإِذَا اسْتَوَى الْمَاءُ تِسْعَ عَشْرَةَ ذِرَاعًا فِي الْفَيْضِ فَهِيَ
الْغَايَةُ عِنْدَهُمْ فِي طَيْبِ الْعَامِ . وَرَبَّمَا كَانَ الْمَاءُ فِيهَا كَثِيرًا الْعُمُومُ الْفَيْضُ .
وَالْمُتَوَسِّطُ مَا اسْتَوَى سَبْعَ عَشْرَةَ ذِرَاعًا وَهُوَ أَحْسَنُ مِمَّا زَادَ عَلَيْهِ . وَالَّذِي
يَسْتَحِقُّ بِهِ السُّلْطَانَ خَرَجَهُ سِتَّ عَشْرَةَ ذِرَاعًا فَصَاعِدًا . وَعَلَيْهَا تُعْطَى
الْبَشَارَةُ لِلَّذِي يَرْقُبُ الزِّيَادَةَ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَيُعَلِّمُ بِهَا مِيَاوِمَةً
وَمِنَ الْمَبَانِي الَّتِي يَبْلَى الزَّمَانُ وَلَا تَبْلَى وَتَدْرُسُ مَعَالِمَهُ وَأَخْبَارُهَا لَا
تَدْرُسُ الْأَهْرَامُ الَّتِي بِأَعْمَالِ مِصْرَ . وَهِيَ عَلَى نَحْوِ سَبْعَةِ أَمْيَالٍ فِي
الصَّخْرَاءِ الَّتِي يُفْضَى مِنْهَا إِلَى الإسْكَندَرِيَّةِ . وَهِيَ قَدِيمَةٌ الْعَهْدُ مُجْمَرَةٌ
الْبِنَاءِ عَرَبِيَّةٌ الْمُنْظَرُ مَرْبَعَةٌ الشَّكْلُ كَأَنَّهَا الْقَبَابُ الْمَضْرُوبَةُ . قَدْ قَامَتْ
فِي جَوِّ السَّمَاءِ لِاسِيًّا الْإِثْنَانُ مِنْهَا . فِي سَعَةِ الْوَاحِدِ مِنْهُمَا مِنْ رُكْنِهِ إِلَى
رُكْنِهِ ثَلَاثُمِائَةِ خُطْوَةٍ وَسِتُّ وَسِتُّونَ خُطْوَةً مُحَدَّدَةٌ الْأَطْرَافِ فِي رَأْيِ
الْعَيْنِ . وَرَبَّمَا امْكُنَ الصُّعُودُ إِلَيْهَا عَلَى خَطَرٍ وَمَشَقَّةٍ فَتَلْقَى أَطْرَافَهَا الْمُحَدَّدَةَ
كَأَوْسَعِ مَا يَكُونُ مِنَ الرِّحَابِ . قَدْ أُقِيمَتْ مِنَ الصُّخُورِ الْعِظَامِ
الْمُخَوَّتَةِ وَرُكِبَتْ تَرْكِيبًا بَدِيعُ الْإِلْصَاقِ يَكَادُ يُجْحِزُ أَهْلَ الْأَرْضِ
نَقْضَ بَيْتِنِهَا . أَمَّا الْهَرَمَانُ الْعَظِيمَانِ فَمَحَاذِيَانِ لِلْفُسْطَاطِ . كُلُّ وَاحِدٍ
مِنْهُمَا جِسْمٌ مِنْ أَعْظَمِ الْحِجَارَةِ مَرْبَعُ الْقَاعِدَةِ . إِرْتِفَاعُ عُمُودِهِ أَرْبَعُ مِائَةِ
ذِرَاعٍ يُحِيطُ بِهَا أَرْبَعَةُ سَطُوحٍ مُتَسَاوِيَاتٍ الْأَضْلَاعِ وَفِي أَعْلَاهُ سَطْحٌ
مَرْبَعٌ رَحْبٌ . وَهَمَّا مَعَ هَذَا الْعِظَمِ مِنْ إِحْكَامِ الصَّنْعَةِ وَإِتْقَانِ

الهندسة وحسن التدبير بحيث إنه لم يتأثر بعصف الرياح وهطل
 السحاب وزعزعة الزلازل . وهذا البناء ليس بين حجارته ملاقط إلا
 ما يُخَيَّل أنه ثوب أبيض فرش بين حجرين أو ورقة لا يخلل بينهما
 الشعرة . وطول الحجر منها خمسة أذرع في سمك ذراعين . قال بعضهم :
 ما سمعت بشي عظيم فحجته إلا رأيتُه دون صفته إلا الهرمين . فإني
 لما رأيتهما كان رؤيتهما أعظم من صفتيهما . وقد اختلفوا في من بنى
 الأهرام . قال بعضهم :

حسرت عقول ذوي النهى الأهرام واستصغرت لعظيها الأجرام
 ملس مؤنقة البناء شواهد قصرت لعال دونهن ينهام
 لم أدر حين كبا التفكير دونها واستوهمت لعجيبها الأوهام
 أقبور أملاك الأعاجم هن أم طلسم رمل هن أم أعلام
 وزعم بعضهم أن الأهرام بمصر قبور ملوك عظام بها آثروا أن
 يتميزوا على سائر الملوك بعد مماتهم كما تميزوا عنهم في حياتهم .
 فيبقى ذكرهم على تطاول الدهور . قال أمية بن عبد العزيز :

بمشك هل أبصرت أحسن منظرا على ما رأت عيناك من هرمي بمصر
 أنافا بأعناء السماء وأشرفا على الجواشرف السمالك أو الأسر
 وقال الفقيه عمارة اليمني الشاعر :

سخلي ما تحت السماء بنية تمايل في إتقانها هرمي ومصر
 تنزه طرفي في بديع بنائها ولم يتنزه في المراد بها فكري

وَقَالَ سَيْفُ الدِّينِ بْنِ حَبَّارَةَ :

لِلَّهِ أَيُّ غَرِيبَةٍ وَعَجِيبَةٍ فِي صَنَعَةِ الْأَهْرَامِ لِأَلْبَابِ
 أَخَفَّتْ عَنِ الْأَسْمَاعِ قِصَّةَ أَهْلِهَا وَقَصَّتْ عَلَى الْأَنْبَاءِ كُلِّ نِقَابِ
 فَكَاثِمًا هِيَ كَالْحَيَامِ مَقَامُهُ مِنْ غَيْرِ مَا عَمِدٍ وَلَا أَطْنَابِ
 قَالَ الْقُضَائِيُّ: مِنْ عَجَائِبِ مِصْرَ النَّيْلِ قَالُوا لَيْسَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ
 نَهْرٌ أَطْوَلُ مِنَ النَّيْلِ لِأَنَّ مَسِيرَهُ شَهْرٌ فِي بِلَادِ الْإِسْلَامِ وَشَهْرَانِ فِي
 بِلَادِ النَّوْبَةِ وَأَرْبَعَةٌ أَشْهُرٍ فِي الْحَرَابِ إِلَى أَنْ يَخْرُجَ بِبِلَادِ الْقَمَرِ حَلْفَ
 حَظِّ الْأَسْتَوَاءِ. وَلَيْسَ فِي الدُّنْيَا نَهْرٌ يَصُبُّ مِنَ الْجَنُوبِ إِلَى الشِّمَالِ
 وَيَمُدُّ فِي شِدَّةِ الْحَرِّ عِنْدَ انْتِقَاصِ الْمِيَاهِ وَالْأَنْهَارِ كُلَّهَا وَيَزِيدُ بِتَرْتِيبِ
 وَيَنْقُصُ بِتَرْتِيبِ إِلَّا النَّيْلَ. وَجَعَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى سَفِيًّا يَزْرَعُ عَلَيْهِ وَيَسْتَعْفَى
 عَنِ الْمَطْرِ بِهِ فِي زَمَانِ الْفَيْظِ إِذَا نَهَبَ الْمِيَاهُ. قَالَ ابْنُ خُرُوفٍ :

مَا عَجَبَ النَّيْلَ مَا أَبْهَى شِمَائِلَهُ فِي صِفَتِهِ مِنَ الْأَشْجَارِ أَدْوَاخِ
 مِنْ جَنَّةِ الْخُلْدِ فَيَاضُ عَلَى تَرَعِ تَهْبُ فِيهَا هُبُوبُ الرِّيحِ أَرْوَاخِ
 لَيْسَتْ زِيَادَتُهُ مَاءً كَمَا زَعَمُوا وَإِنَّمَا هِيَ أَرْزَاقُ وَأَرْبَاحُ

(أخبار مصر والقاهرة لجلال الدين السيوطي)

عنترة والاسد

٣٢١ قَالَ الرَّائِي: وَفِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ تَوَعَّلَ عَنَتْرُ فِي الْبَرِّ بِالْجِبَالِ
 وَالنَّعْمِ. وَقَصَدَهَا الرَّوَابِي وَالْأَكْمَ. إِلَى أَنْ حَمِيَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ وَوَبَعْدَ
 عَنِ حَيِّ عَبَسَ. فَفَصَدَ شَجَرَةً مِنَ الْأَشْجَارِ يَسْتِظِلُّ بِهَا مِنْ حَرِّ النَّهَارِ.

وَسُرِحَتِ الْأَغْنَامُ تُرْعَى. فِي ذَلِكَ الْمَرْعَى. وَإِذَا هُوَ بِأَسَدٍ كَبِيرٍ مِنْ بَطْنِ
 الْوَادِي ظَهَرَ يَمِشِي وَيَبْجُرُ. أَفْطَسُ الْمَنْخَرُ. يَطِيرُ مِنْ عَيْنِهِ الشَّرْرُ. يَقْلِبُ
 الْوَادِي إِذَا هَمَرَ. بِأَنْيَابِ أَحَدٍ مِنَ النَّوَابِ. وَمَخَابِ أَحَدٍ مِنَ الْمَصَابِ.
 شَدُوقُ شَدَقَمٍ. عَبُوسُ أَدْعَمٍ. تَسْمَعُ الرَّعْدَ إِذَا هَمَّهُمْ وَدَمَدَمَ. يَلْمَعُ الْبَرْقُ
 مِنْ عَيْنِهِ إِذَا أَظْلَمَ اللَّيْلُ وَأَعْتَمَ. شَدِيدُ الْحَيْلِ صَعْبُ الرِّاسِ. عَرِيضُ
 الْكَتْفِ كَبِيرُ الرِّاسِ. فَلَمَّا ظَهَرَ مِنْ بَطْنِ الْوَادِي وَشَمَّتِ الْحَيْلُ رَانَحَتْهُ
 قَرَّتْ مِنْ هَيْبَتِهِ. وَكَذَلِكَ النَّوَقُ وَالْحِمَالُ. شَرَدَتْ فِي الْيَمِينِ وَالشِّمَالِ.
 فَلَمَّا نَظَرَ عَنَتْرُ. إِلَى ذَلِكَ الْأَمْرِ الْمُنْكَرِ. نَزَلَ إِلَى الْوَادِي حَتَّى يَبْصُرَ.
 وَالسِّيفُ فِي يَدِهِ مُشَهَّرٌ. وَإِذَا هُوَ بِالْأَسَدِ رَايَطُ بِأَسِطِ يَدَيْهِ. وَهُوَ
 يَلْعَبُ بِذَنَبِهِ وَيَضْرِبُ بِهِ جَنْبَيْهِ. وَالشَّرْرُ يَطِيرُ مِنْ عَيْنِهِ. فَعِنْدَ ذَلِكَ
 رَعَقَ عَنَتْرُ عَلَيْهِ رَعَقَةً دَوَّتْ بِهَا الْجِبَالُ. وَقَالَ مَرْحَبًا بِكَ يَا أَبَا
 الْأَشْبَالِ. يَا كَلْبَ الْفَلَا. يَا مَحْسَ وَحُوشِ الْبَيْدَاءِ. فَلَقَدْ أَبَدَيْتَ
 بِأَسْكَ وَصَوْلَتِكَ. وَأَفْتَحَرْتَ بِهَيْمَتِكَ وَهَمَمَتِكَ. فَلَا شَكَّ أَنَّكَ مَلِكُ
 السَّبَاعِ. وَسُلْطَانُهُمُ الْمُطَاعُ. وَلَكِنْ عُدَّ بِالْحَيْبَةِ وَالْإِذْلَالِ. فَمَا أَنَا
 كَمَنْ لَا قِيَّتَهُ مِنَ الرِّجَالِ. أَنَا مُهْلِكُ الْأَبْطَالِ. أَنَا مُبْتِمُّ الْأَطْفَالِ.
 فَأَنَا لَا أَرْضَى أَنْ أَقْتَلَكَ بِسِنَانٍ وَلَا بِجُسَامٍ. وَلَا بُدَّ أَنْ أَسْقِيكَ كَأْسَ
 الْحِمَامِ. ثُمَّ إِنَّهُ أَلْقَى السِّيفَ مِنْ يَدِهِ وَحَمَلَ عَلَى السَّبْعِ وَهُوَ يَشُدُّ:
 يَا أَيُّهَا السَّبْعُ الْهَجُومُ عَلَى الرَّدَى هَا قَدْ بَقِيتَ مُغْفَرًا مِنْهُوْبَا
 أَتْرِيدُ أَمْوَالِي تَكُونُ مُبَاحَةً هَا قَدْ تَرَكْتُكَ بِالْأَيْدِي مَخْضُوبَا

شَرَدَتْ أَغْنَايِي وَلَمْ تَكُ عَالِمًا أَنِّي هِزْبٌ لَا أَزَالُ مَهِيًا
 هُدِي فِعَالِي فِيكَ يَا كَلْبَ الْفَلَا هَلَّا شَهِدْتَ مَوَاقِعًا وَحُرُوبًا
 لَوْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا تَلْتَقِي مِنِّي وَتُضْحِي لِلْحِمَامِ شُرُوبًا
 لَمْ تَأْتِ نَحْوِي بَتْنِي صَيْدًا فَهَدَّ وَأَفَاكَ حَتْفَكَ عَاجِلًا مَضْبُوبًا
 ثُمَّ هَجَمَ عَلَى الْأَسَدِ وَوَقَعَ عَلَيْهِ كَوْفُوعَ الْبَرْدِ . وَنَفَخَ عَلَيْهِ مِثْلَ
 الثُّعْبَانِ الْأَسْوَدِ . وَوَتَبَ عَلَيْهِ حَتَّى سَاوَاهُ فِي وَثْنِهِ . وَصَرَخَ عَلَيْهِ
 صَرَخَةً أَعْظَمَ مِنْ صَرَخْتِهِ . وَقَبِضَ عَلَى فَمِهِ بِكَفِّهِ . وَاتَّكَأ عَلَيْهِ
 فَشَقَّ حَنَكِيهِ . إِلَى حَدِّ كَفِّهِ . وَصَاحَ صَيْحَةً أَرْعَجَ بِهَا الْوَادِي وَجَانِبِيهِ .
 وَصَبَرَ عَلَى الْأَسَدِ حَتَّى قَضَى عَلَيْهِ (سيرة عنتر لابن اسمعيل)

ذكر القهوة

٣٢٢ إَعْلَمُ أَنَّ الْقَهْوَةَ هِيَ النَّوْعُ الْمَتَّخَذُ مِنْ قَشْرِ الْبُنِّ أَوْ مِنْهُ مَعَ حَبِّهِ
 أَلْحَمَّ أَيُّ الْمَقْلِيِّ . وَصَفَتْهَا أَنْ يُوضَعَ الْقَشْرُ إِمَّا وَحْدَهُ وَهِيَ الْقَشْرِيَّةُ
 أَوْ مَعَ الْبُنِّ أَلْحَمَّ الْمَذْقُوقُ وَهِيَ الْبَيْتِيَّةُ فِي مَاءٍ . ثُمَّ يُغَلَى عَلَيْهِ حَتَّى
 تَخْرُجَ خَاصِيَّتُهُ . وَمِنْهُمْ مَنْ يَجِدُ قَايَةَ اعْتِدَالِ اسْتِوَائِهَا بِطَعْمِ مَذَاقِهَا
 إِلَى الْمَرَارَةِ . ثُمَّ تُشْرَبُ . فَمِنْ قَائِلٍ بِجَاهِهَا يَرَى أَنَّهَا الشَّرَابُ الطَّهُورُ الْمُبَارَكَةُ
 عَلَى أَرْبَابِهَا . الْمَوْجِبَةُ لِلنَّشَاطِ وَالْإِعَانَةِ عَلَى ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى وَفِعْلِ
 الْعِبَادَةِ لِطَلَّابِهَا . وَمِنْ قَائِلٍ بِجُرْمَتِهَا مُفْرَطٍ فِي ذَمِّهَا وَالتَّشْنِيعِ عَلَى
 شَرِّهَا . وَكَثُرَ فِيهَا مِنَ الْجَانِبِينَ التَّصَانِيفِ وَالْفَتَاوَى . وَبَالَغَ الْقَائِلُ
 بِجُرْمَتِهَا فَادَّعَى أَنَّهَا مِنَ الْخَمْرِ وَقَاسَهَا بِهِ وَسَاوَى . وَبَعْضُهُمْ نَسَبَ إِلَيْهَا

الأضرار بالعقل والبدن . إلى غير ذلك من الدعاوى والتعصبات
 المؤدية إلى الجدال والفتن . وأما اشتقاق اسم القهوة (كما قال العلامة
 الفخر أبو بكر بن أبي يزيد في مؤلفه إثارة الخوة بحل القهوة)
 فمن الإقهاء وهو الاجتواء أي الكراهة . أو من الإقهاء بمعنى الإقعاد
 من أفهى الرجل عن الشيء أي قعد عنه وكراهة كل شيء والقعود
 عنه بحسه . ومنه سُميت الحمره قهوة لأنها تُفهي أي تُكره الطعام أو
 تُقعد عنه أو تُقعد عن النوم . وكان ظهورها وانتشارها على يد جمال
 الدين بن سعيد المعروف بالذبحاني . وكان متولياً لوظيفة توضيح
 الفتاوى بعدن . وسبب إظهاره لها أنه كان عرض له أمر اقتضى له
 الخروج من عدن إلى براهمج فأقام به مدة فوجد أهله يستعملون القهوة
 ولم يعلم لها خاصية . ثم عرض له لما رجع إلى عدن مرض فتذكرها فشربها
 فنفعته فيه . ووجد فيها من الخواص أنها تذهب النعاس والكسل
 وتورث البدن خفة ونشاطاً . فلما سلك طريق التصوف صار هو
 وغيره من الصوفية بعدن يستعينون بشربها على ما ذكرناه . ثم تتابع
 الناس بعدن على شربها للاستعانة بها على مطالعة العلم وغير ذلك
 من الحرف والصناعات ولم تزل في انتشار . قال بعضهم في وصفها :
 يا قهوة تذهب همم الفتى أنت لحاوي العلم نعم المراد
 شراب أهل الله فيها الشفا لطالب الحكمة بين العباد
 نطبخها قشراً فتاتي لنا في نكهة المسك ولون المداذ

فِيهَا لَنَا تَبْرٌ وَفِي حَانِهَا
كَاللَّبَنِ الْخَالِصِ فِي حِلْبِهِ
صُحْبَةُ أَبْنَاءِ الْكِرَامِ الْحَيَاذِ
مَا خَرَجَتْ عَنْهُ سِوَى بِالسَّوَادِ
قَالَ آخَرُ:

عَرَجَ عَلَى الْقَهْوَةِ فِي حَانِهَا
فَإِنَّهَا لَا غَمَّ تُبْقِي إِذَا
فَاللُّطْفُ قَدْ حَفَّ بِبَدْمَانِيَا
قَابَلَكَ السَّاقِي بِفَيْجَانِيَا
لَا يُوجَدُ الْغَمُّ بِحَانَاتِهَا
قَدْ خَضَعَ الْغَمُّ لِسُلْطَانِيَا
بِمَائِهَا نَفْسِلُ أَكْثَادِنَا
وَتَحْرُقُ الْهَمُّ نِيرَانِيَا
يَقُولُ مَنْ أَبْصَرَ كَانُونَهَا
أَفِ عَلَى الْخُمْرِ وَأَذَانِيَا
فَأَشْرَبَ وَلَا تَسْمَعُ كَلَامَ الَّذِي
بِجَهْلِهِ يُفْتِي بِبَطْلَانِيَا

(عمدة الصفوة في حل القهوة لعبد القادر الجزيري)

ذكر الاندلس وما حُصَّ به أهلها من العوائد والاختراعات

٣٢٣ إَعْلَمَ أَنَّ فَضْلَ الْأَنْدَلُسِ ظَاهِرٌ . كَمَا أَنَّ حُسْنَ بِلَادِهِمْ بَاهِرٌ .
أَشْرَافُ عَرَبِ الْمَشْرِقِ أَفْتَحُوهَا . وَسَادَاتُ أَشْرَافِ الشَّامِ وَالْعِرَاقِ
رَزَلُوهَا . فَبَقِيَ النَّسْلُ فِيهَا بِكُلِّ إِقْلِيمٍ . عَلَى عِرْقِ كَرِيمٍ . فَلَا يَكَادُ
بَلَدٌ مِنْهَا يَخْلُو مِنْ كَاتِبِ مَاهِرٍ . وَشَاعِرِ قَاهِرٍ . وَقَدْ أَعَاتَتْهُمْ عَلَى الشِّعْرِ
أَنْسَابُهُمُ الْعَرَبِيَّةُ . وَيَقَاعُهُمُ النَّضْرَةُ وَهَمَّهُمُ الْأَيَّةُ . قَالَ صَاحِبُ
الْفَرَحَةِ : أَهْلُ الْأَنْدَلُسِ عَرَبٌ فِي الْأَنْسَابِ وَالْعِزَّةِ وَالْأَنْفَةِ وَعُلُوِّ
الْهَيْمِ وَفَصَاحَةِ الْأَلْسُنِ وَطِيبِ النُّفُوسِ وَإِبَاءِ الضَّمِيمِ وَقَلَّةِ أَحْتِمَالِ
الدَّلِّ وَالسَّمَاخَةِ بِمَا فِي أَيْدِيهِمْ وَالنَّزَاهَةِ عَنِ الْخُضُوعِ وَإِتْيَانِ الدِّينَةِ .

هِنْدِيُّونَ فِي إِفْرَاطِ عِنَايَتِهِمْ بِالْعُلُومِ وَحُبِّهِمْ فِيهَا وَضَبْطِهِمْ لَهَا وَرَوَايَتِهِمْ .
 صِينِيُّونَ فِي إِتْقَانِ الصَّنَائِعِ الْعَمَلِيَّةِ وَإِحْكَامِ الْيَمَنِ الصُّورِيَّةِ .
 تَرْكِيُّونَ فِي مُعَانَاةِ الْحُرُوبِ وَمُعَالَجَاتِ آلَاتِهَا وَالنَّظَرِ فِي مَهْمَاتِهَا .
 بَعْدَادِيُّونَ فِي نِظَافَتِهِمْ وَظَرْفِهِمْ وَرِفَّةِ أَخْلَاقِهِمْ وَنَبَاهَتِهِمْ وَذَكَائِهِمْ
 وَحُسْنِ نَظَرِهِمْ وَجُودَةِ قَرَائِحِهِمْ وَلَطَافَةِ أَذْهَانِهِمْ وَحِدَّةِ أَفْكَارِهِمْ
 وَنَفُوذِ خَوَاطِرِهِمْ . يُونَانِيُّونَ فِي اسْتِنْبَاطِهِمْ لِلْمِيَاهِ وَمُعَانَاةِ لَضْرُوبِ
 الْفِرَاسَاتِ وَاخْتِيَارِهِمْ لِأَجْنَاسِ الْفَوَاكِهِ وَتَدْبِيرِهِمْ لِتَرْكِيبِ الشَّجَرِ
 وَتَحْسِينِهِمْ لِلْبَسَائِنِ بِأَنْوَاعِ الْخَضِرِ وَصُنُوفِ الزَّهْرِ . فَهْمُ أَحْكَمِ
 النَّاسِ لِأَسْبَابِ الْفَلَاحَةِ . وَمِنْهُمْ ابْنُ بَصَالٍ صَاحِبُ كِتَابِ الْفَلَاحَةِ
 الَّذِي شَهِدَتْ لَهُ الشَّجَرَةُ بِفَضْلِهِ . وَهُمْ أَصْبَرُ النَّاسِ عَلَى مُطَاوَلَةِ التَّعَبِ
 فِي تَجْوِيدِ الْأَعْمَالِ . وَمُقَاسَاةُ النَّصَبِ فِي تَحْسِينِ الصَّنَائِعِ . أَحَدَقُ
 النَّاسِ بِالْفَرُوسِيَّةِ وَأَبْصَرُهُمْ بِالطَّعْنِ وَالضَّرْبِ . وَمِنْ فَضَائِلِهِمْ
 اخْتِرَاعُهُمْ لِلخَطُوطِ الْمُخْصُوصَةِ بِهِمْ (قَالَ) وَكَانَ خَطُّهُمْ أَوْلَا مَشْرِيقًا .
 وَعَدَّ ابْنُ غَالِبٍ فِي فَضَائِلِهِمْ اخْتِرَاعَهُمْ لِلْمَوْسَخَاتِ الَّتِي اسْتَحْسَنَهَا أَهْلُ
 الْمَشْرِقِ وَصَارُوا يَتَزَعُونَ مِنْزَعَهَا . وَأَمَّا نَظْمُهُمْ وَنَثْرُهُمْ فَلَا يَخْفَى عَلَى مَنْ
 وَقَفَ عَلَيْهِمَا عَلُوطِبَقَاتِهِمْ . ثُمَّ قَالَ ابْنُ غَالِبٍ : وَلَمَّا نَفَذَ قَضَاءُ اللَّهِ تَعَالَى
 عَلَى أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ بِمُخْرُوجِ أَكْثَرِهِمْ عَنْهَا فِي هَذِهِ الْفِتْنَةِ الْأَخِيرَةِ
 الْمُبِيرَةِ تَفَرَّقُوا بِبِلَادِ الْمَغْرِبِ الْأَقْصَى مِنْ بَرِّ الْعُدُوةِ فِي بِلَادِ أَفْرِيقِيَّةِ .
 فَأَمَّا أَهْلُ الْبِلَادِيَّةِ فَمَأَلَوْا فِي الْبُؤَادِي إِلَى مَا اعْتَادُوهُ وَدَخَلُوا أَهْلَهَا

وَسَارَكُوهُمْ فِيهَا . فَاسْتَبَطُوا الْمِيَاهَ وَعَرَسُوا الْأَشْجَارَ وَأَحَدُوا الْأَرْضِيَّ
الطَّاحِنَةَ بِالْمَاءِ وَغَيْرَ ذَلِكَ . وَعَلِمُوهُمْ أَشْيَاءَ لَمْ يَكُونُوا يَعْلَمُونَهَا وَلَا
رَأَوْهَا . فَشَرَقَتْ بِلَادُهُمْ وَصَلَحَتْ أُمُورُهُمْ وَكَثُرَتْ مُسْتَعْلَاتُهُمْ وَعَمَّتْهُمْ
الْحَيَرَاتُ . وَأَمَّا أَهْلُ الْحَوَاضِرِ فَمَالُوا إِلَى الْحَوَاضِرِ وَأَسْتَوَطَنُوهَا . وَأَمَّا
أَهْلُ الْأَدَبِ فَكَانَ مِنْهُمْ الْوُزَرَاءُ وَالْكَتَّابُ وَالْعَمَالُ وَجِبَاةُ الْأَمْوَالِ
وَالْمُسْتَعْمَلُونَ فِي أُمُورِ الْمَمْلَكَةِ . وَلَا يُسْتَعْمَلُ بِلَدِيٍّ مَا وَجَدَ أُنْدَلِسِيٌّ .
وَأَمَّا أَهْلُ الصَّنَاعِ فَابْتِغَاءُهُمْ فَاقُوا أَهْلَ الْبِلَادِ وَقَطَعُوا مَعَاشَهُمْ وَأَجْمَلُوا
أَعْمَالَهُمْ وَصَيَّرُوهُمْ أَتْبَاعَهُمْ وَمُتَصَرِّفِينَ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ . وَمَتَى دَخَلُوا
فِي شُغْلِ عَمَلِهِ فِي أَقْرَبِ مُدَّةٍ وَأَفْرَعُوا فِيهِ مِنْ أَنْوَاعِ الْحِذْقِ وَالنَّجْوِيدِ
مَا يُمِيلُونَ بِهِ النُّفُوسَ إِلَيْهِمْ وَيُصَيِّرُ الذِّكْرَ لَهُمْ . وَلَا يَدْفَعُ هَذَا عَنْهُمْ إِلَّا
جَاهِلِيٌّ أَوْ مُبْطِلٌ . وَمِنْ حِكَايَاتِهِمْ فِي الذِّكَاةِ وَاسْتِخْرَاجِ الْعُلُومِ
وَاسْتِنْبَاطِهَا أَنَّ أَبَا الْقَاسِمِ عَبَّاسَ بْنَ فِرْنَاسٍ حَكِيمَ الْأَنْدَلُسِ أَوَّلُ مَنْ
اسْتَبْطَأَ بِالْأَنْدَلُسِ صِنَاعَةَ الرَّجَاجِ مِنَ الْجِجَارَةِ وَأَوَّلُ مَنْ فَكَّ بِهَا
كِتَابَ الْعُرُوضِ لِلخَلِيلِ . وَأَوَّلُ مَنْ فَكَّ الْمَوْسِقَى وَصَنَّ الْآلَةَ
الْمَعْرُوفَةَ بِالْمِثْقَالِ لِيَعْرِفَ الْأَوْقَاتَ عَلَى غَيْرِ رَسْمٍ وَمِثَالٍ . وَأَحْتَالَ فِي
تَطْيِيرِ جُثْمَانِهِ وَكَسَا نَفْسَهُ الرِّيشَ وَمَدَّلَهُ جَنَاحِينَ وَطَارَ فِي الْجُودِ
مَسَافَةً بَعِيدَةً . وَلَكِنَّهُ لَمْ يُحْسِنِ الْإِحْتِيََالَ فِي وَقْعِهِ . وَلَمْ يَدْرِ أَنَّ
الطَّيَّارَ إِنَّمَا يَقَعُ عَلَى زِمِكِهِ وَلَمْ يَعْمَلْ لَهُ ذَنْبًا . وَصَنَّ فِي بَيْتِهِ هَيْئَةَ
السَّمَاءِ وَخَيَّلَ لِلنَّظِيرِ فِيهَا النُّجُومَ وَالنُّيُومَ وَالْبُرُوقَ وَالرُّعُودَ (للمقري)

البابُ الثامن عشر في المراسلات

فصل في المراسلات بين الملوك والأمراء

كتاب كسرى بن هرمز إلى موريقي ملك الروم

لما وثب الفرس على هرمز ملكهم فسملوا عينيه ثم قتلوه ومكروا عليهم جوارم المرزبان . كان
هرمز ابن حدث اسمه كسرى وهو المعروف بانوشروان العادل . فتكبر كأنه سائل وشق
سلطان الفرس حتى جاء نصيبين وصار إلى الرها ومنها إلى مهنج وكتب إلى موريقي كتاباً نخته:

٣٢٤ للأب المبارك والسيد المقدم موريقي ملك الروم من كسرى
ابن هرمز السلام . أما بعد فإني أعلم الملك أن بهرام ومن معه
من عبيد أبي جهلوا قدرهم ونسوا أنهم عبيد وأنا مولا لهم . وكفروا
نعم آبائي لديهم فاعتدوا علي وأرادوا قتلي . فهممت أن أفرع إلى
ملك فأعتصم بفضلك وأكون خاضعاً لك . لأن الخضوع لملك مثلك
وإن كان عدواً أيسر من الوقوع في أيدي العبيد المردة . ولأن يكون
موتي على أيدي الملوك أفضل وأقل عاراً من أن يجري على أيدي
العبيد . ففرغت إليك ثقةً بفضلك ورجاءً أن تتأفف علي مثلي
وتمدني بجيوشك لأقوى بهم على محاربة العدو وأصير لك ولداً
سامعاً ومطيعاً إن شاء الله تعالى

فلما قرأ موريقي كتاب كسرى بن هرمز عزم على إجابة مسئته لأنه لما إليه فأنجده
بشرين ألفاً . وسأله من الأموال أربعين قطاراً ذهباً وكتب إليه كتاباً نخته:

٣٢٥ من موريقي عبد يشوع المسيح إلى كسرى ملك الفرس ولدي

وَإِخِي السَّلَامُ . أَمَا بَعْدُ فَقَدْ قَرَأْتُ كِتَابَكَ وَفَهِمْتُ مَا ذَكَرْتَ فِيهِ مِنْ
 أَمْرِ الْعَبِيدِ الَّذِينَ تَمَرَّدُوا عَلَيْكَ . وَكُونِهِمْ غَمَطُوا أَنْعَمَ آبَائِكَ وَأَسْلَافِكَ
 غَمَطًا وَخَرُّوْهُمْ عَلَيْكَ وَدَخَصِهِمْ إِيَّاكَ عَنْ مُلْكِكَ فَتَدَاخَلَنِي مِنْ ذَلِكَ
 أَمْرٌ حَرَكَنِي عَلَى التَّرَافِ بِكَ وَعَلَيْكَ وَإِمْدَادِكَ بِمَا سَأَلْتُ . فَأَمَّا مَا
 ذَكَرْتَ مِنْ أَنَّ الْإِسْتِئْثَارَ تَحْتَ جَنَاحِ مَلِكٍ عَدُوٍّ وَالْإِسْتِظْلَالَ بِكَفِّهِ
 آثَرٌ مِنَ الْوُقُوعِ فِي أَيْدِي الْعَبِيدِ الْمُرْدَةِ وَالْمَوْتِ عَلَى أَيْدِي الْمُلُوكِ
 أَفْضَلُ مِنَ الْمَوْتِ عَلَى أَيْدِي الْعَبِيدِ فَإِنَّكَ أَخْتَرْتَ أَفْضَلَ الْخِصَالِ
 وَرَغِبْتَ إِلَيْنَا فِي ذَلِكَ فَقَدْ صَدَقْنَا قَوْلَكَ وَقَلِينَا كَلَامَكَ وَحَقَّقْنَا
 أَمْلَكَ وَأَتَمَمْنَا بُنْيَتَكَ وَقَضَيْنَا حَاجَتَكَ وَحَمَدْنَا سَعْيَكَ وَشَكَرْنَا حُسْنَ
 ظَنِّكَ بِنَا . وَوَجَّهْنَا إِلَيْكَ بِمَا سَأَلْتَ مِنَ الْجِيُوشِ وَالْأَمْوَالِ وَصَيَّرْنَاكَ
 لِي وَلِدًا وَكُنْتُ لَكَ أَبًا . فَأَقْبِضِ الْأَمْوَالَ مُبَارَكًا لَكَ فِيهَا وَقَدِ الْجِيُوشَ
 وَسِرْ عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ وَعَوْنِهِ وَلَا يَعْتَرِكَ الضَّجِيرُ وَالْهَلْعُ . بَلْ تَسْتَمِرُّ لِعَدُوِّكَ
 وَلَا تَقْصِرُ فِيمَا يَجِبُ لَكَ إِذَا تَطَاطَأْتَ مِنْ دَرَجَتِكَ وَأَتَحَطَّطَتْ عَنْ
 مَرْتَبَتِكَ . فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ يُظْفِرَكَ اللَّهُ بِعَدُوِّكَ وَيَرُدَّ كَيْدَهُ فِي نَجْرِهِ
 وَيُعِيدَكَ إِلَى مَرْتَبَتِكَ بِرِجَاءِ اللَّهِ تَعَالَى (لأبي الفرج الملقب)

كتاب عمرو بن الخطاب إلى عمرو بن العاص

٣٢٦ إني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو . أَمَا بَعْدُ فَقَدْ عَجِبْتُ
 مِنْ كَثْرَةِ كُتُبِي إِلَيْكَ فِي إِبْطَانِكَ بِالْخُرَاجِ وَكِتَابِكَ إِلَيَّ بِبُنْيَاتِ
 الطَّرُقِ . وَقَدْ عَلِمْتَ أَنِّي لَسْتُ أَرْضَى مِنْكَ إِلَّا بِالْحَقِّ الْبَيِّنِ . وَلَمْ

أَقْدِمَكَ مِصْرَ أَجْعَلَهَا لَكَ طُعْمَةً وَلَا لِقَوْمِكَ . وَلِكِنِّي وَجَّهْتُكَ لِمَا
 رَجَوْتُ مِنْ تَوْفِيرِكَ الْحَرَاجَ وَحُسْنِ سِيَاسَتِكَ فَإِذَا أَتَاكَ كِتَابِي فَأَجْهَلِ
 الْحَرَاجَ فَإِنَّمَا هُوَ فِي الْمُسْلِمِينَ وَعِنْدِي مَنْ تَعْلَمُ قَوْمَ مُحْضُورُونَ . وَالسَّلَامُ
 ٣٢٧ (فَكُتِبَ إِلَيْهِ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ) : أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ أَتَانِي كِتَابُ
 أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ يَسْتَبْطِنِي فِي الْحَرَاجِ . وَيَزْعُمُ أَنِّي أَعْتَدُ عَنِ الْحَقِّ وَأَنْتَ
 عَنِ الطَّرِيقِ . وَإِنِّي وَاللَّهِ مَا أَرْغَبُ عَنْ صَالِحٍ مَا تَعْلَمُ وَلَكِنْ أَهْلُ
 الْأَرْضِ اسْتَنْظَرُونِي إِلَى أَنْ تُدْرِكَ غَلَّتْهُمْ فَظَرْتُ لِلْمُسْلِمِينَ فَكَانَ
 الرِّفْقُ بِهِمْ خَيْرًا مِنْ أَنْ يُحْرَقَ بِهِمْ فَصَصِرَ إِلَى مَا لَا غِنَى بِهِمْ عَنْهُ .
 وَالسَّلَامُ
 (جلال الدين السيوطي)

كتاب عبسة بن اسحاق الى المأمون وهو عاملة على الرقة
 يصف خروج الأعراب بناحية سنجار وعبثهم بها

٣٢٨ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ قَطَعَ سَبِيلَ الْمُجْتَازِينَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُعَاهِدِينَ
 نَفَرٌ مِنْ شُدَّاذِ الْأَعْرَابِ الَّذِينَ لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً وَلَا
 يَخَافُونَ فِي اللَّهِ حِدًّا وَلَا عُقُوبَةً . وَلَوْ لَا ثِقَتِي بِسَيْفِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
 وَحَصَدِهِ هَذِهِ الطَّائِفَةَ وَبُلُوغِهِ فِي أَعْدَاءِ اللَّهِ مَا رَدَعُ قَاصِيهِمْ وَدَانِيهِمْ
 لَأَذَنْتُ بِالْإِسْتِجَادِ عَلَيْهِمْ وَلَا سَعَيْتُ الْحَيْلَ إِلَيْهِمْ . وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مُعَانٌ
 فِي أُمُورِهِ بِالتَّائِيْدِ وَالنَّصْرِ . (فَكُتِبَ إِلَيْهِ الْمَأْمُونُ) :
 أَسْمَعْتَ غَيْرَ كَهَامِ السَّمْعِ وَالْبَصْرِ لَا يَقْطَعُ السَّيْفُ إِلَّا فِي يَدِ الْحَدِيدِ
 سَيُصْبِحُ الْقَوْمُ مِنْ سَيْفِي وَضَارِيهِ مِثْلَ الْهَشِيمِ ذَرْنَهُ الرِّيحُ بِالْمَطْرِ

(لابن عبد ربه)

(فوجه غيبة باليتين الى الاعراب فابقي منهم اثنان)

في الطلب وحسن التواصل

كتاب ابي العياد الى عبيد الله بن سليمان

٣٢٩ أَنَا أَعَزُّكَ اللَّهُ وَوَلَدِي وَعِيَالِي زَرَعٌ مِنْ زَرَعِكَ إِنْ أَسْقَيْتَهُ رَاعٌ وَزَكَا . وَإِنْ جَفَوْتَهُ ذَبَلٌ وَذَوَى . وَقَدْ مَسَّنِي مِنْكَ جَفَاٌ بَعْدَ بَرٍّ وَإِعْقَالٌ بَعْدَ تَعَاهِدٍ حَتَّى تَسْكَمَ عَدُوٌّ وَتَمِيتَ حَاسِدٌ . وَلَعِبْتَ بِي ظُنُونٌ رِجَالٍ كُنْتُ بِهِمْ لِأَعْيَابٍ وَلَهُمْ مَخْرِسَا . وَاللَّهِ دَرَأِي الْأَسْوَدِ فِي قَوْلِهِ : لَا تُهِنِّي بَعْدَ أَنْ أَكْرَمْتَنِي وَشَدِيدُ عَادَةِ مُنْتَرَعِهِ

٣٣٠ (فَوَقَعَ فِي رُقْعَتِهِ) : أَنَا أَسْعَدُكَ اللَّهُ عَلَى الْحَالِ الَّتِي عَهَدْتَ وَمِيلِي إِلَيْكَ كَمَا عَلِمْتَ . وَلَيْسَ مِنْ أُنْسِيئَاهُ أَهْمَلْنَاهُ وَلَا مِنْ أَخْرَانَاهُ تَرَكَدَاهُ مَعَ اقْتِطَاعِ الشُّغْلِ لَنَا وَاقْتِسَامِ زَمَانِنَا . وَكَانَ مِنْ حَقِّكَ عَلَيْنَا أَنْ تُذَكِّرَنَا بِنَفْسِكَ وَتُعَلِّمَنَا أَمْرَكَ . وَقَدْ وَقَعْتَ لَكَ بِرِزْقِ شَهْرَيْنِ لِتُرِيحَ غَلَّتِكَ وَتُعَرِّفَنِي مَبْلَغَ اسْتِحْقَاقِكَ لِأُطْلِقَ لَكَ بَاقِي أَرْزَاقِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ . وَالسَّلَامُ

(للقيرواني)

فصول لابن عبد ربه

٣٣١ لِلْمُفْضِلِ أَنْ يُخْصَّ بِفَضْلِهِ مِنْ شَاءَ وَ لِلَّهِ الْحَمْدُ ثُمَّ لَهُ فِيمَا أُعْطِيَ وَلَا حُجَّةَ عَلَيْهِ فِيمَا مَنَعَ . كُنْ كَيْفَ شِئْتَ فَإِنِّي وَاجِدُ أَمْرِي خَالِصَةً سَرِيحِي . أَرَى بَيِّقَاتِكَ بَقَاءَ سُرُورِي وَبِدَوَامِ النِّعْمَةِ عِنْدَكَ دَوَامًا عِنْدِي . لَا أَزَالُ أَبْقَاكَ اللَّهُ أَسْأَلُ الْكِتَابَ إِلَيْكَ . فَمَرَّةً أَتَوَقَّفُ تَوَقَّفَ الْمُتَحَفِّفِ عَنكَ

مِنَ الْمُؤُونَةِ وَمَرَّةً أَكْتُبُ كِتَابَ الرَّاجِعِ مِنْكَ إِلَى الثَّقَةِ وَالْمُتَمِّدِ مِنْكَ
 عَلَى الْمَقِيلِ لَا أَعْدَمْنَا اللَّهُ دَوَامَ عِزِّكَ وَلَا سَابَ الدُّنْيَا بِعُجَّتِهَا بِكَ وَلَا
 أَخْلَانَا مِنَ الصَّنْعِ لِلَّهِ . فَإِنَّا لَا نَعْرِفُ إِلَّا نِعْمَتَكَ وَلَا نَجِدُ لِلْحَيَاةِ طَعْمًا
 إِلَّا فِي ظِلِّكَ . وَإِنِّ كَانَتْ الرَّغْبَةُ إِلَى بَشَرٍ مِنَ النَّاسِ خَسَاسَةً وَذُلًّا
 لَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ الرَّغْبَةَ إِلَيْكَ كَرَامَةً وَعِزًّا . لِأَنَّكَ لَا تَعْرِفُ حُرًّا قَعَدَ
 بِهِ دَهْرُهُ إِلَّا سَبَقَتْ مَسْأَلَتَهُ بِالْعَطِيَّةِ وَصُنَّتْ وَجْهَهُ عَنِ الطَّلَبِ وَالذَّلَّةِ .
 (فصل) : لَكَ أَصْحَابُكَ اللَّهُ عِنْدِي أَيَادٍ تَشْفَعُ لِي إِلَى مَحَبَّتِكَ وَمَعْرُوفٌ
 يُوجِبُ طَلَبَكَ الْوَدَّ وَالْإِتِّمَامَ . وَأَنَا أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُفِخِرَنِي مَا لَمْ تَزَلِ
 الْفِرَاسَةَ تَعْدِينِيهِ فِيكَ . (فصل) : قَدْ أَجَلَ اللَّهُ قَدْرَكَ عَنِ الْإِعْتِدَارِ
 وَأَغْنَانِي فِي الْقَوْلِ وَأَوْجَبَ عَلَيْكَ أَنْ تَفْعَلَ بِمَا فَعَلْتُ وَتَرْضَى بِمَا أَنْعَمْتُ
 وَصَلْتُ أَوْ قَطَعْتُ

(العقد القرید)

كان الامير عبد الرحمان قد جفا ابنه المندر وبعده لسوء خلقه فكتب الى ابيه :

٣٣٢ إِنِّي قَدْ تَوَحَّشْتُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ تَوَحُّشًا مَا عَلَيْهِ مِنْ مَزِيدٍ
 وَعَدِمْتُ فِيهِ مَنْ كُنْتُ آسُ إِلَيْهِ . وَأَصْبَحْتُ مُسْلُوبُ الْعِزِّ قَعِيدُ
 الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ فَإِن كَانَ ذَلِكَ عِمَابًا لِلذَّنْبِ كَبِيرٍ أُرْتَكِبْتُهُ وَعَلَيْهِ
 مَوْلَايَ وَلَمْ أَعْلَمْهُ فَإِنِّي صَابِرٌ عَلَى تَأْدِيهِ ضَارِعٌ إِلَيْهِ عَفْوَهُ وَصَفْحَهُ :
 وَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَفِعْلَهُ لَكَالذَّهْرِ لِأَعَارُ بِمَا فَعَلَ الذَّهْرُ
 (فلما وقف الأمير على رفعته أرجعه الى ما اعتاده) (المقري)

في الاشواق

كتاب اسحاق بن ابراهيم الموصلي الى بعض الجلبة يستدعيه

٣٣٣ يَوْمًا يَوْمَ لَيْلِ الْحَوَاشِي وَطِيءِ النَّوَاحِي وَسَمَاوًا قَدْ أَقْبَلَتْ
وَرَعَدَتْ بِالْحَيْرِ وَرَبَّقَتْ. وَأَنْتِ قُطْبُ السَّرُورِ وَنِظَامُ الْأُمُورِ. فَلَا
تُفْرِدُنَا فِقْلًا. وَلَا تَفْرُدُنَا فَنْدِيلًا (للقيرواني)

كتاب ابي العباس الغساني كاتب صاحب افريقية لبعض الاصدقاء.

٣٣٤ سِرٌّ إِلَى مَجْلِسٍ يَكَادُ يَسِيرُ شَوْقًا إِلَيْكَ. وَيَطِيرُ بِأَجْتَعَةٍ مِنْ
جَوَاهُ حَتَّى يَجُلَ بَيْنَ يَدَيْكَ. فَلِلَّهِ دَرْكَمَالِهِ إِنْ طَلَعَتْ بَدْرًا بِأَعْلَاهُ
وَجَمَالِهِ إِنْ ظَهَرَتْ غُرَّةً بِجَمِيَاهُ. فَهَوَافِقُ قَدْ حَوَى نُجُومًا تَشْوَقُ إِلَى
طُلُوعِ بَدْرِهَا. وَقَطْرٌ قَدْ اسْتَمَلَّ عَلَى أَنْهَارٍ تَشْوَقُ إِلَى بَحْرِهَا. لَتَسْتَمِدَّ
مِنْهُ. فَإِنْ مَنَنْتَ بِالْحُضُورِ. وَإِلَّا فَيَا خَيْبَةَ السَّرُورِ. قَالَ ابْنُ الزَّيْنِ :

قَامَتْ لِعَيْتِكَ الدُّنْيَا عَلَى سَاقِ وَالْكَأْسُ أَضْبَعُ غَضْبَانًا عَلَى السَّاقِ
وَالرَّاحُ قَدْ أَقْسَمَتْ أَنْ لَا تَطِيبَ لَنَا حَتَّى تَرَى وَجْهَكَ الزَّاهِي بِإِشْرَاقِ
وَأَعْيُنِ الزَّهْرِ نَحْوِ الْبَابِ نَاطِرَةٌ وَقَدْ صَفَتْ أُذُنَ السُّوسَانَ لِلطَّاقِ
فَأَسْمَعُ بِجُودِكَ فَضْلًا بِالْحُضُورِ لَنَا مَا دَامَ تَمَلُّ مَسَرَّاتِ أَلْهِنَا بَاقِ
فَلَوْ دُعِيتُ إِلَى هَذَا سَعَيْتُ لَهُ يَا حَبِّذَاكَ عَلَى رَأْسِي وَأَحْدَاقِي

كتاب الصاحب ابن عباد الى صديق له

٣٣٥ مَجْلِسُنَا يَا سَيِّدِي مُفْتَقِرٌ إِلَيْكَ مَعُولٌ فِي شَوْقِهِ عَلَيْكَ. وَقَدْ آبَتْ
رَاحَتُهُ أَنْ تَصْفُوَ إِلَّا أَنْ تَتَنَاوَلَهَا يَمْنَاكَ. وَأَقْسَمَ غَنَاؤُهُ لَا يَطِيبُ حَتَّى

تَعِيهِ أَذُنَاكَ . وَتَحْنُ لِعَيْتِكَ كَمَقْدٍ ذَهَبَتْ وَاسِطَتُهُ وَشَبَابٌ قَدْ أَخَذَتْ
جِدَّتُهُ . وَإِذَا غَابَتْ شَمْسُ السَّمَاءِ عَنَّا فَلَا بُدَّ أَنْ تَدْنُو تَمْسُ الْأَرْضِ
مِنَّا . فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَحْضُرَ لِتَتَّصِلَ الْوَاسِطَةُ بِالْعَقْدِ . وَتَحْضُلَ بِكَ فِي جَنَّةِ
الْحُلْدِ . فَكُنْ إِلَيْنَا أَسْرَعَ مِنَ السَّهْمِ فِي مَمَرِهِ . وَالْمَاءَ إِلَى مَقَرِّهِ . لِئَلَّا يَجُثَّ
مَنْ يَوْمِي مَا طَابَ . وَيَعُودَ مِنْ نَوْمِي مَا طَارَ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ (للنواجي)

فصول في العتاب والاعتذار

فصول للاحمد بن يوسف

٣٣٦ لَوْلَا حُسْنُ الظَّنِّ بِكَ أَعَزَّكَ اللَّهُ لَكَانَ فِي إِغْصَائِكَ عَنِّي
مَا يَفْضِينِي عَنِ الطَّلِبَةِ إِلَيْكَ . وَلَكِنْ أَمْسَكَ بِرَمَقٍ مِنَ الرَّجَاءِ عَلَيَّ
بِرَأْيِكَ فِي رِعَايَةِ الْحَقِّ وَبَسْطِ يَدِكَ إِلَيَّ الَّذِي لَوْ قَبَضْتَهَا عَنْهُ لَمْ يَكُنْ
لَهُ إِلَّا كَرَمُكَ مُذَكَّرًا وَسُودُوكَ شَافِعًا . (فصل) . لَأَسِيلَ إِلَى
شِكَايَتِكَ إِلَّا إِلَيْكَ وَلَا أَسْتَعَانَهُ إِلَّا بِكَ . وَمَا أَحَقَّ مَنْ جَعَلَكَ عَلَى
أَمْرٍ عَوْنَا أَنْ تَكُونَ لَهُ إِلَى النُّجَاحِ سَبَابًا . وَقَالَ الشَّاعِرُ :

عَجِبْتُ لِقَلْبِكَ كَيْفَ انْقَلَبَ وَمِنْ طَوْلٍ وَدَكَ أُنَى ذَهَبُ
وَأَعْجَبُ مِنْ ذَا وَذَا أَنَّنِي أَرَاكَ بَيْنَ الرِّضَا فِي الْغَضَبِ
(فصل) . إِنْ مَسَّلْتَنِي إِلَيْكَ حَوَائِجِي مَعَ عَتَبِكَ عَلَيَّ مِنَ اللُّؤْمِ . وَإِنْ
إِمْسَاكِي عَنْهَا فِي حَالِ ضَرُورَةٍ إِلَيْهَا مَعَ عَلَيَّ بِكَرَمِكَ فِي السُّخْطِ وَالرِّضَا
لَعَجْزُ . غَيْرَ أَنِّي أَعْلَمُ أَنَّ أَقْرَبَ الْوَسَائِلِ فِي طَلَبِ رِضَاكَ مَسْئَلَتُكَ
مَا سَمَحَ مِنَ الْحَاجَةِ . إِذْ كُنْتَ لَا تَجْعَلُ عَتَبَكَ سَبَابًا لِنَعْرِ مَعْرِفِكَ

فصل في العتاب للعتابي

٣٣٧ تَأْنِينًا إِفَاقَتَكَ مِنْ سَكْرَتِكَ وَتَرَقَّبْنَا أَنْتَبَاهَكَ مِنْ رَقَدَتِكَ .
وَصَبْرًا عَلَى تَجْمُوعِ الْغَيْظِ فِيكَ . فِيهَا أَنَا قَدْ عَرَفْتُكَ حَقَّ مَعْرِفَتِكَ فِي
تَعْدِيكَ لِطُورِكَ وَأَطْرَاحِكَ حَقَّ مَنْ غَلَطَ فِي اخْتِيَارِكَ (لابن عبد ربه)

فصول لابن مكرم في الاعتذار

٣٣٨ لَيْسَ يُزِيلُنِي عَنْ حُسْنِ الظَّنِّ بِكَ فِعْلُ حَمَلِكِ الْأَعْدَاءِ عَلَيْهِ .
وَلَا يَطْمَئِنُّ عَن رَجَائِكَ عَتَبٌ حَدَّثَ عَلَيَّ مِنْكَ . بَلْ أَرْجُو أَنْ
بِتَقَاضَى كَرَمِكَ إِجْزَاءَ وَعْدِكَ إِذْ كَانَ أَبْلَغَ الشُّغْمَاءِ إِلَيْكَ . وَأَوْجَبَ
الْوَسَائِلِ لَدَيْكَ . (فَصَلْ) أَنْتَ أَعَزُّكَ اللَّهُ أَعْلَمُ بِالْعَفْوِ وَالْمُعْوَبَةِ مِنْ
أَنْ تُجَازِيَنِي بِالسُّوءِ عَلَى ذَنْبٍ لَمْ أَجْنِهِ بِيَدٍ وَلَا لِسَانٍ بَلْ جَنَاهُ عَلَى لِسَانٍ
وَأَش . فَأَمَّا قَوْلُكَ إِنَّكَ لَا تُسَهِّلُ سَبِيلَ الْعُذْرِ فَأَنْتَ أَعْلَمُ بِالْكَرَمِ
وَأَرْعَى لِحُقُوقِهِ . وَأَقْعَدُ بِالشَّرَفِ وَأَحْفَظُ لِدِمَائِهِ . مِنْ أَنْ تَرُدَّ يَدُ مُوَمِّلِكَ
صَفْرًا مِنْ عَفْوِكَ إِذَا التَّمَسَّهُ . وَمِنْ عُذْرِكَ إِذَا جَعَلَ فَضْلَكَ شَافِعًا فِيهِ

٣٣٩ مرض الحسن بن وهب فلم يعبه ابن الزيات ولم يتعرف خبره فكتب اليه :
أَيُّهَا ذَا الْوَزِيرِ أَيْدِكَ اللَّهُ وَأَبْنَاكَ لِي زَمَانًا طَوِيلًا
أَجْمِيلًا تَرَاهُ يَا أَكْرَمَ النَّاسِ لِكَيْمَا أَرَاهُ أَيْضًا جَمِيلًا
أَنْتِي قَدْ أَقَمْتُ عَشْرًا عَلِيمًا مَا تَرَى مُرْسِلًا إِلَيَّ رَسُولًا
إِنْ يَكُنْ يُوجِبُ التَّعَهُدُ فِي الصُّحْبَةِ مِنَّا عَلَيَّ مِنْكَ طَوِيلًا
فَهُوَ أَوْلَى يَا سَيِّدَ النَّاسِ بِرَأْيِ وَأَفْتِقَادًا لِمَنْ يَكُونُ عَلِيمًا

فاجابه ابن الزيات :

دَفَعَ اللهُ عَنْكَ نَائِبَةَ الدَّهْرِ وَوَحَاشَاكَ أَنْ تُكُونَ عَيْلًا
 أَشْهَدُ اللهُ مَا عَلِمْتُ وَمَاذَا لَكَ مِنَ الْعُذْرِ جَائِزًا مَقْبُولًا
 وَلَعَمْرِي أَنْ لَوْ عَلِمْتُ فَلَا زَمَّ تَكَّ حَوْلًا لَكَانَ عِنْدِي قَلِيلًا
 فَأَجْعَلَنِي لِي إِلَى التَّعَلُّقِ بِالْعُذْرِ رِسِيلاً إِنْ لَمْ أَجِدْ لِي سَبِيلاً
 فَفَدِيماً مَا جَادَ بِالصَّفْحِ وَالْعَفْوِ وَمَا سَمَحَ الْخَلِيلُ خَلِيلاً

فصول في الذم

كتاب ابي بكر الخوارزمي الى العامل على البريد بالاهواز

٣٤٠ كُنْتُ ظَنَنْتُ بِكَ يَا أَخِي ظَنًّا كَذَبَهُ فُجِعُ فِعْلِكَ . وَضَعْفُ هَجْرِكَ
 وَوَصْلِكَ . فَإِنَّكَ لَا تَعْمَلُ فِيهِمَا عَلَى قِيَاسٍ وَاجِبٍ وَلَا تَصْبِرُ مِنْهُمَا عَلَى
 طَعَامٍ وَاحِدٍ . فَلَا جَرَمَ لَقَدْ رَجَعْتُ فِي وِدْيِ لَكَ وَمَا كُنْتُ أَرْجِعُ فِي
 هَيْبَةٍ . وَتَدِمْتُ عَلَى ثِقَتِي بِكَ وَعَهْدِي أَنْ لَا أَنْدَمَ عَلَى حَسَنَةِ (للخوارزمي)

كتاب عمر بن الخطاب الى ابي موسى الاشعري

٣٤١ أَمَا بَعْدُ فَإِنَّ لِلنَّاسِ نَفْرَةً عَنِ مُلْطَنِهِمْ . فَأَحْذَرُ أَنْ تُدْرِكَنِي
 وَإِيَّاكَ عُمِيَاءٌ مَجْهُولَةٌ . وَوَضْعَانٌ مَحْمُولَةٌ . وَأَهْوَاءٌ مُتَّبَعَةٌ وَدُنْيَا مُؤَثْرَةٌ . فَأَقِيمِ
 الْحُدُودَ وَلَوْ سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ وَبِأَشِيرِ أُمُورِ الْمُسْلِمِينَ وَأَفْتَحْ بِأَبْكَ لَهُمْ .
 فَإِنَّمَا أَنْتَ رَجُلٌ مِنْهُمْ غَيْرَ أَنَّ اللَّهَ جَعَلَكَ أَثْقَلَهُمْ حِمْلًا . وَقَدْ بَلَغَ أَمِيرَ
 الْمُؤْمِنِينَ أَنَّهُ فَشَتْ لَكَ وَلِأَهْلِ بَيْتِكَ هَيْبَةٌ فِي لِبَاسِكَ وَمَطْعَمِكَ
 وَمَرْكَبِكَ لَيْسَ لِلْمُسْلِمِينَ مِثْلَهَا . فَإِيَّاكَ يَا عَبْدَ اللَّهِ أَنْ تُكُونَ كَأَبْهَيْمَةٍ

هُمَا فِي السَّمَنِ وَالسَّمَنِ حَفَّهَا . وَأَعْلَمَ أَنَّ الْعَامِلَ إِذَا زَاعَ زَاعَتْ رَعِيَّتُهُ .
وَأَشَقَى النَّاسَ مَنْ يَشْقَى بِهِ النَّاسُ . وَالسَّلَامُ لابن عبد ربه .

كتاب صلاح الدين الى معز الدين صاحب الجزيرة

٣٤٢ إِنَّكَ أَنْتَ قَصَدْتَ الْإِنْتِمَاءَ إِلَيَّ أَبْتِدَاءً وَرَاجَعْتَنِي فِي ذَلِكَ
مِرَارًا . وَأَظْهَرْتَ الْحَيْفَةَ عَلَى نَفْسِكَ وَقَلْبِكَ وَبَلَدِكَ مِنْ أَهْلِكَ .
فَقَبْلَتِكَ وَأَوْيَتِكَ وَنَصْرُوكَ وَبَسَطْتَ يَدَكَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ وَدِمَائِهِمْ
وَأَعْرَضْتَهُمْ . فَفَعَنْتَ إِلَيْكَ وَنَهَيْتَكَ عَنْ ذَلِكَ مِرَارًا فَلَمْ تَنْتَه . فَأَتَقَّقْ
وُقُوعَ هَذِهِ الْوَأَقِعةِ لِلْإِسْلَامِ فَدَعُونَكَ فَأَتَيْتَ بِسُكْرٍ قَدْ عَرَفْتَهُ وَعَرَفَهُ
النَّاسُ . وَأَمَّتْ هَذِهِ الْمُدَّةُ الْمُدِيدَةُ وَقَلَبْتَ هَذَا الْقَلْقَ وَتَحَرَّكَتْ هَذِهِ
الْحُرْكَةُ . وَأَنْصَرَفْتَ عَنْ غَيْرِ طَيْبِ نَفْسٍ وَغَيْرِ قَصْدِ حَالٍ مَعَ الْعَدُوِّ .
فَأَنْظُرْ لِنَفْسِكَ وَأَبْصُرْ مَنْ تَنْتَمِي إِلَيْهِ غَيْرِي . وَأَحْفَظْ نَفْسَكَ مِمَّنْ
يَقْصِدُكَ فَمَا لِي إِلَى جَانِبِكَ التَّنْفَاتُ (سيرة صلاح الدين لابن شازي)

٣٤٣ كتاب عبد الله بن طاهر الى محمد بن عبد الملك الزيات

أَحَلَّتْ عَمَّا عَهَدْتُ مِنْ أَدْيَاكَ أَمْ نِلْتَ مُلْكَاً قَهَيْتَ فِي كُتَيْبِكَ
أَمْ قَدْ تَرَى أَنَّ فِي مِلَاطْفَةِ أَلْ إِخْوَانَ نَقَصًا عَلَيْكَ فِي أَدْيَاكَ
أَكَانَ حَقًّا كِتَابُ ذِي مِقَّةٍ يَكُونُ فِي صَدْرِهِ وَأَمْتَعَّ بِكَ
أَتَعَبْتُ كَفَيْكَ فِي مُكَاتَبَتِي حَسْبُكَ مِمَّا لَقِيتَ مِنْ تَعْبِكَ
(فكَّتَبَ إِلَيْهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ الزِّيَاتُ)

كَيْفَ أَخُونُ الْإِخَاءَ يَا أَمَلِي وَكُلُّ شَيْءٍ أَنَالُ مِنْ سَيْبِكَ

أَنْكَرْتَ شَيْئًا فَلَسْتُ فَاعِلُهُ وَلَنْ تَرَاهُ يُخَطُّ فِي كُتُبِكَ
 إِنْ يَكُ جَهْلٌ أَتَاكَ مِنْ قِبَلِي فَقَدْ بَفَضَلِ عَلَيَّ مِنْ حَسَبِكَ
 فَأَعْفُ فِدَتِكَ النَّفْسُ عَنْ رَجُلٍ يَعِيشُ حَتَّى الْمَمَاتِ فِي أَدَبِكَ

فصول في التوصية

كتاب عمر الى ابي عبيدة بعد فتح الشام

٣٤٤ وَبَعْدُ فَإِنِّي وَلَيْتَكَ أُمُورَ الْمُسْلِمِينَ فَلَا تَسْتَحْيَ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي
 مِنْ الْحَقِّ . وَإِنِّي أَوْصِيكَ بِتَقْوَى اللَّهِ الَّذِي يَبْقَى وَيَفْنَى مَا سِوَاهُ
 وَالَّذِي اسْتَخْرَجَكَ مِنَ الضَّلَالِ إِلَى الْهُدَى وَقَدْ اسْتَعْمَلْتَنِي عَلَى جُنْدٍ مَا
 هُنَاكَ مَعَ خَالِدٍ فَأَقْبِضْ جُنْدَهُ وَأَعِزَّهُ عَنْ إِمَارَتِهِ . وَلَا تَقُلْ إِنِّي
 أَرْجُو لَكُمْ النَّصْرَ فَإِنَّ النَّصْرَ إِنَّمَا يَكُونُ مَعَ الْيَقِينِ وَالثِّقَةِ بِاللَّهِ .
 وَإِيَّاكَ وَالْتَفِيرُ بِإِلْقَاءِ الْمُسْلِمِينَ إِلَى الْهَلَكَةِ . وَغَضَّ عَنِ الدُّنْيَا عَيْنَكَ
 وَالْهِيَ عَنْهَا قَلْبَكَ . وَإِنَّمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الْآخِرَةِ سِتْرُ الْحِمَارِ وَقَدْ تَقَدَّمَكَ
 سَلْفُكَ . وَأَنْتَ كَأَنَّكَ مُنْتَظِرٌ سَفْرًا وَرَجِيلًا مِنْ دَارٍ مَضَتْ نَضَارَتُهَا
 وَذَهَبَتْ زَهْرَتُهَا . فَأَحْزَمُ النَّاسِ فِيهَا الرَّحَالُ عَنْهَا لَغَيْرِهَا وَيَكُونُ زَادُهُ
 الْقَتْوَى . وَرَاعِ الْمُسْلِمِينَ مَا اسْتَطَعْتَ . وَأَمَّا اخْتِصَامُكَ أَنْتَ وَخَالِدٌ
 فِي الصُّلْحِ أَوْ الْقِتَالِ فَأَنْتَ أَوْلَىُّ وَصَاحِبُ الْأَمْرِ . وَالسَّلَامُ وَرَحْمَةُ
 اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكَ وَعَلَى جَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ (فتوح الشام للواقدي)

كتاب بديع الزمان الى ابن اخته

٣٤٥ أَنْتَ وَلَدِي مَا دُمْتَ وَالْعِلْمُ شَأْنُكَ . وَالْمَدْرَسَةُ مَكَانُكَ .

وَأَلْحَبْرَةَ حَلِيفِكَ . وَالدَّقْرَ أَلَيْفِكَ . فَإِنْ قَصَّرْتَ وَلَا إِحَالَكَ . فَمَنْ يَرِي
خَالَكَ وَالسَّلَامُ

(رسائل بديع الزمان الهمداني)

فصول لمحمد بن عبد الملك الزيات للخلفاء في التوصية

٢٤٦ إِنَّ حَقَّ الْأَوْلِيَاءِ عَلَى السُّلْطَانِ تَنْفِذُ أُمُورِهِمْ وَتَقْوِيمُ أَوْدِهِمْ
وَرِيَاضَةُ أَخْلَاقِهِمْ . وَأَنْ يُمَيِّزَ بَيْنَهُمْ فَيَقْدِمَ مُحْسِنَهُمْ وَيُؤَخِّرَ مُسِيئَهُمْ .
لِيَزِدَّادَهُمْ هَوْلًا فِي إِحْسَانِهِمْ وَيَزْدَجِرَ هَوْلًا عَنْ إِسَاءَتِهِمْ . (وَفَصْلٌ لَهُ):
إِنَّ اللَّهَ أَوْجَبَ لِحُلُقَائِهِ عَلَى عِبَادِهِ حَقَّ الطَّاعَةِ وَالنَّصِيحَةِ . وَلَعَبِيدِهِ عَلَى
حُلُقَائِهِ بَسْطَ الْعَدْلِ وَالرَّأْفَةِ وَإِحْيَاءَ السُّنَنِ الصَّالِحَةِ . فَإِذَا أَدَّى كُلُّ
إِلَى كُلِّ حَقَّهُ كَانَ ذَلِكَ سَبَبًا لِتَمَامِ الْمَعُونَةِ وَاتِّصَالِ الزِّيَادَةِ وَاتِّسَاقِ
الْكَلِمَةِ وَدَوَامِ الْأَلْفَةِ . (وَفَصْلٌ) : لَيْسَ مِنْ نِعْمَةٍ يُجَدِّدُهَا اللَّهُ لِأَمِيرِ
الْمُؤْمِنِينَ فِي نَفْسِهِ خَاصَّةً إِلَّا أَنْ تَصَلَتْ بِرِعْيَتِهِ عَامَّةً وَتَمَّتِ الرَّعْيَةُ
كَافَّةً وَعَظُمَ بَلَاءُ اللَّهِ عِنْدَهُمْ فِيهَا وَوَجِبَ عَلَيْهِمْ شُكْرُهُ عَلَيْهَا . لِأَنَّ اللَّهَ
جَعَلَ بِنِعْمَتِهِ تَمَامَ نِعْمَتِهِمْ وَبِتَدْبِيرِهِ وَذَبَّحَ عَنْ دِينِهِ حِفْظَ حَرَمِهِمْ .
وَبِحَيَاظَتِهِ حَقْنَ دِمَائِهِمْ وَأَمَّنَ سَبِيلَهُمْ . فَأَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
مُنْطَوِي الْقَلْبِ عَلَى مَنَاصِحَتِهِمْ مُوَيْدًا بِالنَّصْرِ . مُعَزِّزًا بِالتَّمَكُّينِ .
مَوْضُولًا بِالْبَقَاءِ بِالنَّعِيمِ الْمُقِيمِ .

فصول في المدح والشكر

فصول للحسن بن رهب

٣٤٧ مَنْ شَكَرَكَ عَلَى دَرَجَةٍ رَفَعْتَهُ إِلَيْهَا أَوْ ثَرَوَةً أَقْدَرْتَهُ بِهَا . فَإِنَّ

شُكْرِي لَكَ عَلَى مُنْجِيَةِ أَحْيَيْتَهَا وَحُشَّاشَةِ أَبْقَيْتَهَا وَرَمَقِ أَمْسَكْتَ بِهِ
 وَقْتِ بَيْنِ التَّلْفِ وَبَيْنَهُ . فَلِكُلِّ نِعْمَةٍ مِنْ نِعَمِ الدُّنْيَا حُدٌّ تَنْتَهِي إِلَيْهِ
 وَمَدَى يُوقِفُ عِنْدَهُ وَعَايَةٌ مِنَ الشُّكْرِ يَسْمُو إِلَيْهَا الطَّرْفُ . خَلَاهُ هَذِهِ
 النِّعْمَةُ الَّتِي قَدْ فَاقَتْ الوُصْفَ وَأَطَالَتِ الشُّكْرَ وَتَجَاوَزَتْ قَدْرَهُ . وَأَنْتَ
 مِنْ وَرَاءِ كُلِّ غَايَةٍ . رَدَدْتَ عَنَّا كَيْدَ العُدُوِّ وَارْعَمْتَ أَنْفَ الحُسُودِ
 فَتَحْنُ نَجْيًا إِلَيْهِ مِنْهَا إِلَى ظِلِّ ظَلِيلٍ وَكَنْفِ كَرِيمٍ فَكَيْفَ يَشْكُرُ الشَّاكِرُ
 وَأَيْنَ يَبْلُغُ جُهْدَ المُجْتَهِدِ . (وَلَهُ إِلَى إِبْرَاهِيمَ بْنِ العَبَّاسِ) : وَصَلَ كِتَابُكَ فَمَا
 رَأَيْتُ كِتَابًا أَسْهَلَ فَنُونًا وَلَا أَمْلَسَ مَثُونًا وَلَا أَكْثَرَ عِيُونًا وَلَا أَحْسَنَ
 مَقَاطِعَ وَمَطَالِعَ مِنْهُ . أُتْجِزْتُ فِيهِ عِدَّةَ الرَّأْيِ وَبُشْرَى القِرَاسَةِ . وَعَادَ
 الظَّنُّ يَقِينًا وَالْأَمَلُ مُبْلُوغًا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بِنِعْمَتِهِ تَمَّ الصَّالِحَاتُ

كتاب ابن مكرم الى احمد بن اللدير

٣٤٨ إِنْ مِنَ النِّعْمَةِ عَلَى الْمُثْنِيِّ عَلَيْكَ أَنْ لَا يَخَافَ الإفْرَاطَ وَلَا
 يَأْمَنُ التَّقْصِيرَ . وَيَأْمَنُ أَنْ تُلْحِقَهُ نَقِصَةُ الكَذِبِ . وَلَا يَنْتَهِي بِهِ المَدْحُ
 إِلَى غَايَةٍ إِلَّا وَجَدَ فَضْلَكَ تَجَاوَزَهَا . وَمِنْ سَعَادَةِ جَدِّكَ أَنْ الدَّاعِي لَا
 يُقَدِّمُ كَثْرَةَ المُتَابِعِينَ لَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ مَعَهُ (لابن عبيد ربه)

فصول في التهنئة والهدايا

فصل للمحسن بن وهب

٣٤٩ لَنْ تَخْلُقْتَ عَنْ عِيَادَتِكَ بِالْمَذْرُوقِ الوَاضِحِ مِنَ العِلْمَةِ مَا أَغْفَلَ
 قَلْبِي ذِكْرَكَ وَلَا لِسَانِي فَحْصَاعَنْ خَبْرَكَ . وَلَمَّا بَلَغْتَنِي إِفَاقَتَكَ كَبَبْتُ

مَهْنًا بِالْعَافِيَةِ مُعْفِيًا مِنَ الْجَوَابِ إِلَّا بَحْبِرِ السَّلَامَةِ (للقيرواني)

كتاب سعيد بن حميد الى بعض اهل السلطان في يوم النيروز

٣٥٠ أَيُّهَا السَّيِّدُ الشَّرِيفُ عِشْتَ أَطْوَلَ الْأَعْمَارِ بَرِيادَةً مِنَ الْعَمْرِ
مَوْصُولَةً بِفِرَاضِهَا مِنَ الشُّكْرِ . لَا يَنْقُضِي حَقُّ نِعْمَةٍ حَتَّى يُجَدِّدَ لَكَ
أُخْرَى وَلَا يَمُرُّ بِكَ يَوْمٌ إِلَّا كَانَ مُقْصِرًا عَمَّا بَعْدَهُ . وَفِيَّ عَمَّا قَبْلَهُ . وَإِنِّي
وَإِنْ أَهْدَيْتُ نَفْسِي فِيهِ مُلْكٌ لَكَ لَا حَظَّ فِيهَا لِفَيْرِكَ . وَرَمَيْتُ
بِطَرْفِي فِي إِلَى كَرَامِي مَالِي فَوَجَدْتُهَا مِنْكَ . فَإِنْ كُنْتُ أَهْدَيْتُ مِنْهَا شَيْئًا
لْمُهْدِي مَالَكَ إِلَيْكَ . وَزَعْتُ إِلَى مَوَدَّتِي فَوَجَدْتُهَا خَالِصَةً لَكَ قَدِيمَةً غَيْرَ
مُسْتَعْدَنَةٍ . فَرَأَيْتَنِي إِنْ جَعَلْتَهَا هَدِيَّتِي لَمْ أَجِدْ لِهَذَا الْيَوْمِ الْجَدِيدِ بَرًّا
وَلَا لَطْفًا . وَلَمْ أَمِيزْ مَنزِلَةً مِنْ شُكْرِي بِمَنزِلَةٍ مِنْ نِعْمَتِكَ إِلَّا كَانَ
الشُّكْرُ مُقْصِرًا عَنِ الْحَقِّ وَالنِّعْمَةُ زَائِدًا عَلَى مَا تَبْلُغُهُ الطَّاقَةُ . فَجَعَلْتُ
الْإِعْتِرَافَ بِالْتَّقْصِيرِ عَنِ حَقِّكَ هَدِيَّةً إِلَيْكَ وَالْإِقْرَارَ بِالْبَحْبِرِ عَمَّا يَجِبُ
لَكَ بَرًّا أَتَوَصَّلُ بِهِ إِلَيْكَ

وكتب بعض الكتاب الى بعض الملوك

٣٥١ النَّفْسُ لَكَ وَالرَّجَاءُ مَوْقُوفٌ عَلَيْكَ وَالْأَمَلُ مَصْرُوفٌ نَحْوَكَ .
فَمَا عَسَى أَنْ أَهْدِي إِلَيْكَ فِي هَذَا الْيَوْمِ . وَهُوَ يَوْمٌ سَهَلَتْ فِيهِ الْعَادَةُ
سَبِيلَ الْهَدَايَا لِلْسَّادَةِ . فَأَقْتَصِرُ نَاعِلِي هَدِيَّةٍ تَقْتَضِي بَعْضَ الْحَقِّ وَتَقُومُ
عِنْدَكَ مَقَامَ أَجَلِ الْبِرِّ . وَلَا زِلْتُ أَيُّهَا الْأَمِيرُ دَائِمَ السُّرُورِ وَالنَّبْطَةِ فِي
أَتَمِّ أَحْوَالِ الْعَافِيَةِ وَأَعْلَى مَنَازِلِ الْكِرَامَةِ تَمْرُوكَ الْأَعْيَادُ الصَّالِحَةُ .

فَتَحْفَلُهَا وَأَنْتَ جَدِيدٌ تَسْتَقْبِلُ أَمْثَالَهَا فَتَلْقَاكَ بِهَا بِهَا (لابن عبد ربه)

فصول في التعزية

كتاب الخوارزمي الى الشيخ ابي بكر

٣٥٩ بَلَّغْنِي مَا قَاسَاهُ شَيْخِي أَيَّدَهُ اللهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْمُصِيبَةِ مِنْ
عَمِّ يُشْكِي بَلَّ بِلَيْكِي . وَجَزَعُ يُضِنِّي . بَلَّ يُفْنِي . وَالْمَوْتُ خُطْبُ نُفْلٍ
حَتَّى خَفَّ وَكَثُرَ حَتَّى قَلَّ . وَهَانَ عَلَيَّ الْبَاقِي لِمَا رَأَاهُ بِالْمَاضِي . وَعَلَى
الْمُعْزِي لِمَا نَظَرَهُ فِي الْمُعْزَى . وَدَخَلَ الْجَمِيعُ تَحْتَ قَوْلِ الْمُتَنَبِّئِ :

فَيَدْفِنُ بَعْضُنَا بَعْضًا وَيَمِشِي أَوْ آخِرُنَا عَلَى هَامِ الْأَوَالِي
وَشَيْخِي أَعْرَفُ بِاللَّهِ . مِنْ أَنْ يَتَأَدَّبَ بِغَيْرِ آدَبِ اللَّهِ . وَلَا يُسَامَ
لِقَضَاءِ اللَّهِ . وَلَكِنْ لِمَفْاجَأَةِ الْمُصِيبَةِ لَذَعَهُ يُسْتَرَاخُ مِنْهَا إِلَى مَبَاتَةِ
الصَّدِيقِ . وَإِلَى تَسْلِيَةِ الْأَخِ الشَّقِيقِ . وَالسَّلَامُ (رسائل الخوارزمي)

ثيرة لبعضهم

٣٥٣ أَمَا بَعْدُ فَإِنَّ أَحَقَّ مَنْ تَعَزَّى وَأَوْلَى مَنْ تَأَنَسَ وَسَلَّمَ لِأَمْرِ
اللَّهِ وَقَبْلِ تَأْدِيبِهِ فِي الصَّبْرِ عَلَى نَكَبَاتِ الدُّنْيَا وَتَجَرُّعِ غُصَصِ الْبَلْوَى
مَنْ تَجَزَّ مِنْ اللَّهِ وَعَدَهُ وَأَخْلَصَ لَهُ نَفْسَهُ وَأَعْتَرَفَ لَهُ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ . وَفِي
قَلْبِهِ سَلْوَةٌ مِنْ فِقْدِ كُلِّ حَيْبٍ وَإِنْ لَمْ تَطْبِ النَّفْسُ عَنْهُ وَأَنْسَ مِنْ كُلِّ
فَقِيدٍ وَإِنْ عَظُمَتِ اللُّوْعَةُ بِهِ . وَالْمَوْتُ سَبِيلُ الْمَاضِينَ وَالْمَآبِرِينَ وَمَوْرِدُ
الْخَلَائِقِ أَجْمَعِينَ . وَفِي أَنْبَاءِ اللَّهِ وَسَائِفِ أَوْلِيَانِهِ أَفْضَلُ الْعِبَرَةِ وَأَحْسَنُ
الْأَسْوَةِ . فَهَلْ أَحَدٌ مِنْهُمْ إِلَّا وَقَدْ أَخَذَ مِنْ فَجَائِعِ الدُّنْيَا بِأَجْرَلِ الْإِعْطَاءِ

وَمِنَ الصَّبْرِ عَلَيْهَا بِأَحْتِسَابِ الْأَجْرِ فِيهَا بِأَوْفَرِ الْأَنْصَابِ . قَوْهَبَ اللَّهُ
لَكَ مِنْ عِصْمَةِ الصَّبْرِ مَا يَكْمُلُ لَكَ بِهِ زُلْفَى الْفَائِزِينَ وَقُرْبَةَ الشَّاكِرِينَ .
وَجَعَلَكَ مِنَ الْمَرْضِيِّينَ قَوْلًا وَفِعْلًا (لابن عبدربه)

كتاب ابي العينا . الى المهدي بعد موت الخليفة المنصور

٣٥٤ أَجَرَ اللَّهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ قَبْلَهُ وَبَارَكَ لَهُ فِيمَا خَلَفَهُ
لَهُ . فَلَا مُصِيبَةَ أَعْظَمُ مِنْ مُصِيبَةِ إِمَامٍ وَالِدٍ وَلَا عَقْبِي أَفْضَلُ مِنْ خِلَافَةِ اللَّهِ
عَلَى أَوْلِيَائِهِ . فَأَقْبَلَ مِنَ اللَّهِ أَفْضَلَ الْعَطِيَّةِ وَأَصْبِرْ لَهُ عَلَى أَعْظَمِ الرِّزِيَّةِ

فصول الى عليل

كتاب ابي بكر الخوارزمي الى تلميذه له قد ظهر عليه المجدي

٣٥٥ وَصَلَنِي خَبْرُ الْجُدْرِيِّ فَنَالَ مِنِّي وَهَمَّ حُرْنِي . وَرَاعَ قَلْبِي
وَأَسْهَرَ عَيْنِي وَهَذِهِ الْعِلَّةُ وَإِنْ كَانَتْ مُوجِعَةً . وَفِي رَأْيِ الْعَيْنِ قِطْعَةً
شَنِيعَةً . فَإِنهَا إِلَى السَّلَامَةِ أَقْرَبُ . وَطَرِيهَتَاهَا إِلَى الْحَيَاةِ أَقْصَدُ . لِأَنَّ
عَيْنَ الطَّيِّبِ تَقَعُ عَلَيْهَا . وَظَاهِرُ الدَّاءِ أَسْلَمُ مِنْ بَاطِنِهِ . وَبَارِزُ الْجُرْحِ
أَهْوَنُ مِنْ كَامِنِهِ . وَلَعَمْرِي إِذَا نُورِثُ سَوَادَ اللَّوْنِ . وَتَذَهَبُ مِنْ
الْوَجْهِ بِدِيَابِجَةِ الْحَسَنِ وَلَكِنَّ ذَلِكَ يَسِيرٌ فِي جَنْبِ السَّلَامَةِ لِلرُّوحِ
اللطيفة . وَالنَّفْسُ الشَّرِيفَةُ . وَلَسْتَ أَسْتَطِيعُ لَكَ غَيْرَ الدُّعَاءِ . لَا أَسْأَلُ
صِحَّتَكَ . إِلَّا مِنْ خَاقِ عِلَّتِكَ . وَارَى لَكَ أَنْ تُحْسِنَ ظَنَّاكَ بِرَبِّكَ .
وَتَسْتَغْفِرَ مِنْ ذَنْبِكَ . وَتَجْعَلَ الصَّدَقَةَ شَفِيعَكَ . وَالْيَقِينَ طَيِّبِكَ .
وَتَعْلَمَ أَنَّهُ لَدَاءٌ أَدْوَأُ مِنْ أَجْلِ . وَلَا دَوَاءَ أَشْفَى مِنْ مَهْلٍ . وَلَا فِرَاشَ

أَوْطَأَ مِنْ أَمَلٍ . شَفَاكَ اللَّهُ تَعَالَى . وَحَسْبُكَ بِهِ طَيِّبًا (للخوارزمي)
 وكتب الى تلميذه له ورد عليه كتابه بأنه عليل

٣٥٦ وَصَلَ كِتَابُكَ يَا سَيِّدِي فَسَرَّ نِي نَظْرِي إِلَيْهِ . ثُمَّ غَمَّ نِي
 أَطْلَاعِي عَلَيْهِ لِمَا تَصَنَّمْتُهُ مِنْ ذِكْرِ عِلَّتِكَ . جَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى أَوْلَهَا كَهْفًا
 وَآخِرَهَا عَافِيَةً . وَلَا أَعْدَمَكَ عَلَى الْأُولَى أَحْرًا . وَعَلَى الْآخِرَةِ شُكْرًا .
 وَيُودِي لَوْ قَرُبَ عَلَيَّ مُتَاوَلُ عِيَادَتِكَ . فَأَحْتَمَلْتُ عَنْكَ بِالْتَمَهْدِ
 وَالْمُسَاعَدَةِ بَعْضَ أَعْبَاءِ عِلَّتِكَ . فَلَقَدْ خَصَّنِي مِنْ هَذِهِ الْعِلَّةِ قِسْمٌ
 كَقِسْمِكَ . وَمَرَضَ قَلْبِي لِمَرَضِ جِسْمِكَ . وَأَظُنُّ أَنِّي لَوْ لَقَيْتُكَ عَلِيلًا
 لَأَنْصَرَفْتُ عَنْكَ وَأَنَا أَعْلَى مِنْكَ فَإِنِّي بِمُحَمَّدِ اللَّهِ تَعَالَى جَلَدْتُ عَلَى أَوْجَاعِ
 أَعْضَائِي . غَيْرُ جَلَدْتُ عَلَى أَوْجَاعِ أَصْدِقَائِي . شَفَاكَ اللَّهُ وَعَافَاكَ . وَكَفَانِي
 فِيكَ الْخُدُورُ وَكَفَاكَ . وَغَفَرَ ذَنْبَكَ . وَشَرَحَ قَلْبَكَ وَأَعْلَى كَمَبِكَ لَهُ

فصول في وصاة للمحافظ

٣٥٧ أَمَا بَعْدُ فَإِنَّ أَحَقَّ مَنْ أَسْمَعْتَهُ فِي حَاجَتِهِ وَأَجَبْتَهُ إِلَى طَلْبَتِهِ مَنْ
 تَوَسَّلَ إِلَيْكَ بِالْأَمَلِ وَزَرَعَ نَحْوَكَ بِالرَّجَاءِ . وَإِنْ فَلَانَا أَسْبَابُهُ مُتَّصِلَةٌ
 بِنَا يَلْزُمُنَا ذِمَامُهُ وَبُلُوغُ مُوَاقِفَتِهِ مِنْ أَيَادِيكَ عِنْدَنَا . وَأَنْتَ لَنَا مَوْضِعُ
 الثِّقَةِ مِنْ مَكَافَاتِهِ فَأَوْلْنَا فِيهِ مَا نَعْرِفُ مَوْقِعَنَا مِنْ حُسْنِ رَأْيِكَ وَتَكُونُ
 مَكَافَاةً لِحَقِّهِ عَلَيْنَا (وله) : أَمَا بَعْدُ فَقَدْ أَنَا كِتَابُكَ فِي فَلَانٍ وَهُ لَدُنَا
 مِنَ الذِّمَامِ مَا يَلْزُمُنَا مَكَافَاةً وَرِعَايَةً حَقِّهِ . وَنَحْنُ مِنَ الْمُعْتَبَةِ بِأَمْرِهِ عَلَى
 مَا كَانَ فِي حُرْمَتِهِ وَيُودِي شُكْرَهُ (لابن عبد ربه)

الباب التاسع عشر في التراجم

شعراء النصرانية

٣٥٨ (البراق بن روحان ٥٢٥). هو أبو النصر بن روحان بن أسيد التميمي من شعراء الطبقة الثانية وهو جاهلي قديم. وكان في صغره يتبع رعاة الإبل ويحلب اللبن ويأتي به إلى رهبٍ حول المراعي فيتعلم منه تلاوة الإنجيل وكان يدين بدينه. ثم أشهر أمره وسار بعد ذلك. وظهر منه من القيام والفروسية في الحرب التي وقعت بين بني ربيعة وبني إباد ولحم ما لم يكن لغيره. ومن شعره:

يا طالب الأمر لا يعطى أمانيه
استعمل الصبر في ما كنت تبعه
والبس لسرك ما تحقيه مجتهدا
والبس عفاك في ما كنت تعنيه
فصاحب الصدق يجني صدقه حسنا
وصاحب الشر سوء الشر يجنيه
ولما وقعت بين بني ربيعة وبني طي وقضاعة الحروب المشهورة
وتعاضمت الفتنة بينهم وأسمت أعيان التدبير في الصلح حتى لحق شرهم
من كان معتزلا عنهم. فاجتمع إلى البراق كليب بن ربيعة وإخوته

(*) قد افردنا هذا الباب لذكر تراجم المشاهير من اهل النصرانية الذين مع اشتهارهم يفتي على الكثير تاريخهم. وقد افردنا بابا آخر لتراجم المشاهير من الاسلام وغيرهم قضى علينا ضيق المقام بوضعه في الجزء التالي. وقد اصطغنا في الارقام ان يكون العدد الاول دالا على سنة الميلاد والثاني على سنة الوفاة. وان لم تر الا عدداً فذلك تاريخ سنة الوفاة. وهو بحسب التاريخ السبيعي

وَسَارِزُ قَبَائِلِ رَيْعَةَ يَسْتَجِدُونَهُ وَقَالُوا: قَدْ جَلَّ الْخَطْبُ فَلَا قَرَارَ لَنَا
 عَلَيْهِ. وَكَانَ الْبَرَّاقُ مُعْتَرِلاً عَنْهُمْ بِقَوْمِهِ. فَأَخَذَتْهُ الْغَيْرَةُ وَأَنْشَأَ يَقُولُ:
 أَعْمَرِي لَسْتُ أَتْرُكُ آلَ قَوْمِي وَأَرْحَلُ عَنْ فِنَانِي أَوْ أَسِيرُ
 أَلْأَنْزِلُ بَيْنَهُمْ إِنْ كَانَ يُسْرُ وَأَرْحَلُ إِنْ أَلَمَّ بِهِمْ عَسِيرُ
 ثُمَّ نَادَى فِي قَوْمِهِ وَقَالَ: قَدْ عَلِمْتُمْ كَثْرَةَ قَبَائِلِ طِيٍّ وَشِدَّةَ
 بَأْسِهِمْ وَجَدَّتِهِمْ فَشَدُّوا بِنَا الْخَيْلَ وَأَبَدُّوهُمْ بِالْعَارَةِ. فَوَضَعُوا فِيهِمْ
 السُّيُوفَ وَعَلَّتْ الْأَصْوَاتُ وَتَبَادَرَتْ إِلَيْهِمُ النَّاسُ وَحَمَلَتْ عَلَيْهِمْ كُلُّ
 قَبِيلَةٍ بِمَا يَلِيهَا. فَأَعْتَرَكُوا سَاعَةً وَوَلَّتْ طِيٌّ وَقَضَاعَةٌ بَعْدَ قِتْلَةِ رَيْعَةَ.
 وَاتَّبَعَهُمُ الْبَرَّاقُ. وَأَمْتَلَاتْ أَيْدِيهِمْ مِنَ الْغَنَائِمِ وَأَنْقَادَتْ إِلَيْهِمُ الْعُرَبَانُ.
 وَعَظُمَتْ مَنَزَلَةُ الْبَرَّاقِ فِي أَعْيُنِ النَّاسِ وَأَسْتَهَالُوا أَمْرَهُ وَأَنْثَوُا عَلَيْهِ
 جَمِيلاً. وَكَانَتْ وَفَاتُهُ سَنَةَ خَمْسِمِائَةٍ وَخَمْسٍ وَعِشْرِينَ لِلْمَسِيحِ.

٣٥٩ (أَمْرُ وَالْقَيْسِ ٥٦٦). قَالَ الْأَصْمَعِيُّ: هُوَ أَمْرُ وَالْقَيْسِ بْنِ حَجْرٍ
 ابْنِ الْحَارِثِ مِنْ بَنِي كِنْدَةَ صَاحِبِ الْمُعَلَّقَةِ الْمَشْهُورَةِ. وَكَانَ مِنْ فُحُولِ
 شُعْرَاءِ الطَّبَقَةِ الْأُولَى مُقَدِّمًا عَلَى سَارِزِ شُعْرَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ. سَبَقَ إِلَى
 أَشْيَاءَ ابْتَدَعَهَا وَاسْتَحْسَنَهَا الْعَرَبُ وَاتَّبَعَتْهُ عَلَيْهَا الشُّعْرَاءُ. وَكَانَ تُحْجِرُ
 أَبُو أَمْرِي الْقَيْسِ مَلِكًا عَلَى بَنِي أَسَدٍ فَقَتَلُوهُ غِيلَةً. قَالَ ابْنُ السَّكَيْتِ:
 فَجَاءَ رَسُولٌ إِلَى أَمْرِي الْقَيْسِ فَأَخْبَرَهُ عَنْ أَمْرِيهِ فَقَالَ: الْحَمْرُ عَلِيٌّ
 وَاللَّغْبُ حَرَامٌ حَتَّى أَقْتُلَ مِنْ بَنِي أَسَدٍ مِائَةَ. وَأَجَزَ تَوَاصِي مِائَةَ
 ثُمَّ قَامَ أَمْرُ وَالْقَيْسِ وَكَانَ إِذْ ذَاكَ غُلَامًا قَدْ تَرَعَّعَ يَسِيرُ فِي أَحْيَاءِ

العرب . ولما جنَّه الليلُ رأى برقًا فقال :

أرقتُ إبرقَ بليْلِ أهلٍ يُضي سناه بأعلى الجبلِ
أتاني حديثٌ فكذبتهُ بأمرٍ ترغزُ منه الثقلُ
بقتلِ بني أسدِ ربهمُ ألا كلُّ شيءٍ سِوَاهُ جَلَلِ

ثمَّ ارتحلَ حتى نزلَ بكرةً وتعلبَ فسألهمُ النصرَ على بني أسدِ .
وبعثَ العيونَ على بني أسدٍ فنذروا بالعيونِ ولجأوا إلى بني كنانةَ .
فنهضَ إليهمُ وبنو أسدٍ جامونَ على الماءِ فقال لهمُ حتى كثرتِ الجرحى
واقْتلَى فيهمُ . وحجزَ الليلُ بينهمُ وهربتِ بنو أسدِ . فلما أصبحتِ بكرةً
وتعلبَ أبوانَ أن يتبعوهُ وقالوا لهُ : قد أصبتَ ناركَ . فقال : واللهِ ما
فعلتُ ولا أصبتُ من بني كاهلٍ ولا من غيرهمُ من بني أسدٍ أحداً .
قالوا : بلى ولكِنَّكَ رجلٌ مشوومٌ . وكرهوا قتالهمُ بني كنانةَ وانصرفوا
عنه فمضى هارباً لوجهه حتى لحقَ بحميرٍ . ثمَّ خرجَ فظفرَ ببني أسدِ
(قالوا) وألحَ المنذرُ في طلبِ امرئِ القيسِ وأمدَّهُ أنوشيروانُ بجيشٍ من
الأساورةِ فسرحهمُ في طلبه . وتفرقَ حميرٌ ومن كان معه عنه فنجأ في
عُصبةٍ من بني آكلِ المرارِ حتى نزلَ بالحارثِ بنِ شهابٍ من بني
حنظلةٍ ومعَ امرئِ القيسِ أدرعٌ يتوارثونها ملكاً عن ملكٍ . فقلما
لبثوا عندَ الحارثِ بنِ شهابٍ حتى بعثَ إليه المنذرُ مائةً من أصحابه
يوعدهُ بالحربِ إن لم يُسلمِ إليه بني آكلِ المرارِ . فأسلمهمُ ونجأ
امرؤ القيسِ ومعه يزيدُ بنُ معاويةَ بنِ الحارثِ وبنتهُ هندُ بنتُ امرئِ

الْفَيْسِ وَالْأَدْرُعِ وَالسَّلَاحِ . ثُمَّ قَالَ لَهُ عَمْرُو بْنُ جَابِرِ بْنِ مَازِنِ
الْفَزَارِيِّ : يَا ابْنَ حَجْرٍ إِنِّي أَرَاكَ فِي خَلَلٍ مِنْ قَوْمِكَ وَأَنَا أَنفَسُ
بِمَثَلِكَ مِنْ أَهْلِ الشَّرَفِ . أَفَلَا أَدُلُّكَ عَلَى بَلَدٍ فَقَدْ جِئْتُ قَيْصَرَ وَجِئْتُ
النُّعْمَانَ فَلَمْ أَرِ لَضِيفٍ نَازِلٍ وَلَا لِمُجْتَدٍ مِثْلَهُ وَلَا مِثْلَ صَاحِبِهِ . قَالَ :
مَنْ هُوَ وَأَيْنَ مَنْزِلُهُ . قَالَ : السَّمْوِيُّ بَنِيَاءَ وَسَوْفَ أَضْرِبُ لَكَ مِثْلَهُ . هُوَ
يَمْنَعُ ضَعْفَكَ حَتَّى تَرَى ذَاتَ غَيْكَ . وَهُوَ فِي حِصْنِ حَصِينٍ وَحَسَبٍ
كَبِيرٍ . فَمَضَى الْقَوْمُ حَتَّى قَدِمُوا عَلَى السَّمْوِيِّ فَأَثَشَدَهُ قَوْلُهُ :

وَلَقَدْ أَتَيْتُ بَنِي الْمَصَاصِ مُفَاخِرًا وَإِلَى السَّمْوِيِّ زُرْتُهُ بِالْأَبْلَقِ
فَأَتَيْتُ أَفْضَلَ مِنْ تَحْمَلِ حَاجَةٍ إِنْ جِئْتُهُ فِي غَارِمٍ أَوْ مَرَهَقِ
عَرَفْتُ لَهُ الْأَقْوَامَ كُلَّ فَضِيلَةٍ وَحَوَى الْمَكَارِمَ سَابِقًا لَمْ يُسْبَقِ
وَعَرَفَ لَهُمُ السَّمْوِيُّ حَقَّهُمْ فَأَزَلَّهُمْ فِي مَجْلِسٍ لَهُ بِرَاحٍ فَكَانَ عِنْدَهُ
مَا شَاءَ اللَّهُ . ثُمَّ إِنَّهُ طَلَبَ إِلَيْهِ أَنْ يَكْتُبَ لَهُ إِلَى الْحَارِثِ بْنِ أَبِي شَيْمَةَ
الْعَسَايِي بِالشَّامِ لِيُوصِلَهُ إِلَى قَيْصَرَ . فَاسْتَجَدَّ لَهُ رَجُلًا وَاسْتَوْدَعَ عِنْدَهُ
الْأَدْرَاعَ وَالْمَالَ وَأَقَامَ مَعَهَا زَيْدُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ مُعَاوِيَةَ ابْنَ عَمِّهِ . فَمَضَى
حَتَّى أَتَى إِلَى قَيْصَرَ فَصَلَّاهُ وَكَرَّمَهُ وَكَانَتْ لَهُ عِنْدَهُ مَنْزِلَةٌ . فَانْدَسَّ
رَجُلٌ مِنْ بَنِي أَسَدٍ يُقَالُ لَهُ الطَّمَّاحُ حَتَّى أَتَى إِلَى بِلَادِ الرُّومِ فَأَقَامَ
مُسْتَحْفِيًا . ثُمَّ إِنْ قَيْصَرَ ضَمَّ إِلَيْهِ جَيْشًا كَثِيرًا وَفِيهِمْ جَمَاعَةٌ مِنْ أَبْنَاءِ الْمُلُوكِ .
فَلَمَّا فَصَلَ دَخَلَ الطَّمَّاحُ عَلَى قَيْصَرَ فَقَالَ إِنَّ الْعَرَبَ قَوْمٌ عُذْرٌ وَلَا تَأْمَنُ
أَنْ يَظْفَرَ بِمَا يُرِيدُ ثُمَّ يَفْزُوكَ مِنْ بَعَثٍ مَعَهُ . فَبَعَثَ إِلَيْهِ قَيْصَرَ

حِينَئِذٍ بَحَلَّةٌ وَشِيٌّ مَسْمُومَةٌ مَسْجُوجَةٌ بِالذَّهَبِ . وَقَالَ لَهُ : إِنِّي أُرْسَاتُ
 إِلَيْكَ بِحَلَّتِي الَّتِي كُنْتُ أَلْبَسُهَا تَكْرِمَةً لَكَ فَإِذَا وَصَلْتَ إِلَيْكَ فَالْبَسْهَا
 بِالْيَمِينِ وَالْبُرْكَهَ . وَكُتِبَ إِلَيَّ بِخَبْرِكَ مِنْ مَنْزِلٍ مَنْزِلٍ . فَلَمَّا وَصَلَتْ إِلَيْهِ
 لِبَسَهَا فَاسْرَعَ فِيهِ السُّمُّ وَسَقَطَ جِلْدُهُ فَسُمِّيَ ذَا الْقُرُوحِ (الآغَانِي)
 ٣٦٠ (عَدِيُّ بْنُ زَيْدٍ ٥٨٢) . هُوَ مِنْ أَوْلَادِ زَارٍ وَكَانَ شَاعِرًا أَفْصَحًا مِنْ
 شُعْرَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ وَكَانَ نَصْرَانِيًّا . وَكَانَ أَبُوهُ لَمَّا أُنْفِعَ طَرَحَهُ فِي الْكِتَابِ
 حَتَّى إِذَا حَذَقَ أَرْسَلَهُ الْمُرْزُبَانَ مَعَ ابْنِهِ شَاهَانَ مَرَدًا إِلَى كِتَابِ الْفَارِسِيَّةِ .
 فَكَانَ يَخْتَلِفُ مَعَ ابْنِهِ وَيَتَعَلَّمُ الْكِتَابَةَ وَالْكَلَامَ بِالْفَارِسِيَّةِ . حَتَّى خَرَجَ
 مِنْ أَفْهَمِ النَّاسِ بِهَمَا وَأَفْصَحِهِمُ بِالْعَرَبِيَّةِ . وَقَالَ الشَّعْرُ وَتَعَلَّمَ الرَّمِيَّ
 بِالنِّسَابِ فَخَرَجَ مِنَ الْأَسَاوِرَةِ الرَّمَامَةَ . وَتَعَلَّمَ لَعِبَ النَّجْمِ عَلَى الْخَيْلِ
 بِالصَّوَالِحَةِ وَغَيْرِهَا . ثُمَّ اثْبَتَهُ كَسْرِيٌّ مَعَ وَلَدِ الْمُرْزُبَانَ فَكَانَ عَدِيٌّ
 أَوَّلَ مَنْ كَتَبَ بِالْعَرَبِيَّةِ فِي دِيْوَانِ كَسْرِيٍّ . يُؤَدِّنُ لَهُ عَلَيْهِ فِي الْخَاصَّةِ
 وَهُوَ مُعْجَبٌ بِهِ قَرِيبٌ مِنْهُ فَارْتَفَعَ ذِكْرُ عَدِيٍّ . وَلَمَّا تَوَلَّى النُّعْمَانُ بْنُ
 الْمُنْذِرِ عَلَى الْخَيْرَةِ اسْتَدْعَى عَدِيَّ بْنَ زَيْدٍ مِنَ الْمَدَائِنِ مَعَ أَخَوَيْهِ لَهُ
 ائْتَمَّا أَبِي وَعَامِرٌ فَأَكْرَمَهُمْ وَأَجَزَلَ صَلَاتِهِمْ وَزَوَّجَ عَدِيًّا ابْنَتَهُ هِنْدًا وَوَلَاهُ
 مَمْلَكَتَهُ وَكُلَّ شَيْءٍ سِوَى اسْمِ الْمَلِكِ . ثُمَّ حَسَدَهُ وَحَبَسَهُ فِي مَخْبَسٍ لَا
 يَدْخُلُ عَلَيْهِ فِيهِ أَحَدٌ . فَجَعَلَ عَدِيٌّ يَقُولُ الشَّعْرَ وَهُوَ فِي الْخَبْسِ فَمِنْ قَوْلِهِ :
 أَلَا مَنْ مَبْنَعُ النُّعْمَانِ عَنِّي وَقَدْتُهُوِي النَّصِيحَةَ بِالْمَغِيبِ
 أَحْظِي كَانَ سِلْسِلَةً وَقِيدًا وَغَلًّا وَالْبَيَانَ لَدَى الطَّيِّبِ

أَتَاكَ بِأَنِّي قَدْ طَالَ حَبْسِي وَمَ تَسَامَ بِمَسْجُونٍ حَرِيبٍ
 وَبَيْتِي مُقْفَرٌ إِلَّا نِسَاءً أَرَامِلٌ قَدْ هَلَكْنَ مِنَ النَّحِيبِ
 يُبَادِرُنَ الدَّمُوعَ عَلَى عَدِيٍّ كَشَنَ خَانَهُ خَرَزُ الرَّيْبِ
 فَهَلْ لَكَ أَنْ تَدَارِكَ مَا لَدَيْنَا وَلَا تُغْلِبَ عَلَى الرَّأْيِ الْمَصِيبِ
 فَأَنِّي قَدْ وَكَلْتُ أَلْيَوْمَ أَمْرِي إِلَى رَبِّ قَرِيبٍ مُسْتَجِيبِ
 وَكَتَبَ إِلَى أَخِيهِ أَبِي وَهُوَ مَعَ كَسْرِي :

وَتَقُولُ الْعُدَاةُ أَوْ دَى عَدِيٍّ وَبَنُوهُ قَدْ أَيَقْنُوا بِعَلَاقِ
 يَا أَبَا مُسْبِهٍ فَأَبْلِغْ رَسُولًا إِخْوَتِي إِنْ أَتَيْتَ صَحْنَ الْعِرَاقِ
 أَلْبَغًا عَامِرًا وَأَبْلِغْ أَخَاهُ أَنِّي مُوْتَقٌ شَدِيدٌ وَنَاقِي
 فِي حَدِيدٍ مُضَاعَفٍ وَغَدَالٍ وَثِيَابٍ مُنْصَحَاتٍ خَلَاقِ
 فَارْكَبُوا فِي الْحَرَامِ فَكُونُوا أَخَاكُمْ إِنْ عَيْرًا تَجَهَّزْتَ لِأَنْطَاقِ
 فَلَمَّا قَرَأَ أَبِي كِتَابَ عَدِيٍّ قَامَ إِلَى كَسْرِي فَكَلَّمَهُ فِي أَمْرِهِ
 وَعَرَفَهُ خَبْرَهُ . فَكَتَبَ إِلَى النُّعْمَانَ يَا مَرُّهُ بِإِطْلَاقِهِ . فَأَتَى النُّعْمَانَ أَعْدَاءَهُ
 عَدِيٍّ فَأَعْرَضَهُ عَلَى قَتْلِهِ فَقَتَلَهُ (*) (لاي القرح الاصبهاني)

(*) واخبر صاحب كتاب الاغانى انه لما انتهى خبر قتل عدى الى كسرى سكت اشهرا على ذلك ووقع في قلبه منه ما وقع . وجعل النعمان يستعد ويتوقع حتى آتاه كتابه ان اقبل فان للملك حاجة اليك . فحمل سلاحه وما قوي عليه ثم لحق بالبادية واقبل يطوف على قبائل العرب وليس احد منهم يقبله خوفا من كسرى . فقال له بعض اصحابه : عندي رأي لك لست اشير به عليك لادفعك عما تريد من مجاورتي ولكنه الصواب . فقال : هاتيه . فقال : ان كل امرئ يجعل بالزجل ان يكون عليه الا ان يكون بعد الملك سوقة والموت نازل بكل احد . ولان قوت كرىما خير من ان تخرب الذل اربى سوقة بعد الملك . فامض الى صاحبك واحمل

٣٦١ (حَاتِمُ الطَّائِي ٦٠٥) . هُوَ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَعِيدِ الطَّائِي .
 وَكَانَ نَصْرَانِيًّا مِنَ الْكُرَمِ عَلَى أَفْضَلِ جَانِبٍ . فَبَيْتُكَ الْعَائِي وَيَجْمَعِي الذَّمَارُ
 وَيَشْرِي الضَّيْفَ وَيُشْبِعُ الْجَائِعَ وَيُفْرِجُ عَنِ الْمَكْرُوبِ وَيُطْعِمُ الطَّعَامَ
 وَيُنْفِثِي السَّلَامَ . وَلَمْ يَرُدْ طَالِبَ حَاجَةٍ قَطُّ . وَكَانَ حَاتِمٌ مِنْ شُعْرَاءِ
 الْعَرَبِ جَوَادًا يُشْبِهُ شَعْرَهُ جُودَهُ . وَيُصَدِّقُ قَوْلَهُ فِعْلُهُ . وَكَانَ حَيْثَمَا
 نَزَلَ عُرِفَ مَنَزِلُهُ وَكَانَ مُظْفَرًا إِذَا قَاتَلَ غَلَبَ . وَإِذَا غَنِمَ أَنَهَبَ . وَإِذَا
 سُئِلَ وَهَبَ . وَكَانَ إِذَا جَنَّ اللَّيْلُ يُوعِزُّ إِلَى غُلَامِهِ أَنْ يُوقِدَ النَّارَ فِي
 يَفَاعٍ مِنَ الْأَرْضِ لِيَنْظُرَ إِلَيْهَا مِنْ أَضَلِّهِ الطَّرِيقِ فَيَأْوِي إِلَى مَنَزِلِهِ وَيَقُولُ :
 أَوْقِدْ فَإِنَّ اللَّيْلَ لَيْلٌ قَرٌّ وَالرَّيْحُ يَا مُوقِدُ رِيحٌ صِرٌّ
 عَسَى يَرَى نَارَكَ مِنْ يَمِينِي . إِنْ جَلَبْتَ ضَيْفًا فَأَنْتَ حُرٌّ

وَكَانَ إِذَا أَهَلَ الشَّهْرَ يُنْحَرُ عَشْرًا مِنَ الْأَيْلِ فَيُطْعِمُ النَّاسَ (دواوين العرب)
 ٣٦٢ (أُمِيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ ٦٢٤) هُوَ أَبُو الْقَاسِمِ بْنِ أَبِي الصَّلْتِ
 الثَّقَفِيُّ مِنْ أَهْلِ الطَّائِفِ مِنْ شُعْرَاءِ الطَّبَقَةِ الْأُولَى . وَكَانَ أُمِيَّةً مِنْ
 رُؤَسَاءِ ثَقِيفٍ وَفَصَحَّاحِهِمْ يَتَّبَعُونَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَيُؤْمِنُ بِالْبَعْثِ . وَيُنشِدُ
 فِي أَثْنَانِهِ الشِّعْرَ الْمَلِيحَ وَأَدْرَكَ الْإِسْلَامَ وَلَمْ يُسْلِمِ . وَلَهُ فِي الْفَخْرِ :

اليه هدايا ومالا وألق نفسك بين يديه . فإما إن صفح عنك فعدت ملكا عزيزا . وإما إن
 اصابك فالوت خير من إن يتلعب بك صمالك العرب ويخطفك ذناجها وتاكل مالك
 وتعيش فقيرا مجاورا أو تقتل مقهورا . فضى الى كسرى حتى اذا وصل الى اللدائن بلغ كسرى انه
 بالبالب فبعث اليه فقبده وبعث به الى سجين كان له بخانقين فلم يزل فيه حتى مات . وقال
 النكبي : القاه تحت ارجل القيلة فوطنته حتى مات وذلك قبيل الاسلام بعين (الاغاني)

وَرَثْنَا الْمَجْدَ عَنْ كُبْرَى زَارٍ فَأُورِثْنَا مَا ثَرْنَا بَيْنَنَا
 وَكُنَّا حَيْثَا عَلِمْتَ مَعَدِّ أَقْمَنَا حَيْثُ سَارُوا هَارِ بَيْنَنَا
 تُخْبِرُكَ الْقَبَائِلُ مِنْ مَعَدِّ إِذَا عَدُّوا سِعَايَةَ أَوْلِيَانَا
 يَا أَيُّهَا النَّازِلُونَ بِكُلِّ نَعْرِ وَأَنَا الضَّارِبُونَ إِذَا التَّقِيْنَا
 وَأَنَا الْمَلِئُونَ إِذَا أَرَدْنَا وَأَنَا الْعَاطِفُونَ إِذَا دُعِينَا
 وَأَنَا الْحَامِلُونَ إِذَا أَنَاخْتُ خُطُوبُ فِي الْعَشِيرَةِ تَبْتَلِينَا
 وَأَنَا الرَّافِعُونَ عَلَى مَعَدِّ أَكْفَاءُ فِي الْمَكَارِمِ مَا بَقِينَا
 نُشْرِدُ بِالْخُفَاةِ مَنْ أَتَانَا وَيُعْطِينَا الْمَقَادَةَ مَنْ يَلِينَا
 نَسِيرُ بِمَعَشَرِ قَوْمًا لِقَوْمٍ وَنَدْخُلُ دَارَ قَوْمٍ آخِرِينَا
 وَحَضَرَ يَوْمًا مَجْلِسَ بَعْضِ الرُّؤَسَاءِ وَبَيْنَ يَدَيْهِ أَطْبَاقٌ مِنَ الذَّهَبِ
 فِيهَا وَرْدٌ أبيضٌ وَأَحْمَرٌ فَأَمَرَهُ بِوَضْعِهَا فَقَالَ :

كَأَنَّمَا الْوَرْدُ الَّذِي كَشَرَهُ يَبْقَى مِنْ طِيبِ مَعَانِكَا

دِمَاءُ أَعْدَائِكَ مَسْفُوكَةٌ قَدْ قَابَلَتْ بَيْضَ أَيَادِيكََا

وَمِنْ شِعْرِهِ قَوْلُهُ يُمْدِحُ ابْنَ جَدْعَانَ التَّمِيمِيِّ صَدِيقَهُ :

حَلِيلُ لَا يُغَيِّرُهُ صَبَاحٌ عَنِ الْخَلْقِ الْجَمِيلِ وَلَا مَسَاءُ

وَأَرْضُكَ كُلُّ مَكْرَمَةٍ بَلَّتَتْهَا بُنُو تَمِيمٍ وَأَنْتَ لَهَا سَمَاءُ

إِذَا أَثْنَى عَلَيْكَ الْمُرءُ يَوْمًا كَفَفَاهُ مِنْ تَعَرُّضِهِ لِلنَّبَاةِ

قَالَ الْأَشْجِيُّ : لَمَّا مَرَضَ أُمَيَّةُ الْمُرَضُ الَّذِي مَاتَ فِيهِ جَعَلَ يَقُولُ :

قَدْ دَنَا أَجَلَ وَهَذِهِ الْمُرَضَةُ مِنْ بَنِي . فَلَمَّا دَنَتْ وَفَاتَهُ أَغْمَى عَلَيْهِ قَلِيلًا

ثُمَّ أَفَاقَ وَهُوَ يَقُولُ : لَبَيْكُمَا لَبَيْكُمَا هَا أَنَا ذَا لَدَيْكُمَا . لَا مَالَ لِي
يَفِدِينِي وَلَا عَشِيرَةَ تَحْمِينِي . وَرَفَعَ رَأْسَهُ وَهُوَ يَقُولُ :
كُلُّ حَيٍّ وَإِنْ تَطَاوَلَ دَهْرًا حَازِرٌ مَرَّةً إِلَى أَنْ يَزُولَا
لَيْتَنِي كُنْتُ قَبْلَ مَا قَدَّ بَدَا لِي فِي قِلَالِ الْجِبَالِ أَرْعَى الْوَعُولَا
إِجْعَلِ الْمَوْتَ نُصْبَ عَيْنِكَ وَأَحْذَرْ غَوْلَةَ الدَّهْرِ إِنَّ الدَّهْرَ غُولَا
ثُمَّ قَضَى نَحْبَهُ فِي قَصْرِ مِنْ قُصُورِ الطَّائِفِ (لأبي زكريا النووي)
٣٦٣ (أبو زيد ٦٤٥) . هُوَ حَرَمَلَةٌ بِنُ الْمُنْدِرِ مِنْ بَنِي طَيْبٍ . وَكَانَ
نَصْرَانِيًّا وَعَلَى دِينِهِ مَاتَ . وَهُوَ مِمَّنْ أَدْرَكَ الْجَاهِلِيَّةَ وَالْإِسْلَامَ .
كَانَ يَزُورُ الْمُلُوكَ وَخَاصَّةً مُلُوكَ الْعَجَمِ وَكَانَ عَالِمًا بِسَيْرِهِمْ . وَكَانَ عُثْمَانُ
أَبْنُ عَفَانَ يُقْرِبُهُ إِلَى ذَلِكَ وَيُدِينِي مَجْلِسَهُ . وَكَانَ يَكْثُرُ وَصْفَ الْأَسَدِ
فَقَدْ أَكْرَمَ مَاثِرُ الْعَرَبِ وَأَشْعَارُهَا فَالْتَقَتْ عُثْمَانُ إِلَى أَبِي زَيْدٍ وَقَالَ :
يَا أَخَا تَبَعِ الْمَسِيحِ أَسْمِعْنَا بَعْضَ قَوْلِكَ . فَقَدْ أَنْبَيْتَ أَنَّكَ مُجِيدٌ . فَأَنْشَدَهُ
قَصِيدَتَهُ الَّتِي يَقُولُ فِيهَا :

مَنْ مُبْلِغٌ قَوْمَنَا النَّائِينَ إِذْ سَخَطُوا أَنْ الْفُؤَادَ إِلَيْهِمْ شَيْقٌ وَلِعُ
وَوَصَفَ الْأَسَدَ فَقَالَ عُثْمَانُ : تَأَلَّهْ تَفْتَأُ تَذَكُرُ الْأَسَدَ مَا حَيْتَ وَاللَّهِ
إِنِّي لِأَحْسَبُكَ جَبَانًا هَرَّابًا . قَالَ : كَلَّا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنِّي رَأَيْتُ
مِنْهُ مَنْظَرًا وَشَهِدْتُ مِنْهُ مَشْهَدًا لَا يَبْرَحُ ذِكْرُهُ يَتَجَدَّدُ وَيَتَرَدَّدُ فِي قَلْبِي .
وَمَعْدُورٌ أَنَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ مَلُومٍ . فَقَالَ لَهُ عُثْمَانُ : وَأَنَّى كَانَ ذَلِكَ .
قَالَ : خَرَجْتُ فِي صُيَابَةِ أَشْرَافٍ مِنْ أَبْنَاءِ قَبَائِلِ الْعَرَبِ ذَوِي هَيْبَةٍ

وَشَارَةَ حَسَنَةَ تَزْمِي بِنَا الْمَهَارِي بِأَكْسَانِهَا وَمَحْنُ زَيْدُ الْحَارِثِ بْنِ أَبِي سَمْرٍ
 النَّسَائِي مَلِكُ الشَّامِ . فَأَخْرَوَطُ بِنَا السَّيْرُ فِي حِمَارَةِ الْقَيْظِ حَتَّى إِذَا
 عَصَبَتِ الْأَفْوَاهُ . وَذَبَلَتِ الشِّفَاهُ وَسَالَتِ الْمِيَاهُ . وَأَذَكَّتِ الْجُوزَاءُ الْمَغْرَاءُ
 وَصَرَ الْجُنْدُبُ قَالَ قَائِلٌ : أَيُّهَا الرُّكْبُ غُورُوا بِنَا فِي صَوْجِ هَذَا
 الْوَادِي . وَإِذَا وَاذٍ قَدْ بَدَأَ لَنَا كَثِيرُ الدَّغْلِ دَائِمُ الْغَلَلِ . أَشْجَارُهُ مَغْنَةُ
 وَأَطْيَارُهُ مَرْنَةٌ . فَحَطَطْنَا رِحَالَنَا بِأَصُولِ دَوْحَاتِ كَنْهَبَاتٍ . فَأَصْبْنَا مِنْ
 فَضَلَاتِ الزَّادِ وَاتَّبَعْنَا الْمَاءَ الْبَارِدَ . فَإِنَّا لَنَصِفُ حَرَّ يَوْمِنَا وَمِمَّا طَلَّتْهُ إِذْ
 صَرَ أَقْصَى الْخَيْلِ أَذْنِيهِ . وَفَحَّصَ الْأَرْضَ بِيَدَيْهِ . فَوَاللَّهِ مَا لَيْثَ أَنْ
 جَالَ . ثُمَّ حَمَمَ الْخَيْلَ وَتَكَمَّكَتِ الْإِبِلُ وَتَهَمَّكَرَتِ الْبِعَالُ . فَمِنْ نَافِرٍ
 يَشْكَالُهُ . وَنَاهِضٍ بَعَالِهِ . فَعَلِمْنَا أَنْ قَدْ أُتِينَا وَأَنَّهُ السَّبْعُ فَفَزِعَ كُلُّ وَاحِدٍ
 مِنَّا إِلَى سَيْفِهِ فَاسْتَلَّهُ مِنْ جَرَايِهِ . ثُمَّ وَقَفْنَا رَزْدَقًا أَرْسَالًا وَأَقْبَلَ أَبُو
 الْحَارِثِ مِنْ أَجْتِهِ يَتَطَالَعُ فِي مَشِيئِهِ . مِنْ نَعْتِهِ كَأَنَّهُ مُجَنَّبٌ أَوْ فِي هِجَارٍ
 بِصَدْرِهِ نَحِيطٌ . وَبِلَابِعِهِ غَطِيطٌ . وَلِطَرْفِهِ وَمِيضٌ . وَلِأَرْسَاعِهِ نَقِيضٌ .
 كَأَنَّمَا يُخِيطُ هَشِيمًا . أَوْ يَطَأُ صَرِيمًا . وَإِذَا هَامَةٌ كَالْمَجْنِ . وَخَدٌّ كَالْمِسْنِ .
 وَعَيْنَانِ سَجْرَاوَانِ . كَأَنَّهُمَا سِرَاجَانِ يَتَقَدَّانِ . وَكَفٌّ شِئْنَةٌ الْبُرَائِنِ إِلَى
 مَخَالِبِ كَالْحَاجِنِ . فَضْرَبَ بِيَدِهِ فَارْهَجَ . وَكَشَرَ فَأَفْرَجَ عَنْ أَنْيَابِ
 كَالْمَعَاوِلِ مَصْفُولَةٍ غَيْرِ مَفْلُولَةٍ . ثُمَّ أَقْعَى فَأَقْشَعَرَ ثُمَّ مَثَلَ فَأَكْفَهَرَ . ثُمَّ
 تَجَمَّهَ فَازْبَارَ . فَلَا وَدُوْبَيْتُهُ فِي السَّمَاءِ مَا أَتَقِينَاهُ إِلَّا بَاخُ لَنَا مِنْ فِرَارَةٍ
 كَانَ صَنْعُ الْجُرَارَةِ . فَوْقَصَهُ ثُمَّ نَفَضَهُ نَفْضَةً فَفَضَّضَ مَتْنَهُ فَعَجَلَ

يَلْبَغُ فِي دَمِهِ . فَذَمَرْتُ لِأَصْحَابِي فَأَخْتَلَجَ رَجُلًا عَجْرًا ذَا حَوَايَا فَفَضَّضَهُ
نَفْضَةً تَرَأَيْتَ مَفْصَلَهُ . ثُمَّ نَهَمَ فَفَرَفَرْتُ ثُمَّ زَفَرَ فَبَرَّرْتُ . ثُمَّ زَارَ فَجَرَ جَرَّ .
ثُمَّ لَحَظَ فَوَاللَّهِ لِحَلَّتِ الْبَرْقُ يَطَّارُ مِنْ تَحْتِ جُنُونِهِ مِنْ شِمَالِهِ وَبِمِينِهِ .
فَارْعَشَتْ الْأَيْدِي وَاصْطَكَّتِ الْأَرْجُلُ وَأَطَّتِ الْأَضَاعُ . وَارْتَجَّتِ
الْأَسْمَاعُ . وَشَخَصَتِ الْعُيُونُ . وَتَحَمَّطَتِ الظُّنُونُ وَانْحَزَلَتِ الْمُتُونُ . فَقَالَ
لَهُ عُثْمَانُ : أَسْكُتْ فَقَدْ أَرَعَبَتْ قُلُوبَ الْمُسْلِمِينَ . وَيُقَالُ إِنَّ أَبَا زَيْدٍ
عُمَرَ مِائَةَ سَنَةٍ بَنِيْفٍ وَذُفِينٍ فِي الرِّقَّةِ فِي بَيْعَةِ النَّصَارَى (الآغَانِي)
٣٦٤ (أَلْقَطَائِي ٧١٠) . هُوَ لَقَبٌ عَلَبَ عَلَيْهِ وَأَسْمُهُ عُمَيْرُ بْنُ شَيْمٍ
وَكَانَ نَصْرَانِيًّا . قَالَ أَبُو عَمْرٍو وَبْنُ الْعَلَاءِ : أَوَّلُ مَا حَرَّكَ مِنَ الْقَطَائِي
وَرَفَعَ مِنْ ذِكْرِهِ أَنَّهُ قَدِمَ فِي خِلَافَةِ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ دِمَشْقَ
لِيَمْدَحَهُ فَقِيلَ لَهُ : إِنَّهُ يُجْحِلُ لَا يُعْطِي الشُّعْرَاءَ وَالشُّعْرُ لَا يُفْقُ عِنْدَهُ . وَهَذَا
عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنِ سُلَيْمَانَ فَمَدَحَهُ . فَمَدَحَهُ فَقَالَ لَهُ : كَمْ أَمَّاتَ مِنْ أَمِيرِ
الْمُؤْمِنِينَ قَالَ : أَمَّاتُ أَنْ يُعْطِيَنِي ثَلَاثِينَ نَاقَةً . فَقَالَ : قَدْ أَمَّرتُ لَكَ
بِخَمْسِينَ نَاقَةً مُوقَرَةً بَرًّا وَتَمْرًا وَثِيَابًا ثُمَّ أَمَرَ بِدَفْعِ ذَلِكَ إِلَيْهِ . وَمَا سَارَ
عُمَيْرُ بْنُ الْحُبَابِ لِمُحَارَبَةِ بَنِي عَنَابٍ وَفِيهِمْ أَخْلَاطٌ تَعْلَبُ اسْتَحْرَّ بِهِمْ
الْقَتْلُ وَأَصِيبَ أَكْثَرَهُمْ وَأَسِيرَ مِنْهُمْ كَثِيرٌ مِنْهُمْ الْقَطَائِي . وَأَخَذَتْ إِبِلَهُ
فَأَتَى الْأَمِيرَ زُفَرَ فَحَلَّى سَبِيلَهُ وَرَدَّ عَلَيْهِ مِائَةَ نَاقَةٍ . فَقَالَ الْقَطَائِي يَمْدَحُهُ :
يَا زُفَرَ بْنَ الْحَارِثِ ابْنَ الْأَكْرَمِ . قَدْ كُنْتَ فِي الْحَيِّ قَدِيمَ الْمَقْدَمِ
إِذْ أَحْجَمَ الْقَوْمُ وَمَا تَحْجَمُ . إِنَّكَ وَأَبْنَيْكَ حَفِظْتُمْ مَحْرَمِي

وَحَقَّنَ اللَّهُ بِكَفِّكَ ذِمِّي مِنْ بَعْدِ مَا جَفَّ لِسَانِي وَفِي
 أَنْفَذْتَنِي مِنْ بَطَلٍ مُعَمَّمٍ وَأَخْلَيْتُ تَحْتَ الْعَارِضِ الْمَسُومِ
 أَخْبَرَ الْمَدَائِنِي قَالَ: قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ لِلْأَخْطَلِ وَعِنْدَهُ
 عَامِرُ الشَّعْبِيِّ: أَتُحِبُّ أَنْ لَكَ قِيَاضًا بِشَعْرِكَ شِعْرًا أَحَدٍ مِنَ الْعَرَبِ
 أَمْ تُحِبُّ أَنْكَ قَلْتَهُ. قَالَ: لَا وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِلَّا آتِي وَدِدْتُ آتِي
 كُنْتُ قُلْتُ أَيَّامًا قَالَهَا رَجُلٌ مِنَّا مُعْدِفُ الْفِنَاعِ. قَلِيلُ السَّمَاعِ قَصِيرُ
 الذَّرَاعِ. قَالَ: وَمَا قَالَ. فَأَنْشَدَهُ قَوْلَ الْقَطَامِيِّ فِي عَبْدِ الْوَاحِدِ سُلَيْمَانَ:
 إِنَّا مُحِبُّوكَ فَاسْلَمَ أَيُّهَا الطَّلَلُ وَإِنْ بَلَيْتَ وَإِنْ طَالَتْ بِكَ الطَّلِيلُ
 لَيْسَ الْجَدِيدُ بِهِ تَبَقَى بِشَاشَتُهُ إِلَّا قَلِيلًا وَلَا ذُو حَلَةٍ يَصِلُ
 وَالْعَيْشَ لَا عَيْشَ إِلَّا مَا تَقَرُّ بِهِ عَيْنٌ وَلَا حَالَ إِلَّا سَوْفَ تَنْقَلُ
 قَدْ يُدْرِكُ الْمُنْتَانِي بَعْضَ حَاجَتِهِ وَقَدْ يَكُونُ مَعَ الْمُسْتَجِلِ الزَّلَالُ
 حَتَّى آتَى عَلَى آخِرِهَا. فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ: تَكَلَّتْ
 الْقَطَامِيُّ أُمُّهُ. هَذَا وَاللَّهِ الشَّعْرُ

٣٦٥ (الأخطل ٧١٢) هُوَ أَبُو مَالِكِ غِيَاثُ بْنُ عَوْثِ بْنِ الصَّلْتِ بْنِ
 الطَّارِقَةِ. وَأَصْلُ تَسْمِيَّتِهِ بِالْأَخْطَلِ أَنَّهُ هَجَرَ رَجُلًا مِنْ قَوْمِهِ فَقَالَ لَهُ:
 يَا غَلَامُ إِنَّكَ لَأَخْطَلُ اللِّسَانِ. فَغَلَبَتْ عَلَيْهِ. وَكَانَ الْأَخْطَلُ نَصْرَانِيًّا
 وَمَحَلَّهُ فِي الشَّعْرِ الْكَبِيرِ مِنْ أَنْ يَحْتَاجَ إِلَى وَصْفِهِ. وَهُوَ وَجَرِيْدٌ وَالْفَرَزْدَقُ
 طَبَقَهُ وَاحِدَةً. سُئِلَ حَمَادُ الرَّائِيَّةِ عَنِ الْأَخْطَلِ فَقَالَ: مَا تَسْأَلُونِي
 عَنْ رَجُلٍ قَدْ حَبَّبَ شِعْرَهُ إِلَيَّ النَّصْرَانِيَّةَ. وَقَالَ أَبُو عَمْرٍو: لَوْ أَدْرَكَ

الْأَخْطَلُ يَوْمًا وَاحِدًا مِنَ الْجَاهِلِيَّةِ مَا قَدَّمَتْ عَلَيْهِ أَحَدًا . قِيلَ لَجَرِيذٍ مَا
 تَقُولُ فِي الْأَخْطَلِ . قَالَ : كَانَ أَشَدَّنَا اجْتِرَاءً وَأَرْمَانًا لِلْفَرَائِصِ
 وَأَمْدَحَ النَّاسِ لِكَرِيمٍ . وَكَانَ أَبُو عُبَيْدَةَ يَقُولُ : شُعْرَاءُ الْإِسْلَامِ
 الْأَخْطَلُ ثُمَّ جَرِيذٌ ثُمَّ الْفَرَزْدَقُ . وَكَانَ يُشَبِّهُ الْأَخْطَلُ بِالنَّائِفَةِ لِصِحَّةِ
 شِعْرِهِ وَيَقُولُ : الْأَخْطَلُ أَشْبَهُ بِالْجَاهِلِيَّةِ وَأَشَدُّهُمْ أَمْرَ شِعْرٍ وَأَقْلَهُمْ
 سَقَطًا . أَخْبَرَ عَلِيُّ بْنُ مُجَاهِدٍ قَالَ : دَخَلَ الْأَخْطَلُ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ
 فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ زَعَمَ ابْنُ الْمُرَاعَةِ أَنَّهُ يَبْلُغُ مِدْحَتَكَ فِي ثَلَاثَةِ
 أَيَّامٍ . وَقَدْ أَقَمْتُ فِي مِدْحَتِكَ (خَفَّ الْقَطِينُ قَرَأُوا مِنْكَ أَوْ بَكَرُوا)
 سَنَةً فَمَا بَلَغْتُ كَلِمًا أَرَدْتُ . فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ : مَا سَمِعْنَاهَا يَا أَخْطَلُ .
 فَأَنْشَدَهُ إِيَّاهَا فَجَعَلَتْ أَرَى عَبْدَ الْمَلِكِ يَتَطَاوَلُ لَهَا . ثُمَّ قَالَ : وَيْحَكَ
 يَا أَخْطَلُ أَرِيدُ أَنْ أَكْتُبَ إِلَى الْأَقَاقِ أَنَّكَ أَشَعْرُ الْعَرَبِ . قَالَ :
 أَكْتَفِي بِقَوْلِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ . وَأَمْرَ لَهُ بِحِفْظِهِ كَأَنَّهُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلَمَّتْ
 دَرَاهِمٌ وَأَلْقَى عَلَيْهِ خَلْعًا . وَخَرَجَ بِهِ مَوْلَى لِعَبْدِ الْمَلِكِ عَلَى النَّاسِ يَقُولُ :
 هَذَا شَاعِرُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ هَذَا أَشَعْرُ الْعَرَبِ . وَأَخْبَرَ أَبُو عَمْرٍو قَالَ :
 لَقَدْ كَانَ الْأَخْطَلُ يُحِبُّ وَعَلَيْهِ جُبَّةٌ خَزَّ فِي عُنُقِهِ سِلْسِلَةٌ ذَهَبٌ فِيهَا
 صَلِيبٌ ذَهَبٌ حَتَّى يَدْخُلَ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بغيرِ إِذْنٍ . قَالَ الْأَخْطَلُ :
 فَضَلْتُ الشُّعْرَاءَ فِي الْمَدِيحِ وَالْمُهْجَاءِ بِمَا لَا يُلْحَقُ بِي فِيهِ . فَقَوْلِي بِالْمَدِيحِ :
 نَفْسِي فِدَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا أَبَدَى التَّوَاجِدَ يَوْمَ عَارِمٍ ذَكَرُ
 الْحَائِضُ الْعَمْرَةَ أَلْيَمُونَ طَائِرُهُ خَلِيفَةُ اللَّهِ يُسْتَسْقَى بِهِ الْمَطْرُ

وَقَوْلِي فِي الْهَجَاءِ :

وَكُنْتُ إِذَا لَقَيْتُ عَيْدَ تَيْمٍ وَتَيْمًا قُلْتُ أَيُّهَا الْعَيْدُ
لَيْمُ الْعَالَمِينَ يَسُودُ تَيْمًا وَسَيْدَهُمْ وَإِنْ كَرِهُوا مَسُودُ
قَالَ عَبْدُ الْخَالِقِ : وَصَدَقَ لَعْمَرِي لَقَدْ فَضَّلَهُمْ . قَالَ الْجَوْهَرِيُّ :
كَانَ مِمَّا يَقْدَمُ بِهِ الْأَخْطَلُ أَنَّهُ كَانَ أَخْبَثَ الشُّعْرَاءِ هَجَاءً فِي عَفَافٍ
مِنَ الْفُحْشِ . وَقَالَ الْأَخْطَلُ : مَا هَجَّوْتُ أَحَدًا قَطُّ مَا تَسْتَحْيِي الْعُذْرَاءُ
أَنْ تُنْشِدَهُ أَبَاهَا . قَالَ ابْنُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ : قَدِمْتُ الثَّامَ وَأَنَا شَابٌ .
فَكُنْتُ أَطُوفُ فِي كِتَابِهَا وَمَسَاجِدِهَا فَدَخَلْتُ كَنِيَسَةَ دِمَشْقَ وَإِذَا
الْأَخْطَلُ فِيهَا مَجْبُوسٌ . فَجَعَلْتُ أَنْظُرُ إِلَيْهِ فَسَأَلَ عَنِّي فَأَخْبِرَ بِنَسَبِي .
فَقَالَ : يَا فَتَى إِنَّكَ لِرَجُلٍ شَرِيفٍ وَإِنِّي أَسْأَلُكَ حَاجَةً . فَقُلْتُ :
حَاجَتُكَ مَعْصِيَةٌ . قَالَ : إِنْ أَلَسَّ جَسَنِي هَهُنَا فَتَكَلِّمُهُ لِيُخْبِرَ عَنِّي .
فَأَتَيْتُ أَلَسَّ فَأَنْتَسَبْتُ لَهُ فَرَجَبَ وَعَظَمَ . فَقُلْتُ : إِنْ لِي إِلَيْكَ
حَاجَةٌ . قَالَ : مَا حَاجَتُكَ . قُلْتُ : الْأَخْطَلُ يُخْبِرُ عَنِّي . قَالَ : أَعِيدُكَ
بِاللَّهِ مِنْ هَذَا . مِثْلُكَ لَا يَتَكَلَّمُ فِيهِ . فَاسِقٌ يَشْتُمُ أَعْرَاضَ النَّاسِ
وَيَهْجُوهُمْ . فَلَمْ أَزَلْ أَطْلُبُ إِلَيْهِ حَتَّى مَضَى مَعِيَ مُتَكِنًا عَلَى عَصَاهُ .
فَوَقَفَ عَلَيْهِ وَرَفَعَ عَصَاهُ وَقَالَ : يَا عَدُوَّ اللَّهِ أَتَعُودُ تَشْتُمُ النَّاسَ
وَتَهْجُوهُمْ وَتَقْذِفُ الْمُحْصَنَاتِ . وَهُوَ يَقُولُ : لَسْتُ بِعَائِدٍ وَلَا أَفْعَلُ
وَيَسْتَحْذِي لَهُ . قَالَ : فَقُلْتُ لَهُ : يَا أَبَا مَالِكِ النَّاسُ يَهَابُونَكَ وَالْخَلِيفَةُ
يُكْرِمُكَ وَقَدْرُكَ فِي النَّاسِ قَدْرُكَ وَأَنْتَ تَخْضَعُ لِهَذَا هَذَا الْخُضُوعَ

وَسْتَحْذِي لَهُ . فَجَعَلَ يَقُولُ لِي : إِنَّهُ الدِّينُ إِنَّهُ الدِّينُ (الانغابي) (*)

خطباء النصرانية

٣٦٦ (قُسُّ بْنُ سَاعِدَةَ ٦٠٠) . هُوَ اسْتَفُفُّ مَجْرَانَ خَطِيبُ الْعَرَبِ
 وَشَاعِرُهَا وَحَلِيمُهَا وَحَكِيمُهَا وَحَكَمُهَا فِي عَصْرِهِ . يُقَالُ إِنَّهُ أَوَّلُ مَنْ
 عَلَا عَلَى شَرَفٍ وَخَطَبَ عَلَيْهِ وَأَوَّلُ مَنْ قَالَ فِي كَلَامِهِ : أَمَا بَعْدُ .
 وَأَوَّلُ مَنْ انْتَكأَ عِنْدَ خُطْبَتِهِ عَلَى سَيْفٍ أَوْ عَصَا . حَدَّثَ بَعْضُهُمْ قَالَ :
 كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى قُسِّ بِسُوقِ عَكَظٍ وَهُوَ يَقُولُ : أَيُّهَا النَّاسُ ائْتَمِعُوا
 وَعُوا : مَنْ عَاشَ مَاتَ . وَمَنْ مَاتَ قَاتَ . وَكُلُّ مَا هُوَ آتٍ آتٍ . لَيْلُ
 دَاجٍ . وَسَمَاءُ ذَاتُ أَرَجٍ . بِحَارٍ تَرْتَخُ . وَمَجُومٌ تَرَهُرُ . وَضَوْءٌ وَظَلَامٌ .
 وَبِرٌّ وَأَنَامٌ . وَمَطْعَمٌ وَمَشْرَبٌ . وَمَلْبَسٌ وَمَرْكَبٌ . مَا لِي أَرَى النَّاسَ
 يَذْهَبُونَ وَلَا يَرْجِعُونَ . أَرْضُوا بِالْمَقَامِ فَأَقَامُوا . أَمْ تَرَكُوا فَنَامُوا . وَإِلَيْهِ
 قُسُّ بْنُ سَاعِدَةَ مَا عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ أَفْضَلُ مِنَ الدِّينِ . فَطُوبَى لِمَنْ
 أَدْرَكَهُ فَأَتْبَعَهُ وَوَيْلٌ لِمَنْ خَالَفَهُ . ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ :

فِي الذَّاهِبِينَ الْأَوَّلِينَ مِنَ الْقُرُونِ لَنَا بَصَائِرُ

(*) ومن شعراء النصرانية المتلمس وخنين الهجري من فحول المغنين . وله صنعة فاضلة متقدمة . ومنهم قيس بن زهير تنصّر قبل وفاته . ومنهم أبو قابوس والرباب بن البراء . وخالد اللقيري . وقد ذكرهم جميعاً صاحب الانغابي . ومنهم أبو اللجج المماني ذكره ابن خلكان . ومنهم ثابت بن هارون الرقي ورتاؤه للنبي معروف . ومنهم المرغوي ذكره المقرئ في نفع الطب . ومنهم سليمان بن اسماعيل الماردني وله نظم رفيق حسن الموقع في النفوس . ومنهم الاسقف جبرائيل الكلداني الكاثوليكي وله القصائد الطنّانة . ومنهم السيد جرمانوس فرحات والحوري نيقولا الصانع وغيرهم ممن يستغني بشهرتهم عن ذكرهم

لَمَّا رَأَيْتُ مَوَارِدًا لِمَوْتِ لَيْسَ لَهَا مَصَادِرُ
وَرَأَيْتُ قَوْمِي تَحْوَهَا يَمِضِي الْأَصَاغِرُ وَالْأَكْبَارُ
أَيَقُنْتُ أَيَّ لَأَمْحَا لَهَ حَيْثُ صَارَ الْقَوْمُ صَارَ (*)

٣٦٧ (إِلْيَا الثَّلَاثُ ١١٢٨ - ١١٩٠). هُوَ ابْنُ الْحَدِيثِيِّ الْمَعْرُوفُ
بِأَبِي حَلِيمٍ . هَذَا الْأَبُ كَانَ كَهْلًا حَسَنَ الْخَلْقَةِ تَامَ الْقَامَةِ حَبِيبًا
كَرِيمًا عَالِمًا فَاضِلًا مِنْ أَهْلِ بَلَدِيَا فَارِيقِينَ وَكَانَ مَطْرَانًا عَلَى نَصِيبِينَ
فَانتَشَرَتْ شُهْرَتُهُ . وَلَمَّا اسْتَنَاحَ يَشُوعِيَابُ وَرَدَّ إِلَى بَغْدَادَ مَعَ الْأَبَاءِ
لِلْإِخْتِيَارِ . وَاتَّفَقَ عَلَيْهِ الْجُمْهُورُ لِأَنَّ الْأَبَاءَ الْوَارِدِينَ مَعَهُ لَمْ يَكُنْ
مِنْهُمْ مَنْ يَمِثُّهُ عِلْمًا وَحِكْمَةً وَكِرَامًا وَحُسْنًا وَبَلَاغَةً وَفَصَاحَةً . فَاخْتِيرَ
فِي خِلَافَةِ الْمُسْتَضِيِّ وَأَقِيمَ قَطْرًا بِدَيْرِ الْمَدَانِ وَوَفَّقَهُ اللَّهُ وَأَجْرَى
الْحَيْرَاتِ عَلَى يَدِهِ . وَأَقَامَ جَمَاعَةً مِنَ الْمَطَارِنَةِ وَجَدَّدَ بِنَاءَ هَيْكَلِ مَارِ

(*) وجاء في كتاب الأغاني عن بعضهم قال: بينما أنا يجبلُ يُقال له سمان في يومٍ شديد
الحر إذ أنا بقس بن ساعدة وبقبرين بينها مسجد فقلت له: ما هذان القبران قال: هذان
قبرا أخوين كانا لي فانا فاتخذتُ بينهما مجداً أعبد الله جلَّ وعزَّ فيه حتى ألحق بهما . ثم ذكر آياتها
فبكي ثم أنشأ يقول:

خَلِيلِي هُبَا طَالَمَا قَد رَقْدَتَا	أَجْدَاكَمَا لَا تَقْضِيَانِ كِرَاكَا
أَلَمْ تَعْلَمَا مَا لِي بَرَاوَنَدُ هَذِهِ	وَلَا يَجْزَاقِي مِنْ نَدِيمٍ سِوَاكَمَا
مُقِيمٌ عَلَى قَبْرِيكَ لَسْتُ بَارِحًا	طِوَالِ اللَّيَالِي أَوْ يَجِيبُ صَدَاكََا
جَرَى الْمَوْتُ مَجْرَى اللَّحْمِ وَالْمَعْظَمُ مِنْكََا	كَأَنَّ الَّذِي يَسْقِي الْمَقَارِ سَقَاكََا
أُنَادِيكَ كَمَا تَحِيبَا وَتَنْطَقَا	وَلَيْسَ عِجَابًا صَوْتُهُ مِنْ دَعَاكََا
أَمِنْ طَوْلِ نَوْمٍ لِاتَّحْيِيَانِ دَاعِيَا	خَلِيلِي مَا هَذَا الَّذِي قَد دَعَاكََا
قَضَيْتُ بَأَنِّي لَا مَحَالَةَ هَالِكٌ	وَأَنِّي سَيَعْرُونِي الَّذِي قَد عَرَاكََا
سَأَبْكِيكَ طَوْلَ الْحَيَاةِ وَمَا الَّذِي	يُرْدِي عَلَى ذِي عَوَلَةٍ إِنْ بَكَكََا

مَارِي الرُّسُولِ وَغَيْرِهِ مِنَ السَّبْعِ وَالْأَذْيَارِ . وَكَانَ مَعَ أَوْصَافِهِ الْجَمِيلَةِ
بِحَسَنِ الْخُلُقِ وَالْحَلَقَةِ سَخِيًّا بِالْمَالِ فِي عَمَلِ الْخَيْرِ مَعَ النَّاسِ الضُّعْفَاءِ
وَالسَّائِكِينَ وَمَعَ الْحُكَّامِ وَالْمُتَوَلِّينَ لِأَجْلِ جَادِ دِينِ النَّصْرَانِيَّةِ . وَمَعَ
ذَلِكَ كَانَ مُرْتَاضًا بِالْعُلُومِ النَّحْوِيَّةِ وَاللُّغَوِيَّةِ السَّرْيَانِيَّةِ وَالْعَرَبِيَّةِ
وَالْعُلُومِ الْحِكْمِيَّةِ . وَمِنْ جَمَلَةِ مَوْضُوعَاتِهِ كِتَابُ تَرَاجِمِ الْأَعْيَادِ
السَّيِّدِيَّةِ وَخُطْبُ وَمَوَاعِظُ كَثِيرَةٌ وَرَسَائِلُ كَثِيرَةٌ فِي إِبْتَاتِ
الْأَمَانَةِ وَالْإِعْتِقَادِ وَصِحَّةِ دِينِ النَّصْرَانِيَّةِ . وَدَبْرَ الْكُرْسِيِّ تَدْبِيرًا
حَسَنًا وَأَسْتِنَاحَ يَوْمِ الْحَمِيسِ الثَّانِي عَشَرَ مِنْ نَيْسَانَ . وَكَانَتْ مُدَّةُ
رِئَاسَتِهِ أَرْبَعَ عَشْرَةَ سَنَةً . وَعِنْدَ مَرَضِهِ الَّذِي تَوَفَّى فِيهِ جَاءَ الْأَبَاءُ
وَالرُّؤَسَاءُ إِلَى عِيَادَتِهِ فَأَخَذَ يَرِي نَفْسَهُ وَيُعَزِّمُهُمْ وَفِي آخِرِ ذَلِكَ قَالَ :
أَرُونِي مَنْ يَقُومُ لَكُمْ مَقَامِي إِذَا مَا الْأَمْرُ جَلَّ عَنْ الْخُطَّابِ
بِمَنْ تَسْتَصْرِخُونَ إِذَا حَثَّوْكُمْ بِأَمْلِكُمْ عَلَيَّ مِنْ التُّرَابِ
(ملخص عن كتاب المجدل لعمر بن متى) (*)

مشاهير اطباء النصرانية

٣٦٨ (جيورجيس بن بختيشوع ٧٧٠) . كَانَ الْمُنْصُورُ فِي صَدْرِ أَمْرِهِ
عِنْدَمَا بَنَى بَعْدَ أَنْ أَدْرَكَهُ ضَعْفٌ فِي مَعِدَّتِهِ وَسُوءٌ اسْتَمْرَأَ وَقَلَّتْ شَهْوَةٌ
وَكَلَّمَا عَالَجَهُ الْأَطْبَاءُ أَزْدَادَ مَرَضَهُ . فَقِيلَ لَهُ عَنْ جِيورجيسِ بْنِ

(*) ومن خطباء النصرانية خالد القسري (٧٤٥) وهو معدود من خطباء العرب المشهورين.
وهم يوسف بن أيوب الصمداني الزاهد الرباني (١١٤٦) صاحب المقامات والكرامات . عقد
ببغداد مجلس الوعظ بالمدرسة النظامية وصادف جما قبولاً . ثم انقطع الى الله وتصر بالتسطينية

بِخَيْشُوعِ الْجَنْدِيِّ سَابُورِيِّ إِنَّهُ أَفْضَلُ الْأَطِبَّاءِ فَتَقَدَّمَ بِإِحْضَارِهِ فَأَنْقَذَهُ
 الْعَامِلُ بِجَنْدِيِّ سَابُورٍ بَعْدَ مَا أَكْرَمَهُ . فَخَرَجَ وَوَصَّى وَلَدَهُ بِخَيْشُوعِ
 بِالْبَيْمَارِسْتَانِ . وَاسْتَسَجَبَ مَعَهُ تَلْمِيذُهُ عَيْسَى بْنُ شَهْلَانَ . وَلَمَّا وَصَلَ إِلَى
 بَغْدَادِ أَمَرَ الْمَنْصُورُ بِإِحْضَارِهِ . فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى الْحَضْرَةِ دَعَا لَهُ بِالْقَارِسِيَّةِ
 وَالْعَرَبِيَّةِ فَعَجِبَ الْمَنْصُورُ مِنْ حَسَنِ مَنَطِقِهِ وَمَنْظَرِهِ . وَأَمَرَهُ بِالْجُلُوسِ
 وَسَأَلَهُ عَنْ أَشْيَاءَ أَحَابَهُ عَنْهَا يُسْكُونُ . وَخَبَّرَهُ بِمَرْضِهِ فَقَالَ لَهُ
 جِيُورْجِيْسُ : أَنَا أَدْرِيكَ بِمِثْلِهِ اللَّهُ وَعَوْنِهِ . فَأَمَرَ لَهُ فِي الْوَقْتِ بِخَلْعَةِ
 جَلِيلَةٍ وَتَقَدَّمَ إِلَى الرَّبِيعِ بِإِزَالِهِ فِي أَجْمَلِ مَوْضِعٍ مِنْ دُورِهِ وَإِكْرَامِهِ
 كَمَا يُكْرَمُ أَحْصُ الْأَهْلِ . وَلَمْ يَزَلْ جِيُورْجِيْسُ يَتَطَفَّأُ لَهُ فِي تَدْبِيرِهِ
 حَتَّى بَرَى مِنْ مَرَضِهِ وَقَرِحَ بِهِ قَرِحًا شَدِيدًا . وَكَانَ الْمَنْصُورُ أَمَرَ أَنْ
 يُحْمَلَ إِلَيْهِ مِنَ الْجَوَارِي الرُّومِيَّاتِ ثَلَاثَ فَرْدَهْنَ جِيُورْجِيْسُ . فَلَمَّا
 اتَّصَلَ الْخَبْرُ إِلَى الْمَنْصُورِ أَحْضَرَهُ وَقَالَ لَهُ : لِمَ رَدَدْتَ الْجَوَارِي . قَالَ :
 لَا يَجُوزُ لَنَا مَعَشَرَ النَّصَارَى أَنْ تَتَرَوَّجَ بِأَكْثَرِ مِنْ أَمْرَأَةٍ وَاحِدَةٍ مَا
 دَامَتِ الْمَرْأَةُ حَيَّةً لَا نَأْخُذُ غَيْرَهَا . فَحَسُنَ مَوْضِعُ هَذَا مِنَ الْخَلِيفَةِ وَزَادَ
 مَوْضِعُهُ عِنْدَهُ وَهَذَا ثَمْرَةُ الْعِقَّةِ . ثُمَّ مَرَضَ جِيُورْجِيْسُ مَرَضًا صَعْبًا وَلَمَّا
 اشْتَدَّ مَرَضُهُ أَمَرَ الْمَنْصُورُ بِحَمْلِهِ إِلَى دَارِ الْعَامَةِ . وَخَرَجَ مَاشِيًا إِلَيْهِ
 وَتَعَرَّفَ خَبْرَهُ فَخَبَّرَهُ وَقَالَ لَهُ : إِنْ رَأَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَأْذَنَ لِي فِي
 الْإِنْصِرَافِ إِلَى بَلَدِي لِأَنْظُرَ أَهْلِي وَوَلَدِي وَإِنْ مُتُّ فُيَبْرَتْ مَعَ آبَائِي .
 فَقَالَ الْمَنْصُورُ : إِنِّي مِنْذُ رَأَيْتُكَ وَجَدْتُ رَاحَةً مِنَ الْأَمْرَاضِ الَّتِي

تَعْتَادُنِي . فَقَالَ جِيُورَجِيْسُ : أَنَا أَخْفَ بَيْنَ يَدَيِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَيْسَى
بَلْمِيذِي فَهُوَ مَاهِرٌ . فَأَمَرَ جِيُورَجِيْسَ بِعَشْرَةِ آلَافِ دِينَارٍ وَأَذِنَ لَهُ
فِي الْإِتْرَافِ . وَأَنْقَذَ مَعَهُ خَادِمًا وَقَالَ : إِنْ مَاتَ فِي الطَّرِيقِ فَأَجِلهُ
إِلَى مَنْزِلِهِ لِيُدْفَنَ هُنَاكَ كَمَا أَحَبَّ . فَوَصَلَ إِلَى بَلَدِهِ حَيًّا

٣٦٩ (بَحْتِشُوعُ بْنُ جِيُورَجِيْسَ ٧٩٨) . قِيلَ إِنَّ الرَّشِيدَ فِي خِلَافَتِهِ
مَرَضَ مِنْ صُدَاعٍ لِحِقَّةٍ . فَقَالَ لِيَحْيَى بْنِ خَالِدِ بْنِ بَرْمَكٍ . هُوَ لَاءِ الْأَطْبَاءِ
لَيْسُوا يَفْهَمُونَ شَيْئًا وَيَتَّبِعِي أَنْ تَطْلُبَ لِي طَيْبًا مَاهِرًا . فَقَالَ لَهُ عَنْ
بَحْتِشُوعِ بْنِ جِيُورَجِيْسَ . فَأَرْسَلَ الْبَرِيدَ فِي حَمَلِهِ مِنْ نَيْسَابُورَ . وَلَمَّا
كَانَ بَعْدَ أَيَّامٍ وَرَدَ وَدَخَلَ عَلَى الرَّشِيدِ فَكَّرَ مَهْ وَخَلَعَ عَلَيْهِ خِلْعَةً سَنِيَّةً .
وَوَهَبَ لَهُ مَالًا وَافْرًا وَجَعَلَهُ رَئِيسَ الْأَطْبَاءِ . وَلَمَّا كَانَ فِي سَنَةِ خَمْسِ
وَسَبْعِينَ وَمِائَةٍ (٧٩٠) مَرَضَ جَعْفَرُ بْنُ يَحْيَى . فَتَقَدَّمَ الرَّشِيدُ إِلَى
بَحْتِشُوعٍ أَنْ يُخْدِمَهُ وَلَمَّا أَفَاقَ جَعْفَرٌ مِنْ مَرَضِهِ قَالَ لِبَحْتِشُوعٍ : أُرِيدُ أَنْ
تَخْتَارَ لِي طَيْبًا مَاهِرًا الْكُرْمَةَ وَأَحْسِنَ إِلَيْهِ قَالَ بَحْتِشُوعُ : لَسْتُ أَعْرِفُ
فِي هَؤُلَاءِ الْأَطْبَاءِ أَحَدًا مِنْ أَبْنِي جَبْرِيلَ . فَقَالَ لَهُ جَعْفَرُ : أَحْضِرْ نِيهِ
فَلَمَّا أَحْضَرَهُ شَكَا إِلَيْهِ مَرَضًا كَانَ يُخْفِيهِ . فَدَبَّرَهُ فِي مُدَّةِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ
وَبَرَأَ فَأَجَبَهُ جَعْفَرٌ مِثْلَ نَفْسِهِ

٣٧٠ (حَنِينُ بْنُ إِسْمَاقَ ٨٠٩ - ٨٧٤) . فِي أَيَّامِ الْمُتَوَكَّلِ اشْتَهَرَ
حَنِينُ بْنُ إِسْمَاقَ الطَّيِّبَ النَّصْرَانِيَّ الْعِبَادِيَّ . وَنَسَبَتْهُ إِلَى الْعِبَادِ وَهُمْ
قَوْمٌ مِنْ نَصَارَى الْعَرَبِ مِنْ قِبَائِلِ شَتَّى اجْتَمَعُوا وَأَنْفَرُوا عَنْ

النَّاسِ فِي قُصُورِ أُمَّتِهَا بَظَاهِرِ الْحَيْرَةِ . وَتَسَمَّوْا بِالْعِبَادِ لِأَنَّهُ لَا يُضَافُ
 إِلَّا إِلَى الْخَالِقِ وَأَمَّا السَّيِّدُ فَيُضَافُ إِلَى الْخَلْقِ وَالْخَالِقِ . وَيُنْسَبُ إِلَيْهِمْ
 خَلْقٌ كَثِيرٌ مِنْهُمْ عَدِيُّ بْنُ زَيْدِ الشَّاعِرِ الْمَشْهُورِ . وَكَانَ إِسْحَاقُ وَالِدُ
 حُنَيْنٍ صَيْدَلَانِيًّا بِالْحَيْرَةِ . فَلَمَّا نَشَأَ حُنَيْنٌ أَحَبَّ الْعِلْمَ فَدَخَلَ بَغْدَادَ
 وَحَضَرَ مَجْلِسَ يُوْحَنَّا بْنِ مَاسُويَةَ وَجَعَلَ يَخْدُمُهُ وَيَقْرَأُ عَلَيْهِ . ثُمَّ تَوَجَّهَ
 إِلَى بِلَادِ الرُّومِ وَأَقَامَ بِهَا سَتَيْنِ حَتَّى أَحْكَمَ اللُّغَةَ الْيُونَانِيَّةَ وَتَوَصَّلَ
 فِي تَحْصِيلِ كُتُبِ الْحِكْمَةِ غَايَةَ امْكَانِهِ . وَعَادَ إِلَى بَغْدَادَ بَعْدَ
 سَتَيْنِ وَنَهَضَ مِنْ بَغْدَادَ إِلَى أَرْضِ فَارِسَ . وَدَخَلَ الْبَصْرَةَ وَزَمَّ الْحَلِيلَ
 ابْنَ أَحْمَدَ حَتَّى بَرَعَ فِي اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ ثُمَّ رَجَعَ إِلَى بَغْدَادَ . قَالَ يُوْسُفُ
 الطَّيِّبُ : دَخَلْتُ يَوْمًا عَلَى جَبْرِ بِلِّ بْنِ بَخْتِشَوْعَ فَوَجَدْتُ حُنَيْنًا
 وَجَبْرِ بِلِّ يُخَاطِبُهُ بِالتَّجِيلِ وَيُسَمِّيهِ الرُّبَانَ . فَأَعْظَمْتُ مَا رَأَيْتُ وَتَبَيَّنَ
 ذَلِكَ جَبْرِ بِلِّ مِنِّي . فَقَالَ : تَسْتَكْفِرُ هَذَا مِنِّي فِي أَمْرِ هَذَا الْفَتَى .
 قَوْلَ اللَّهِ لَمَنْ مَدَّ لَهُ فِي الْعُمْرِ لِيَقْضَى سَرَّ حَيْسٍ . وَسَرَّ حَيْسٍ هَذَا هُوَ
 الرَّأْسَ عَيْنِي الْعَمُوقِي نَاقِلُ عُلُومِ الْيُونَانِيِّينَ فِي السُّرْيَانِي . وَمَنْ يَدُلُّ
 أَمْرُ حُنَيْنٍ يَقْوَى وَعِلْمُهُ يَتَرَايِدُ وَعَجَابُهُ تَظْهَرُ فِي الْقَلْبِ وَالْتَفَاسِيرِ حَتَّى
 صَارَ يَبُوعًا لِلْعُلُومِ وَمَعْدِنًا لِلْفَضَائِلِ . وَاتَّصَلَ خَبْرُهُ بِالْحَلِيفَةِ الْمُتَوَكَّلِ
 فَأَمَرَ بِإِحْضَارِهِ . وَلَمَّا حَضَرَ أَقْطَعَهُ إِقْطَاعًا سَنِيًّا وَأَحَبَّ أَمْتَحَانَهُ .
 فَاسْتَدْعَاهُ وَأَمَرَ أَنْ يُخْلَعَ عَلَيْهِ . فَشَكَرَ حُنَيْنٌ هَذَا الْفِعْلَ ثُمَّ قَالَ لَهُ بَعْدَ
 أَشْيَاءَ جَرَتْ : أُرِيدُ أَنْ تَصِفَ لِي دَوَاءً يَقْتُلُ عَدُوًّا زَرِيدًا قَتَلَهُ . وَلَيْسَ

يَكُنْ إِعْلَانُ هَذَا وَزَيْدُهُ سِرًّا . فَقَالَ حُئَيْنٌ : مَا تَعَلَّمْتُ غَيْرَ الْأَدْوِيَةِ
 النَّافِعَةِ وَلَا عَلِمْتُ أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَطْلُبُ مِنِّي غَيْرَهَا . ثُمَّ رَغِبَهُ وَهَدَدَهُ
 وَأَحْضَرَ سَيْفًا وَنَطْعًا . فَقَالَ حُئَيْنٌ : قَدْ قُلْتُ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مَا فِيهِ
 الْكُفَايَةُ . قَالَ الْخَلِيفَةُ : فَإِنِّي أَقْتُلُكَ . قَالَ حُئَيْنٌ : لِي رَبٌّ يَأْخُذُ بِي
 حَتَّى عَدَا فِي الْمَوْقِفِ الْأَعْظَمِ . فَتَبَسَّمَ الْمُتَوَكِّلُ وَقَالَ لَهُ : طِبَّ نَفْسًا
 فَإِنَّا أَرَدْنَا امْتِحَانَكَ وَالطَّمَأْنِينَةَ إِلَيْكَ . فَقَبِلَ حُئَيْنُ الْأَرْضَ وَشَكَرَ لَهُ .
 فَقَالَ الْخَلِيفَةُ : مَا الَّذِي مَنَّكَ مِنَ الْإِجَابَةِ مَعَ مَا رَأَيْتَهُ مِنْ صِدْقِ
 الْأَمْرِ مِنَّا فِي الْحَالَيْنِ . قَالَ حُئَيْنٌ : شَيْئَانِ هُمَا الدِّينُ وَالصَّنَاعَةُ . أَمَّا
 الدِّينُ فَإِنَّهُ يَأْمُرُنَا بِاصْطِنَاعِ الْجَمِيلِ مَعَ أَعْدَانِنَا فَكَيْفَ ظَنَنْتُكَ بِالْأَصْدِقَاءِ .
 وَأَمَّا الصَّنَاعَةُ فَإِنَّهَا مَوْضُوعَةٌ لِنَفْعِ ابْنَاءِ الْخَلْسِ وَمَتَّصُورَةٌ عَلَى مُعَالَجَتِهِمْ .
 وَمَعَ هَذَا فَقَدْ جُعِلَ فِي رِقَابِ الْأَطِبَّاءِ عَهْدٌ مُؤَكَّدٌ بِأَيْمَانِ مُعَلِّظَةٌ أَنْ لَا
 يُعْطُوا دَوَاءً قَتْلًا لِأَحَدٍ . فَقَالَ الْخَلِيفَةُ : إِنَّهُمَا شَرَعَانِ جَلِيلَانِ . وَأَمْرٌ بِالْخَلْعِ
 فَأَفِضَتْ عَلَيْهِ فَمَرَجَ وَهُوَ أَحْسَنُ النَّاسِ حَالًا وَجَاهًا (لَا فِي التَّرْجِ الْمَلْطِيِّ)
 ٣٧١ (إِسْحَاقُ بْنُ حُئَيْنٍ ٨٣٠-٩١١) . هُوَ أَبُو يَعْقُوبَ إِسْحَاقُ بْنُ حُئَيْنِ
 ابْنِ إِسْحَاقَ الْعَبَّادِيِّ الطَّيِّبِ الشُّهُورِ كَانَ أَوْحَدَ عَصْرِهِ فِي عِلْمِ
 الطِّبِّ . وَكَانَ يَلْحَقُ بِأَبِيهِ فِي التَّنْقِيلِ وَفِي مَعْرِفَتِهِ بِاللُّغَاتِ وَفَصَاحَتِهِ
 فِيهَا . وَكَانَ يُعَرِّبُ كُتُبَ الْحِكْمَةِ الَّتِي بَلَّغَهُ الْيُونَانِيُّينَ إِلَى اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ
 كَمَا كَانَ يَفْعَلُ أَبُوهُ . إِلَّا أَنَّ الَّذِي وَجَدَ مِنْ تَعْرِيهِ فِي كُتُبِ الْحِكْمَةِ
 مِنْ كَلَامِ أَرِسْطَاطَالِيسَ وَغَيْرِهِ أَكْثَرَ مِمَّا يَوْجَدُ مِنْ تَعْرِيهِ لِكُتُبِ

الطَّبِّ . وَكَانَ قَدْ خَدَمَ مِنَ الْخُلَفَاءِ وَالرُّؤَسَاءِ مَنْ خَدَمَهُ أَبُوهُ . ثُمَّ
 انْقَطَعَ إِلَى الْقَائِمِ بْنِ عُيَيْدِ اللَّهِ وَزَيْرِ الْإِمَامِ الْمُعْتَضِدِ بِاللَّهِ . وَاخْتَصَّ
 بِهِ حَتَّى إِنَّ الْوَزِيرَ الْمَذْكُورَ كَانَ يُطْلَعُهُ عَلَى أَسْرَارِهِ وَيُنْضِي إِلَيْهِ بِمَا
 يَكْتُمُهُ عَنْ غَيْرِهِ لَهُ . وَلَا يَبِيهُ الْمَصَنَّفَاتِ الْمَفِيدَةَ فِي الطَّبِّ . وَحَلَقَهُ الْقَلْبَاجُ
 فِي آخِرِ عُمُرِهِ . وَكَانَتْ وَقَاةُ سَنَةِ ثَمَانٍ وَتِسْعِينَ وَمِائَتَيْنِ (الابن خلكان)
 ٣٧٢ (يُوحَنَّا بْنُ مَسْوِيَةَ ٨٥٧) . وَمِنْ أَطِبَّاءِ الرَّشِيدِ يُوحَنَّا بْنُ
 مَسْوِيَةَ النَّصْرَانِيُّ السُّرْيَانِيُّ وَوَلَاهُ الرَّشِيدُ تَرْجَمَةَ الْكُتُبِ الطَّيِّبَةِ
 الْقَدِيمَةِ . وَخَدَمَ الرَّشِيدَ وَمَنْ بَعْدَهُ إِلَى أَيَّامِ الْمُتَوَكِّلِ . وَكَانَ مُعْظَمًا
 بَعْدَادَ جَلِيلِ الْقَدْرِ وَلَهُ تَصَانِيفٌ جَمِيلَةٌ . وَكَانَ يَعْقِدُ مَجْلِسًا لِلنَّظَرِ
 وَيَجْرِي فِيهِ مِنْ كُلِّ نَوْعٍ مِنَ الْعُلُومِ الْقَدِيمَةِ بِأَحْسَنِ عِبَارَةٍ وَكَانَ
 يُدْرَسُ وَيَجْتَمِعُ إِلَيْهِ تَلَامِيذٌ كَثِيرُونَ . وَكَانَ فِي يُوحَنَّا دَعَاةً شَدِيدَةً
 يَحْضُرُهُ مِنْ حَضَرَ لِأَجْلِهَا فِي الْأَكْثَرِ . وَكَانَ مِنْ ضَيْقِ الصَّدْرِ
 وَشِدَّةِ الْحِدَّةِ عَلَى الْكَثَرِ بِمَا كَانَ عَلَيْهِ جَبْرِيلُ بْنُ مَجْتِشُوعٍ . وَكَانَتْ الْحِدَّةُ
 تَخْرُجُ مِنْ يُوحَنَّا أَلْفَاظًا وَهِيَ مُضْحِكَةٌ . فِيمَا حَفِظَ مِنْ نَوَادِرِهِ أَنَّ رَجُلًا
 شَكَا إِلَيْهِ عِلَّةً وَكَانَ أَشَارَ عَلَيْهِ بِالْقَصْدِ . فَقَالَ لَهُ : لِمَ اعْتَدَا الْقَصْدَ . قَالَ
 لَهُ يُوحَنَّا : وَلَا أَحْسَبُكَ اعْتَدْتَ الْعِلَّةَ مِنْ بَطْنِ أَمَلِكِ (الابن الفرج)
 ٣٧٣ (ابن التلميذ ١١٦٥) . وَهُوَ أَبُو الْحَسَنِ هَبَّةُ اللَّهِ بْنِ التَّلْمِيزِ
 النَّصْرَانِيُّ الطَّيِّبُ الْمَلَقَّبُ بِأَمِينِ الدَّوْلَةِ . شَيْخُ النَّصَارَى وَالْأَطِبَّاءِ
 وَسُلْطَانَ الْحِكْمَاءِ مَقْصِدُ الْعَالَمِ فِي عِلْمِ الطَّبِّ بِقِرَاطِ عَصْرِهِ

وَجَالِيُوسُ زَمَانِهِ . خُتِمَ بِهِ هَذَا الْعِلْمُ وَلَمْ يَكُنْ فِي الْمَاضِي مِنْ بَلَغِ مَدَاهُ
 فِي الطِّبِّ . عَمِرَ طَوِيلًا . وَعَاشَ نَدِيلًا جَلِيلًا . وَرَأَيْتُهُ وَهُوَ شَيْخٌ بَعِي
 أَنْظَرَ حَسَنَ الرُّوَاءِ عَذْبُ الْعَجَلِي وَالْعَجْتِي لَطِيفُ الرُّوحِ ظَرِيفُ
 الشَّخْصِ بَعِيدُ الْمَهْمِ عَالِيُ الْمِمَّةِ ذِكِيُّ الْخَاطِرِ مُصِيبُ الْفِكْرِ حَازِمُ الرَّأْيِ
 رَأْسُ النَّصَارَى وَقَيْسُهُمْ وَرَبِيسُهُمْ . وَهُ فِي النِّظْمِ كَلِمَاتٌ رَائِقَةٌ
 وَحَلَاوَةٌ جَنِيَّةٌ وَعَزَارَةٌ بَهِيَّةٌ . وَذَكَرَ فِي أَمْثُودَجِ الْأَعْيَانِ مِنْ شِعْرَاءِ
 الزَّمَانِ أَنَّ ابْنَ التَّلْمِيذِ الْمَذْكُورَ كَانَ مُتَفَنَّئًا فِي الْمَعْلُومِ ذَا رَأْيٍ رَصِينِ .
 وَعَمَلٌ مَتِينِ . طَالَتْ خِدْمَتُهُ لِلْحَقَّاءِ وَالْمَلُوكِ . وَكَانَتْ مَجَالَسَتُهُ أَحْسَنَ
 مِنْ التَّبَرِّ الْمَسْبُوكِ وَالذَّرِّ فِي السُّلُوكِ . وَكَانَ يَتَعَجَّبُ فِي أَمْرِهِ كَيْفَ
 حُرِّمَ الْإِسْلَامُ مَعَ كَمَالِ فَهْمِهِ وَعَزَارَةِ عَقْلِهِ وَعِلْمِهِ . وَكَانَ إِذَا تَرَسَّلَ
 اسْتَطَالَ وَسَطًا . وَإِذَا نَظَّمَ وَقَعَ بَيْنَ أَرْبَابِ النِّظْمِ وَسَطًا . وَكَانَ بَيْنَهُ
 وَبَيْنَ أَوْحَادِ الزَّمَانِ هَيَاةُ اللَّهِ الْحَكِيمِ الْمَشْهُورِ تَنَافُسٌ وَكَانَ هَذَا يَهُودِيًّا
 فَأَسْلَمَ فِي آخِرِ عُمُرِهِ . وَأَصَابَهُ الْجُدَامُ فَعَالَجَ نَفْسَهُ بِتَسْلِيطِ الْأَفَاعِي عَلَى
 جَسَدِهِ فَبَالَغَتْ فِي نَهْشِهِ فَبَرِي مِنَ الْجُدَامِ . فَعَمِلَ فِيهِ ابْنُ التَّلْمِيذِ شِعْرًا :
 لَنَا صَدِيقٌ يَهُودِيٌّ حَمَاقَتُهُ إِذَا تَكَلَّمَ تَبْدُو فِيهِ مِنْ فِيهِ
 بَيْتُهُ وَالْكَأْبُ أَعْلَى مِنْهُ مَنْزَلَةٌ كَأَنَّهُ بَعْدُ لَمْ يَخْرُجْ مِنَ أَلْتِيهِ
 وَكَانَ ابْنُ التَّلْمِيذِ مُتَوَاضِعًا وَأَوْحَادُ الزَّمَانِ أَبُو الْبَرَكَاتِ مُتَكَبِّرًا

فَعَمِلَ فِيهِمَا الْبَدِيعُ الْأَنْطُرُ لِأَبِي شِعْرًا :
 أَبُو الْحَسَنِ الطَّيِّبُ وَمُتَّقِيهِ أَبُو الْبَرَكَاتِ فِي طَرَفِي نَقِيضِ

فَهَذَا بِالتَّوَاضُعِ فِي الثُّرَيَّا وَهَذَا بِالتَّكْبَرِ فِي الْحُضِيِّضِ
 وَثَوِي فِي ابْنِ التَّلْمِيذِ سَنَةَ سِتِّينَ وَخَمْسِمِائَةَ وَقَدْ نَاهَزَ الْمِائَةَ مِنْ عُمُرِهِ
 (١١٦٥). وَلَمْ يَبْقَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنَ الْجَانِبَيْنِ مَنْ لَمْ يَحْضُرِ الْبَيْعَةَ وَلَمْ يَشْهَدْ
 جَنَازَتَهُ. وَابْنُ التَّلْمِيذِ فِي الطَّبِّ تَصَانِيفٌ نَافِعَةٌ فِي بَابِهَا مِنْهَا كِتَابُ
 أَقْرَابَازِينَ وَحَوَاشٍ عَلَى كَلِمَاتِ ابْنِ سِينَا (الحريدة للعماد الاصبهاني) (*)

مشاهير المؤرخين والكتّاب والفلاسفة من اهل النصرانية

٣٧٤ (أبو الفرج المَلْطِيُّ ١٢٢٦-١٢٨٦). جَمَالُ الدِّينِ غَرِيبُ غُورِيُوسُ
 أَبُو الفَرَجِ بْنِ حَكِيمًا (*) الطَّيِّبُ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ الْعَبْرِيِّ تَاجُ
 الْفَضْلَاءِ . مَحَلُّ الْمَشْكَلَاتِ الْحَقِيقَةِ مِنَ الْكَلِمَاتِ الْإِلَهِيَّةِ . وَحِدُ
 الْعَصْرِ وَقَرِيدُ الزَّمَانِ . رَئِيسُ رُؤَسَاءِ الْأُمَّةِ النَّصْرَانِيَّةِ . وَخُلَاصَةُ
 نُضَارِ الْمِلَّةِ الْيَعْقُوبِيَّةِ . كَانَ كَثِيرَ الْإِطْلَاعِ وَحَصَلَ عُلُومًا شَتَّى
 وَأَتَقَنَهَا وَأَنْفَرَدَ بِالطَّبِّ فِي زَمَانِهِ حَتَّى شَدَّتْ إِلَيْهِ الرِّجَالُ بِأَرْضِ

(*) ومن اشتهر أيضاً بين النصارى في الطب سعيد بن ماري صاحب المقامات الستين .
 ويوحنا بن بطريق ترجمان الخليفة المأمون . ومنهم ابن العطار متطبب القاهر . ومنهم كتيبات
 خدم الباسطيري . ومنهم ابن المقشر المصري طبيب العزيز . ومنهم ابن بطلان وله تصانيف جليلة
 في الطب انقطع في آخر عمره للعبادة . ومنهم حسنون الرهاوي خدم سيف الدين وزير قلم
 ارسلان . ومنهم يعقوب بن صقلان الملكي المقدسي اجتمع بالملك المعظم ابن الملك العادل وطالجه
 وارتفعت عنده حاله . ومنهم صاعد بن هبة الله وابو الخير الاركيذاقون أخو الجاثليق ابن
 السبيعي . ومنهم صاعد بن توما البغدادي الملقب بامير الدولة استوثقه الامام الناصر
 (*) وأخبر في تاريخه قال : في سنة أربعين وستائة (١٢٦٣) لما سمع أهل ملطية ما
 فعل التاتار بفسارية هلعوا وجزعوا فأحش الجزع طالبين حلب . فأمسك والذي عن الخروج
 واجتمع بالطران دنوسوس وتشاورا في مرابطة المدينة . وجما المسلمين والنصارى في البيعة

المغرب . وأقيم أسقفاً على مدينة ملطية وأخذ عنه كثير من فضلاء المسلمين . ومن تصانيفه كتاب تاريخ مختصر الدول وهو من أشهر التواريخ وشرح قانون ابن سينا وبقراط وديونشورس وكتاب دفع أهم وديوان شعر في الإلهيات وغيرها (*)

٣٧٥ (ثابت بن قرّة ٨٣٦-٩٠٢) . أبو الحسن بن كرايا الخاسب كان في مبدأ أمره صيرفياً بجران ثم انتقل إلى بغداد . واشتغل بعلوم الأوائل ففهر فيها . وكان الغالب عليه الفسفة وله تاليف كثيرة في فنون من العلم مقدار عشرين تاليفاً . وأخذ كتاب أفليدس الذي عر به حنين بن إسحاق العبادي فهدبه ونقحه وأوضح منه ما كان مستعجباً . وكان من أعيان عصره في الفضائل . وجرى بينه وبين أهل مذهبه أشياء أنكرها عليه في المذهب . فراقعوه إلى رئيسهم فأنكر عليه مقالته ومنعه من دخول الهيكل فتاب ورجع عن ذلك . ثم خرج من حران ونزل كفرنوثاً وأقام بها مدة إلى أن قدم محمد بن موسى من

الكيرة وتحالفوا أن لا ينجون بعضهم بعضاً ولا يخالفوا المطران في جميع ما يتقدم اليهم من مداراة التتار والقيام بحفظ المدينة والبيوتوتة على أسوارها وكف أهل الشر عن الفساد . فظرافته إلى حسن نياتهم ودفع العدو عنهم ووصلوا بالقرب من ملطية ولم يتعرضوا إليها . وفي إحدى وأربعين (١٢٤٤) غزا شاورنوبل بلد الشام واجاز بلطية وخرّب بلدها وأخذ غلاتها . ثم رحل عنها وطلب طبيباً يدأويو عن مرض عرض له . فخرج اليه والذي وسار معه إلى حرّت برت فدبره حتى برأ . ثم جاء ولم يطل المقام بلطية ورحل بنا إلى أنطاكية فاسكأها .

(*) ومن مؤرخي التصارى سعيد بن البطريق بطرك الاسكندرية وجرجس بن المسيد مكمل تاريخ الطبري . ومنهم ابن الراهب وابو البركات وابن السبكي وكثيراً ما يستشهدم ابن خلدون في تاريخه . ومنهم عمرو بن ميمى (١٣٤٠) نقل عنه العلامة السمعاني

بِلَادِ الرُّومِ . فَأَجْتَمَعَ بِهِ فَرَأَاهُ فَاصْطَلَا فَصِيحًا فَاسْتَصْحَبَهُ إِلَى بَغْدَادَ وَأَثَرَهُ
 فِي دَارِهِ وَوَصَلَهُ بِالْخَلِيفَةِ . وَعَقِبَهُ بِهَا إِلَى الْآنَ . وَلَهُ وَلَدٌ يُسَمَّى إِبرهِيمَ
 بَلَغَ رُتَبَةَ أَبِيهِ فِي الْفَضْلِ وَكَانَ مِنْ حُذَاقِ الْأَطْبَاءِ . عَاجَلَ مَرَّةً السَّرِي
 الرَّقَاءَ الشَّاعِرَ فَأَصَابَ الْعَافِيَةَ فَعَمِلَ فِيهِ وَهُوَ أَحْسَنُ مَا قِيلَ فِي طَيْبِ
 هَلْ لِلْعَلِيلِ سِوَى ابْنِ قُرَّةَ شَافِي بَعْدَ الْأَلِهِ وَهَلْ لَهُ مِنْ كَافِي
 فَكَانَتْهُ عَيْسَى بْنُ مَرِيَمَ نَاطِقًا يَهَبُ الْحَيَاةَ بِأَيْسَرِ الْأَوْصَافِ
 يَبْدُو لَهُ الدَّاءُ الْخَفِيُّ كَمَا بَدَأَ لِلْعَيْنِ رَضْرَاضُ الْعَدِيدِ الصَّافِي
 ٣٧٦ الْكِنْدِيُّ (٥٢٤٦هـ) (٨٦٠م) . هُوَ يَعْقُوبُ بْنُ إِسْحَاقَ الْكِنْدِيُّ
 النَّصْرَانِيُّ . وَكَانَ شَرِيفَ الْأَصْلِ بَصْرِيًّا وَكَانَ أَبُوهُ إِسْحَاقَ أَمِيرًا عَلَى
 الْكُوفَةِ لِلْمُهَدِيِّ وَالرَّشِيدِ . وَيَعْقُوبُ هَذَا أَوْحَدُ عَصَرِهِ فِي فُنُونِ
 الْأَدَابِ وَشُهْرَتُهُ تُعْنِي عَنِ الْإِطْنَابِ . وَكَانَ لَهُ الْيَدُ الطُّوْلَى بِمَعْلُومِ
 الْيُونَانَ وَالْهِنْدِ وَالْعَجْمِ مُتَفَنِّنًا عَلِيمًا بِالطَّبِّ وَالْمَنْطِقِ وَتَأَلَّفَ الْخَوْنِ
 وَالْمُهَنْدِسَةَ وَالْهَيْئَةَ وَالْفَلَسَفَةَ . وَلَهُ فِي أَكْثَرِ هَذِهِ الْعُلُومِ تَأَلِيفٌ
 مَشْهُورَةٌ وَلَمْ يَكُنْ فِي الْعَرَبِ مِنْ أَشْتَهَرَ عِنْدَ النَّاسِ بِمَعَانَاةِ عِلْمِ
 الْفَلَسَفَةِ حَتَّى سَمَّوْهُ فَيْلَسُوفًا غَيْرَ يَعْقُوبَ . وَكَانَ مُعَاصِرًا لِلْفُتُوحِ
 لَوْقَا الْفَيْلَسُوفِ الْبَلْبَكِيِّ النَّصْرَانِيِّ وَأَسْتَوْطَنَ بَغْدَادَ وَأَخَذَ عَنِ أَبِي
 مَعْشَرٍ الْبَلْخِيِّ . وَمِنْ أَسْبَابِ يَعْقُوبَ هَذَا عَبْدُ الْأَسْبِجِ بْنِ إِسْحَاقَ
 الْكِنْدِيُّ وَلَهُ رِسَالَةٌ مُشْتَهَرَةٌ قَدَّ فِيهَا اعْتِرَاضَاتِ ابْنِ إِسْمَاعِيلَ
 الْهَاشِمِيِّ عَلَى النَّصْرَانِيَّةِ . ذَكَرَهَا أَبُو رِيحَانَ السِّيرَوْنِيُّ فِي تَارِيخِهِ

٣٧٧ (الصائبي ٩٣٤-٩٨٣) أبو الحسن إبراهيم بن هلال بن إبراهيم
 ابن زهرون بن حنون الحراني الصائبي صاحب الرسائل المشهورة
 والنظم البديع وكان كاتب الإنشاء ببغداد عن الخليفة وعن عز
 الدولة بختيار بن معز الدولة ابن بويه الديلمي . وتقلد ديوان الرسائل
 سنة تسع وأربعين وثلاثمائة . وكانت تصدر عنه مكاتبات إلى عضد
 الدولة بن بويه بما يؤمله فحمد عليه . فلما قتل عز الدولة وملاك عضد
 الدولة بغداد اعتقله في سنة إحدى وسبعين . وكان قد أمره أن يصنع
 له كتابا في أخبار الدولة الديلمية فعمل الكتاب التاجي . فقيل لعضد
 الدولة إن صديقا للصائبي دخل عليه فرآه في شغل شاغل من
 التعليق والتسويد والتبويض فسأله عما يعمل فقال : أباطيل أتمتها
 وأكاذيب ألقفها . فحركت ساكنه وهاجت جفده ولم يزل مبعدا
 في أيامه . وكان متشددا في دينه . وجهد عليه عز الدولة أن يسلم
 فلم يفعل وله كل شيء حسن من المنظوم والمثثور (*) (ابن خلكان)

(*) وقد اشتهر كثير من الكتاب والمصنفين بين الصائري نستغني بذكر بعضهم ففهم ابن
 المقفع الكتاب المشهور صاحب الرسائل البديعة والدرة البيسة ومعرب كتاب كملة ودمنة .
 ومنهم ذكر بالافريحي المنطقي نزيل بغداد . ومنهم قسطا بن لوقا البعلبكي توفي سنة ٩٠٨ الحاسب
 الفيلسوف عرب كنبأ كثيرة منها كتاب الفلاحة . ومنهم القديس فرما المنشي . ومنهم القديس
 يوحنا الدمشقي يعرفه العرب بابن منصور وكان أبوه من اعيان الدولة الاموية خرج في
 العلوم والمعارف على القديس فرما الشيخ فبلغ منها المبلغ الطائل حتى صار مشكاة للآداب . ودافع
 عن اكرام الصور فردت له العذراء يده المقطوعة بدنانيس الملك لاون الابزوري . ثم انقطع
 الى الله في بلاد فلسطين وألف عدة تأليف فلسفية ولاهوتية فلقب بسجري الذهب وتوفي سنة
 ٧٨٠ . وقد اشتهرت اليسوعية داره بدمشق من عهد قريب وموقعها قرب باب توما

الباب العِشرون في التاريخ

صاحب الشريعة الاسلامية محمد بن عبدالله

٣٧٨ ذَكَرَ النَّسَابُونَ أَنَّ نَسَبَتَهُ تَرْتَبِي إِلَى إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ
الَّذِي وَلَدَتْ لَهُ هَاجِرُ أُمَّةٌ سَارَا زَوْجَتَهُ . وَكَانَ وِلَادُهُ بِمَكَّةَ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ
وَتِسْعِينَ وَثَمَانِيَةَ لِلْإِسْكَانِدَرِ . وَلَمَّا مَضَى مِنْ عُمُرِهِ سِتَانًا بِالتَّقْرِبِ مَاتَ
عَبْدُ اللَّهِ أَبُوهُ وَكَانَ مَعَ أُمِّهِ أَمَنَةَ بِنْتِ وَهَبِ بَيْتِ سِنِينَ . فَلَمَّا
تَوَفَّيَتْ أَخَذَهُ إِلَيْهِ جَدُّهُ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ بِجِيَاظِهِ وَصَمَّهُ إِلَيْهِ وَكَفَلَهُ . ثُمَّ خَرَجَ
بِهِ وَهُوَ ابْنُ تِسْعِ سِنِينَ إِلَى الشَّامِ . فَلَمَّا نَزَلُوا بَصْرَى خَرَجَ إِلَيْهِمْ
رَاهِبٌ عَارِفٌ أَسْمُهُ بِحَيْرَا مِنْ صَوْمَعَتِهِ وَجَمَلَ يَتَخَلَّلُ الْقَوْمَ حَتَّى أَتَاهُ
إِلَيْهِ فَأَخَذَهُ بِيَدِهِ وَقَالَ : سَيَكُونُ مِنْ هَذَا الصَّبِيِّ أَمْرٌ عَظِيمٌ يَنْتَشِرُ
ذِكْرُهُ فِي مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا . وَلَمَّا كَمَلَ لَهُ مِنَ الْعَمْرِ خَمْسُ
وَعِشْرُونَ سَنَةً عَرَضَتْ عَلَيْهِ أَمْرَأَةٌ ذَاتُ شَرَفٍ وَسَارِ أَسْمُهَا حَدِيجَةٌ أَنْ
يُخْرَجَ بِمَا لَهَا تَأَجَّرَ إِلَى الشَّامِ . وَتَعْطِيهِ أَفْضَلَ مَا تُعْطِي غَيْرَهُ . فَأَجَابَهَا إِلَى
ذَلِكَ وَخَرَجَ . ثُمَّ رَغِبَتْ فِيهِ وَعَرَضَتْ نَفْسَهَا عَلَيْهِ فَتَزَوَّجَهَا وَعَمَّرَهَا
يَوْمَئِذٍ أَرْبَعُونَ سَنَةً . وَأَقَامَتْ مَعَهُ إِلَى أَنْ تَوَفَّيَتْ بِمَكَّةَ اثْنَتَيْنِ وَعِشْرِينَ
سَنَةً . وَلَمَّا كَمَلَ لَهُ أَرْبَعُونَ سَنَةً أَظْهَرَ الدَّعْوَةَ . وَلَمَّا مَاتَ أَبُو طَالِبٍ
عُمَهُ وَمَاتَتْ أَيْضًا حَدِيجَةُ زَوْجَتَهُ أَصَابَتْهُ قُرَيْشٌ بِعَظِيمٍ مِنْ أَذَى

فهاجر عنهم إلى المدينة وهي يثرب . وفي (السنة الأولى) من هجرته
احتفل الناس إليه ونصروه على المكين أعدائه . وفي (السنة الثانية)
من هجرته إلى المدينة خرج بنفسه إلى غزاة بدر وهي البطشة الكبرى
وهزم بثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا من المسلمين أقام من أهل مكة
المشركين . وفي هذه السنة صرفت القبة عن جهة البيت المقدس
إلى جهة الكعبة . وفيها فرض صيام شهر رمضان . وفي (السنة الثالثة)
خرج إلى غزاة أحد وفيها هزم المشركون المسلمين وشج في وجهه
وكسرت رباعيته . وفي (السنة الرابعة) غزا بني النضير اليهود وأجلاهم
إلى الشام . وفيها اجتمع أحزاب شتى من قبائل العرب مع أهل مكة
وساروا جميعا إلى المدينة . فخرج إليهم ولأنه هال المسلمين أمرهم
أمر بحفر خندق وبقوا بضعة وعشرين يوما لم يكن بينهم حرب .
وفي (السنة السادسة) خرج بنفسه إلى غزاة بني المصطلق وأصاب
منهم سبيا كثيرا . وفي (السنة السابعة) خرج إلى غزاة خيبر مدينة
اليهود ويقل عن علي بن أبي طالب أنه عالج باب خيبر وأقتله وجعله
مجننا وقال لهم . وفي (الثامنة) كانت غزاة الفتح فتح مكة وعهد المسلمين
أن لا يقتلوا فيها إلا من قاتلهم . وأمن من دخل المسجد ومن أعلق
على نفسه بابه وكف يده ومن تعلق بأستار الكعبة سوي قوم
يؤذونه . وأسلم أبو سفيان وهو عظيم مكة من تحت السيف . وفي
(السنة التاسعة) خرج إلى غزاة تبوك من بلاد الروم ولم يخرج فيها إلى

حَرْبٍ. وَفِي (السَّنَةِ الْعَاشِرَةِ) حَجَّ حِجَّةَ الْوَدَاعِ. ثُمَّ وَعَكَ وَمَرَّ بِمَرَضٍ وَتَوَفَّى يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ لِلَيْلَتَيْنِ بَقِيَّتَا مِنْ صَفَرٍ وَكَانَ عُمُرُهُ ثَلَاثًا وَسِتِّينَ سَنَةً. وَمَا تَوَفَّى أَرَادَ أَهْلَ مَكَّةَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رَدَّهُ إِلَيْهَا لِأَنَّهَا مَسْقِطُ رَأْسِهِ. وَأَرَادَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ مِنَ الْأَنْصَارِ دَفْنَهُ بِالْمَدِينَةِ لِأَنَّهَا دَارُ هِجْرَتِهِ وَمَدَارُ نَصْرَتِهِ. ثُمَّ دَفَنُوهُ بِالْمَدِينَةِ فِي حَجْرَتِهِ حَيْثُ قُبُصٌ (*). (الابي الفرج)

ذكر الخلفاء الراشدين (٦٣٢ - ٦٦١)

خلافة ابي بكر (٦٣٢ - ٦٣٤)

٣٧٩ ثم اجتمع المهاجرون والأنصار للبيعة فارتفعت الأصوات وكبر اللغط. فلما أشفق عمر الاختلاف قال: إنا والله ما وجدنا امرأةً هو أقوى من مبايعة أبي بكر ثم قال لأبي بكر: ابسط يدك فبايعتك. فبسط يده فبايعه وبايعه المهاجرون وبايعه الأنصار. وما يبيع أو يكرض ضرب بيعة على أهل المدينة ومن حولهم. وأمر أسامة بن زيد فقال له الناس: إن هؤلاء جل المسلمين على ما ترى تخم فيهم النفاق وانتفضوا بك. فليس ينبغي لك أن تفرق عنك جماعة المسلمين. فقال: والذي نفس أبي بكر بيده لو ظننت أن السباع تخطفني لأنفذت بيعة أسامة إلى الشام. ولو لم يبق في القرى غيري لأنفذته. ثم خرج أبو بكر إلى البعث حتى أتاهم. فاشتبههم وشبههم وهو ماشٍ وأسامة راكب. فقال له أسامة: يا أمير المؤمنين والله لتركب أو لأنزلن. فقال: لاتزلن ولا أركب وما علي أن أغبر قدمي في سبيل الله ساعة (تاريخ الملوك للطبري)

خبر الاسود الغنسي ومسيلمة الكذابين (٦٣٤)

٣٨٠ كان الأسود هذا غلب على صنعاء ومغازة حضرموت إلى عمل الطائف إلى البحرين. وأدعى النبوة وطابقت عليه اليمن وجعل يستطير استنطارة الحريق. فبعث أو بكر رجالاً لمحاولته أو مصالحته. فدخلوا على أزد وهي امرأته فسالوا لها: يا ابنة العم قد عرفنا بلاء هذا

(*) وصفه علي بن ابي طالب قال: كان راجح العقل يكثُر الذكر ويقبل اللغو دائم البشر مطيل الصمت لا ينفر أحداً. وكان ليس بالطويل ولا بالقصير فخم الرأس كث اللحية مشرباً وجهه حمرة وقيل: كان ادعج العينين سبط الشعر سهل الخدين. واختلف في ازواجه قال ابو الغداء: تزوج بمخمس عشرة امرأة وولد له سبعة اولاد كلهم من خديجة الأبرهيم ابنة فأنه من مارية القبطية التي بعث بها المقوقس ولم يعيش منهم بعده إلا فاطمة فتوفيت بعد ابيها بثلاثة اشهر

الرجل عند قومك قتل أبك وطأطأ في قومك القتل وسفل بمن بقي منهم فيل عندك من مالا
عليه . فاجابت أزد الى قولهم . ولما جن الليل أدخلت الرجال في مقصورة الأسود زوجها . وهو
يفظ فألحموه بمسلة وأمروا الشفرة على حلقه . فخار خوار التور . فابتدر الحرس الباب وهم
حول المقصورة : ما هذا ما هذا . فقالت المرأة : النبي يوحى اليه . ولما قتل الأسود وأراح الله
الإسلام من شره تراجع الامراء واعتذر الناس (الآداب السلطانية للفري)

ثم ظهر مسليمة الكذاب . وأوقع أعظم فتنة في أهل اليمامة وكان يؤذن له ويشهد
له بالرسالة . وكان يسمع لقومه بالجماع يزعم أنها قرآن يأتيه ويأتي بحمارق يزعم أنها معجزات
فيقع منها ضد المقصود . فامر أبو بكر خالد بن الوليد بالمسير الى حمارية . وكان بينها وقعات
واشدت الحرب بين الفريقين . واقتمت المسلمون بالجمعهم الى مسليمة وأصحابه . فقاتلهم حتى
احمرت الأرض بالدماء . ونظر عبد أسود اسمه وحشي الى مسليمة فرماه بحربة فوقعت على
خاصرته فسقط عن فرسه قتيلاً (الطبري)

فتح العراق (٦٣٢) والشام (٦٣٣ - ٦٣٨) وموت ابي بكر (٦٣٥)

٣٨١ ومن هناك توجه خالد الى أرض العراق فزحف الى الحيرة ففتحها صلماً . وكان ذلك
أول شيء افتتح من العراق . وقد كان ابو بكر وجه قبل ذلك أبا عبيدة بن الجراح في زهاء
عشرين الف رجل الى الشام . وبلغ هرقل ملك الروم ورود العرب الى أرض الشام . فوجه
اليهم مرجيس الطريق في خمسة آلاف رجل من جنوده ليحارجم . وكتب أبو بكر الى خالد
عند افتتاح الحيرة بأمره أن يسير الى أبي عبيدة بارض الشام . ففعل والتقى العرب والروم
باجنادين فانهزم الروم . وقتل مرجيس الطريق وذلك أنه في هربه سقط من فرسه . فركبه
غلامه فسقط فركبه ثانياً فهبط أيضاً وقال لهم : فوزوا بانفسكم واتركوني أقتل وحدي . وفي
سنة ثلاث عشرة للهجرة مرض أبو بكر خمسة عشر يوماً ومات رحمه الله يوم الاثنين لثلاثين
خون من جمادى الآخرة . وهو ابن ثلاث وستين سنة وكانت خلافته سنتين وأربعة أشهر

خلاقة عمر (٦٣٤ - ٦٤٤) فتح دمشق (٦٣٦) فارس (٦٣٢) مصر (٦٤٢)

٣٨٢ ثم قام بالأمر بعده عمر بن الخطاب بويع له بالخلافة في اليوم الذي مات فيه أبو
بكر . فقام بعده بمثل سيرته وجهاده وثباته وصبره على العيش الحشن والقناعة باليسير وفتح
الفتوحات الكبار والأقاليم الشاسعة . وهو أول من سمي بأمير المؤمنين فأرخ التاريخ ودون
الدواوين ومصر الأمصار وشهد بدرًا . وهو أول من عس في عمله لحفظ الدين والناس .
وعابه الناس هبة عظيمة وزاد في الشدة في مواضعها واللين في مواضعه . ولما ولي الأمر لم يكن
له همة إلا العراق . فعقد لأبي عبيد بن مسعود على زهاء ألف رجل وأمره بالمسير الى العراق
فغبروا اليها . فزحف اليهم العجم فتناجزوا من وقت الزوال الى أن توارت الشمس بالحجاب .

فحمل العرب حملة رجل واحد وقتلوا مهران قائدهم . فاضرم العجم لاحقين بالمدائن . ثم وكى يزيد جرد عظماً من عظام مازنته له سنٌ وتجربة يُقال له رسم . وعقد ايضاً لرجلي آخر يسمى العُرمزان في جنود كثيرة . وعند الانلقاء قُتِل هذان المرزبانان ومُرت العرب في أثر العجم يقتلون من أدركوا منهم (تاريخ ابن خلدون)

وفي خلافة عمر فتح أبو عبيدة وخالدهُ دمشق بعد حصار سبعة اشهر فخرج اهل دمشق وبذلوا الصلح لأبي عبيدة . فأمنهم وصالح اهل طبرية وقيسارية وبعليك . وعل يد عمر اتى الفتح الى حمص والرها وماردين وطرابلس وعسقلان وما يليها من الساحل وبيت المقدس . وفتح عمرو بن العاص مصر عنوة وفتح الإسكندرية صلماً . حتى هاب عمر ملوك فارس والروم . ومع ذلك كلّه بقي على حاله كما كان قبل الولاية في لباسه وزيه واقفاله وتواضعه يسير منفرداً من غير حرس ولا حجاب . لم تغيره الإمرة ولم يستطيل على مسلم بلسانه . ولا حالي احداً في الحق . وكان لا يطعم الشريف في حيفه ولا يأس الضعيف من عدله . ومات عمر يوم الاربعاء لحمس بقين من ذي الحجة . وقته أبو لؤلؤة الجوسي وكان عمره ثلاثاً وستين سنة . وكانت خلافته عشر سنين وستة اشهر . ولاء فتح عمرو بن العاص مصر طلب منه يوحنا النحوي النصراني كتب الحكمة التي في الخزان الملكة . فكتب عمرو الى الخليفة يستأذن امير المؤمنين . فكتب اليه عمر : الكتب التي ذكرها فان كان فيها ما يوافق كتاب الله ففي كتاب الله عنه غني . وان كان فيها ما يخالفه فلا حاجة اليه فنقدم باعدامها . فشرع عمرو في تفريقها على حمامات الاسكندرية واحراقها في مواقيدها . فاستيقدت في مدة ستة اشهر (لابن العميد)

عثمان بن عفان (٦٤٥ - ٦٥٧)

٣٨٣ بُوع له بالخلافة في أول يوم من سنة اربع وعشرين . وكانت له شفقة ورافة بالرعية . وافتتحت في ايامه أفريقية وغازا معاوية قبرس وأنقرة فافتتحها صلماً . وانتزع عثمان عمرو ابن العاص عن الاسكندرية فأمر عليها اخاه لأمة . ثم ان الناس انكروا على عثمان اشياء منها كلفه باقارب . فحنقت العرب على ذلك وجمعوا الجموع وتزلوا افرسحاً من المدينة . وبنوا الى عثمان من يستعته ويقول له : إما أن تعدل او تعزل

وكتب عثمان اليهم كتاباً يقول فيه : اني اتزع عن كل شيء انكرتموه وأنوب الى الله . فلم يقبلوا منه ثم اشتد عليه الحصار عشرين يوماً حتى تسور محمد بن أبي بكر مع رجلين حانط عثمان فضربه احدثهم بمشقة في اوداجه . وقته الآخر والمصحف في حجره . وكانت خلافته اثني عشرة سنة . وعمره ثبف وثمانون سنة (للاميري)

علي بن ابي طالب (٦٥٧ - ٦٦١)

٣٨٤ ولما قُتِل عثمان اجتمع طلحة والزبير والمهاجرون والأنصار وأتوا علماً ببايعونه

فأبى. وقال: أن أكون وزيراً لكم خيرٌ من أن أكون أميراً ومن اخترتم رضيتُ. فالحوا عليه وقالوا: لا نعلم أحقَّ منك حتى غلبوه في ذلك. ثم أذى الزبير بن العوام وطلحة الإكراه بعد ذلك وقتلوا على نقض إمارة عليّ. فلفق عليّ بجم وناجزم الحرب وقتل الزبير وطلحة. وسميت هذه الوقعة وقعة الجمل. ولما بلغ معاوية خبر الجمل دعا أهل الشام إلى القتال. فخرج عليّ من الكوفة وانتلوا قتالاً شديداً في صقيين. ثم عادنا واقترفا. ثم تعاهد شيب و ابن الجهم على قتل عليّ وكمن له في المسجد. فلما خرج عليّ ونادى بالصلاة علاه شيب بالسيف وضربه ابن الجهم على مقدم رأسه. فدعا عليّ قبل موته الحسن والحسين ابنيه ووصأهما وقال: أوصيكما بتقوى الله ولا تبغيا الدنيا وإن بقتكما. ولا تأسفا على شيء ذوى منها عنكما. وقولا الحق وارحما اليتيم وكونا للظالم خصماً وللظالم ناصراً. ولا تأخذكما في الله لومة. ولما حضرته الوفاة كتب وصيته العامة ثم قبض. وصفه ضرار بن ضمرة قال: كان عليّ بعيد المدى شديد القوى يتغير العظم من جوانبه. وتنطق الحكمة من نواحيه. يستوحش من الدنيا وزهرتها. ويأنس بالليل ووحشته. غزير العبرة. طويل الفكرة. يعجب من اللباس ما حشن. ومن الطعام ما جش. وكان فينا كأحدنا. يميننا إذا سألناه ويأيننا إذا دعونا. ونحن مع تقريبه لا تكاد نكلمه هيبه له. لا يطمع القوى في باطله ولا يأسر الضعيف من عدله (لابن خلدون)

الحسن بن عليّ بن أبي طالب (٦٦١ - ٦٦٢)

٣٨٥ ولما نزل عليّ أجتمع أصحابه بالكوفة وبايعوا ابنه الحسن. وبيع معاوية بالشام. فسار الحسن إلى المدائن واستقرّ جاحمة اشهر. ولما رأى المناوشة بين أصحابه قال: لا حاجة لي في هذا الأمر وقد رأيتُ أن أسلمه إلى معاوية فيكون في عنقه تبعته واوزاره. فقال له الحسين اخوه: أأنشدك الله أن لا تكون أول من تاب أباه ورغب عن رأيه. فقال: لا بد من ذلك وقد اخترتُ المار على النار. وبعث إلى معاوية بتسليم الأمر إليه واشترط عليه شروطاً. فاجابه معاوية إلى ما التمس منه. فسلم الأمر إلى معاوية وبايع له الحسن بقين من ربيع الأول. وذلك لأنه رأى المصلحة في جمع الكلمة وترك القتال (لابي الفداء)

دولة الأمويين (٦٦٢ - ٧٤٦)

خلافة معاوية (٦٦٢ - ٦٨٠)

٣٨٦ ولما بيع بالخلافة استقام له الملك و صفت له الولاية. وكان معاوية مليح الشكل عظيم الهيئة وافر الحشمة يلبس الثياب الفاخرة ويركب الخيل المسومة. وكان كثير البذل والعطا. محسناً إلى رعيته. وهو أول من اتخذ المقاصير وأقام الحرس والحجاب وأول من مشى بين يديه صاحب الشرطة بالحرب وله في الحلم أخبار كثيرة. واعلم ان معاوية كان مرثياً

دولٍ وسائس أممٍ وراعي مالكٍ ابتكر في الدولة اشياء لم يسبقه احد اليها . منها انه وصع البريد لوصول الاخبار بسرعة . وابتكر ديوان الخاتم فصارت التواقيع تصدر منه محتومة لا يتسكن احد من تمييزها . وفي سنة خمسين سير جيشاً كثيفاً الى القسطنطينية فاولغوا في بلاد الروم وحاصروا القسطنطينية ولم يدخلوها . وفي ايامه بنيت القيروان وكمل بناؤها في خمس سنين . ولما حضرته الوفاة جمع اهله فقال : اَلَسْمَ اَهْلِي . قالوا : بلى فذاك الله بنا . قال : فهذه نفسي قد خرجت من قديمي فردوها علي ان استطعتم . فبكوا وقالوا : ما لنا الى هذا سبيل . فرفع صوته بالبكاء ثم قال : فلا تمزك الدنيا بعدي . وتوفي بدمشق في مستهل رجب سنة ستين (للفجري)

خلافة يزيد بن معاوية (٦٨٠-٦٨٣)

٣٨٧ بويح له بالخلافة يوم مات ابوه . وكان يزيد يمحض فقدم منها وبيعة الناس . ولم يسايه الحسين بن علي بن ابي طالب ولا عبد الله بن زبير . فسير جيشاً الى محاربة الحسين فادركوه فمحلوا عليه واصحابه واحترقوا راس الحسين . اما عبد الله بن زبير فلحق بجمعة وتحصن في المسجد الحرام . فسار اليه الحسين بن عمار ونصب الخنبيق على ابي قبيس ورمى به الكعبة فخرقت استارها . وبينما هم كذلك اذ ورد الى الحصين الخبر بموت يزيد بن معاوية . فارسل الى ابن زبير يسأله الموادة فاجابه الى ذلك . وتوفي يزيد في شهر ربيع الأول سنة اربع وستين . وكان آدم جمعاً احور العينين . بوجه آثار جذري حسن الحية خفيفها طويله . وكان موافق الرغبة في اللهو والقصص . تعلم الفصاحة ونظم الشعر في بادية بني كلب (لابي الفداء)

معاوية الثاني (٦٨٣) ومروان بن الحكم (٦٨٤)

٣٨٨ ثم قام بعده بالامر معاوية ابنه ولم تكن ولايته غير ثلاثة اشهر . ثم تخلى بالعبادة ومات بالطاعون . واما عبد الله بن زبير فلما مات يزيد دعا الناس الى البيعة وادعى الخلافة . فظفر بالمجاز والعراق وخراسان واليمن ومصر والشام الا الاردن . ثم بويح بالاردن لمروان بن الحكم وكان كاتب السر لعنان . ثم دخل الشام فاذعن اهله له بالطاعة . وسار اليه من قبل عبد الله بن زبير الضمك بن قيس . فاقتتلوا بنوطة دمشق فقُتل الضمك . ومات مروان بدمشق مخنوقاً . وكانت مدة خلافته تسعة اشهر

عبد الملك بن مروان (٦٨٥-٧٠٥)

٣٨٩ بويح سنة خمس وستين بالشام . واما ابن الزبير فبيعت اخاه مصعباً على العراق فقدم البصرة واعطاه اهله الطاعة . واستولى المصعب على العراقيين فسار اليه عبد الملك بن مروان . فالتقوا بسكن . وقتل مصعب واستقام العراق لعبد الملك . وكان الحماج بن يوسف الثقفي على شرطه فرأى عبد الملك من نفاذه وجلادته ما اعجب به . فبعثه الى عبد الله بن زبير فقتله وسلخ جلده وحشاه تبناً وصلبه . وتوفي عبد الملك سنة ست وثمانين وكان حازماً عاقلاً

فقياً عالماً وكان ديناً. فلما تولى الخلافة استهوتة الدنيا فتغير عن ذلك (لابي الفرج)

الوليد بن عبد الملك (٧٠٥ - ٧١٥)

٣٩٠ هو سادس خلفائهم وكان مفرماً بالبناء واستوثقت له الامور . ومن بناياته المسجد الاقصى واعطى المخدمين ومنهم السؤال الى الناس . واعطى كل مقعد خادماً وكل ضرير قائداً . ومنع الكتاب النصارى من ان يكتبوا الدفاتر بالرومية ولكن بالعمية . وفي ايامه اجاز طارق الى الاندلس فهزض لذريق ملك القوط وزحف الى طارق فالتقوا بنحس شريش فهزم الله لذريق واذعت الاندلس لاسر الوليد . وفتحت في ايامه الفتوحات الكثيرة من ذلك ما وراء النهر . وتغلغل الحجاج في بلاد الترك . وتغلغل مسلمة بن عبد الملك في بلاد الروم ففتح وسي . وفتح محمد بن القاسم الثقفي بلاد الهند . وفي سنة ثمان وثمانين امر الوليد ببناء جامع دمشق . وكان فيه كنيسة فهدمها . فانفق عليه اموال كثيرة تجمل عن الوصف . وفي ايامه توفي الحجاج وقيل انه احصي من جملة الذين قتلهم الحجاج فكانوا مائة الف وعشرين الفا . ومات الوليد سنة ست وتسعين (للمديري)

سليمان بن عبد الملك (٧١٥-٧١٧) عمر بن عبد العزيز (٧١٧-٧٢٠)

٣٩١ ثم قام بالامر بعده اخوه سليمان وهو ساجم . واحسن السيرة ورد المظالم وآوى للفقيرين واخرج المجهوسين . وكان غيوراً شديد الغيرة خصماً واتخذ ابن عمه عمر بن عبد العزيز وزيراً وجيزاً واهم مسئلة لغزو القسطنطينية . ونزل سليمان في مرج دابق فشتى مسئلة على قسطنطينية وزرع الناس جوارح واصكوه . واقام مسئلة قاهراً قسطنطينية حتى جاءه الخبر بموت سليمان مختصاً . وكانت خلافة سليمان سنتين وثمانية اشهر واستخلف وزيره عمر بن عبد العزيز كان عمر عفيفاً زاهداً ناسكاً عابداً تقياً . وهو اول من فرض لانا السبيل . وابطل في الحطاب سب علي . وكان اليه المنتهى في العلم والنضل والشرف والورع والتألف ونشر العدل . وتوفي عمر بدير سمعان وكان موته بالسنة عند اكثر اهل التاريخ . فان بني امية ظلموا انه ان امتدت ايامه اخرج الامر من ايديهم وانه لا يعهد بعده الا لمن يصلح للامر فعاملوه وما عملوه . وكانت خلافته سنتين وخمسة اشهر . وكان في وجهه شجة من ربح دابة . وكان يدعى بالاشبح . وكان متحرماً بسيرة الخلفاء الراشدين . وكانت نفقته كل يوم درهمين . وفي ايامه تحركت دولة بني هشام وكان كثيراً ما يشتمل هذه الايات :

نخارك يا مغرور سهو وغفلة وليك نور والردى لك لازم
ينرك ما يغني وتفرح بالمنى كما غر باللذات في النوم حالم
وشغلك فيما سوف تكرر غبه كذلك في الدنيا تعيش البهائم

(هـ) راجع مقالة ابن جبير في وصف دمشق وجامعها في وجه ٢٢٦ من هذا الجزء

يزيد الثاني (٧٢٠-٧٢٤) هشام (٧٢٤-٧٤٣)

٣٩٢ ثم قام بالامر بعده يزيد بن عبد الملك . وكان ايضاً جسيماً مليح الوجه خرج في ايامه يزيد بن المهلب فارس على اخاه مسلمة فقاتله وظفر به . ثم توفي يزيد لاربع سنين من خلافته بعد ان عهد بالخلافة الى اخيه هشام . وبوع له بالخلافة يوم مات اخوه . وكان حازماً عاقلاً صاحب سياسة حسنة ايض . وكان ذا رأي ودهاء وحزم وفيه حلم وقلة شره وقام بالخلافة اتم قيام . وكان يجمع الاموال ويوصف بالبخل والحرص . يقال انه جمع من الاموال ما لم يجمعه خليفة قبله . وفي ايامه غزا المسلمون بلاد الترك فاتصروا وغنموا شيئاً كثيراً . وقتلوا من الاتراك مقتلة عظيمة وقتلوا ابن خاقان ملك الترك . وكان المتولي لخرم اسد بن عبد الله القسري . وفي ايام هشام ايضاً خرج زيد بن زين العابدين ودعا الى نفسه فامرعت اليه الشيعة . وكان الوالي على الكوفة من قبل هشام يوسف بن عمر الثقفى . فجمع المساكر وناولش زيدا القتال فاصاب زيدا سهم في جبهته تحمى من المعركة فات ودفن . فلما اصبحوا استخرجوه يوسف من قبره فصلبوه . ومات هشام بالرصاصة سنة خمس وعشرين ومائة . وكان مرضه الذمجة

الوليد الثاني (٧٤٣-٧٤٤) يزيد الثالث (٧٤٤-٧٤٤)

٣٩٣ كان الوليد مقيماً في البادية فلما مات هشام سار من فوره الى دمشق واقام في الخلافة سنة واحدة وكان اكمل بني امية ادباً وفصاحة وظرفاً واعرفهم باللغة والنحو . وكان جواداً مفضالاً . ومع ذلك لم يكن في بني امية اكثر ادماناً للشراب والسباع ولا اشد مجوناً وحنكاً واستخفافاً بامر الاممة من الوليد بن يزيد . فاجمع اهل دمشق على خلعهم وقتله لاشتهاره بالمنكرات وتظاهرة بالكفر والزندقة . فلم يلبث الا اياماً يسيرة حتى قتل شرقتة وصلب راسه على شرافات قصره ثم على اعلى سور بلده . ولما قُتِل اضطربت البلاد واستنصر على بني امية اعدائهم ولم تقم لهم قائمة بعده . ثم تولى يزيد الثالث ابن الوليد وابن عم الوليد بن يزيد وسبي اناقص فغافل بنو امية بولايته فاقام في الخلافة والامور مضطربة عليه . وكان مظهرًا للمسك محمود السيرة مرضي الطريقة ويتخلق باخلاق عمر بن عبد العزيز . وكان ذا دين وورع الا انه لم يجمع وبغته المنية

ابراهيم بن الوليد (٧٤٥) مروان الثاني (٧٤٦)

٣٩٤ ثم بويع اخوه ابراهيم فلم يثبت له امر . ومكث سبعين يوماً فسار اليه مروان بن محمد . فبرز اليه الخليفة وعسكر بظاهر دمشق فخذله جنده وحاصروا عليه بعد ان اتفق عليهم الختران واخفى امرهم فبايع الناس مروان واستوثق له الامر وخلعوا ابراهيم . وظهر السفاح بالكوفة وبويع له بالخلافة . فجهز جيشاً لقتال مروان بن محمد فالتقى الجمعان قرب الموصل . فهزم مروان وقتل في هربه وظهرت دولة بني عباس وانقرضت دولة بني امية (لاي الغداء)

تم بجواه تعالي

فهرس الجزء الرابع من كتاب مجاني الادب

وجه	وجه
٦٧	وصية ابن سعيد المغربي لابنه
٧٣	وصية ابن طاهر لابنه
٨٠	وصية ابراهيم الدكدجي لابنه
٨٤	نخبة من حكم ابي عثمان الثون النجفي
٨٦	نخبة من حكم اوردها البستي في ديوانه
٨٥	نخبة من اراجيز الشيخ السابوري
٨٦	التجارب
٨٧	اصمت وحفظ اللسان
٨٨	الصبر صدق التطق
٨٩	المكالم
٨٩	القصيدة الزينية لصالح بن عبد القدوس
٩٢	لامعة ابن الوردي
٩٦	نونية ابي الفتح البستي
٩٨	الباب الخامس في الامثال
٩٨	امثال في معان مختلفة جمعها ابن عبد ربه
١٠٦	ايات مثلية للثني والحري
١٠٨	نخبة من تعريف الصادح لابن حجة الحموي
١٠٩	نخبة من قصيدة ابي الفتح المثلية
	الباب السادس في الامثال والاشارات
١١٠	الملك المتروي
	نخبة من كشف الاسرار عن حكم الطيور
١١٧	والازهار لابن غانم المقدسي
١١٨	اشارة النسيم
١١٩	اشارة الورد اشارة المرسين
١٢٠	اشارة الترجس
١٢١	اشارة البان
٣	الباب الأول في التدئين
٣	عظمة الخالق وجبروته
٤	ماتن الشيبانية في التوحيد
٥	قصيدة للبرعي في الاستدلال على الحق
٦	ماتن بدء الامالي في التوحيد
٧	قصيدة للبرعي في الحق سبحانه
٩	قصيدتان له في الابتغال الى الله وحمده
١١	وله ايضا من قصيدة في الرجاء بالله
١٢	قصيدة لعبد الغني التابلسي في الثقة بالله
١٣	قصيدة للباي في التوسل والاستعطف
	الباب الثاني في الزهد
١٥	الزهد في الدنيا والانتفاع الى الله
١٧	قصيدة للبرعي في الزهد
٢٠	زهد رجل من بني عباس
٢١	ذو النون والزاهدة
٢٢	ذلة الدنيا
٢٣	زوال الدنيا
٢٧	ذكر الميتة والعواقب
٣٣	في الدهر ونوائبه
٣٤	قصيدة لاسماعيل المقرئ في التوبة
٣٥	للبرعي في الاغراء بالتوبة
٣٨	ما كتب على القبور
	الباب الثالث في المراثي
٤١	رثاء مشاهير العرب
٥٨	
٦٥	الباب الرابع في الحكم

وجه	وجه
١٥٩ قصيدة ابن الرواب في وصف الخط	١٢٢ اشارة البنفسج
١٦٠ في الادب وتربية الصغار	١٢٣ اشارة الخزام
١٦٢ الباب الثامن في السيف والقلم	١٢٤ اشارة الشقيق
١٢٦ فصل في التفاوت بين مراتب السيف والقلم	١٢٥ اشارة السحاب
١٦٣ في الدول	١٢٦ اشارة العزار
١٦٦ في شرف الكتاب	١٢٧ اشارة الباز
١٦٨ الباب التاسع في اللطائف	١٢٨ اشارة الحمام
١٦٨ وزير المأمون والشاعر	١٣٠ اشارة الخطاف
١٦٩ مروان بن ابي حفصة وجمفر البرمكي	١٣١ اشارة البوم
١٧٠ الصلوات والصلوة	١٣٢ اشارة الدرّة
١٧١ ممن بن زائدة والثلاث جواري	١٣٣ اشارة الديك
١٧٢ الحسين بن الضحاك عند المتوكل	١٣٤ اشارة البط
١٧٣ الباهلي والرشيد	١٣٦ اشارة الخمل
١٧٥ علي بن الخليل وزيد بن المزيدي	١٣٧ اشارة الشمع
١٨٠ الباب العاشر في المدح	١٣٨ اشارة الغراب
١٨٠ بلعام بن قيس وبنو هاشم	١٤١ اشارة الخدهد
١٨٠ مدح المأمون	١٤٢ اشارة الكلب
١٨١ مدح مقامات الحريري	١٤٤ اشارة الجمل
١٩٣ الباب الحادي عشر في الفخر والحاسة	١٤٥ اشارة الفرس
٢٠١ قصيدة ابن سناء الملك في الفخر	١٤٦ اشارة دود القز
٢٠٥ الباب الثاني عشر في العجب	١٤٨ اشارة العنكبوت
٢٠٨ الباب الثالث عشر في الالغاز	١٤٩ اشارة السماة
٢١٤ الباب الرابع عشر في الوصف	١٥٠ اشارة العنقاء
٢١٤ وصف مصر	١٥٢ الباب السابع في الذكاء والادب
	١٥٢ مدح مختلف العلوم
	١٥٤ ابو تمام والمتني وابو عبادة البجلي
	١٥٧ وصف القلم
	١٥٨ وصف المحبرة و وصف الخط

وجه	وجه	وصف دابة
٢٧٧	فصول في التهنئة والهدايا	٢١٥
٢٧٩	فصول في التعزية	٢١٦
٢٨٠	فصول الى علي	٢٢٠
٢٨٢	الباب انتاسع عشر في التراجم	٢٢٥
٢٨٢	شعراء النصرانية	٢٢٩
٢٩٦	خطباء النصرانية	٢٢٩
٢٩٨	مشاهير اطباء النصرانية	٢٣٠
٢٩٨	مشاهير المؤرخين والكتاب والفلاسفة من	٢٣٤
٣٠٥	اهل النصرانية	٢٣٦
٣٠٩	الباب العشرون في التاريخ	٢٤٤
٣٠٩	صاحب الشريعة الاسلامية محمد	٢٤٥
٣١١	الخلفاء الراشدين خلافة ابي بكر	٢٤٨
٣١١	خبر الاسود العنسي وميلحة الكذابين	٢٥٣
٣١٢	فتح العراق والشام وموت ابي بكر	٢٥٣
٣١٢	خلافة عمر وفتح دمشق وفارس ومصر	٢٥٥
٣١٣	عثمان بن عفان	٢٥٨
٣١٣	علي بن ابي طالب	٢٦٠
٣١٤	الحسن بن علي بن ابي طالب	٢٦٢
٣١٤	دولة الامويين خلافة معاوية	٢٦٥
٣١٥	خلافة يزيد بن معاوية	٢٦٥
٣١٥	معاوية الثاني مروان بن الحكم	٢٦٥
٣١٥	عبد الملك بن مروان	٢٦٨
٣١٦	عبد الوليد بن عبد الملك	٢٧٠
٣١٦	سليمان بن عبد الملك وعمر بن عبد العزيز	٢٧١
٣١٧	يزيد الثاني وهشام	٢٧٣
٣١٧	الوليد الثاني ويزيد الثالث	٢٧٥
٣١٧	ابراهيم بن الوليد ومروان الثاني	٢٧٦
		وصف ابليس لنفسه
		زهريه صفي الدين الحلبي
		قصيدة عبد الغني النابلسي في وصف الشام
		الباب الحثامن عشر في الحكايات
		هارون بن عبد الله والغيل
		الوفاء والفضل والمعروف عند بعض الكرام
		محمد والسيح
		عصيان ابراهيم بن المهدي على امير المؤمنين
		الباب السادس عشر في الفكاهات
		الطيب والخليفة
		الفضل بن يحيى والاعرابي
		الباب السابع عشر في التوارد
		مدينة الزمراء في الاندلس
		عجائب مصر كالقياس والاهرام والبلبل
		عنزة والاسد
		ذكر القهوة
		الاندلس وعوائد اهلها واختراعاتهم
		الباب الثامن عشر في المراسلات
		فصل في المراسلات بين الملوك والامراء
		في الطلب وحسن التواصل
		في الاشواق
		فصول في العتاب والاعتذار
		فصول في الذم
		فصول في التوضيعة
		فصول في المدح والشكر



رفع. علاء الدين شوقي أسكنه الله الفردوس

تمّ طبع هذا الكتاب على مطابع
المطبعة الكاثوليكية في بيروت
في الخامس من شهر نيسان ١٩٥٦